

لمن اتّبعَ الهُدَى واجتنبَ الرّدَى فِى إثباتِ العدل
والرّدّ على عبد الله بن يَزيد البغدادى المجبر

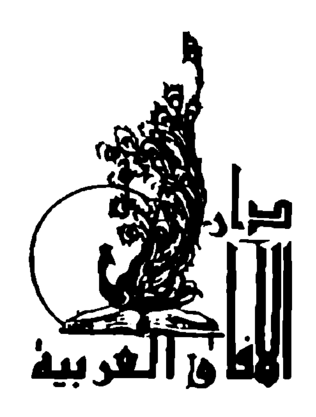
للإمام

الناصر لدين الله أحمد بن الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين

ت ٣٢٥ هـ

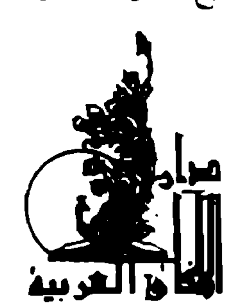
تحقيق

أ/ إمام حنفى سيّد عبدالله



الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت

(من شارع الطيران) - مدينة نصر

تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الايداع : ١٨٤٥٦ لسنة ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : 977-5727-82-0

الإهداء

إهداء

إلى ابني أحمد

وابنتي آية



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

تعرفت على تراثنا الفكرى منذ زمن بعيد، وتحديداً مع بداية تفتح مداركى فى الصبا، فاهتممت بمعرفة التراث، واتجهت إلى الاطلاع على كنوزه الزاخرة فى كل مكان، مطبوعة أو مخطوطة على السواء.

ومع اطلاعى على أمهات الكتب فى التراث، كنت استشعر قلقاً من قلة الاهتمام بجانب على درجة كبيرة من الأهمية، وهوالتراث العلمى والفكرى، والذى خرج منه إلى النور قدر لا بأس به من الأعمال، إلا أن الكثير ينتظر دوره فى الخروج ونفض غبار الزمن عنه.

وكلنا مسئولون عن بعث تراثنا ودراسته وتحقيقه، ليس لأنه جزء من تاريخ أمتنا الفكرى والحضارى فحسب، ولكن ركيزة لنهضة الأمة فى حاضرها، وربما كان هو الذى نحوز به قصب السبق فى المستقبل.

وجدت فى كل المراكز العلمية التى زرتها طلبة ومستشرقين، يعكفون على التراث الإسلامى والعربى، يحصلون به على درجات علمية، أومكلفين من جهات علمية فى دول غربية عديدة، لإخراج هذالتراث وبعثه، وكما ادهشنى طالب يدرس تراث **الفارابى** الموسيقى من جامعة **كاليفورنيا بأمريكا**، ادهشتنى طالبة دكتوراة **(جامعة روما)** تدرس رسالة **للسهروردى** المقتول فى التصوف الفلسفى، وآخر يدرس المحبة عند **ابن تيمية**.

وعلمت من العديد من الدارسين الغربيين ولعهم بتراثنا، وأن أغلب الجامعات فتحت أقساماً للدراسات العربية والإسلامية، يغلب على أكثرها هذا الطابع.

وساءنى تجاهل الكثير من الدارسين العرب، وكذلك أساتذة الجامعات، للتراث والنظر إليه بعين الارتخاص، وربما ذلك لعدم الفهم العميق له، أو للمشقة البالغة التى تقع على العاملين فى مجاله، مع قلة العائد المادى!

ومن الأشياء التى استوقفتنى طالب يحقق فى أحد الأقسام العلمية رسالة عن الموت وحياة القبور!.. وكأن التراث انتهى إلى هذا الحد، ولا غبار على أحد فى تناول ما شاء، إلا أن هناك ما هو اولى، وكما ان للرخيص سوقاً رائجة، فالنفيس له سوقه أيضاً، وإن كان الباحثون ينظرون بعين الناشرين فحسب لعدة أسباب، فلا يجب أن ننساق وراء رغباتهم، حتى لانرى فى أرفف المكتبات عشرات الكتب عن التذكرة وأحوال ما بعد الموت!.. ولانجد إلا النذر اليسير من التراث الفكرى الأصيل تائه فى وسط هذا الكم الرخيص.

إننا لم نمت بعد، ولا ينبغى تعريف الناس امتنا الفكرى والحضارى من الدخول من هذا الباب. ولست بطبيعة الحال احاول التقليل من اهمية عقيدة البعث والنشور او ما كتب عنها او ينشر، ولكن اشير إلى حقيقة واقعة فى حياتنا الثقافية نعيشها.

أريد أن اقول إن تراثنا، وإلى عهد قريب، كان يتعرض للتبديد والسرقة والنهب، والآن يتعرض للتشوية وسوء القصد، والفهم!.. مع وجود بعض الموظفين القائمين عليه يتعاملون معه كسجين يجب حبسه أو اثر يحب دفنه وحجبه عن العيون، خوف التلف من جراء عوامل التعرية الجوية وتغيرات المناخ!

نريد تراثاً ولكن، هذا هو المقصد، نريد تراثاً فكرياً ينهض بالأمة ويعمل على بعثها فى أحرج فترات المواجهة والصدام مع الآخر، الذى لايؤمن بوجودها ويعمل على استأصالها.

وبهذا الفهم تمرنت على التراث واحببته، عندما علمت بان به ما يجعل امتنا الآن تنهض من عثرتها، وقد وجدت سوقاً فكرياً وفلسفياً شاغراً فى الشرق والغرب على السواء! يقتات فتات عقول عقيمة، وفى أيدينا نهر من الفكر الفلسفى الحر، مازال يجرى ويجود بوافر العطاء، ولا يبخل على شاربيه.

إلى متى ساظل موضوعاً للمعرفة، أنا وامتى وتاريخى وثقافتى وحضارتى؟

إلى متى ساظل فى خندق متخذاً موقع المدافع عن نفسه، الذى يخشى مغالطات الآخر ويتوقعها؟!

لو تعقلنا تراثنا واحسنا الانتقاء والدرس، ولوتتبعنا اسلافنا، لربما ادركنا ما فاتنا

من ذلك، فأجدادنا كانوا عباقرة نجباء فى التأصيل والتنظير، ووضع القواعد والأسس للفهم والمعرفة والنظر والاستدلال والاستنباط... إلخ.

هضموا كل حضارات الماضى فى مساحة صغيرة من الزمن، وافترشوا مساحات الوجود بعد ذلك، فلم يطق أحد أن ينافسهم.

المقصد، هذا كتاب من قبيل ما وصفت، وهناك المئات التى تحتاج الدرس والتحقيق، يبحث فى أدق قضايا الفكر الفلسفى الحر، الذى يتناول الله والكون والإنسان، ويتعرض لقضية الإنسان وعلاقته بالله والوجود.

فهل الإنسان مسير أم مخير، وما حدود العدل الإلهى، وما مساحة الفعل الإنسانى، وهل يقيد الإنسان شيئاً أم أنه حر التصرف، حر الفعل؛ مسئول مسئولية كاملة عن فعله؟

هل خلق الله البشر ليظلمهم أو يضللهم أو يعذبهم؟ لماذا خلقهم، ولمَ كتب عليهم الموت، ثم البعث؟!... وما الآثار المترتبة على العمل؟!

كل ذلك وغيره، هو حصيلة هذا الكتاب القيم الذى يرد فيه **الإمام أحمد بن يحيى ت ٣٢٥** على الفكر الجبرى العقيم، متمثلاً فى شخصية **عبدالله بن يزيد البغدادى**، والذى يمثل الطرف الآخر للقضية، وكنت قد أعددت دراسة أضعها فى مقدمة هذا الكتاب تحت عنوان: **«نقد المسلمين للفكر الجبرى»** ولكن وجدت أن عدد أورقها ستزيد الكتاب ضخامة على حجمه، ورأى الناشر إصدار الدراسة مستقلة، فكان ما قدره الله.

إذا كنا فى هذه الأيام نتناول قضايا التعددية والكوكبية والآخر والعولمة، والصدام العالمى أم التنافس العالمى، ونفى الآخر أم التعاون معه.. إلى غير ذلك من قضايا، ولدينا رصيد هائل من الفكر العميق الذى تناولها فلم لا نستفيد منه؟!.. هل نريد أن يسبقنا غيرنا لانتهال روافده، والارتواء من ينابيعه قبلنا؟!.. هل اعتدنا استيراد تراثنا وفكرنا وبضاعتنا فى ثوب يخلعه عليه الغرب؟!.. هل أدمنا السقوط لهذا الحد؟!.

علينا ياسادة التناصح بالحق والبعد عن عقلانية الجهلاء، الذين لايفرقون بين

التحذير والوعظ، أو بين النذير والبشرى، فسندخل عهداً جديداً ونحن تحت الصفر بمسافات بعيدة، تخدعنا التماعات السراب، والوعود الكاذبة!

وسمى الإمام أحمد كتابه: «النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى، في إثبات العدل والرد على عبدالله بن يزيد البغدادى المجبر».

والكتاب يناقش قضايا العدل والحرية ومنهج الإسلام فى الفهم والطرح والحوار والاستدلال.. فما هو العدل الإلهى وما قيمة الحرية الإنسانية فى التكليف.. وهل خلق الله أفعالنا أم لا؟ وما الآثار المترتبة على هذه المقالة؟ ثم كيف نفهم العقيدة وما الأسس التى ينبغى التأصيل لها من أجل ذلك.. ثم ما الاستطاعة؟.. وما مفهوم الخلق والقضاء والقدر والجعل والاسم والمسمى.. وغير ذلك من قضايا تهم المسلمين فى دينهم وحياتهم.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الرسالة ونفاستها. إذ إنها حفظت لنا كثيراً من الدلالات التى فهمها المسلمون من النص القرآنى مصحوبة بشواهد من الحديث والشعر العربى.

هـذا، وأسأل الله العلى القدير
أن أكون قد بلغت بعض ماأصبو
وأرجو، وهو المستعان

إمام عبدالله

فى وصف المخطوط

المخطوط نسخة مصورة عن الأصل الموجود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم ١٤١ علم الكلام، وبعنوان: «**النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى فى إثبات العدل والرد على عبدالله بن يزيد البغدادى المجبر**».

وجاء فى بياناتها: «نسخة بقلم نسخي جيد، سنة ٥٤٨هـ، وعلى حواشيها بعض الشروح.

عدد الأجزاء = جزآن فى مجلد ١٣٢ ورقة.

مسطرتهـــا = ٢٢ سطراً.

المقـــــاس = ٢٠ ×٢٧سم.

التعريف بالإمام الناصر ومؤلفاته:

هو أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى الناصر لدين الله: إمام زيدى يمانى من علمائهم وبسلائهم (٢٧٥ - ٣٥٢هـ / ٨٨٧ - ٩٣٤) وعرف بترجمان الدين لغزارة علمه، قام بالإمامة، بعد اعتزال أخيه **محمد المرتضى** لها سنة ٣٠١هـ، فجهز جيشاً فى ثلاثين ألف، دخل به عدن، وقاتل القرامطة وظفر بهم، واستمر موفقاً إلى أن توفى بصعدة.

يقول عنه ابن الوزير: «كان من الأئمة السابقين، وعيونهم المعتبرين وساداتهم المطهرين، كان عالما فاضلاً ورعاً وزاهداً، جامعاً لشرائط الإمامة، كاملاً فى صفات الزعامة، سالكاً منهج آبائه الأئمة الأطهار، فى أحواله الخاصة والعامة، كما قال الفقيه حميد، رضى عنه، فى وصفه: «نشأ على علمهم الصافى الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير».

أما تصانيفه العلمية فقد أشارت إليها كتب الطبقات، بما فيها كتابنا الذى نحققه، فقالوا: له، عليه السلام؛ التصانيف الرائعة الشافية ، والكتب البالغة الوافية، فى الأصول والفروع ، والمعقول والمسموع، منها:

١ - كتاب النجاة فى الرد على الجبرية القدرية؛ وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير، وهو الذى نقوم بتحقيقه.

٢ - وله كتاب الدامغ.

٣ - وكتاب التوحيد.

٤ - وكتاب الفقه.

٥ - وكتاب التنبيه.

٦ - وكتاب مسائل الطبريين.

٧ - وكتاب الرد على الإباضية. (فرقة من الخوارج)، ونحققه مستقلاً عن هذا الكتاب.

وله فى علوم القرآن ما شهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من مصنفاته المشهورة، ومن كتبه المعروفة المذكورة:

٨ - كتاب المفرد فى الفقه؛ وهذا (الكتاب) ذكره **الفقيه حميد**، رحمه الله.

«وكان يصحب فى غزواته الحبر والقراطيس، ويؤلف وهو على ظهور الخيل، على ما فى كتبه من مسائل دقيقة» [1].

منهجى فى التحقيق:

١ - قمت بنسخ النص وإعادة قراءته عدة مرات، وتأكدت من نسب الكتاب لصاحبه وتمامه وعدم نقصان شئ منه، وأن النسَّاخ قد راجعوه على الأصل.

٢ - وضعت العناوين الداخلية، وفرقت بين نص **عبدالله بن يزيد**، ونص **الإمام أحمد** وأشرت إلى ذلك.

٣ - خرجت الآيات والأحاديث، ونوهت، كلما أمكن، بالأخطاء غير العادية، والتى لا تتكرر بصفة مستمرة، وراعيت ضبط النص.

---

(١) انظر ترجمته فى **ابن الوزير**: هداية الراغبين مصور بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم ٢٧٥.
لوحة ١١٢ و١١٣ط حتى ١١٥و ، **والمحلى**: الحدائق الوردية، مصور بدار الكتب، ميكروفيلم ٢١٣٦ جـ٢ ورقة ١١١ - ١١٢، **وعبدالله بن حمزة**: **الشافى** جـ١ ورقة ميكروفيلم ٢٣٤
والزركلى: الاعلام ١ / ٢٦٨ ، **وكحالة**: معجم المؤلفين: بلوغ المرام؛ ص٣٣. طبع بمصر ١٩٣٩، **وإتحاف المسترشدين**، ص٤٥، **والجندارى**: تراجم الرجال جـ٦

٤ - خرجت الأشعار، كلما أمكن وقدر الاستطاعة، وكذلك ترجمت للشخصيات التي جاءت في النص.

٥ - عرفت بالمصطلحات التي جاءت بالنص، كلما كان ذلك ضرورياً، وكذلك الفرق ووضعت الفهارس المختلفة.

هذا، والله ولي التوفيق،

القاهرة في ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠م

إمام عبدالله

نماذج من المخطوط

ولم يجعل إلى الفعل الذي له فيه استطاعة وهو له ممكن من قبل فعله، وهذا خبر الله
عز وجل وهذا كما أنه ينطق بخلاف قول من قال الاستطاعة مع الفعل، وفي هذه بين من الحجة لك
في إثبات العدل، ومن آية الله عز وجل من قتل من قتل مظلوما، قال الله عز وجل فطوعت له نفسه
قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، ولم يقل فقضيت عليه قتل أخيه ولا أردته منه
ولا خلقت فيه فعله، وكان من بيان [illegible] على [illegible] لا يدري كيف يصنع
به فبعث الله عز وجل غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، قال يا ويلتا أعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين، ثم قال الله عز وجل
من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا
أفلا ترى ضعف ابن آدم وكلام نفسه على أنه لم يرد من أخاه وقد كان يمكنه قبل فعله، ولم
مستطيع لذلك، ولذلك قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي أعلمه
أنه قد كان قادرا مستطيعا أن يدفن أخاه، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال يا ويلتا أعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب، ولا يجوز أن يخبر الله عز وجل بما لا يكون، وكيف يتلهف على أمر لم يكن
يستطيعه لامتناع فعله، وكيف يحكي الله عز وجل خبر [illegible] ولا يجوز في العقول ولا يستطيعه
الناس لامتناع فعلهم له، فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ففيها كفاية لمن عقل وتدبر
رب العالمين، ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل قول الله عز وجل ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن [illegible]
قبل الفعل ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل
[illegible] فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن
الضرب بأرجلهن لم يفترض عليهن أمرا لا يقدرن عليه، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم جل ثناؤه منفي
وكذلك قوله وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون، فلم يكن ليأمرهم عز وجل ويفترض عليهم
التوبة من قبل أن يجعل [illegible] السبيل إليها ويمكنهم منها، وأكبر الشاهد لنا على

اللوحة ١٢١ ظ من كتاب النجاة

ذلك قوله عز وجل أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم [illegible]
ممكنة لهم إن أرادوها، فهذا أكبر دليل وأقوى حجة، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
[illegible] قول من قال [illegible] التوبة ولا [illegible] سبحان الله العظيم، ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل
الفعل قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، وهذا
يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل، ولولا ذلك ما قال عز وجل ومن
يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله، فلم يكن الله
ليغضب عليهم في أمر لا يستطيعون له حيلة، ومن الحجة لنا في إثبات العدل وأن الله
عز وجل لم يعذب أحدا إلا بظلمه وجرمه وإثمه وعصيانه واختياره، قوله عز وجل
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، ولم يقل بما قضيت عليهم وقدرت وأردت، وقد روي عن كعب
الأحبار رحمه الله أنه قال قرأت في الكتب السالفة الأولى من يظلم يخرب بيته فكنت
على ذلك حينا من دهري حتى بعث النبي محمد صلوات الله عليه وعلى آله، فلما سمعت به شخصت
إليه وأسلمت وأقمت عنده وتصفحت ما نزل عليه من القرآن وطلبت تفسير تلك الآية التي وجدتها
في التوراة فلم أجد، فبينا أنا على ذلك إذ نزل عليه صلوات الله عليه هذه الآية فتلك بيوتهم خاوية بما
ظلموا، فالله عز وجل لا يؤاخذ أحدا من جميع خلقه إلا بفعلهم وذنب [illegible] واكتسبه
واختياره بعد النهي عنه والدعاء إلى [illegible] ولم يرد منهم عز وجل أن يكفروا ولا أن يدبروا
عن أمره، ألا تسمع كيف [illegible] قول نوح صلى الله عليه وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم
وأسررت لهم إسرارا، ثم قال [illegible] ثم كان من ردهم عليه أن قالوا لا تذرن آلهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا
أفلا تسمع إلى هذا القول العجيب والحكمة البالغة [illegible]
[illegible] الذي [illegible] تعالى [illegible]
[illegible]

اللوحة ١٢٢ و من كتاب النجاة

الى هداها واخراج لهم من ظلمها الى نهاها ورشدها ؟ لم يدخل احداً من خلقه في ضلاله ولم يخلقهم من امره في قال الفاقه ولم يحل بينهم وبين الطاعة ؟ ولم يمنعهم عن طريق الصواب ولم يعمهم عن وضوح صالح الابواب بل ابتدأهم بالرافة والرحمة ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة ؟ فارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب لئلا يكون للخليقة عليه تبارك وتعالى حجة بعد ذلك يلا تعي فيها مدع انه اتى ء دينه من قبل ربه في تقدير قدره عليه او قضا الزمه اياه واوجبه فصله به او ضرع هدايه او خلق لفعله او جبره فيه على ما نهاه عنه وختم ايمانه ؟ يا باذلك على المجرمين المفترين قول العزيز الرحيم والعدل الحكيم ؟ يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين ؟ فاستمع الى هذا القول والى هذه الحكمة البالغة والحجة القاطعة لعذر كل مجرم افترى على ربه والزمه ذنبه ؟ كيف قال ما غرك بربك الكريم فلو كان الغرور من قبل ربه عز وتعالى لم يكن في الحكمة ولا في العدل ان يقول ما غرك بربك ؟ وهو الذي غره موضره وقدر عليه شره ؟ ثم قال كلا بل تكذبون بالدين ؟ فلو كان تكذيبهم من قبله عز وجل لم يبعث عليهم وملكه ولم يبعثهم على تقديره ؟ فخرج من الحكمة ويصير الى صفة الجائرين ؟ ثم قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فلو كان هو عز وجل الذي خلق عمل الفاسقين لم يفترق وفعل فعل الطائعين ولم يجمع الميزانين ؟ انما امنه عن غير اشتقاق لثواب ما احتجوا من اكتسبوه يوجب العقاب لم يكن لارساله لرسله ولا لانزاله للكتب الى اهل الدارين معنى ولم يكن في ذلك حكمة بعد تبديله لهم ومنعهم وتقديره ذنوبهم عليهم وجعله جبرهم وما ولعصمهم ثم كلفهم الخروج مما قدر والدخول فيما لم يرد بعد ابرام التشبيه وساق القضية حاشا للعلي العظيم والعدل البر الكريم الرؤوف بعباده الرحيم

والجواد بقوله الكريم والقدوس بيء وجل ابتنه العزيز عما قال المفترون ونسب اليه المبطلون لو كان ذلك لسقطت الحكمة عن نسبتها الحكمة ونفي عن نفسه الظلم وامر بالعدل وحض على الفضل والجود والكرم ودعا الى الحسن وحذر من القبيح وعاب الفساد وعاقب على الجور ثم فهل يدخل حكيم فيما عاب او يفعل ما كره او يقضي ما عنه نهى ويحول دون ما اليه دعا او يصد عما به ابتدا ؟ عز عن ذلك رب العالمين وعظم عما قال المجبرون واسنده اليه المعتدون ؟ لا اله الا هو رب العرش العظيم ؟

وصل كتابك يا ابا محمد اعزك الله واتانا عبد الله بن عمر اتم الله نعمة كاملة عليك وان تبرك لطاعته ونجاك من سخطه ؟ تذكر ان شرك انتهاء اليك كتاب من بعض اهل الجبر والفرية على الله تبارك وتعالى وهو كتاب عبد الله بن يزيد البغدادي الذي وضع لاهل الجبر بما سطر لهم وموه عليهم واحتج على اهل العدل المؤمنين بزخرف من القول لا يجوز عند المسلمين وسماهم قدرية ومفترين على الله جل ثناؤه واعلم اصحابه في كتابه ان الحجة وفي يده دون غيره ؟ وليس هو الا مما به باول من اعجبته نفسه وظن انه على شيء ؟ ثم ردته الله جل ثناؤه ؟ وابطل قوله وفعله ؟ قال الله عز وجل يصفه ومن كان مثله من اشكاله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ؟ وقال ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون وقد قال المشركون بمجامع النبي صلى الله عليه وعلى اهل بيته الاخيار وسلم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق ؟ وقد نظرت اكثر الله عن النار وجهك في كتاب الجبري عبد الله بن يزيد البغدادي واتيت على معرفة ما قال وما نسب الى الله جل ثناؤه من الجور على عباده والطعن على كتابه ؟ وقد اجبته بما حضرني على اني في حال علة مع التعب ؟ ... كثيرة وفساد من اللغة وسوء ادبه في اللغة والمعاني ... ركم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في التوحيد والعدل

١ ظ / الحمد لله الذى لا يحويه قطر، ولا يفنيه دهرٌ ولا يجرى عليه عصرٌ، ولم يسبقه خلف ولا امام، ولا يمين ولا شمال ولا وفوق ولا تحت، المحدثُ للآشياء من غير شئ مخترعاً، والموجد للبرايا كلها بغير كُلْفة مُبتدعاً، لا يطويه إضمار، ولا ترويه افكار، وهوالواحد الجبار، والعزيز القهار.

والحمد لله الواحد ذى البرهان، والأول ذى السلطان، والكائن قبل الدهر والحدثان وقبل الأين والأوان، وقبل الجسم والزمان، وقبل الحرور والأكنان، وقبل الجن والإنسان وقبل الجماد والحيوان، وقبل السموات والأقطار، وقبل الليل والنهار، وقبل الظلم والأنوار، وقبل الأرض والبحار، وقبل الأنهار والأشجار، وقبل الهواء والقرار، وقبل الرياح والأمطار، وقبل الفلك الدوار، وقبل الشمس والقمر السارى، وقبل النجم الزهار، والفلك الجوارى.

مبتدع البرايا بلا ظهير قديم ولا معين عُلم، ولا مثال انتظم، ولا تكليف تجشم، ولاحركة تؤلم ولا نصب يسئم [١]، ولا فوق ضد يهجم، ولا منافى يقاومُ ولا حاجة تلزم ولا تصرف بتنجم، ولا لامرٍ مُهم، ولا لانس من وحدةٍ، ولاتكثير من قلة، ولا ليعزً من ذِلةٍ، ولا ليمتنع من وحشةٍ، ولا لخوف من نازلة، ولا لفاقة إلى فائدةٍ إلا إظهاراً للقدرة، ودلالةً على الوحدانية، وإبانة للقوة القوية، والعزة والجبرية، والمجد والربوبية، والقدرة الأزلية، والحكمة والالهية [٢]، تدبيرُ الحكيم الذى لاعبث فى حكمته الذى احسن فى تقديرها، واتقن فى تدبيرها، وافتنَّ فى تصويرها، وجعلها دلائل تدلُ عليه وتهدى من اناب من خلقه إليه، وإذْ لا تراه عيون الناظرين، ولاتبلغُه أوهام المتوهمين، ولا تمثله افكار المتفكرين، ولا تحده ظنون الظانين، ولا يدركُه

---

(١) وردت فى الأصل : يسام.

(٢) وردت فى الأصل: واللاهيه.

فحصُ الفاحصين، ولا تبهتهُ بلاغةُ المتكلمين، ولا أعراق المتحيرين، وحسرت عنه الأبصار، وكلت عن ذاته [1] الأفكار، وصغرت عن الإحاطة به الأقطار، إذ لا سبيل إلى أمر يستدل به على ذاته، [2] عز شانه وتقدست اسماؤه، إلا باثار صُنعه، ومصابيح دلائله، وغير شواهده، فصار ذلك، فى نظرِ العيان، وأيقن الإيقان، وأبين البيان، وأوضح البرهان.

العدل على الحقيقة، الذى لم يقض بالفساد على أحد من الخليفة، ولم يُملهمُ ٢ و/ عن واضح الطريقة، ولم يظلم منهم ملكاً ولا سُوقة، بل أرشدهم وهداهم وبالنعمة ابتداهم، والذى لم يصدُّهم [3] عن رشدهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم، ولم يمنعهم عن هدايتهم، ولم يكلفهم غير طاقتهم، ولم يكن علمه بذنوبهم بمانعٍ لهم عن التوبة والإقلاع عن الخطيئة، فهو البرئ من ذنوبهم، والناهى لهم عن ظلمهم، والداعى إلى صلاحهم والمبتدئ بالفضل والإحسان إليهم، والمرسل لرسله، عليهم السلام، والمنزل لكتبه ذات الأحكام: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [4].

فأمر، تبارك وتعالى، تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطعْ كرهاً، ولم يُعصَ مغلوباً؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [5].

فجاءت الرسل، صلوات الله عليهم، بالإعذار والإنذار، والترغيب فى الجنة، والتحذير من النار، إذ لم يقدِّر الحكيم الخبير ذنوبهم، ولم يصدُدْ منيبهم، ولم يُدخلهم فى معصيته ولم يُخرجْهم من طاعته، ولم يخلقْ من أفعالهم فعلاً حسناً ولا قبيحاً، ولم يحل بينهم وبين الهدى، ولم يحملْهم على كفر ولا ردى، عزَّ عن ذلك العلى الأعلى.

والعدل الحكيم، والكاره للخطايا، والمجازى بالحسنى، والمعاقب على الأسواء،

(١) كلمة مطموسة بالأصل.

(٢) وربما تكون: جل ثناؤه.

(٣) فى الأصل: يصددهم.

(٤) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٥) سورة الأنفال: آية ٤٢.

والصادقُ وعْدهُ ، والمنجز لوعيده. الذى لايبطل كتبه، ولا يكذب رسله، ولا يستحيل امره، ولا يُخلف قوله، ولا يتناقضُ كتابُهُ، ولا تغيرُ حقائقه ولا يُبدّلُ حُكمهُ، وهو القوى العزيز.

وصى الله على الاعظم قدراً، والاجل خَطَراً، والارفع ذكراً، والاحمد اثراً، والابين فضلاً، والاشرف اصلاً، والاوضح عدلاً، والاصدق قولاً، والاوسع كرماً، والانزه نفساً، والانصح للامة نُصْحاً، والاطيب ذُرية، والاعلى ذروةً، والابرع حلماً، والاوفر زماماً الرسول المصطفى، والنجيب المرتضى محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، صلوات الله عليه، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الاخيار.

الامين على الوحى، والمُبلّغ للنذارة، والمرشد للبرية، والذى لم يَدْعُ احداً من الخليقة، ولا غيرهُ من المرسلين، عليهم السلام، إلى جبر ولا تشبيه، ولا إلحاد ولا تلبيس، ولا خروج عن العدل، ولا ميل عن الحق، والذى نَزّلَ عليه الكتابُ المبين بالحق اليقين، الذى ليس فيه ما يتعلق على الله، جل ثناؤه، فى ظلم، ولا يخرج من عادل حكم، ولايشهد لمجبر ولا يُشكِكُ مستبصراً، بل العدل فى كله شاهدٌ لمفترضه، ومبرئٌ لمنزلِه عن ظلم عباده ، وحلمهم على المعاصى، بعد نهيه لهم عنها، وتحريمها ٢ ظ/ عليهم، والإهابة بهم/ إلى ضدها، والإخراج لهم من ظُلَمها إلى نجاتها ورُشْدها، لم يدخل احداً من خلقه فى ضلالة، ولم يكلفهم من امره فوق الطاقة، ولم يحل بينهم وبين الطاعة،ولم ينكب بهم عن طريق الصواب، ولم يُعمهم عن ولوج صالح الابواب، بل ابتداهم بالرفة والرحمة، ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة، فارسل إليهم رسله، وانزل عليهم الكتب، لئلا يكون للخليقة عليه، تبارك وتعالى، حجة بعد ذلك [1] ، يدّعى فيها مُدّعٍ، انه أُتى فى دينه من قبل ربه، فى تشدير قَدّرَهُ عليه، او قضاء الزَمه إياه، او حتم [2] قصد به ، اوصد عن هداية، او خلق لفعله، او جبر جبره فيه على ما نهاهُ عنه، وخَوّفَهُ من إتيانه.

يابى [3] ذلك على المجبرين المفترين قول العزيز الرحيم والعدل الحكيم:

---

(١) جاء بعدها فى الاصل: «حجة» وهوخطا.

(٢) جاء فى الاصل: «واوضتم» وهوخطاء.

(٣) يابى: يرفض وينكر.

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦ ﴾ [1] .

فاستمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحكمة البالغة، والحجة القاطعة لعذر كل مجبرٍ، افترى على ربه وألزمه ذنبه، كيف قال: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [1]؟!.. فلو كان الغرور من قبل ربه، عزَّ وتعالى، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل أن يقول:

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ﴾ [1] ، وهو الذى غرَّه وضره، وقدر عليه شرَّه، ثم قال:

﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ ﴾ [1] فلو كان تكذيبهم من قبله، عز وجل، لم يعبْ عليهم فعله، ولم يعنِّفهم على تقديره، فخرج من الحكمة، ويصير إلى صفة الجائرين.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾ [2] فلوكان هو ، عز وجل، الذى قدَّر عمل الفريقين، وفعل فعل الطائفتين، ونزَّلَ الجميع المنزلتين، ابتداءً منه، غير استحقاق لثواب، ولا أخذاً بجرم اكتسبوه يوجب العقاب، لم يكن لإرساله لرسله، ولا لإنزاله لكتبه، إلى أهل الدارين معنى.

ولم يكن فى ذلك حكمة بعد تنزيله لهم فى منزلتهم، وتقديره ذنوبهم عليهم، وجعله بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً ، ثم كلَّفهم الخروج مما قدَّرَ والدخول فيما لم يُردْ، بعْدَ إبرام المشيئتين، وسابق القضيتين – حاش للعلى العظيم والعدل البر ٣ و/ الحكيم الرؤف عباده الرحيم/ والجواد بطوله الكريم، والقدوس فى وحدانيته القديم، مما قال المفترون، ونَسبَ إليه المبطلون – لوكان ذلك لسقطت الحكمةُ عمن يُسمى بالحكمة، ونفى عن نفسه الظلم وأمر بالعدل، وحضَّ على الرحمة والجود والكرم، ودعا إلى الحسن، وحذَّرَ من القبيح، وعاب الفساد، وعاقبَ على الجور.

فهل يدخل فيما عاب، أو يفعل ماكَرِهَ، أو يقضى ما عنه نهى، ويحول دُون ما إليه

---

(١) سورة الانفطار: الآيات من ٦ – ١٦.

(٢) سورة الانفطار : الآيتان ١٣ – ١٤.

دعا، أو يصد عما به ابتدا؟!.. عزّ عن ذلك ربُّ العالمين، وعظم عما قال المجبرونَ وأسندَه إليه المعتدون : ﴿ اللَّهُ [1] لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [2] .

سبب تأليف الكتاب:

وصل كتابك يا أبا محمد، أعني ولينا عبدالله بن عمر [3] اتم الله نعمه كاملةً عليك، وأرشدك لطاعته، ونجاك من سخطه، تذكرُ، أرشدك الله، انه أُلقى إليك كتابٌ من بعض أهل الجبر والفرية على الله تبارك وتعالى، وهو كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى الذى وضعه لأهل رأيه [4] بما سطر لهم، وموّه [5] عليهم، واحتج على أهل العدل المؤمنين، بزخرف [6] من القول لايجوز على غير المسلمين، وسماهم قدرية [7] ومفترين على الله، جل ثناؤه،وأعلم أصحابه - فى كتابه - ان الحق معه، وفى يده دون غيره، وليس، هو ولا أصحابه، بأول من أعجبته نفسُه وظن انه على خير [8] ، ثمّ ذمه الله، جل ثناؤه، وأبطل قوله وفعله، قال الله، عز وجل، يصفه، ومن كان مثله من أشكاله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾ [9] .

وقال : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) ﴾ [10] ، وقد قال المشركون تعجباً من النبى، صلى الله عليه ، وعلى آل بيته الاخيار وسلم:- ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٧) ﴾ [11] .

---

(١) سقطت من الأصل

(٢) سورة النمل : آية ٢٦ .

(٣) لم اعثر له على ترجمته فى كتب التراجم والطبقات، ويبدو من كلام المؤلف عنه انه احد قضاة الزيدية وعلمائها.

(٤) فى الأصل : ابة .

(٥) كذب وخدع، والبس الحق بالباطل، وليس لعبدالله بن يزيد البغدادى ترجمة فى كتب الاعلام، ولا لكتابه اثر فى فهارس الكتب القديمة مما يبين مدى اهمية هذا الكتاب الذى بين ايدينا، حيث جمع بين كتاب للمجبرة الأوائل ، ومنهم هذا العالم - عبدالله بن يزيد - والذى يبدو انه كان يعيش فى بغداد، فنسب إليها، والرد عليه لمؤلف هذا الكتاب.

(٦) زين لهم الكذب وحسنه .

(٧) هذا لقب يتبادل الاتهام به اهل العدل والتوحيد من المعتزلة والمجبرة، حيث يطلق كل منهما على صاحبه انه قدري.

(٨) فى الأصل شر.

(٩) سورة الكهف : الآيات من ١٠٣ - ١٠٥ .

(١٠) سورة المجادلة : الآية ١٨

(١١) سورة ص : الآيات من ٥ - ٧ .

ملاحظات المؤلف على كتاب المجبر:

وقد نظرتُ، أكرم الله عن النار وجهك، في كتاب المجبر، عبدالله بن يزيد، وأتيتُ على معرفة ما قالَ وما نسب إلى الله، جل ثناؤه، من الجور على عباده والطعن على ٣ ط/ كتابه، وقد أجبتُه بما حضرني - على أنَّ في كتابه، مع العيب الأول، عيوباً كثيرةً ، وفساداً من اللغة، وسوء تأديةٍ في اللفظِ، وإلزام أعور غير محكم / وتكريراً في المسائل لا وجه له، فقد جمع كتابُه كل عيبٍ، فالله المستعان.

وقد تحملت ذلك، على ما قد علمتَ من عِلَّتي [1] ، واشتغال قلبي، واشتراك ذهني، في وقتي هذا، لئلا يظنُّوا أنا عجزنا عن جوابهم، أو قطَعَنا احتجاجهم، أو بهرَنا تسيطرُهم ، أو كبر علينا الرد عليهم.

وبالله نستعين، وعليه نتوكل، وإليه نرغب في الثبات على طاعته، والنصرة لدينه، والقيام بحقه، والذبُّ عن عدله وتوحيده، والمضادةً لمن عَنَدَ عنه، والحد صفته، وشبهه بخلقه، وجوَّره في حكمه، ومال بالحق إلى غير أهله، حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ [2] .

***

(١) مرضي وسقمي.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٩.

المسألة الأولى

فى العلم والإرادة

فكان أول ما قاله وابتدأ به من السؤال، وافتراه من الضلال، أن قال: سَل القدريةَ، أهل الفراء والكذب على الله، عز وجل.

● **الرد عليه فى ادعائه أن أهل العدل هم القدرية:**

فنحن نقول رادين عليه: على القدرية، وأهل الكذب والفراء على الله، لعنة الله، ولعنة اللاعنين [١]، والملائكة والناس اجمعين.

ثم قال: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم؟

فإن قالوا: بلى . فسألهم: هل أراد الله أن يكون بينهم غير ما علم أنه كائن منهم؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس قد أراد أن يكون غير ما علم، وكره أنْ يكون ما يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فاخبرونى عمن أراد وأحبَّ أن يكون غير ماعلم إلهٌ هو؟!..

فإن قالوا: نعم . فقل: أليس إلهكم يحبُّ ويريد أن يكون فى سلطانه ما لا يعلم، ولا يريد أن يكون ولا يحب أن يكون الذى يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فإنكم تصفون إلهكم أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم!!.. وسينقطع كلامُهم، ها هنا، وينقطع الجواب فيه.، ويركبون فيه ما يدخلهم فى الشرك بالله العظيم؛ لأنه من زعم أن الله يجب أن يكون جاهلاً، فهو مشركٌ، وهو يُخرجُهم- إن أجابوا فيه – إلى غير منتهى قصد [٢] أهل القبلة.

وإن قالوا: لم يحب، ولم يُرِدْ أن يكون غيرما يعلم، وإنما أراد وأحب أن يكون ما يعلم أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون المؤمن مؤمناً والكافر كافراً، كما علم. وهذا هو قولنا، وليس لهم من أحد الوجهين بدٌّ، فليركبوا ما شاءوا منهما.

---

(١) فى الأصل: اللاعنون ، ولعله قصد سبه، فقال : ولعنه اللاعنون.

(٢) هكذا جاءت فى الأصل : قرد.

• **جواب الناصر على المسألة الأولى :**

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، سألتَ فقلتَ: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه ، قبل أن يخلقهم؟..

• **علم الله غير المعلومات :**

٤ و - فقولنا : إن الله ، تبارك وتعالى. هو الأول قبل / كل شئ من خلقه، ولم يزل عالماً بجميع الأشياء من قبل كونها أنها ستكون، وعلم الله، عز وجل، للأشياء هو غير المعلومات؛ لأن العلم من صفات الذات، والمعلومات من صفات الفعل، وهو غير العلم.

• **علم الله بأفعال عباده لا يعني خلقه لها :**

والله ، عز وجل، العالم بنفسه لا بعلم هو غيره، وليس علمه لشئ غيره، والأشياء كلها هى غير الله، عز وجل، فلما أحدث الأشياء التى أحدثها هو، مما تولى صنعه ليس ما أحدث العباد، صار علمه محيطاً بما أحدث العباد باختيارهم مما كرهه [1] ، ولم يرضه ولم يخلقه من فعلهم واكتسابهم، وقد علم، جل ثناؤه، قبل أن يحدث الأشياء ما يكون قبل أن يكون، فلم يزدْهُ ذلك علماً لم يكن يعلمُهُ، ولم ينقصه عن علم شئ قد علمه، ولم يكلف الله، عز وجل، خلقه إبطال علمه المحيط بهم ولا الخروج منه؛ لأنه ليس إلى ذلك سبيل، إلا أن يكون لهم سبيل إلى الخروج من بين السموات والأرض، وهو كله محال لا يكون.

• **علم الله محيط بخلقه :**

فالعلم محيط بالخلق، كإحاطة السموات بالأرض [2] ، والسموات والأرض لم يشركن فى أفعالهن [3] من الخير والشر بقليل ولا كثير ، لاذاً زنوا وسفكوا الدماء وانتهكوا المحارم، وعبدوا الأصنام، وكفروا بالرحمن، وفعلوا الجور كله، وفعلوا الطاعة

---

(١) فى الأصل : كرههه .

(٢) فى الأصل : والارض.

(٣) فى الأصل : افالهم.

كلها ، ولا يجوز ان يكون للسموات والارض فى فعلهم فعل، ولا نشركُهم بخردلة فما فوقها.

• علم الله كاشف وليس فاعل :

وكذلك العلم محيط بهم، لايشركهم فى فعلهم، بقليل ولا كثير، ولا بمقياس خردلة فما فوقه؛ لان العلم لا يدخلهم فى معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولا يحملهم على محبوب ولا مكروه، ولا حق ولاباطل.

• لا يكلف الله أحداً من خلقه الخروج من علمه :

وفى باب العلم، جاء غلطُ من غَلَطَ من هذه الأمة، وهلاك من هَلَكَ، وإجبار من اجبر، وإلحاد من الحد فى صفة الله، جل ثناؤه، من هذه الجمهرة الظلمة، فكفروا من حيث ظنوا أنهم آمنوا، وإنما كلفهم اللهُ، عز وجل، الخروج من ذنوبهم، وافترض ذلك عليهم فرضاً لازماً جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وجرت به السنن، وسفكت الأنبياء، صلوات الله عليهم، عليه الدماء، «وضربوا عليه الأعناق» [1] وقتلوا وشرّدوا، ولم يكلف الله ، تبارك وتعالى، احداً من جميع الخلق، الخروج من علمه، وليس ما افترض عليهم، من الخروج من ذنوبهم، هو الخروج من العلم.

• طلب منهم الخروج من المعاصى :

وإبطالُ المعاصى والخروج منها، ليس هو إبطالٌ لعلم الله، عز وجل ، ولا بخارج منه، فقد احتجوا على الله، تبارك وتعالى، بالمحال، وأرادوا ان يدخلوا فى العلم ٤ ظ/ دخولاً؛ ليثبت لهم القول بالجبر ، وابى الله ، عز وجل ، ذلك؛ لان حجته الغالبة، وحقه القاهر / وكتابه الواضح.

فإن زعموا أنّ الخروجَ من الكفر ، هو الخروج من العلم، لزمهم ان الله، عز وجل، قد افترضَ على العباد الخروج من علمه ! .. وإن كرهوا هذا القول، وخافوا ان يقدموا عليه، لزمهم أن الله، جل ثناؤه، افترض على العباد الخروج من الكفر، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم، وهذا هو الحق، وفيه قطعهم، وهو قولنا.

---

(١) زيادة من الهامش.

• هل أراد الله أن يكون فى سلطانه غير ما يعلم:

وأما قولك: أخبرنى عمن أرادَ واحب ان يكون فى سلطانه غير ما يعلم، إلهٌ هو؟!.. فإن قلنا ذلك، زعمت بانه يريدُ انه يكون جاهلاً لا يعلم، وانا ننقطع - زعمت ها هنا.

• جـــواب الناصــر:

الجواب، **قال الناصر للحق أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما:-

فإنا نقول لك: أليس من جهلك بالدين، وغلطك فى العدل، أنك لم تعلم ما فى القرآن ولا تلاوة الفرقان، إذ كان فى سلطان الله، عز وجل، وفى خلقه من زعم ان له الأولاد والصواحب والشركاء والانداد، وهو عندنا نحن فى قولنا: إنه لا يريدُ ذلك، ولا يحبه، ولا يقضيه، ولم يخلقه، ومن قولكم انتم، ايها **المجبرة**، انه أراد ذلك من المشركين واحبه، وخلقه من فعلهم!

فقد اكذبكم الله بقوله، عز وجل، ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (18) ﴾ (1).

فالله، عز وجل، لا يعلم له شريكاً ولا ولداً ولا صاحبة ولا نداً، وقد جعلها له المشركون وسموها اشياءَ.

وزعمت، **ياعبد الله بن يزيد البغدادى**، انت ومن قال بقولك، ان الله، عز وجل، خلقَ ذلك من فعلهم وقولهم وقضاه واراده منهم، واحبه منهم، وهذا قول الله، عز وجل، يشهد انه لا يعلم ما قالوا، وانه كاره لقولهم، وانه لم يرده ولم يقضه، فإن قلت غير ذلك، لزمك انه أراد منهم، وخلق فيهم فعلاً وقولاً لا يعلمه، فيوجب ان له إرادة لايعلمها!..

وقد قال فى كتابه: ﴿ **قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (18) ﴾ (1)، وكفى بهذه الحجة قاطعة وناقضة لقولك، وقال، عز

---

(1) سورة يونس: الآية 18

وجـل: ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ [٢] فنقول لك: اخبرنا عن قوله، عز وجل، «بغير علم» اتقرَّ بما قال الله، سبحانه، انهم قالوا هذا القول فيه «بغير علم»؟!..

فـإن قلت: نعم. سألناك عن ذلك العلم الذى عَنى الله، عـز وجل، اهو الأمر الذى خلق من فعل العباد وقضاه عليهم وأراده منهم؟..

فـإن قلـت: نعـم. وجب عليك ان الله، عز وجل، قـد ابطله، فإنـه «غير علم»،
٥ و / **وإن قلت**: إنـه عَلمَ رددت على الله، جل ثناؤه، قوله انه «غير علم» / وأبطلت كتابه وكذَّبته. فاختر أى ذلك شئتَ؟

ثم نقول لك: أحبَّ اللهُ من المشركين ان يقولوا: إن له ولداً او صاحبةً وشركاء، وانه ثالث ثلاثة؟..

فإن قلت: نعم، قد أحب اللهُ ذلك، وأراده. **قلنا لك**: فما هو، فسادٌ ام صلاحٌ؟!..
فإن قلت: إنه صلاحٌ. لزمك ان الفراء على الله، جل ثناؤه، وإضافة الصواحب والأولاد والشركاء إليه صلاحٌ!.. ومن قال هذا فهو مشركٌ.

وإن قلـت: إن ذلك فساد. فذلك هو الحق، ولزمك انَّ الله، جل ثناؤه، قال فى كتابه: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ [١]؛ وزعمت، أنت وأصحابك، أنه يحبُّ الفساد، وفى هذا قطع حجتك، وتكذيب قولك، وإبطال دعواك.

وإن قلت: إنه خلق ذلك من فعل المشركين، ولم يحبه ولم يُرِدْهُ ولم يرضهَ.

قلنا لك: كيف يجوز فى العقل ويثبت فى الحكمة، أو يخرج فى العدل أن يخلق الخالق، عز وجل، خلقًا لا يريده ولا يرضاه ولايحبه؟!.. هذا ما لا يجوز، ولا تقبله العقول؛ لأن الفاعل لذلك عابث، والعبث عن الحكيم منفى.

ثم نسألك، فنقول لك: أخبرنا عن فعل المشركين، والذى زعمت انه خَلْقُ الله وإرادتُه، هل هو حسنٌ أو قبيحٌ؟

فإن قلت: إنه حسن. زعمت، وجب عليك أن الفراءَ على الله والكفر به حسنٌ!..

وإن قلت: إنه قبيحٌ. رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٥.

فإن قال قائل منكم، أو من غيركم: فقد خلق الله المشركين وهؤلاء لا يحبهم؟..

قلنا له: إن بغضاء الله للمشركين لم يكن منه إليهم، إلا بعدما استحقوا ذلك منه، واستوجبوه لكفرهم. فأما قبل ذلك، وهم أطفال، فلا يجوز أن يبغضهم، بل يرحمهم ويجرى نعمه عليهم، ويعطف عليهم الآباء والأمهات، **وقد قال**: سبحانه، لنبيه، صلى الله عليه وعلى الله وسلم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ (١).

ومن الحجة عليك أن نقول لك: هل أراد الله، عز وجل، من الخلق نفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما أمر بإنفاذ ما علم؟.. **فإن قلت**: إن الله – تبارك وتعالى – أراد من الخلق نفاذ ما علم بترك ما أمر. لزمك أن ترك الملائكة والرسل، وجميع من أرسلوا إليه من الأمم، وما أمر الله، عز وجل، به من جميع الطاعات كلها أصلح وأوافق، وأنه أراد أن لا يرجعوا عما علم أنهم يختارون، من عبادة الأصنام والشرك وجميع المعاصي!..

• أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

وإن قالو: أراد الله من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ما علم، رجعوا عن قولهم، وصاروا ٥ ط / إلى قولنا، وفُلجت حجتهم، وذلك هو الحق، وهو قولنا / ؛ لأنَّ اللهَ، عز وجل، أراد من خلقه إنفاذ أمره، الذى جاءت به رسله وكتُبه، والدعاة إليه من أئمة الهدى، عليهم السلام، وأن يتركوا قبيح ما علم أنهم يختارونه، بأهوائهم، ويقدرون على تركه باستطاعتهم المركَّبة فيهم، ويرجعوا إلى حسن ما علم أنهم قادرون على فعله، باستطاعتهم المركبة فيهم، المخيَّرين فيها.

وقد قال، عز وجل، فى محكم كتابه ما يصدق قولنا، ويشهد بحجتنا: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾ (٢)، لعلمه أنهم يقدرون على ترك الزنا، ثم قال، عز وجل، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (٣)، لعلمه أنهم يقدرون على ذلك، ومعهم عليه الاستطاعة والقوة.

***

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٢

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٥

المسألة الثانية

هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً ؟

ثم قال **عبدالله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم : هل أراد الله واحب ان يؤمن العباد جميعاً ؟ . . **فإن قالوا** : نعم، فقل : افليس قد اراد واحب ان يكون غير ما يعلم؛ لانه قد علم انهم لا يؤمنون جميعاً ، فقد اراد واحب ان يكون غير ما علم؟ . .

فإن قالوا : نعم . فقل لهم : ارايتم الذى لا يعلم ما يكون، إلهٌ هو؟ . . **فإن قالوا** : لا ، الذى لا يعلم ما يكون، فليس هو بإله ؛ لأن الذى يجهل ما يكون ليس بعالم ، وهذه صفة الخلق . **فقل لهم عند ذلك** : صدقتم . افليس يوجب ان من يكون فى هذه الصفة فهو غير إله ؟! . . فإن قالوا : بلى . فقل لهم : اليس اللهُ يريد ويحب ان يكون غير ما يعلم، وقد احب أن يكون غير ما يعلم، وقد احب أن يكون فى صفة المخلوق، وتكون اشياء لا يعلمها، فقد احب أن يكون شيء لا يعلمه انه كائن، فقد اراد واحب ان يكون غير ما علم، وهذه صفة المخلوق، وقد احب ، تبارك وتعالى، ان يكون بها؛ لانه قد اراد واحب ان يكون غير ما يعلم ؛ لانكم زعمتم انه قد احب ان يؤمن من يعلم انه لا يؤمن . فقد اراد ان يكون ما علم، حتى يكون فى صفة من تكون الأشياء لا يعلمها! . . فإنهم لن يعيدوا لك هذا الكلام، واعلم انه من اشد ما يلزمهم، إن احسنت كلامهم فاحسن المسالة، ولا تتركهم يجيبونك بغير ما سالتهم عنه، ولا تنتقل عنها إلى غيرها، فإن فيها ما يفضحهم، ولا يجدون مخرجاً .

• جواب الناصر : لقد خلق خلقه كلهم للعبادة :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى الناصر لدين الله ، صلوات الله عليهما : إن الله، تبارك وتعالى، خلق خلقه كلهم للعبادة، واراد ان يطاع ولا يعصى ، وانه اراد لكلهم الرحمة والنجاة، ودخول الجنة والسلامة من النار .

والدليل على صدق قولي، وبيان حجتي، قوله، تعالى عز وجل : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾** [1] .

---

(١) سورة الزمر : الآيتان ٥٦ - ٥٧ .

٦ و / وقوله لنبيه ، صلوات الله عليه وعلى آله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ (٢) ، و«الكافة» في لغة العرب: فهى الكلُ لا البعض، فصح وثبت انه لم يخلقهم للكفر ولا للمعصية ولا للنار، ولا تلك إرادته ولا حكمه.

• **لقد جعل الله عباده مخيرين، بما جعل فيهم من الاستطاعة :**

وإنما خلقهم للعبادة والطاعة، لا من حاجة منه إلى ذلك، إذ هو الغنى عن كل شئ من خلقه، وإنما خلقهم رحمة لهم، وتفضلاً عليهم، ودلالة على الوحدانية وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة، وخيرهم فيها تخيراً، وركّب فيهم المقدرة ، وعلم أنهم إن ارادوا ، كلهم ، العبادة، أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة .

وأنهم إن أرادوا المعصية أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة ايضاً، فامتحنهم، عز وجل، بالأمر والنهى، ليميز المطيع من العاصى، من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين والعقاب على العاصين، ثم خيرهم تخييراً، ولم يقسرهم قسراً، وقال لهم: من أطاعنى أدخلته جنتى، ومن عصانى أدخلته نارى، بعدْ أمرى ونهى وإعذارى وإنذارى، وليس واحد من الفريقين مجبوراً على فعله، ولا مقسوراً على عمله، ولا مخلوقاً اكتسابه . ولا علم الله ، تبارك وتعالى، فيه وفيما يختار، بمُدخل له فى معصية ولا مُخرج له من طاعة، فأرسل إليهم الرسل لإثبات الحجة، وقطع العذر، لما مكنهم فيه من الاستطاعة والقوة على قبول الدين، ودلّهم على طريق النجاة، وحذّرهم من طريق الهلكة، وبين لهم الحق، وقد علم قبل خلق السموات والأرض، من يختار منهم الطاعة ويرغب فى الهدى، وعلم من يصد منهم عن الحق ويختار الكفر والظلم ويتبع الهوى، وليس علمه بذلك منهم، يوجب عليهم حجة، ولا يزيل عنهم فريضة، ولا يوقع لهم عذراً، ولا يترك لهم إلى الاعتلال سبيلاً، وقد علم، عز وجل، أن منهم من لا يؤمن ، وقد أراد الله، عز وجل، منهم الإيمان طوعاً وتخييراً، ولم يرده منهم قسراً ولاجبراً، لانه لا يُغلب إذا أراد الحتم والقهر.

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة سبا: الآية ٢٨.

وقد ادخلت ، **يا عبد الله بن يزيد** ، قولك : «**أرأيتم الذى لا يعلم ما يكون، أإله هو**»؟!، وهذا منك مغالطة وتشنيع وجهل بالعدل ، ونحن لم نقل: إن الله، عز وجل، لايعلم ما يكون! .. ومن قال ذلك فقد كفر، وخرج من دين الإسلام، ولعمرُ الله، إن الذى يجهل ما يكون ليس بإلهٍ ولا يُسمى عالماً ، وإن هذه صفة المخلوقين.

• الله عالم لا يخفى عليه شئ :

٦ ط / وإنما قولنا الصحيح: **إن الله، عز وجل، العالم الذى لا يعزب عنه شئ . ولايخفى عليه خافية فى الدنيا ولا فى الآخرة**.. وانه لما ذكرنا من الشرط فى صفة الخلق، وما جعل لهم من الاستطاعة وندبهم إليه من ترك الهوى ، وارسل إليهم، وهو يعلم ان منهم من لا يؤمن، **وليس فى هذا تجهيل لله، عز وجل، ولا فساد**؛ لانه قد علم ان خلقاً من خلقه سيكفرون [1] ولا يؤمنون، علم الله، عز وجل، قبل خلق كل شئ ، ان ذلك الكفر سوف يكون منهم، باختيارهم لا باضطرار اضطرهم إليه، تبارك وتعالى، ولا خلق افعالهم ولا بقهر حملهم عليه؛ لأنه علم ان الكفر لا يكون إلا من كافر، وأن جميع المعاصى لا تكون إلا من العصاة.

وقد قال ، جل ثناؤه: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [2] ، فاخبرنا، عز وجل، بعلمه فيهم، ان الحسد من عند انفسهم لا من عنده، ولا من عند نبيه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلا من عند انفسهم خاصة، غير مضطرين ولا مجبورين ولا مجبولين.

• هل علم الله يمنع من معصيته أوطاعته ؟

ولوكان علمه، سبحانه ، مانعاً من معصية او طاعة ؛ لما آمن من كفر، ولا كفر من آمن؛ لانا واياك قد راينا فساقاً صاروا صالحين وصالحين، صاروا فاسقين ، وقد حكم الله، سبحانه ، فى كتابه وسابق علمه، ان من اضطر إلى شئ ليس له عنه غنى، ولا يستطيع غيره، انه له حلالٌ وليس عليه فيه تباعة من الله، جل ثناؤه، إثم ولا عقوبة ولا عيبٌ ولا لوم؛ لعدل الله جل ثناؤه، وإتقان حكمته.

---

(١) فى الاصل : سيكفروا.

(٢) سورة البقرة : اية ١٠٩ .

فقال، فى غير موضوع فى كتابه : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [1] ، فإن كان الله، عز وجل، هو الذى اضطر العباد، وحال علمه دون طاعتهم ، وحملهم على ما قالت المجبرة، وقلت انت، يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ومن قال بقولك من الجهال بدين الله، عز وجل، وبعدله من شتمه وتكذيب رسله وقتل انبيائه، والجحود لكتبه وسفك دماء الأنبياء وأئمة الهدى، عليهم السلام، وجميع ما أسندتم إليه من الفواحش والردى والزنا والربا واللواط والخنا [2] والخمور والملاهى والغناء والتعطيل والشرك الذى لا يرضى، وجميع المعاصى التى أوجب الله، جل ثناؤه، على فاعلها النار والخلود فى العذاب المقيم، وما أسندوا إليه أيضاً من حملهم على نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وأخذ الأموال وقطع الطرق، وغل الزكوات وشهادات الزور والتعطيل، وغير ذلك من جميع الظلم والعدوان والمكر، ٧ و / وجميع ماحرم الله ورسوله فى كتابه على لسان / نبيه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم . .

فإن كان ذلك كذلك، فانتم معذورون، وليس عليكم فيما اضطررتم إليه تباعة، ولاحجة ولا إثم فى الدنيا ولا فى الآخرة، وإذ كان المضطر عند الله، عز وجل، معذوراً وغير مذنب، وإلا فهلموا لنا حجة يصدقها القرآن، ان على المضطر، الذى لايستطيع ترك ما اضطره الله إليه، حرجاً أو عقوبة وإثماً ، أو عدواناً أو وزراً فى الدنيا أو فى الآخرة؟! . .

• الكذب ليس من عند الله:

وقد أعلمنا الله، جل ثناؤه ، بعيب المجبرة وفريتهم عليه، وبراءته [3] من فعلهم وإلزامه – إياهم – ظلمهم وكذبهم، فقال، عز وجل، يصف الكفار فيما أسندوا إليه مما كذبوا فيه عليه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ﴾ [4] . .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٣ .

(٢) جاءت فى الأصل : والحنى .

(٣) فى الأصل : وبراته

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

فهذه شهادة الله، عز وجل، وهذه حجته القاطعة عليهم، وقد أعلمنا، عز وجل، أن الكذب ليس من عنده، وأعلمنا أن القوم الذين قالوا: إن الكذب من عنده . كذبوا عليه، وأنت، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، تضع علينا الكتب، فى إبطال هذا البرهان والحجة القاهرة، وتسمينا أهل الفرى والكذب على الله، واتخذ أصحابك قولك، المعاند للقرن ديناً وحجة على أهل العدل المؤمنين، وتركوا كتاب الله، جل ثناؤه، الذى هو شفاء [1] لما فى الصدور والمدحض لكل غرور، وقد سمعوا الله، عز وجل، يقول ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [2] فقالوا، مكابرة للعقول: بلى، هو من عند الله. وقوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [3]، وقوله ، عز وجل: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾ [4].

انظر كيف يحملهم الجهل وقلة النظر، والبغض لأهل العدل، على الخروج من واضح القرآن ومن فيه الإسلام، بردهم للقرآن بعد ما تبين.

فأى كفر وجحود، ومكابرة أو فرية ، أعظم أو أشنعُ، وأكبر عند الله، عز وجل، من أن يقول الله، جل ثناؤه: ليس من عندى، وأنا منه برئٌ وليس هو فى علمى.. وتقول المجبرة، بلى ، هو من عندك وأنت قضيته علينا!..

• لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان :

٧ ط / فشهِدَتْ / باتباعه [5] للهوى، واستطاعته المركَّبة فيه، والتخيير فيها لا بالصد من ربه، ولا أمرُ حال بينه وبين الإجابة لموسى، صلى الله عليه، مع أن لنا فى فرعون حجة قوية قاطعة، لا يقدر أحدٌ لها على نقض، وأنه قد آمن حيث أرادَ الإيمان ورأى العذاب عياناً ، فلم ينفعه ذلك الإيمان الذى فعله ، لقول الله، عز وجل، ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [6] ، وقد وجدنا فرعون قد آمن حين أراد؛ لأنه مخير ، وليس

(١) فى الأصل : سفا.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٨.
(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٣.
(٥) أى فرعون .
(٦) سورة النساء : الآية ١٨.

بمجبور، وقد أخبرنا الله، عز وجل، باصدق الشهادة عنه، انه آمن حين لم ينفعه إيمانه، وذلك قول الله، عز وجل، يخبر نبيه محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، عن قصته حيث قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (١)، فهذا يدل على إيمانه، حيث اراد الإيمان، وهذه حجة قاطعة، لمن يزعم انه مجبور، وانه محول بينه وبين الإيمان.

وكفى بهذه الحجة شاهداً لنا عليك، إذ زعمت ان الله لم يُرد إيمانه، لئلا يبطل علمه، زعمت، فقال الله، تبارك وتعالى، إذاً على فرعون: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ (٢) فهذا القول والإخبار من الله، عز وجل، يوجبُ لنا على المجبرة ان فرعون قد آمن من حيث اراد؛ لانه مستطيع للإيمان؛ لانه كان يمكنه ويقدر عليه، من قبل ذلك اليوم الذى غرق فيه لو أراده، فهذه حجة واضحة لا نقض لها، بحول الله وقوته.

وسال عبد الله بن يزيد البغدادى واصحابه المجبرة: هل امر الله سبحانه، فرعون ان يكون منه الإيمان، ام لا؟

فإن قالوا: لم يأمره.

كفروا بأمر الله وكذبتهم الأمة، وإن قالوا: نعم، قد امره الله بالإيمان.

فقل لهم: امره الله ان يكون منه من الإيمان، ما قد علم انه لا يفعله ابداً!.. فالله، عز وجل، بزعمكم وفى قود قولكم، ينهى عن الإيمان وليس يامر به.

وإن قالوا: بلى، قد امر به ليكون من فرعون من الإيمان ما قد علم الله، سبحانه، انه لايكون منه، وليكون ذلك.

لزمهم ووجب عليهم فى قولهم: إن الله، عز وجل، امر فرعون ان يجهله، بزعمهم، إذ امره ان يكون منه غير ما يعلم؛ وقد علم الله، سبحانه، انه سيجعل فرعون مستطيعاً لترك ما نهاه عنه، وقبول ما امر به، وقد علم الله، سبحانه، انه لن

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس: الآية ٩١

٨ و / يكون منه إلا ما علم انه جعله مستطيعاً لتركه، وجعل الغناء عنه والقوة على تركه، كما قد علم انه لا يكون / منه ، من الإيمان ما قد جعله مستطيعاً لاخذه، وجعل له إليه الاستطاعة والسبيل، وعن غيره السعة والفسحة والمندوحة، ولم ينهه عن المعصية إلا لئلا تكون منه، ولم يامره بالطاعة إلا لتكون منه الطاعة، وليس العلم بحائل بينه وبين اتباع موسى، صلوات الله عليه، والقبول لما جاء به.

وقد قال الله، جل ثناؤه، في كتابه المحكم: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) وقد علم، عز وجل، ان الفتنة سوف تكونُ باختيارهم ، وكذلك قال لجميع الخلق: ليكن منكم الإيمان، ولا يكن منكم الكفر.

الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم :

فقد علم الله ، عز وجل، ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون باختيارهم واتباع أهوائهم، لا بقضائه عليهم ، ولا بتقديره لمعاصيهم ، ولا بخلقه لفعلهم، إذ لم يجز في حكمته ولا في عدله ولا في صدقه، ولا في حقائق أمره، ولا في واضح كتابه، ان يقول: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾(٢)، ويقول: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٣) ويقول : ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (٤) ، ويقول : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٦) ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(٧) ، وقال : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٨) ، وقال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٩) ، وقال : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الانفال: الآية ٣٩.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٤.

(٣) سورة السجدة : الآية ١٧ وكذلك جزء من الآية ١٤ الاحقاف، والآية ٢٤ الواقعة ، وجاءت خطأ في الأصل حيث قال: «جزاء بماكنتم تعلمون» ولم ترد في القرآن ابداً كذلك.

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٠.

(٥) سورة البقرة : الآية ٨١ .

(٦) سورة هود : الآيتان ٩٧ - ٩٨.

(٧) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .

(٨) سورة الحاقة: الآية ٢٤ .

(٩) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(١٠) سورة النجم : الآية ٣٩ .

فاضاف ، تبارك وتعالى، فعل العباد إليهم، من الخير والشر، ولم يضف شيئاً من اعمالهم إلى نفسه، إلا ما دلهم عليه من امره ونهيه وتفضله بكرمه، لا غير ذلك.

الرد على مقالة المجبرة أن الله خلقَ الإيمان والكفر:

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما: وادَّعت (عليه) [1] **المجبرة أنه**، تعالى، خلق الإيمانَ والكفر. فجعلوا زنى الزانى مخلوقاً، وصلاة المصلى مخلوقة، وأن الله، عز وجل، هو الخالق لذلك كله!.. فلزمهم أنه شريك لهما جميعاً فى فعلهما، أو أن الزانى لم يكن ليزنى، حتى خلق فعله، وأن المصلى لم يكن ليصلى، حتى خلق فعله!.. **فنقول لهم عند ذلك**: فكيف أثابهم الله ، عز وجل، وعاقبهم على خلقه وهو يقول لهم : ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٤﴾ ﴾ [2] ؟!.. فافردهم بفعل ذلك، ولم يقل: جزاء بما كنتم تعملون، وأنا معكم فاعل لذلك الفعل الذى فعلتموه، فكان ذلك ٩ ظ / اعظم للمنَّة، واقوى للحجة، جل الله وتعالى عما يقول المبطلون (**المفترون**)[3] وعلا علواً كبيراً .

ثم أعجب العجب أن هذا قولهم فى الله، جل ثناؤه، ثم [4]/ **يسمون أهل العدل قدرية مفترين**!.. قال الله ، عز وجل، ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً** [5] **أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا** [6] **فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴿١١٢﴾ ﴾[7] ، فإن كان الله، عز وجل، هو الذى خلق افعال المشركين وقدَّرها عليهم، وحال بينهم وبين التوبة، بعلمه فيهم، ثم قال : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾ [8] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٧٣﴾ **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**.... ﴾[9] ، فنقول لك: عما ينتهون إذ كان الله، عز وجل، هو الذى قدر فعلهم، وكيف يدعوهم إلى التوبة وهم لا يقدرون عليها؟!.. زعمت، سبحان الله العظيم، ما أعظم فساد هذا القول.

وقال الله ، سبحانه: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا** ﴿٨٨﴾ **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** ﴿٨٩﴾ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** ﴿٩٠﴾ ﴾ [10]، . وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن**

---

(١) جاءت زيادة على الهامش.
(٢) سورة السجدة : الآية ١٧ ... اعاد المؤلف نفس الخطأ.
(٣) زيادة جاءت بالهامش
(٤) تكررت الصفحات ٨ ط، ٩ وفى التصوير.
(٥) جاءت فى الأصل : خطيه.
(٦) جاءت فى الأصل: بريا.
(٧) سورة النساء . الآية ١١٢
(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣
(٩) سورة المائدة: الآيتان ٧٣ - ٧٤
(١٠) سوة مريم : الآية ٨٨ - ٩٠ .

يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا [1] فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [2] ، فإن كان القول على ما قلت ، لقد إذنْ دخل فيما عاب ، ورماهم بما فعل بهم، وقدَّره عليهم وقضاه من اكتسابهم ، إذ رمى الأبرياء ، ولولا قضاؤه [3] لم يفعلوا ما فعلوا، على قول المجبرة!.. وقد قال ، عز وجل: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [4]، ولم يقل: بما خلقت فيهم، ولا ما قضيت عليهم .

فهذا القرآن ينطق بتكذيبهم صراحاً ، وأنتم تكابرون العقول، وتغلطون على الناس، بآيات متشابهات فى القرآن، جهلتم تأويلها ، ولها معان فى اللغة العربية، تفسيرها عند أهل العلم بالدين، والمعرفة باللغة العربية، ولولا طول الكتاب لذكرت من ذلك ، من الآيات ما يبين فيها الحق، وساختصر من ذلك، فى كتابى هذا ، ما فيه البيان والشفاء[5] لكل مسلم، إن شاء الله [6] .

ونحن نسألك أيضاً : حين قال الله ، عز وجل: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [7]، امن قضائه ومشيئته، وإرادته وخلقه لقول عباده وفعلهم، زعمت، أم من كفر الكفار وشركهم، وفريتهم على الله؟!..

فإن قلتَ : ذلك من إرادة الله وقضائه ومحبته .

لزمك أن السموات والأرض والجبال أردن التفطر والانهداد والانشقاق، من قضائه بهن وقدره وإرادته.

فإن قلت غير ذلك، فزعمت أنهن غضبن من قول الكفار وفريتهم على الله، جل ثناؤه، رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

* ونسأل عبدالله بن يزيد البغدادى عن علم الله، عز وجل، قبل أن يخلق الخلق: هل علم أنه سيأمرهم بالخروج مما علم أنهم عاملون؟

فإن قال: نعم، قد علم أنه سيأمرهم بذلك.

---

(١) جاءت فى الأصل : بريا .
(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .
(٣) جاءت فى الأصل: قضاؤه.
(٤) سورة الروم : الآية ٤١.
(٥) جاءت فى الأصل : الشفا .
(٦) فى الأصل: إن شا.
(٧) سورة مريم : الآية ٩٠ .

هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم ؟

١٠ و / قلنا له : أمرهم بالخروج من ذنوبهم، أو الخروج من علمه ؟

فإن قال : أمرهم بالخروج من علمه . كفر بالله العظيم، وبانت فضيحته؛ إذ لا مخرج لأحد من علم الله، عز وجل، من جميع خلقه .

وإن قال : أمرهم بالخروج من ذنوبهم .

بطلت دعواه فى العلم وفلجناه؛ لأن الذنوب غير العلم، والذنوب من المعلوم. وبين العلم والمعلوم فرق عظيم، جهلته القدريةُ المجبرة .

الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم :

وقد أمرهم الله، تبارك وتعالى، بإبطال المعلوم منهم، وليس فى ذلك إبطال العلم، الذى هو من صفات الذات، ولافساده، وانكسر على عبدالله بن يزيد البغدادى قوله، وبطلت دعواه وزعمه ، وبرأت[1] فيما زخرف من كذبه وفريته على الله، فضيحة[2] أهل العدل، وانهم لايجدون مما قال مخرجاً ، زعم! . . وغلط الجاهل فى دينه، فلينظر الآن أصحابه فى جوابنا، ولينعموا النظر، وليتقوا الله الذى إليه المعاد، ولا يكونوا من أهل الآية التى قال الله، عز وجل: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[3]، فوالله ماصلوا للأحبار ولا للرهبان؛ ولكنهم كانوا يفعلون ما أمروهم به، فلذلك سماهم أرباباً لهم .

ثم ليعلم أصحاب عبدالله بن يزيد البغدادى أنه قد غشهم وغلط عليهم، وأهلكهم فى دينهم، وصدهم عن رشدهم ، وذلك جزاء [4] من ترك القرآن والقوام به ، وقلّد الرجال، والأحاديث المدخولة أمر دينه، وزهد فى الفتش وإنعام النظر، واتبع الهوى بلا هدىً من الله، عز وجل، ولا طلب للنجاة بالبحث والتمييز، والحذر من الهجوم على من لا يَعْذُرُه؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم[5]، لاعذر فى ذلك لمتعبد ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : وبات
(٢) فى الأصل : فضحة .
(٣) سورة التوبة : الآية ٣١ .
(٤) فى الأصل : جزا.
(٥) إشارة إلى الحديث الشريف : «طلب العلم فريضة على كل مسلم . .» رواه ابن ماجة ١ / ٨١ (المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ، وقد اختلف المحدثون حول صحته، ولكن السيوطى فى الدر المنثور حسنه، وذهب المزى إلى ان مجموع طرقه ترفعه لرتبة الحسن، وذهب ابن عبد البر إلى أن معناه صحيح ، وقال الألبانى فيه ٤ / ١٢ (ضعيف جداً) . . وانظر السيوطى ، ص١٨٠ - ١٨١ ، وجامع ابن عبدالبر ١ / ٩ .

* ونسأله أيضاً عن الخروج من الذنوب، أهو الخروج من العلم، أم الدخول فيه؟

فإن قال: بل الخروج من الذنوب هو الخروج من علم الله، عز وجل.

كفر بالله؛ لأنه يلزمه أن من أمر بالدخول في شئ، فقد كان في غيره، ومن أمر بالخروج من شئ، فقد أمر أن يصير في غيره؛ لأنهم يزعمون أن العباد قد أمروا، بزعمهم، أن يصيروا في غير العلم، إذ أُمروا بالخروج منه، فيصرون في غير ما كانوا فيه، بزعمهم وعلى قود قولهم.

وإن قالوا: إن الخروج من الذنوب هو الدخول في العلم. فقد أمروا أن يدخلوا في العلم الآن، إذ كانوا في غيره، بزعمهم. وقد علم الله، عز وجل، ما سيكون من العباد من البر والفجور، قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً.

١٠ ط / فاسمعوا عباد الله إلى ما قلنا، وافهموا ما شرحنا، وبه احتججنا / ثم انظروا لأنفسكم، وميزوا بعقولكم، فإن الإقدام على النار، الخطر العظيم، والهول الجسيم، والحسرة الباقية، فما بعد هذا الاحتجاج والبيان، إلا اتباع الهوى والميل عن الهدى، بلا حجة ولابرهان، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

* ونسأل عبدالله بن يزيد البغدادي: هل رضى الله، عز وجل، كل شئ علمه، أم رضى بعضه وسخط بعضه؟

فإن قال: رضى بعضه وسخط بعضه. رجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل، ونفي الجور والجبر وخلق أفعال العباد، إذ زعم أنه قد كان من العباد شئ لم يرضه الله، سبحانه، وهذا هو الحق، وهو قولنا.

وإن قال: إن الله، عز وجل، قد رضى كل شئ علمه، من بر أو فجور، أو كفر أو غرور، ولايكون - زعم - إلا ما يرضى ويحب، من البر والفجور، فحينئذ صار من حزب الشيطان.

ثم يقال له عند ذلك: هل يسع العباد في دين الله، عز وجل، الذي افترض عليهم، إلا بأن يرضوا ويحبوا ويريدوا لله، عز وجل، وللرسول، ﷺ، ما رضى الله، عز وجل، وأحب وأراد وشاء [1] لنفسه، ولنبيه، ﷺ؟!

(١) جاءت في الأصل: شا.

فإن قالوا: لا يسعهم إلا ذلك، ولا يجوز لهم فى الدين غيره.

قيل لهم : أليس ترضون وتحبون وتشاؤن، أن تؤذوا الله ورسوله والمؤمنين .. وأن يقال لله، عز وجل، أنه اتخذوا ولداً وأنه ثالث ثلاثة، وأن نبيه، صلى الله عليه وعلى آله، ساحرٌ كذّابٌ، وأنه رضى بقتل الأنبياء [1] وائمة الهدى، والآمرين بالقسط من الناس؟!

فإن قالوا: لا يسعنا ولا يجوز غير القول بهذا؛ لأن الله رضيهُ وقضاه، وأراده وأحبه وشاءه [2] وخلقه من فعل العباد، إرادة لنفسه ولنبيه وللمؤمنين ، فلا يسعنا ولا يجوز لنا إلا أن نرضى بما رضى الله، سبحانه ، وأراد وأحب وشاء.

لزمهم فى قولهم أن يرضوا بشتم الله، عز وجل، وشتم رسله، صلى الله عليهم، وقتلهم وقتل الأئمة والمؤمنين، وقول اليهود عزير بن الله، وقول النصارى: المسيح بن الله، وقول الكفار: إن الله ثالث ثلاثة، وأن له صاحبة وولداً وشركاء، وقولهم : إن يده مغلولة ، وكل عىٍّ نسبَه الكفار إلى الله، عز وجل، عز عن ذلك وعلا علواً كبيراً، وما نسبوا إلى رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، من السحر والشعر والكهانة والكذب، وأنه يُعلمه بشر، وأنه مجنون.

وإن قال : لا يرضى بهذا ولا يحبه ولا يريده ولا يشاءه ولا يعتقده ، ولا يقول به. ١١و / كفر بدينهم الذى كان عليه، وخرج عن مذهبه ، وانتقض جميع ما وضعه لهم عبدالله بن يزيد البغدادى.

* ونسألهم أيضاً عن قوله، عز وجل: ﴿ ذَلك بأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) ﴾ [3] من عنى الله، جل ثناؤه، بهذا القول، الملائكة والأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين، أم عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى؟

فإن قالوا: عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى وجميع العصاة.

لزمهم أنهم قد رجعوا عن قولهم، وأقروا لنا بقولنا، ولابد لهم من جوابنا فى هذا الباب، والإقرار به أو الكفر بالآية.

---

(١) جاءت فى الأصل: الأنبيا.
(٢) جاءت فى الأصل: شاه.
(٣) سورة محمد: الآية ٢٨.

وإن قالوا: عنى به الملائكة والأنبياء والمرسلين، وكفروا بالله صراحاً، وخرجوا من دين الإسلام ، وإنما لزمهم ذلك؛ لأن من قولهم: إن كل شئ عمله العباد فبقضاء الله وقدره، وإرادته ومحبته ومشيئته، وخلقه لذلك الفعل منهم. فبهذا الزمهم الكفر، واكذبتهم الآية في قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ .

ثم نسال عبدالله بن يزيد البغدادى: هل كان رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يرضى من الكفار بما يرضى الله منهم، أم دعاهم إلى غير ما لا يرضى الله ، سبحانه، ولايريد؟.. فإنه لا يستقيم لهم، في قولهم الذى يعتقدون، إلا أن يقولوا: إن النبى، صلوات الله عليه وعلى آله، دعا العباد إلى ما لا يرضى الله ولا يريد ولايشاء[1] ولايحب، وان الشيطان وفرعون وهامان وأتباعهم، كانوا يدعون العباد إلى ما أحب الله ورضى وشاء وأراد وقضى [2] وقدر، وخلق من فعل العباد، من عبادتهم للأوثان، وشتمهم الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات، وقتلهم وظلمهم.

اىُّ العبدين أحب إلى الله، عز وجل، وأكرم عليه، عبدٌ يدعو الناس إلى ما لايحب ولا يريد ولا يرضى ولا يشاء [3] ولا يقضى ولا يقدر ولا يخلق ؟ أم عبدٌ يدعو [4] الناس إلى ما أحبَّ الله ورضى وشاء وقضى [5] وقدَّر وخلق من فعل عباده؟

فيجبُ في قولهم، زاعمين : إن الشيطان وفرعون وأبا جهل بن هشام وقارون وهامان وإخوانهم أحب إلى الله، عز وجل، من محمد، صلى الله عليه وعلى آله، ومن جميع الرسل ومن ائمة الهدى ومن المؤمنين والصالحين.

فإن قالوا: إنا نشنعُ عليهم، ونقول ما لم يكن منهم. قلنا: افليس هذا احتجاجهم، وقولهم في كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى يشهد على ما قلنا؟!.. وان جميع الخلق ١١ط / من اهل المقالات يعلمون ان المجبرة والخوارج يقولون كلهم.. / إن كل شئ في الارض بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته [6] ومحبته، وان افعال عباد الله، خلقها وقدَّرها ، وانه إذا كان لاحدهم ابن فاسد أو به عاهة، وهو على ضلالٍ او فسق، وساله عنه احدٌ من الناس، قال: ذلك رجلٌ كما شاء الله له، وذلك رجل كما احب

---

(١) في الأصل : يشا.

(٢) في الأصل: شا ... وقضا.

(٣) جاء في الأصل: يرضا ولا يشا.

(٤) وردت في الأصل: يدعوا.

(٥) وردت في الأصل: وشا وقضا.

(٦) وردت في الأصل: بقضا ... ومشيئته.

الله، وذاك رجلٌ كما قضى [1] الله عليه ، وذاك رجل كما قدر الله عليه أن يكون وأراد.

• أمثلة من افتراءات المجبرة على الله:

وإذا كان له ابن صاحب عفاف وصلاح ، فسُئل عنه قال : ذلك رجل كما تُحِبُ ويسرّك، وكما ترضى وتريدُ . ولم ينسب ذلك الصلاح والعفاف إلى الله، عز وجل، كما نسب إليه فسق الفاسق، وفعل ذى العاهة وفساد الفاسد!!

ثم تسمع من قولهم، إذا أخذوا فى الأحاديث ، وذكروا المدن، قال القائل منهم سبحان من خَرَّبَ البصرةَ، ولعن الله من خرَّب البصرة، فبينما هو يُسبحه إذ لعنهُ ! جهلاً منهم بعدل الله، عز وجل، والفرق بين فعله وفعل الآدميين [2] ، وقلة معرفته بحدود المنطق وواجب العدل. ومن شانهم ان يقول الواحدُ منهم: كنتُ اهوى فلانة الفاسقة ، فخرجتُ فى طلبها البارحة فلقانيها [3] الله، كما احب واشتهى.

وفى هذه الكلمة كفران اثنان عظيمان فاحشان، اما واحد : فكذبه على الله، عز وجل، وإسناده إليه ما هو منه برئ [4] انه ، زعم، احب وشاء، والآخر قوله: كما أحبَّ الله واشتهى، والشهوة لا تكون إلا من الآدميين، ولا يجوز أن يقال: اشتهى الله؛ لأن هذا تشبيه، وإنما يجوز أن يقال : شاء الله، عز وجل، فافهم هذا الباب.

ثم يقولُ هذا المجبر الجاهل : فباتت فلانة معى فى أَسَرِّ ليلة وأحسن مجلس، فلما كان فى آخر الليل جاء الشيطان، فالقى [5] فى قلبها بليَّةً، فافسدها عليَّ ، فقالت: لست اقعدُ، وانا أخرج من عندك . فخرجت وتركتنى.

فنسب - الملعون - إلى الله ، عز وجل عمَّا قال، انه الذى لَقاها إياه، ونسب إلى الشيطان انه الذى سَوَّلَ لها الخروج من عنده !.. فاى كفر اعظم من هذا الكفر، وأى جهل أعظم من هذا الجهل الذى احتج به عبد الله بن يزيد البغدادى فى نصرته والقيام بعذر أهله ، والإبطال للكتاب والعدل والحكمة!..

---

(١) وردت فى الأصل : قضا.

(٢) وردت فى الأصل : الآدمين.

(٣) وردت فى الأصل : فلقانها.

(٤) وردت فى الأصل : برى .

(٥) وردت فى الأصل: جا .. فزلقا .

ومن ذلك وضعه علينا كتاباً يبطل به العدل، زعم، ويثبت حجج الكفار والزناة والفساق، ويُلزم الله، سبحانه، وما أسندوا إليه ورموه به من العظائم والقبائح، قدوس رب العالمين .

* ومن قولهم أيضاً المعروف بينهم، أن يقعدَ الواحد منهم يحدث أصحابه وإخوانه ١٢و / فيقول : كنا البارحة نشربُ الخمر ثم انقطع بنا، فلم يبق معنا خمرٌ، فبينما / نحن كذلك إذ رزقنا الله قرابة [١] خمرٍ ، فأتممنا بها آخر مجلسنا .

أفهذا القول وأشكالهُ يضع فيه عبدالله بن يزيد البغدادى الحجج، ويقول لأصحابه : قولوا لأهل العدل كذا وكذا [٢] ، فإنهم لن يقدروا لكم على جواب، ولن يقوموا معكم بحجة ؟!. . فسيعلم ما يرد عليه من الجوابات فى هذا الكتاب، بحول الله وقوته : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [٣] .

* وسالهم [٤] عن قول الله، عز وجل، فى كتابه : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾[٥] ، فسلهم : أرضى الله ذلك القول، أو لا ؟

فإن قالوا : نعم، قد رضى الله بذلك القول الذى بيَّتوا . ردوا على الله، عز وجل، قوله، وكفروا بالآية، ﴿ إذ يقول ﴾ [٦] : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ . (وهم يقولون : بلى ، قد رضى وأراد وأحب، ذلك الذى يبيتون من القول، وقدره عليهم)[٧]!!

وإن قالوا : لم يرضه . رجعوا إلى قولنا، وتابعونا وتركوا قولهم بالجبر؛ لأنه لا يرضى أحدٌ [٨] إلا بما يريد .

* ثم سلهم عن قول الله، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم

---

(١) وعاء من جلد يخرز من جهة واحدة.
(٢) وردت فى الأصل : كذى كزى.
(٣) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧.
(٤) وردت فى الأصل : وسالهم.
(٥) سورة النساء : الآية ١٠٨.
(٦) تكملة من الهامش.
(٧) تكملة جاءت بالهامش.
(٨) جاءت فى الأصل : يرضا.

مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[١] ، فقد أعلمنا الله ، عز وجل، أن هذا كله من إرادة الشيطان ، ليس من إرادة الله ، عز وجل عن ذلك وتعالى ، وأنه من فعل الشيطان، وليس من فعل الله، عز وجل، فهذا من خبر الله، سبحانه ، وهذا كتابُ الله يشهد لنا عليهم، والله شاهد على كذبهم عليه : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٢] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾[٣] ، وقد قال الله، عز وجل: ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[٤] ، فما بعد هذا من الحق والبيان والعدل والحكمة والحجة الواضحة، فلا يبعدُ[٥] الله إلا من ظلم ، فإن ردوا على الله، عز وجل، قولهُ كفروا، فأما حجتهم فقد بطلت، والحمد لله رب العالمين.

***

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم هل يستطيعون أن يكون منهم غير ما يعلم الله أنه كائن؟

فإن قالوا: نعم قد يستطيعون ذلك.

فقل: فإن شاء[٦] العباد كان منهم ما لا يعلم الله ؟..

فإن قالوا: نعم، فقل : أخبرونى عمّا لا يعلم اللهُ أنه كائن، ما هو؟

فإنهم لن يجدوا شيئًا ، وسيخبرونك أن ما لا يعلم الله أنه كائن، فليس بشئ.

فقل لهم: أخبرونا عن قولكم : إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بما لا يعلم الله، وأنتم تقولون: هو ليس بشئ. وهل كلفهم الله أن يأتوا بلا شئ؟!..

فإن قالوا : بلى[٧] قد يستطيعون أن يأتوا بلا شئ.

فقل: أشئٌ يعلمه الله، أم شئ لا يعلمه الله أنه كائن؟

فإن قالوا: شئ لا يعلمه الله.

فقل : هل شئ كان أو يكون لا يعلمه الله؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة الجاثية: الآية ٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٥) فى الأصل : ببعد .

(٦) فى الأصل: شا .

(٧) جاءت فى الأصل: بلا

فإن قالوا: نعم ، إن الله قد يجهل شيئا لا يعلمه. فقد امكنوك من انفسهم، وإن ١٢ط / قادوا لك حينئذ كلامهم، اشركوا بترك اهل [١] / القبلة.

وإن هابوا ولم يقودوا، فلا تعجل عليهم ولا تنحلهم [٢] الشرك، وردّهم إلى اوّل الكلام، فقل لهم: اليس [٣] لا تستطيعون ان تاتوا بشئ، إلا قد علمه الله انه كائن منكم [٤] ؟..

فإن قالوا: نعم، إنا كذلك نقول: إن الله قد علم ما هو كائن من العباد، قبل ان يكون منهم ، فليسوا يستطيعون تغيير ما علم الله.

فهذا قولنا، ولا تتركهم يتحوّلون، ولا يدخلون وجهاً في وجه آخر، والزم كل مسالة[٥] منها إلى منتهى [٦] قودها، فإنه اقدر لك على حاجتك منهم.

الله يعلـم كل شئ :

الجـواب ؛ قال الناصر لدين الله احمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، هذا الكلام إعادةٌ منه في السؤال عن باب العلم، وقد مضى في الجواب منا إليك، في المسالة [٧] التي قبل هذه، ما فيه كفاية، غير انا لابد نجيبك، ونحن نعلم ان احداً من اهل القبلة لا يُصدقك ان احداً يقول: إن الله، عز وجل، يجهل بعض الأشياء ولا يعلمه ، وانا ، زعمت ، إنْ قلناه امكنا من انفسنا.

هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه :

وليس ذلك قولنا، ونحن اهل التوحيد الصحيح، الذى وُرِّثَ عن الأنبياء، صلوات الله عليهم ، وعن ائمة الهدى، عليهم السلام ، ولولا نحن لظهرت الزنادقة في البلاد[٨]، ودعوا إلى دينهم صراحاً ، واما قولك: إن العباد لا يستطيعون ان ياتوا بغير ما علم الله. فهذا قولك، زعمت، واعتقادك، وتقول لصاحبك ان لا يتركنا نتحوّل

---

(١) مطموسة في الأصل.

(٢) في الأصل: تنخلهم.

(٣) وردت في الأصل : البسوا .

(٤) وردت في الأصل: منهم.

(٥) وردت في الأصل : مسلة.

(٦) وردت في الأصل : منتها.

(٧) وردت في الأصل: مسلة .

(٨) يقصد الباطنية حيث قضى هذا الإمام عمره في جهادهم.

عنه، فهذا قليل من جهلك وغلطك، كيف لا يتركنا ان نحتج عن مذهبنا، ونقطع من خالف الحق بنور الله، عز وجل ولطفه؟

إذ زعمت ان من عَلِمَ الله، جل ثناؤه، منه انه لا يستطيع ان ياتى بغير ما علم الله منه، فلم يهدهِ [1] إلى ترك ما علم منه من عبادته للاصنام، واكله للحرام، وظلمه للايتام، واكتسابه للآثام، إذ كان العلم هو الذى حال بينه وبين اتباع الرسل، وإجابة الكتب، والدخول تحت لواء الإسلام، وقلت : هل يستطيع احد ان يفعل خلاف ما علم الله، عز وجل ، منه؟

جواب الناصر:

فالجواب فى ذلك ، بحول الله وقوته، انا نسالك عن حجة الله، تبارك وتعالى ، على خلقه، اتامةٌ هى بالغة ، ام ليست بتامّةٍ ولا بالغةٍ؟

فإن قالوا: بلى هى تامةٌ بالغة. **فقل لهم**: ما تمامها ؟ اليس وجود السبيل إلى الاستطاعة إلى ما امر الله به، عز وجل، ودعا إليه من الدخول فى دينه، والإجابة لرسله والاتباع لكتبه؟..

١٣ و / فإن قالوا : لا ، تمامها وبلوغها بلا سبيل ولا استطاعة / إلى ما دعا الله ، عز وجل ، إليه ، ولا إلى ما امر الله به ولا إلى ما نهى عنه.

كفروا، ولم يجدوا حجةً، ودخل عليهم فى قولهم: إنها وعد خلف وغرور، وانه دعاهم فى زعمهم، إلى شئ فى العلانية، وحال بينهم وبينَهُ فى السر، فوصفوا الله ، جل ثناؤه، بالصفة التى وصف بها المنافقين، وكفى [2] بهذا كفراً ، وقد علم الله، عز وجل، أن الكفار يقولون : إنه ثالث ثلاثة وان له صاحبةً وشركاء ، وان الملائكة بناتُه، وذلك قوله، تعالى ، يرد عليهم: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾** ﴾ [3]، فإذا كان قد علم هذا، فَلمّ افترض عليهم تركَهُ، وقد علم انهم لا يستطيعون ان ياتوا بغير ما علم منهم؟.. فيلزمه انه قد

(١) وردت فى الأصل: يديه.

(٢) وردت فى الأصل : كنا .

(٣) سورة الزخرف الآية ١٩

افترض عليهم الخروج من علمه ؟!.. هذا يلزم في الحجة، لأبُدَّ لهم منه، فإن قالوا بذلك، لزمهم أن للناس مخرجاً من علم الله، جلَّ وعزَّ وتعالى، وهذا رأس الشرك، وغاية العمى [1] والجهل ، كفى بهذا كفراً.

***

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم فقل: أخبروني عن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله ، حين جاء يدعو الناس إلى شئ يعرفونه جميعاً معرفةً واحدة، أم جعل بعضهم يعرف وبعضهم لا يعرف؟..

فإن قالوا: جعل كلُّهم يعرفون ما دعاهم إليه، معرفة واحدة. فقل (فسلهم) عند ذلك: أليس جميع المشركين قد عرفوا أن الله واحد، وأن محمداً رسوله ، ﷺ، وأن ما جاء به فهو حق؛ لأن المؤمنين قد عرفوا ذلك، وهم مثلهم في المعرفة؟..

فإن قالوا: نعم. فأثبت عليهم هذا القول، ثم سلهم عمن وصف الله أنه لا يسمعُ ولا يبصرُ، أرأيتم حيث ما قال الله: ﴿ الَّذِيــنَ لا يَعْلَمُونَ ⑱ ﴾ [2] ، أتصفونهم يعلمون، والله يقول بأنهم لا يعلمون؟!!..

وحيثُ يقولُ: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ⑱ ﴾ [3]، فكيف تصفونهم أنهم يبصرون ويسمعون؟!.. فإنهم لا يعطونك أن خلقه جميعاً يعرفون ما تعرف الرسل والمؤمنون، من توحيد الله ، عز وجل، ورسالاته وجنته وناره، والله يصفهم بغير ذلك؟

يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم :

الجواب قال الناصر بن الدين أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: أما قولك: إن الرسل تعلم من توحيد الله والعلم ما لا يعلم غيرهم، وكذلك المؤمنون يعلمون من التوحيد والعلم ما لا يعلم المشركون.

فإنا نقول: إن الرسل، عليهم السلام، عندهم من العلم ما ليس عند أحدٍ لحاجة الناس إليهم/ وعليهم أن يعلّموا الناس جميع ما افترض الله، عز وجل، عليهم من

---

(١) وردت في الأصل: العما.

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى، : ﴿ ..وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ⑱ ﴾ سورة الجاثية: الآية ١٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨.

١٣ط / معرفة دينه، وليس عند الخلق إلا ما علمتهم الرسُل والمؤمنون، وقد كانوا قبل مجئ الرسل لا علم لهم، ولا معرفة عندهم ولا دين. حتى تعلموا وطلبوا العلم، فصاروا علماء مؤمنين.

وكذلك يجبُ على جميع المشركين والظالمين، ان يطلبوا العلم ولا يقصروا فيه، ويدخلوا فى الحق، حتى يصيروا علماء.

وإنما عاب الله، عز وجل، عليهم انهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون، وأنهم صمٌّ بكمٌ ، إذ تركوا ذلك الذى أمروا به، مكابرة ومعاندة، وسماهم بكماً وصُمًّا وعمياً، إذ تركوا العلم والحق والرشد، وهم يقدرون على طلبه وأخذه والدخول فيه، والتعليم له من رسل الله، صلوات الله عليهم، ومن أوصيائهم [١] من بعدهم، ومن العلماء فى كل عصر [٢] ، ولو كانوا عمياً وصماً وبكماً لا يسمعون الأصوات ، ولا يفقهون كلام الرسل، ولا يعرفون تأديتها لدين الله، عز وجل، وتبليغها ولا ما تدعوا إليه من كتب الله، وبها ما كان عليهم لله، عز وجل، حجةٌ ، ولا لزمهم عذاب أبد الأبيد، إذ كانوا صُمًا وبكماً لا يعقلون ولا يسمعون ما دُعوا إليه من دين الله ، جل ثناؤه.

اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل:

والدليل على ذلك فى حكم جميع أهل الإسلام، انه لا حجة على الأصم فيما لا يسمع، ولا على الأعمى فيما لا يبصر، ولا على الأبكم فيما لا يعقل، ولا على الأعرج ولا على المقعد، وقد عذرهم الله، عز وجل، فى القرآن.

استثناء أهل الأعذار:

فقال : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [٣] ،

---

(١) تقول الشيعة بالوصية، وان النبى اوصى لعلى بن أبى طالب، وذريته من بعد بالإمامة، وهى مرتبة لا تنبغى إلا لهم ، يجمعون فيها بين السلطة الدينية والزمنية، واجتهادهم وعلمهم حجة على الخلق ، ولذا فهم معصومون كالانبياء، غير ان الزيدية لا تقول بها

(٢) باب الاجتهاد مفتوح عند الزيدية وهو واجب على الائمة والعلماء فى كل عصر.

(٣) سورة الفتح : الآية ١٧

وأما المعتوه فهو الذى لا يعقل فليس يلزم فى الحكم ان يجلد إن زنا، ولا يقتل، ولا تقطع يدُهُ إن سرق، ولا يؤاخذ(١) على شئ من جميع فعله، وكذلك لا جهاد على الأعرج ولا على الأعمى (٢) ، ولا على المريض، هذا المعروف فى حكم الإسلام الذى لا حيلة لك فيه، وقد بان جهلك وصحَّ خطؤك (٣) وكذبك على الله، عز وجل، أنه لو كان القوم الكفارُ الذين ذكرتهم وقمت بعذرهم، وألزمت الله، عز وجل، الجور فى عذابهم، إذ كانوا بكماً وصماً، لا يعلمون ولا يعقلون على الحقيقة لا على المجاز، ثم عذبهم الله، جل ثناؤه، ثم خلدهم فى نار جهنم الأبد الأبيد، إن هذا لهو أعظم الجور الذى وصفت به ربَّك، عز وجل، عن ذلك، العدل الذى لا يجور، فهذا ما جهلته واخطأت (٤) فيه، وقلت: إن أهل العدل لا يقدرون لك على جواب!..

١٤ و / على أنا نقول: اين كنت عن قوله، عز وجل، بخبر نبيِّه، صلى الله / عليه، عن المشركين، حيث قال له : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٥)، وقالوا فى الاصنام ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٦)، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (٧)، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾(٨)، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (٩)، وقوله: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) ﴾ (١٠) .

سماها ولم يجبرها :

وقوله، عز وجل، يخبرُ عنهم: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (١١)، اى سمَّاهم وحكم عليها بالطبع، لا انه جبرها على ذلك، فيلزمه دعواك.

مثل قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (١٢)، اى سمَّاها زائغة بفعلهم، ومثل هذا كثير فى القرآن .

---

(١) وردت فى الأصل: يواخذ.
(٢) وردت فى الأصل: الاعما.
(٣) وردت فى الأصل: خطاؤك.
(٤) جاءت فى الأصل هكذا: واخطات.
(٥) سورة الزمر : الآية ٣٨.
(٦) سورة الزمر : الآية ٣.
(٧) سورة البقرة : الآية ١٤٤.
(٨) سورة المجادلة: الآية ٨.
(٩) سورة النمل: الآية ١٤.
(١٠) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١١) سورة البقرة : الآية ٨٨.
(١٢) سورة الصف: الآية ٥.

وأما قولُكَ: هل عرف بعضهم ولم يعرف بعض؟ قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما، وهل اختص الله أحداً دون أحد بدينه ؟!.. فهذا قول فاسدٌ.

والقول الصحيح: إن الله، عز وجل، بعث رسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، إلى الخلق كافَّة ليطيعوه كافة، لم يختص أحداً دون أحد، ولم يؤثر أحداً على أحد، إلا الرسل، صلى الله عليهم، فقد اصطفاهم، لما علم منهم أنهم لا يختارون معصيته أبداً، وقد فضَّل بعضهم على بعض بما اكتسبوا؛ لا أنه جار عليهم ولا حابى [1] ولا مالأ [2]، واختيارُهُ لهم فإنما كان بعلمه، عز وجل، بصحة ضمائرهم، وأنهم موضع ما استؤمنوا عليه. وقال في كتابه: ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** (٣٢) ﴾[3]، والحجة على الخلق لله، عز وجل، في طلب دينه والدخول فيما دعاهم إليه، لا عذر لهم، ولا حجةً على الله، عز وجل، لمدَّعٍ منهم، ومن هيج مشيئته في الطاعة هاجت، ومن هيج مشيئته في الكفر هاجت.

لم يحل الله بين أحد والهداية:

وليس على أحدٍ كُره في دين، ولا قسر ولاجبر، ولا مانعٌ يمنعه عنه، ولا حائل يحول بينه وبينه، ومن قال بذلك فقد كفر وأبطل القرآن وخرج من الإسلام، لقول الله، عز وجل، يحكي عن نبيه، عليه السلام: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٠٨) ﴾[4]، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[5]، وقوله: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[6]، وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** (٢٠٥) ﴾[7]، وقوله: ﴿ ..**يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** (٥٧) ﴾[8]، وقال: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ** (٢) **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** (٣) ﴾[9]، ولم يقل: والذى قدَّر فاضلَّ!.. وقوله: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ** (١٢) **وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ** (١٣) ﴾[10]، وقوله: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾[11]، وقوله ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ**

---

(١) اختصه ومال إليه. ووردت فى الأصل: حابا.

(٢) ساعده وعاونه. ووردت فى الأصل: مالا.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٨) سورة الأنعام: الآية ٥٧.

(٩) سورة الأعلى: الآيتان ٢-٣

(١٠) سورة الليل: الآية ١٢-١٣

(١١) سورة فصلت: الآية ١٧.

عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ ١٤ ظ / عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَمَا / كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[7].

أفلا تسمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحجج القواطع من الله، عز وجل، والمبطلة لجبرك، والقاهرة لحججك. أهذا أيها الجاهل قول من جبر خلقه على الكفرو وصدهم عن الهدى، وأراد لهم الضلالة والردى، سبحانه الله وتعالى عما يصفون!..

* وأما قولك: إن الله، عز وجل، لم يُعط الخلق ما يأخذون به ما أمرهم به من دينه، ففريةٌ منك على الله، جل ثناؤه، وتكذيبٌ لكتابه وطعنٌ على عدله، وإثبات لعذر من عصاه من المشركين، وافترى[8] عليه من الظالمين.

* وأما سؤالك عن قول الله، سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[9].

لم يقسرهم ولم يجبرهم على حبه أو كرهه:

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: فإن الله، عز وجل، لم يجبرهم بذلك التحبيب، ولا بذلك التكريه، جبراً ولا قسراً، ولا جعله في قلوبهم، كما يجعل الشئ في الشئ، مثل السيف في الغمد، والماء في الراوية، وإنما جعل ذلك التحبيب والتكريه، عز وجل، بالدعاء لهم، والتشويق إلى الجنة، وما أعدَّ الله، جل ثناؤه، فيها من النعيم المقيم والفوز العظيم، وما وصف من القصور، وما فيها من

(١) سورة الانفال: الآية ٤٢.
(٢) سورة القصص: الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٤) سورة الإنشقاق: الآيتان ٢٠ - ٢٤.
(٥) سورة المدثر: الآية ٤٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ٧٣.
(٨) جاءت في الأصل: وافترا.
(٩) سورة الحجرات: الآية ٧.

نواعم الحور والأنهار الجارية، والثمار الدائمة، والأفنان الدانية، وأنهار العسل واللبن والماء والخمر، الذى لا يشبه شيئاً [1] من نعيم الدنيا، فهذا التحبيب بالصفة، لا أنه، سبحانه، أكرههم عليه جبراً، وكونه فيهم قسراً، وكذلك التكريه للكفر، إنما هو بما خوَّف وحذَّر، وأعذر وأنذر، ووصف من السلاسل والأغلال والحميم، والسحب على الوجوه، والمهل والزقوم والغسلين، وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [2]، فهذا معنى التحبيب والتكريه، الذى جهلته لا غير ذلك، ولو كان على ما ذهبت إليه وغيرك، ومن قال بقولك من أهل الجبر. لم يقل، عز وجل: ١٥و/ ﴿ جزاء بماكنتم تعملون ﴾، ولوجب أن يقول: جزاء بما عملتُ / أنا فيكم، وصوَّرتُه فى قلوبكم، قسراً وجبراً، والله، عز وجل، متعال متقدس عن قول المحال، وخلق الأفعال، وإرادة الضلال، ومشابهة الجهال، والدخول فيما عملوا من الأعمال.

التوحيد لا يختلف ولا يتناقض:

وأما ما سألت عنه من اختلاف التوحيد، فالتوحيد لا يختلف ولا يتناقض، ولا يبطل شئ منه، لأنه دين الله، عز وجل، الذى لا يدخل الجنة إلا بمعرفته، وسائر الفرائض، فهى تبعٌ له وللعدل.

فما نعلم التوحيد يختلف فى قول أحد إلا معكم، فإن توحيدكم الذى سميتموه توحيداً، هو الذى يختلفُ ويتناقض، لما شبهتم الله، عز وجل، بخلقه الجائرين وعبيده المفسدين.

معرفة العدل والتوحيد فريضة:

وليس يجوز لأحد من الخلق جهل بعض صفة الله، عز وجل، بل معرفة العدل والتوحيد فريضة لازمة لجميع أهل الأرض، من البالغين الكاملة عقولهم، لاعذر لأحد فى ذلك؛ لأن العدل والتوحيد أصل الإسلام، وقوام الدين، ولا يستقيم اعتقاد (واحد)[3] منها إلا باعتقاد الآخر، ولم يضع الله، عز وجل، علم التوحيد ولا العدل، عن مكلف من جميع الخلق..

---

(١) جاءت فى الأصل: شيا.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٦.

(٣) مكتوب بالهامش

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عمن أقر بأن الله، عز وجل، قادرٌ ، ولم يقر بأنه فاهمٌ .

فاهم من صفات الخلق :

الجواب قال أحمد بن يحيى، رضى الله عنه : هذا عندنا سؤال من لم يعرف الله، عز وجل، ولا توحيده، وهذه المسألة مسألة فاسدة، لقولك فاهم، فقولك: فاهم، كفر بالله العظيم؛ لأن فاهم من صفات الخلق، إذْ منهم من يفهم ومن لا يفهم، والفهم من صفة المخلوقين ، وذلك عن الله، عز وجل، منفيٌ .

وقولك: فاهم. فهى خارجة من اللغة العربية، فلزمك الخطأ فى وجهين، فى التوحيد واللغة جميعاً، وإنما تقول العرب: رجلٌ فَاهِّم ، ولا تقول فهم، وهذه اللفظة من جهل بالتوحيد لا يجوز أن يوصف الله، عز وجل، بِفَهِمٍ ، وقول القائل: الله عالم . يجزئ عن ذلك كله، ومن قال - زعمت - إنه قادر ولم يقر بأنه قاهر ، وأقرَّ بأنه إله ولم يقر بأنه خالق، وهذا القول الذى قلته ، فكلِّيّتهُ فاسدٌ لا يجوز فى التوحيد، ولا يقوله من له أدنى رأى سديد، ومعرفة يسيرةٍ .

وأما قولك، أيها المجبرُ، فى المحتلم وليس بمجنون ولا مغلوب على عقله ؛ لأنه يعرف حين احتلم أنه قد كمل عقله ، فهذا كلام مخلط لم تصحه ، والمحتلم ليس عليه لوم فى نومه، والفرائض له لازمة، وإن نام، والتوحيد عليه فريضة، وإن نام؛ لأن النوم لا يُذهب عنه فرض التوحيد، وعليه أن يقوم بفرائضه ويؤديها ويعتقدها .

١٥ظ / وقولنا: «إن الفرائض والتوحيد لازمة للنائم فى / نومه» ، أردنا بذلك أن فرض الله لازم للنائم واليقظان ، نريد أن على النائم أن يكون ضميره واعتقاده التوحيد، ووجوب الفرائض، فإذا استيقظ لزمه العمل والأداء [١] لما افتُرِضَ عليه .

وأما الفعل فيه يكون الثواب والعقاب؛ لأن الأمر والنهى إنما هو لازم لأهل العقول، وأنت تعلم أن الزنج والهند والحبش، وجميع الأعاجم، إذا طلبوا العلم والتعليم نالوه وأدركوه، وإن قصروا بعد دعاء [٢] الرسل، لزمتهم الحجّة لقول الله، سبحانه ، لنبيه،

---

(١) وردت فى الأصل : الادا .

(٢) وردت فى الأصل : دعا .

صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [١] ، ولا عذر لأحد من الأولين والآخرين فى أداء [٢] ما افترض الله عليه من توحيده وعدله ودينه ، وإن عذرته انت، بجهلك وفريتك على الله، جل ثناؤه ، وجعلت له الحجة على الله، سبحانه، ورددت القرآن، والله ، سبحانه ، يقول: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٣]، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٤]، وكل هذا يُكذّبُ قولك الذى قلت: إن الله، عز وجل، أراد أن لا يعبدوه وأراد أن لا يؤمنوا، وأن يكفروا، ويفجروا !!..

فإن قال لنا قائل: أليس قد تجدون فى الرواية عن النبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه قال «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الطفل حتى يبلغ» [٥] .

فإذا قلنا : نعم ، قد صحَّ ذلك ، قال: فكيف زعمتم أن الفرائض لازمةٌ للنائم والمستيقظ، وهذا ينقضُ ما قلتم ؟!!..

قلنا له : إنما يزول عن النائم فعل الفرائض ما دام فى نومه، ولا يزول عنه اعتقادها ولازمها الواجب المحتوم الذى لايسقط، والدليل على ذلك أنه لا يجوز أن نقول لرجل نائم: هذا الرجل النائم قد زال عنه الإيمان، بزوال عقله، وما هو فيه من نومه، ولكن يجوز أن نقول: قد زال عن هذا النائم عمل الفرائض ما دام نائماً . فهذا وجه الصواب، والحمدلله رب العالمين.

فى بيان أن أفعال العباد غير مخلوقة :

ومن الحجّة لنا عليك أن أفعال العباد غير مخلوقة ، قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب[٦] ، صلوات الله عليه ، وقد سئل ما الإيمان فقال : «الإيمان قول معقول، وعمل معمولٌ، وعرفانٌ فى العقول» .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨.

(٢) جاءت فى الأصل : ادا.

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٥) رواه الترمذى ٤ / ٢٤ (١٤٣٣) ، والبخارى ١٢ / ١٢٣ (٦٨١٥) ، وابن ماجة عن عائشة ١ / ٦٥٨ (٢٠٤١) ، وابو داود ٤ / ١٤٠ (٤٤٠٣) ، والديلمى فى الفردوس ٢ / ٤٠٤ حديث (٣١٠٤).

(٦) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله، ﷺ، واول من اسلم من الصبية ، ولد فى السنة ٢٣ قبل الهجرة وتزوج من فاطمة الزهراء ابنة رسول الله، وكان عمرها ١٨ سنة، وانجب منها الحسن والحسين، عرف بالشجاعة والفتوة. وقتل شهيداً سنة ٤٠هـ على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ، وهو يصلى الفجر بمسجده بالبصرة. انظر ترجمته بالأعلام ٤ / ٢٩٥ .

ولم يحد الإيمان بلمس ولا بحس يُحسُّ ، ثم سُئل ما الإيمان مّرة أخرى، فجاء، عليه السلام ، بالمعنى الأوَّل بعينه بلفظ غير اللفظ الأول، فقال : **«الإيمان قول باللسان** ١٦و / **وعمل بالأركان ومعرفة / بالجنان»** ، ولم يصف الإيمان أنه مخلوق، ولا أنه موجود بين ستة حدود، وهي الخلف والقدام واليمنة واليسرة والفوق والتحتُ ، التي لابُدَّ منها للشئ من جميع ما خلق الله، عز وجل / وأنتم فلا توجدونا أفعال العباد بين هذه الحدود أبداً ، وذلك الدليل على أنها غيرمخلوقة ، وأنها حركات بني آدم وفعلهم، شاهد ذلك الأكبر الذى لايُرد ، قول الله ، عز وجل، للظالمين : ﴿ **وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا** ﴾ [1] ، فصحَّ إنما خلقوا ليس بخلق الله، عز وجل، وفى أقل من هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين .

***

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى فى كتابه : وهو يخاطب صاحبه، وهو يغريه **بأهل العدل** : واعلم أنك لن تسألهم عن شئ ، هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، لأنهم يقولون : لا يكلف الله العباد إلا ما يستطيعون ، فإن جعلوا الإنسان شيئاً [2] ، ولم يُعطوا الآخر، انكسر قولهم؛ لأنهم إن كَلَّفوا الآخر حينئذ ما علم الآخر [3] ، ولم [4]، يعط ما أعطى، فقد كلَّفوه حينئذ ما لايطيق ؛ لأن الشئ الذى كُلِّفَ لا ينال إلا بذلك الفضل الذى أعطيه الآخر ، فهو الآن مكلَّفٌ ما لا يطيق.

***

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) وردت فى الأصل : شيا.

(٣) بالهامش (اظنه ما على الآخر) وهو صحيح.

(٤) جاءت مكررة بالأصل.

المسألة الثالثة

هل هناك تكليف بغير العقل؟

فإن قالوا : إنه بالعقل وبغير العقل.

فسلهم ما ذلك الشئ الذى هوغير العقل ؟!..

فإنهم لن يصفوه لك أبداً إلا منةً من الله ، فقل لهم عند ذلك: إنا كذلك نقول: إنهم مكلفون حين يبلغون الحلم، وتقوم عليهم الفرائض وتدرك العقول، وذلك حين يبلغون الحلم، ولا يطيقون ذلك الذى كُلفوا إلا بمنّ الله وعونه وتعريفه ، وإن شغب أحدٌ منهم فقال : إنا لا نصفه بمنٍّ من الله، وهو شئٌ سوى العقل.

فقل لهم عند ذلك: أفما أعطى الذى تزعمون مثل ذلك الشئ الذى هو العقل؟..

فإن قالوا: بلى [١] . فقل لهم : فما لهم لم يعرفوا كما عرف هؤلاء [٢] ، وإنما هو شئ من كان فيه مع عقله عرفَ ، فإنهم سيفرون من هذا الكلام أيضاً [٣] ، فلا يوجد لهم حجة، وإن قالوا : هو شئ سوى [٤] منَّة الله ، فسلهم ما هو؟ فإنهم لن يصفوه لك، وإن تكلفوا لك شيئاً [٥] يلدّون به [٦] ، فإنه ليس له أصلٌ .

جواب الناصر:

الجواب قال الإمامُ الناصرُ لدين الله أحمد بن يحيى، عليهما السلام: أما قولك يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لصاحبك ، واعلم أنك لن تسالهم عن شئ هو أشد عليهم من هذا واشباهه ، وقولك فى غير موضع من كتابك ان أهل العدل يفرون من ١٦ظ / كلامك، وأنهم يعجزون عن / جوابك.

تُفرّحُ بذلك نفسك وأصحابك ، فكان مثلُكَ فى هذا القول، مثل إنسان قال لجماعة، وقد خرجوا فى سفر : إذ صرتم فى الدهناء [٧] فى موضع كذا وكذا [٨] من

---

(١) وردت فى الأصل : بلا .

(٢) وردت فى الأصل : هاولى .

(٣) وردت فى الأصل : ايضى .

(٤) وردت فى الأصل : سوا .

(٥) وردت فى الأصل : شيا .

(٦) الخصومة والعناد والجدل بالباطل .

(٧) موضع فى أرض تميم، انظر مختار الصحاح، ص٨٩.

(٨) وردت فى الأصل : كذى، وكذى .

الرمل، حيث لا يعرفُ الماء، فإنه سوف يلقاكم نهرٌ عظيمٌ، كثيرُ الماء، وحوله فواكه كثيرة، وعنده أسودٌ خوادر[1]، فكلوا من تلك الثمار، واشربوا من ذلك الماء بلا حساب، ولا عاقبة سوءٍ[2]، وأما الأسودُ فإنها سوف تفرُّ من لقائكم، إذا رأتكم فلا تهتموا بها.

فذهبوا اتكالاً على قوله، وثقة بنصيحته، وتقليداً له، فلما بلغوا الغائط الآمق[3] من الدهناء جهدهم العطش والضر، ولم يجدوا نهراً ولا ثماراً، ووجدوا[4] الأسود، فساعة عاينتهم، وثَبتْ عليهم، فافترستهم[5] جميعاً، فلم يفلت منهم أحدٌ.

وكذلك هلك من قلَّد الرجال دينَهُ بلا بيان، ولا حجة قاطعة، ولا بينة قاهرةٍ، فهذا مثلك ومثل أصحابك، وما أعطيتهم من القول المحال، الذى ينتقضُ عليهم عند الرجوع[6]، وملاقاة الرجال.

وأما قولُكَ لأصحابك: إن من قولنا، نحن أهل التوحيد والعدل، إن الله، عز وجل، لايكلف العباد الا ما يستطيعون، فذلك قولنا، وأنك - زعمت - تسألناُ بما كلفهم الله، عز وجل، هذا الدين وما يستطيعون به؟!..

لقد قسم الله العقول بالسوية:

فإنا نقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، كلف العباد الفرائض، وجعل فيهم استطاعة البنية المركبة، وأرسل إليهم الرسل، وانزل عليهم الكتب، وأمرهم ونهاهم، بعد كمال العقول، وقسمه فيما بينهم بالسوية؛ ولذلك صارت الفرائض عليهم، واجبة بالسوية.

إلا أن تقول ياعبد الله بن يزيد البغدادى، ومن قال بقولك: إن لبعض الناس عينين ونصف، ولبعضهم عينين إلا ربعّ!!..

فكلف هذا من الفرض ما لم يكلف الآخر!

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان له مائة عبد، فدفع إلى كل عبد فيهم ديناراً، وأمره أن يأخذ له بذلك الدينار مسكاً، والمسك حينئذ مثقال بدينار، فذهب كلُ واحد

---

(١) تلزم عربنها ومكانها فلا تبرحه.

(٢) وردت فى الأصل: سو.

(٣) يعنى لما بلغوا منخفضا واسعاً مجهولاً من هذه الارض.

(٤) وردت فى الأصل: ووجودوا.

(٥) وردت فى الأصل: ففرستهم.

(٦) غامضة بالاصل

منهم، فجاءه بمثقال مسك بدينار؛ لأنه لم يفاوت بينهم في العطاء، ولم يرخّص لأحد منهم دون المثقال من المسك للأداء[1]، فهل يجوز في الحكمة عندك، أو يثبته في العدل أو يقع عليه الأوهام، أنه لو عاقب كلهم أو بعضهم، أنه يصح له اسم حكمة أو يثبت له اسم العدل؟!

في بيان أن الله لا يساوي بين المحسن والمسئ:

١٧و / فهذا وجهٌ، ثم نقول لك: لو أنه دفع أيضاً إلى كل / واحدٍ منهم ديناراً مرَّةً أخرى، وأرسلهم يأتونه بذلك المسك، على الشرط من الوزن، وهو مثقالٌ بدينارٍ، فجاء واحد منهم بنصف مثقال، وجاءه الآخر بمثقال إلا ربع، وجاءه الآخر بمثقال إلا سدس، وجاءه الآخر بثلثي مثقال، وجاءه الآخر بمثقال على الوفاء، بعد ما ساوى بينهم في العطاء وكلفهم أن يأتوا بوزنٍ واحد، على ما رسم وبه أمر، ثم رضي عنهم جميعاً، أو جعل ثواب المحسن مثل ثواب المسئ.

هل يجوز عندك أن ينسب هذا إلى الحكمة والعدل والصدق، وإنفاد القول الذي شرط على نفسه؟!!

ولا سيما أن كان القائل قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾[3]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[5]، ﴿ .. إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾[6]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾[7].

بين العقل الطبيعي والمكتسب:

فإن قال قائل: قد رأينا العقول يزيدُ بعضها على بعض، قلنا له: إن تلك الزيادة التي سميتَ إنما هي اكتساب، اكتسبها المكتسب بأصل العقل المركب فيه، وذلك لما هذب من رأيه، واكتسب من الآداب، واستعمل من النظر والعلم والحكمة، وأما الآخر فضيّعَ عقله وشغلَه بكل فسادٍ[8] يُصدئ[9] العقل، ويذهل عن الصلاح، وليس

---

(١) ورد في الأصل: العطا .. للادا.
(٢) سورة ق: الآية ٢٩.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٨٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٦) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٧) سورة آل عمران: الآية ٩.
(٨) في الأصل: فساه.
(٩) في الأصل: يصدى.

يجوز في عدل الله، تبارك وتعالى ، ان يفاوت بينهم في العقول ، ثم يُحملهم من الفرض شيئاً واحداً لا تفاوت فيه، فلا يجوز في العدل غير هذا ، لقوله سبحانه: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [٢] ، فهذا جوابُ ما سالت عنْه.

وأما قولك أنك تسألنا - زعمت - إنه بالعقل وبغير العقل - وتقول لصاحبك : فسلهم : ما ذلك الشئ الذى هو غير العقل؟!

ونحن لم نقل : إن الله، عز وجل، زاد العباد شيئاً [٣] يأخذون به دينه إلا الجوارح السالمة، والعقول الكاملة [٤] ، وأما غير ذلك فلا نقول به ، وكفى [٥] بما ذكرنا من الجوارح، والعقول السليمة، منَّةً من الله، جل ثناؤه، عظيمة لا أعظم منها من المنن.

بالعقل وحده يكون الإدراك :

والتعريف من الله ، عز وجل، فهو إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمَّا تكريرك الكلام المعادَ الذى لا وجه له، فلا معنى لتكرير الكلام، ولما يعرف من نفس المسألة [٦] ، والتطويل فيها عيٌّ [٧] ، وقلة معرفة بفصل الخطاب.

١٧ط / وأما قولك: إن ثَمَّ شيئاً سوى العقل ، فلا شئ مع العقل يعطاه العباد إلا / سلامة الجوارح، ولاسبيل لهم إلى وجود معناً [٨] غير الجوارح في الإيمان، والخروج من المعاصي بغير ما ذكرنا ، فذلك دعوى باطل، وإن ادعيت أمراً، فأصح لنا معناً غير صحة الجوارح والعقول ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب.

رد مقالة المجبر بالقسر والجبر على الإيمان أو الكفر :

فإنك لا تقدر على غير ذلك ابداً ، إلا دعواك على الله، عز وجل، وفريتك عليه، انه قسر بعضاً على الإيمان كما أحبَّ ، وقسر بعضاً على الكفر كما أحب، وهذا

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٢) سورة البلد : الآيات من ٨ - ١٠ .

(٣) جاءت في الأصل : شيا .

(٤) صححها بالهامش.

(٥) وردت بالأصل : كفا.

(٦) جاءت في الأصل: المسئلة.

(٧) اى عجز

(٨) في الأصل : معنى.

خلاف القرآن ورده صراحاً ، وهو مكابرة العقول، والإعراض عن النصفة والتغاضي والتجاهل عن الحق، وحُبُّ الرياسة.

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما: وأما قولك أنك - زعمت - تسالنا [1] فتقول لنا : أليس قد أعطوا كلهم ان يعلموا كما يعلمُ الأنبياء والمؤمنون، من توحيد الله، سبحانه؟..

فإن قلنا: نعم، رددت علينا - زعمت - ما ذكر الله ، سبحانه ، في كتابه من ﴿ **الذين لا يعلمون** ﴾ ، ومن ذكر أنهم ﴿ **لا يبصرون** ﴾ ، ومن ذكر أن ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾، فإنا - زعمت - سنرجع عما أعطيناك ونترك هذا الكلام، وقد أعلمنا إنك إنما تفرّح نفسك، وضربنا لك مثل النهر والأسود.

معرفة الأنبياء أكبر:

ونحن نقول: إن معرفة الأنبياء ، عليهم السلام ، بتوحيد الله، عز وجل، وبمعالم دينه أكبر من معرفة الخلق ، وشاهد ذلك قوله : ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** (٧٦) ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [4] ، وما خصَّ الله ، جل ثناؤه، به الرسل، وفضله به على غيرهم، فذلك أمرٌ غير منكر، لما قلّدهم من القيام بمعالم دينه، وجعل حاجة الخلق إليهم.

التدليل على أن معرفة الأنبياء أكبر:

ولو كان الامر في العلم والمعرفة سواء في الأنبياء [5] والأمم ، لم يكن بين العالم والمتعلم فرق، ولم تكن الأنبياء، عليهم السلام، أولى [6] بالمعرفة من العوام، وهذا ما لا يقاسُ ولا يذكره احد من اهل المعرفة، وكذلك المؤمنون بعضهم أعلم من بعض، فلذلك صارت الأئمة ، عليهم السلام ، اولى [7] بمقامات الأنبياء، صلوات الله عليهم، من الائمة ، لما عندهم من العلم والحكمة والمعرفة، بالكتاب والسنة.

---

(١) وردت في الأصل: تسلنا

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٦.

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٥.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٣.

(٥) في الأصل : سوا الانبيا.

(٦) جاءت في الإصل : اولا.

(٧) وردت في الأصل: اولا

حول موقف الخوارج من أمير المؤمنين فى صفين :

وبذلك الفضل الواضح احتج أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه، على إخوانك الخوارج [1] بحروراء، فرجع منهم ثمانية آلاف ، لما احتج عليهم بالحجج القواطع التى لم يكن عندهم منها معرفة، فتابوا ورجعوا معه إلى الكوفة، ولولا أن
١٨و / تلك الحجج موجودة / معروفة فى كتاب «صفين» وغيره ، لذكرناها ، وبذلك الفضل والتفضيل فى العلم الذى خُصَّتْ به أئمة الهدى ووجبت الله، عز وجل، على خلقه في أرضه ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3]، وعندما احتج أمير المؤمنين ، عليه السلام ، على الخوارج بحروراء فرجع منهم ثمانية آلاف، وتخلف منهم أربعة آلاف، إصراراً على الجهل، واتباعا للهوى ومُساعدة للرؤساء، بعد البيان والإعذار ، فتخلفوا عن إمام الهدى وسيد أهل زمانه، أخى الرسول وابن عمه، وأوجبَ عليهم الحكم بكتاب الله ، سبحانه.

ويلزمكم أن نسألكم أيضاً فى هذا الموضع، فنقولُ لكم: خبرونا عن أهل حروراء هل أراد الله، عز وجل، منهم أن يرجع منهم مع أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**، عليه السلامُ، إلى الكوفة ثمانية آلاف، تائبين عارفين بالخطأ والزلة، وأراد من الأربعة آلاف التى تخلفت وأسرّت على العمى [4] بعد الحجة، أن يتخلفوا وأن يحاربوا علياً ، خليفة الله فى أرضه فى عصره؟

فإن قلتم: إن الله، عز وجل، أراد من الفريقين جميعاً هذا الفعل الذى فعلاه ، فإذا قلتم: نعم قد أراد الله ذلك.

قلنا لكم: فأيهما الصوَّابُ ، وأيهما الخطأ؟

---

(١) **الخوارج** تلك الجماعة التى خرجت على **علىّ بن أبى طالب** ونابذوا الخلفاء، وادعوا ضلالة برضاه بالتحكم، وحاربوا المسلمين بالسيف ، ولهم أسماء مختلفة **كالحرورية والشراة**، وفرق عديدة بلغت العشرين منهم: **المحكمة والنجدات والصفرية والعجاردة وغيرهم**، راجع هذه الفرقة فى كتاب الشهرستانى: الملل والنحل ١ / ١٣١ وما بعدها، والأشعرى: مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٥٦ وغيرها من كتب المقالات

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٣.

(٤) وردت فى الأصل : العما

فإن قلتم: إن الصواب مع من تخلف عن الدخول مع أمير المؤمنين ، عليه السلام، والخطأ مع من رجع إليه، ودخل معه الكوفة.

قلنا لكم: فلمَ سميتم بعضَ فعلهم خطأ وبعضَهُ صواباً والله، عز وجل، هو الذى قضى [1] ذلك - زعمتم - كلَهُ على الفريقين، وخلقه من فعلهم، وأراده منهم، وقدره عليهم؟

فيلزمكم أن بعض فعل الله، عز وجل، وخلقه وإرادته وتقديره خطأ، وأن بعضه صواب!! لابد بكم من إثبات ذلك، إذ أصل هذه المسألة إنما وضعتموه، إثباتاً للجبر ونفياً للعدل، وأن أفعال العباد كلها مقدرةٌ مخلوقةٌ، وإن الله، عز وجل عما قلتم ، هو الذى خلق أفعالهم وأرادها وقدرها ، وصير بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً ، كما زعمت فى كتابك، الذى هذا جوابه.

فما مخرجك من هذا الجواب، الذى أجبناك به فى هذا الموضع، من رجوع بعض أصحابكم إلى على بن أبى طالب ، عليه السلام، وتخلف بعضهم عنه؟..

فيلزمكم ، على قود قولكم، أنه لا لوم على أحد من الفريقين؛ لأن كليهما، على قولكم، كذا أراد الله منها وخلق وقدَّر وقضى وشاء [2]، والله، عز وجل، لا يظلم ولايؤاخذ الناس بفعله!..

١٨ظ/ فلابد لكم أن تقولوا: إنهم كلهم مخطئون، أوكلهم مصيبون، أو بعضهم مخطئ ، وبعضهم مصيبٌ.

فإن قلتم: إن كلهم مخطئ. كفرتم وكفَّرتم من حاربكم.

وإن قلتم: إن كلهم مصيبٌ.. لزمكم أنكم مصيبون فى حرب أمير المؤمنين، على ابن أبى طالب، عليه السلام، وأنه مصيب فى حربكم، وهذا قول المجانين ، وليس مثله يخاطبُ لجهله ، وقلة علمه!..

وإن قلتم: إن بعضكم مصيبٌ وبعضكم مخطئ، وأن ذلك الفعل كله من الفريقين

---

(١) جاء بالأصل: قضا.

(٢) وردت فى الأصل: كذى... وقضا وشا.

إنما الله الذى خلقه وقدره وأراده، فى قولكم. لزمكم أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره خطأ [1] وبعضه صواب!

وهذه المسألة وحدها تقطع جميع ما قلتم من الجبر فى كتابكم كله، وتوجب القول بالعدل، والرجوع إلى الحق، وهى تجزؤنا [2] وحدها، لقطعها لكل مجبر على وجه الأرض؛ لأنه ما لزم فى حجة واحدة من حجج الله، جل ثناؤه، لزم فى التى يقاس عليها، وفى هذا كفاية من عقل.

ونحن نثق أن كل من سمع هذا الجواب، يشهدُ عليكم بالغلبة والإنقطاع، وأن لامخرج من هذه المسائل لأحد من جميع أهل الجبر والفرية على الله، جل ثناؤه، فأيَّنا الآن الذى دينه دين شيطان، كما ذكرت، ومن المشرك الذى وصفت فى كتابك، أنه حلال ماله ودمهُ وسبيهُ وقتله، فى السر والعلانية، وحرام ذبائحه ومناكحته؟!!.

لأنهم – زعمت – ليسوا بأهل الكتاب [3] ولا مقرين بجزية وإنما هم حَربٌ، فإن قلنا لك – زعمت – نعم – أخذنا بمسائل الصفُريَّة [4] ومن سمَّى من محدثى أهل القبلة بالشرك.

ونحن نقول لك: أليس قد احتججت، فى كتابك الذى كتب بعض أصحابك، إلى إخوانهم ينهونهم عن الدخول مع الشيعة [5]، ويقولون إن دينهم كان دين الصفرية قديماً ؟!!.

دينٌ – زعموا – اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيره، ثم جاءهم بعد ذلك الدين الصحيح الذى اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيرهم أيضاً – كما زعموا – فى زمان عبد الرحمن بن خليل، وعبد الكريم بن نعيم فتركوا الصفرية وأخذوا الدين الآخر الذى خصهم الله به دون غيرهم – زعموا – فى كتابهم الذى كتبه المشايخ إلى عشائرهم، وردً عليهم فيه بعض أصحابنا ما فيه الكفاية.

---

(١) جاءت فى الأصل: خطا.

(٢) وردت فى الأصل: تجزينا.

(٣) فى الأصل: الكتاب.

(٤) انظر مقالتهم فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٦٥.

(٥) انظر مقالتهم وفرقهم فى مقالات الإسلاميين للأشعرى ١ / ٨٩ وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين.. للرازى، ص٧٧ وما بعدها والملل والنحل للشهرستانى ١ / ١٦٩ وما بعدها، وغيرها من كتب المقالات

وماعلمنا أحداً من جميع الناس، يأتى من التخليط الفاحش، بمثل هذا الذى قلتم، فالله المستعان.

هل علم، ﷺ، جميع صحابته بدرجة واحدة؟

فإن قال قائلٌ: فهل أعطى رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، الناسَ (العلم)(١)
١٩و/ سواء، حتى كانوا جميعا فيه سواء؟.. فإنا نقول: إن صلوات (الله) (٢) عليه/ وعلى آله وسلم، قد نصح وبلّغ جميع ما أره الله، جلَّ وعز، بتبليغه وأوفاهم عليم الفرائض على السواء، لم يكتمهم نصيحة، ولم يستر عنهم ما تعبدوا به، غير أن بنى آدم مختلفة هممهم وأهواؤهم، وأن بعضهم يستعمل عقله، ويصرفُ همته فى طلب العلم، وبعضهم يستعملُ عقله، ويصرف همته فى أشياء غير ذلك، من الزراعات والصناعات، والأديان والمختلفة، والفرض عليهم سواء، ولا حجةٌ على الرسول، ﷺ، فى تقصير، ولا خيانة فى تادية (٣)، ولذلك صار بعض الناس، من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، ومن تبعهم من جميع الناس أعلم من بعض.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقد علمتَ ما كان بين موسى وبين العالم، صلى الله عليهما، الذى لقيهُ، فوجده موسى، عليه السلام، أعلم منه، وموسى نبىٌّ عالم غاية فى العلم، (فهذا جواب ماسالتنا عنه) (٥).

فإن قال قائل: فهل فضل رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، بعلم جميع من طلب العلم، ولا يبخل عليه بما فيه نجاته ولا يخصُّ أحداً بعلم دون أحد.

فإن قال لنا: فلمَ زعمتم أن عليَّ بن أبى طالب أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وكتابه وسُنة نبيه بعد النبى، ﷺ؟

لمَ كان عليُّ أعلم الناس بكتاب وسنة نبيه، ﷺ؟

قلنا له: لأنه كان أرغبهم فى طلب العلم، وأحرصهم عليه، وأقربهم بهم منزلة من

---

(١) وردت فى الأصل: أعطا.
(٢) وردت بالهامش.
(٣) وردت فى الأصل: تادية.
(٤) سورة يوسف: الآية ٧٦.
(٥) جاءت فى الأصل: بخط مخالف وبمداد أحمر، وتامة الشكل.

الرسول، صلى الله عليه، إذ هو معه، صلوات الله عليهما، جميعاً في داره ومقاعده، في ليله ونهاره ، مع ما أراده الله، سبحانه، من استخلافه بعد نبيه، فلا عُتب على النبي، صلى الله عليه، ولا حجة فيما خصه به على غيره، لعلمه أنه موضع حاجة أهل الإسلام ومفزعهم بعده، وأن جميع ما علمه رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، من العلم عائدٌ نفعه ومرفقه على الأمة ، وهو قوام دينها.

فلذلك يوجب نصح النبي ، صلى الله عليه وعلى آله، وكمال تبليغه، ونفي الاختصاص بالإثرة، بالعلم لبعض دون بعض، إذ في ذلك الصلاح للأمة وحسن الفائدة عليها، فلذلك من جودة النظر لها، وعلى أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لايفعل من الأمر إلا ماأمره الله، عز وجل، به، لقوله: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) ﴾[2] ، وقوله: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) ﴾[3] .

١٩ظ / فهذا حرف واحدٌ يقرأ على وجهين، فمن قرأ «بالظاء» وجب في ذلك / أنه، عليه السلام، ليس على الغيب بمتهم، و«الظنين» في لغة العرب هوالمتهم، ومن قرأ «بالضاد» وجبت في ذلك أن ليس على الغيب ببخيل، و«الضنين» في لغة العرب هو البخيل.

وأما قولك واعتلالك بقول الله، عز وجل: إنهم ﴿ لا يعلمون ﴾[4] ، ﴿ ولا يعقلون ﴾[5] - ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[6] ، فإنما ذلك كله ذم منه، عز وجل ، لهم إذ لم يطلبوا العلم ولم يصغوا إليه، وكابروا الجائي[7] به من عند الله، سبحانه ، وتركوه باتبع الهوى، واختيار العمى، وتقليد الكبراء.

وقد كانوا بصراء إذا أرادوا، وعلماء إذا أحبوا، وبلغاء فيما اشتهوا. الاترى كيف قال، عز وجل: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[8] ، وقال: ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) ﴾[9]، وقال : ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) ﴾[10]، فهذا مكر

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.
(٢) سورة النجم : الآية ٣.
(٣) سورة التكوير: الآية ٢٤ . (قراءة الظاء).
(٤) وردت مادة «يعلمون» بالإثبات ٨٥ مرة ، ووردت «لا يعلمون» بالنفي ٤٢ مرة.
(٥) وردت مادة «يعقلون بالإثبات ٢٢ مرة ، ووردت «لا يعقلون» بالنفي ١٠ مرات.
(٦) سورة النجم : الآية ٣٠.
(٧) وردت في الأصل: الجاى.
(٨) سورة النحل : الآية ١٤.
(٩) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١٠) سورة إبراهيم : الآية ٤٦.

من لا بصيرة معهُ ولا علم ولا تمييز ولا معرفة ، وقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [(١)]، وقول الله، عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [(٢)]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ ﴾ [(٣)] .

وإنما يقع الذم عليهم من الله،عز وجل، على تركهم للأمر الذى لو أرادوه، لقدروا عليه وأمكنهم، ولو كانوا لا يعقلون لم تلزمهم حجة، إلا كما لزمت المجانين والأطفال.

***

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣.

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٧.

(٣) سورة الزخرف : الآية ٩

المسألة الرابعة
حول الاستطاعة والفعل
(نص كلام المجبر)

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عمن كان موضوعاً عنه علم الدين، ممن هو طفل، أرأيتم حين يقع عليه التكليف، ويؤخذ بعلم ماكان عنه موضوعاً، أخبرونى عنه فى تلك الحال التى كلف فيها، أوقع عليه التكليف والاستطاعة والفعل، فى حال واحدة ، لِمَ يقع بعضه قبل بعض؟..

فإن قالوا: إنه إنما يقع جميعاً لا يقع بعضه دون بعض .. لم تقع الاستطاعة قبل الفعل والا الفعل قبل الاستطاعة. فقل لهم عند ذلك: فكل خلق من خلق الله، كلف الإيمان ونهى عن الكفر، فقد وقع له فعل، مع استطاعة إما إيمان وإما كفر، لم تقع استطاعة قبل كفرٍ، ولم يكن يستطيع (لان)[1] يفعل ذلك الشئ، الذى وقع مع استطاعته.

فإن كان إيمان وقع مع استطاعته، فَلَمْ يكن يستطيع ان يكون ثم كفر مع استطاعته، ومن وقع له فعل كفر مع استطاعته، فلم يستطع[2] ان يكون منه إيمان؛ لانهما إنما يقعان معاً، لا يقع واحد منهما قبل صاحبه؟..

فإن قالوا: نعم.

فقل : وكذلك قولنا، افليس من كلف الإيمان كان له فعل واقع مع التكليف، إما إيمان او كفرٌ لا يستطيع معه فعل، غير الذى وقع مع الاستطاعة ، فإن قالوا: بلى[3] .

٢٠ و / فقل : اخبرونى عمَّنْ وقع/ مع فعله حينئذ كفرٌ، اليس هو مكلفاً فى تلك الحال (بالإيمان الذى لا يستطيعه، اليس لا يستطيع ان يعدل عنه فعل الكفر فى تلك الحال)[4] كما لا يستطيع ان يعدل عنه الاستطاعة؟ فإن قالوا: بلى[5] .

---

(١) فى الال: لا.
(٢) فى الأصل : يستطيع..
(٣) وردت فى الأصل: بلا.
(٤) تكمله وردت بالهامش.
(٥) وردت فى الأصل : بلا.

فقل لهم: فهم إذن فى تلك الحال لايستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان، وهم لا يستطيعون الكفر، ولا أخذ الإيمان!!

فإن قالوا: نعم. أعطوك أن الكفار لا يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان وهم لا يستطيعونه، ولا يستطيعون ترك الكفر فى تلك الحال؟..

فإن قالوا: نعم. فقد تركوا قولهم، وهذا قولنا، لأنا نقول: إن الناس يكلفون فى حال الإيمان، (ونقول: إن الاستطاعة والتكليف والفعل إنما يقع)[1] فى حال واحدة.

فمن وقع له فعل الاستطاعة، فهو لا يستطيع ترك ذلك الفعل، فى تلك الحال التى وقع فيها فعله واستطاعته، فقد أقررتم بما نقول.

وإن قالوا: إنما يقعان معاً، ولكنه[2] قد يستطيع أن يردَّ ما كان فعل بعد فعله، فهذا أقبح وأجور.

فسلهم عند ذلك فقل: هل يستطيع أحد منكم الآن أن يرد شيئاً قد كان فعله حتى يقال: إنه لم يفعله؟.. فإنهم لن يقيدوا هذا جواباً؛ لأن من سرق أو قتل أو أشرك أو عمل عملاً، فلا يستطيع أن يرده ذلك حتى يقال: إنه لم يعمله قط.

فإن قالوا: إن الاستطاعة تقع قبل الفعل.

فى تعريف الاستطاعة:

فقل لهم عند ذلك: أليس الاستطاعة حال، يقع فيه غير حال الفعل، وهى قبل الفعل، فقد يكون الرجل مستطيعاً للإيمان والكفر فى حال، ولم يعمل إيماناً ولا كفراً؟

فإن قالوا: نعم، فقل أخبرونى: أليس قد يستطيع فى تلك الحال أن لا يأخذ بإيمان ولا كفر، وهو مكلف بالإيمان؟!..

فإن قالوا: نعم. فقل: فقد يكون الرجل مكلفاً للإيمان ولم يفعل الإيمان ولا الكفر، فأخبرونى عنه فى تلك الحال، التى كلفه الله الإيمان ولم يعمل به ولا بغيره، ما هو، إذا لم يقر بأن الله واحد[3] معذور هو بأن لا يقرَّ بأن الله واحدٌ؟

---

(١) وردت هذه التكملة بالهامش.

(٢) وردت فى الأصل: ولا كنه.

(٣) فى الأصل: واحداً.

فإن قالوا: نعم . فقل : أفليس الناس قد يكونون مكلفين للإيمان ولا يستطيعون، والله يعذرهم بأن لا يأخذونه؟

فإنهم لم يمكنوك أيضاً من هذا، وسيتركون هذا الكلام؛ لأنهم لا يعذرون (الناس) [1] بإن لا يوحدوا الله، وهم مكلفون للتوحيد يستطيعونه.

ومتى قالوا هذا عذروا من كلف الله معرفته أن لا يعرفونه!

وإن قالوا: إنها تقع قبل الفعل بلا حال بينهما.

٢٠ ط / فقل: / أليس الاستطاعة لها حال غير الفعل، كما أن حال القائم غيرحال القاعد، وحال النهار غير حال الليل، وحال الكفر غير حال الإيمان؟

فإن قالوا: بلى. فقل: أفليس إنما يفعلون الإيمان بما كلفوا بغير استطاعة؛ لأن الفعل فى غير حال الاستطاعة، وإنما يكون فعلهم بلا استطاعة؛ لأن الاستطاعة قد ذهبت فى حالها ، كما ذهب الليل، فى حال الليل والنهار فى حال النهار، والقعود فى حال القعود، والقيام فى حال القيام، والكفر فى حال الكفر وأشباه هذا. قد ذهبت الاستطاعةُ وحالها ، كما ذهبَ الليل وحالُه والنهار وحاله، وأشباه هذا.

فإن قالوا: بلى [2] .

فقل: فإنما يفعلون بغير قوة ولا استطاعة؟! .. فإن قالوا: نعم.

فقل: أفليس إنما يعمل الناس الإيمان والكفر بغير استطاعة ولا قوة؟! .. فأخبرونى ما ذلك العمل الذى عمل بغير قوة ولا استطاعة؟!

وقل لهم عند ذلك: أخبرونى عنكم ، إذ زعمتم أنه إنما وقع التكليفُ بالاستطاعة، وتكلفوا أن يفعلوا بالاستطاعة، ففعلوا بغير الاستطاعة؛ لأنه إنماكلفهم الإيمان بالاستطاعة فعملوا بغير الاستطاعة ، فهم لم يأتوا به على الوجه الذى كلفهم وهم عصاة، فى قولكم إذ جاءوا بالإيمان بغير الاستطاعة.

ولن يقولوا: يفعلون بغير قوة ولاستطاعة، غير أنا إنما اتبعنا كل كلام نخاف أن يدخلوا فيه شيئاً يلبِّسونَ به على ضعيف.

فانظر فى هذا الوجه من الكلام نظراً لطيفاً، فإن فيه نقض كلام المبطلين القدرية!

---

(١) تكمله من الهامش.

(٢) فى الأصل: بلا.

الاستطاعة ليست قبل الفعل عند المجبرة:

ثم سلهم فقل لهم: أخبرونى حين قلتم ان الاستطاعة والتكليف وقعا قبل الفعل بلا حال بينهما ، اليس الاستطاعة قبل الفعل أم لا؟

فإذا قالوا: بلى [١] .

فقل: فإذا كانت قبله، اليس الفعل بعد الاستطاعة؟.. فاخبرونى عن الذى بعدُ اليس الذى هو قبل هو قبله؟.. فإن قالوا : نعم، القبلُ قبلَ البعْد.

فقل: اخبرونى عن القبل حين ذهب وذهبت حاله، باى شئ كان البعدُ؟، والبعد باى شئ فعل؟!.. فإنهم لن يقدروا فى هذا الكلام جواب؛ لانهم قد أنزلوا الاستطاعة والتكليف قبل الفعل، فالبعد ليس بالقبل. والقبل ليس بالبعد، كما ان الليل لايكون بالنهار، والنهار لا يكون بالليل، وإنما النهار، بالنهار والليل بالليل، كذلك القبل بالقبل، والبعد بالبعد، فالفعل الآن إنما يكون بالاستطاعة ، فليس بالاستطاعة كان، ولكنه[٢] كان بالفعل، فالفعل الآن إنما هو بعد الاستطاعة ، فليس بالاستطاعة كان، ٢١ و / ولكنه بالفعل. / إن قد تمَّ القياسُ على القبل والبعد، وهذا كلام لا يحيرون فيه جواباً ولا حجة لهم فيما يلوون به السنتهم.

ومن زعم منهم، أو من غيرهم ، ان الاستطاعة تقع قبل الفعل، ثم تبقى حتى يمضى الفعل، فقد اعطاك بأنهم يستطيعون الفعل فى غير حال الفعل، وأنهم قد يستطيعون فى حال الإيمان فعل الكفر، وفى حال فعل الكفر فعل الإيمان!

فسلهم عند ذلك على حدٍّ صدر المسائل، اليس قد يستطيعون الإيمان والكفر جميعاً فى حال واحدة، حين جاءت [٣] استطاعتهم قبل فعلهم، فهم يستطيعون ان يفعلوه والاستطاعة قبلهما؟..

فسلهم عن ذلك: اليس ما علم الله انه واقع مع التكليف ، والاستطاعة مع الفعل، بعد [٤] الاستطاعة لا يستطيعون ان يوقعوا ثمَّ فعلاً غيره، كما لا يستطيعون ان يوقعوا تكليفاً ولا استطاعة.

---

(١) فى الأصل : بلا.

(٢) فى الاصل: لاكنه.

(٣) فى الأصل : حات.

(٤) مطموسة فى الأصل.

فمن وقع له فعل كُفْرٍ في تلك الحال، لم يكن يستطيع أن يوقع ثَمَّ فعلاً غيره؛ لأنه لا يستطيع - زعمتم - الإيمان والكفر جميعاً في حالة واحدة.

فإذا كان لا يستطيع أن يوقعهما جميعاً مع الاستطاعة، فإنما يستطيع أن يوقع أحدهما، ولا يستطيع أن يوقع الآخر، فإن كان اللهُ يعلم أنه إنما يوقعُ الكفرَ مع الاستطاعة، فهو مكلف في تلك الحال، حينئذ، إيماناً لا يستطيعه!!..

لا تكليف إلا في حال الاستطاعة:

فإن قالوا نعم.. فقد أقروا بأن الله يكلف الناس الإيمان في حال لا يستطيعونه وهم مكلفون.

ثم سلهم: هل يستطيعُ العبادُ أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر، وبالكفر في حال الإيمان؟

فإن قالوا: لا .. فقل: أليس من كان كافراً فهو مكلف الإيمان في حال الكفر، وهو لا يستطيع الإيمان في حال الكفر؟..

لا يكون الإنسان مؤمناً كافراً في حال واحدة:

فإن قالوا: نعم. (فقل)[1] فقد يكون الناسُ مكلفين الإيمان، وهم لا يستطيعون[2]، فإن قالوا: نعم. فقد تركوا قولهم[3] ودخلوا في قولك. وإن قالوا: إنهم يستطيعون أن يأخذوا بالإيمان في حال الكفر، فقل أفليس إذنْ قد يستطيعون أن يأخذوا الإيمان والكفر في حال واحدة!.. حتى يكونوا مؤمنين مشركين في حال واحدة. أولياء الله أعداء لله.

فإن قالوا: نعم. فذلك ما لا يقبله عقل أحدٍ من الناس. وحسبك به - إذا أعطاك ٢١ ظ/ هذا - بأن العباد لا يستطيعون بأن يكونوا مشركين بالله أعداء لله/ مؤمنين بالله أولياء لله في حال واحدة، وهو كلامٌ لا يحتملهُ أحدٌ، ولن يمكنوك منه.

وإن قالوا: لا يستطيعون. فقل: أليس من كان كافراً فلا يستطيعُ الإيمانَ في تلك

---

(١) غير موجودة بالأصل.

(٢) بالأصل شطب على: أن يأخذوا، بعدها.

(٣) في الأصل: مذهبهم (مشطوبة) قولهم.

الحال وهو مكلفٌ له؟... ومن كان مؤمناً فلا يستطيع الكفرَ فى حال الإيمان، وهو منهى عن ا لكفر؟!..

فإن قالوا: نعم. فقد دخلوا فى قولك وتركوا كلامهم، ولن يجدوا أبداً من أن يجيبوك بأحد هذين الوجهين: إما أن يكونوا يستطيعونهُ فى حال واحدة، فيكونوا إن شاؤا مشركين بالله لا يعرفونه مؤمنين بالله يعرفونه، فى حال واحدة يعرفون الله وينكرونه!!.

وإما أن يكونوا لا يستطيعون الإيمان فى حال الكفر، ولا الكفر فى حال الإيمان. فإن قالوا بهذا دخلوا فى كلامك وتركوا كلامهم.

فإن قالوا بالوجه الآخر، قد يستطيعون أن يكونوا مشركين بالله، عز وجل، ينكرونه، مؤمنين بالله، سبحانه، يعرفونه!.. ولن يعطوك هذا أيضا" لأن هذا محالٌ من الكلام ولا يسمعه أحدٌ إلا كذَّبَ به وأنكره، وبحسبك أن يقول رجلٌ بهذا.

وإن قالوا: إن الكلام ينبغى أن يكون هذا، لايُستطاع الإيمان إلا فى حال الكفر، ولا الكفر إلا فى حال الإيمان؛ لأنه من كان مؤمناً لم يحسن أن يقال: هو يستطيع الإيمان؛ لأنه قد فعله، وما فعله فقد فعله، ولا يحسن أن يقال: إنه يستطيع ما قد فعل.

وإنما يجوز أن يقال: إنه قد يستطيع أن يفعل الشئ فى حال الشئ الآخر؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا هكذا.

فقل: فَنَعَمْ قد فهمتُ الذى تقولون، أليس قد يستطيعونه فى حال كفرهم، فيستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، والكفر فى حال إيمانهم؟ (فقل: أفليس يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، والكفر فى حال إيمانهم)[1].

فقل: أفليس قد يستطيعو نهما فى حال واحدةٍ، الحال التى هو فيها كافر يستطيع مع ذلك الكفر فى حالهِ إيماناً؟

ومع القعود فى حاله قياماً، ومع الليل فى حاله نهاراً وأشباه هذا؟.. فإنهم سيتركون ما جئوا إليه، وظنوا أن لهم فيه راحةً، ويصير أمرهم، إلا أن لا يجيئوك

---

(١) عبارة مكررة.

بشئ، وتنقضى حجتهم، فإن لجعوا إلى ان يقولوا: إن الاستطاعة والتكليف والفعل، إنما يقع فى حال واحدة.

فقل: افليس الذى علم الله انه واقعٌ / مع تلك الاستطاعة والتكليف والفعل، لا ٢٣ و / يستطيعون فى تلك الحال ان يكون ثَمَّ فعلٌ غيره.

لانه لا يستطع ان يكون ثم استطاعة [1] قبله، فإن قالوا: نعم. فقد امكنوك من حاجتك ، ودخلوا فيما عابوا عليك من العدل ثم سلهم: هل شئ إلا فى حالٍ كان او لم يكن؟

فإن قالوا: لا، لا يكون شئ إلا فى حالٍ كان، إلا ما كان فى حال لم يكن. فإذا ثبت عليهم هذا، فسلهم عن الحال التى نهاهم الله فيها ، هل كان فى حال النهى شئ؟.

فإن قالوا: لا. فقل: اخبرونى فى الحال التى كان فيها الفعل، ثَمَّ نهى عن ذلك الفعل؟

فإن قالوا: نعم . فقل: افليس كل شئ نهْى الله عنهُ ، فهو فى حالِ فعله، وكونه منهىٌ عنه بعدَ كونه ، فكل ما نهى عنه فى حالِ فعله، فقد يستطيع ترك ما فعل وكان، حتى لايكون بما كان؟!

فإن قالوا: نعم. فقل : فارونى شيئاً واحداً يستطيعون ردَّه بعد ماكان، حتى لايكون كان قطُ؟ فإنهم لن يقدروا فى هذا على جواب ؛ لان الناس لا يستطيعون ردَّ ما كان، حتى لا يكون ما كان، فاحسن النظر.

من المكلف شرعاً؟

الجواب ؛ قال أحمدُ بنُ يَحيى - صلوات الله عليهما - نحن نقول: إن الله ، تبارك وتعالى ، لا يكلف علم الدين، ولا الدين، إلاكل بالغٍ وبالغة من المتعبدين الكاملين ، الكاملة عقولهم وجوارحهم، الساقط عنهم العذر وعلله، فإنا نقول: إنه لم يقع عليهم التكليف ولا الاستطاعة والفعل فى حال واحدة وأن هذا الكلام الذى قلت، يا عبد الله بن يزيد البغدادىّ، كلام فاسد غير صحيح ، ولايجوز أن يكون من حكم الله ،

(١) بالهامش: (غير تلك، ومع تلك الاستطاعة ايضاً فعل ليست استطاعةٌ).

عز وجل ، ولا من دينه ، ولا أمره الذى افترض على عباده؛ ولكنّا نقول : إن الرجل إذا بلغ مبالغ الرجال، وجبت عليه الحجّة؛ لكمال التركيب والعقل ، وفى بنيته التى بُنى عليها تركيب الاستطاعة، حين سقط من بطن أمّه؛ لأنه يتحرك ويقبضُ ويبسطُ ويرضع ويصيح، ويبولُ ويتغوط ويبكى، كل ذلك يفعله بالاستطاعة التى هى فيه، وحركاتُه هى فرْعٌ لاستطاعته، والاستطاعةُ موجودةٌ فيه قبل أن يبلغ، أو يؤمر أو ينهى، فلايزال على تلك الحال الطفولية، حتى يرتفع عن تلك المنزلة، إلى منزلة المشى والإفصاح بالكلام، والمجئ والذهاب والحركة، والأعمال التى يعمل من الأكل والشرب والعدو والقعود، والضرب والعبث واللعب، وما عاين الخلق من أفعال ، الصبيان التى
٢٢ ظ / يفعلونها بالاستطاعة، المركبَّة فيهم قبل الأمر والنهى، ثم جاء حدُّ البلوغ والاستواء ، ولزمت الفرائض، ولو كان الأمر على ما قلتم، أنْ ليس معهم استطاعة قبل فعلهم، لم يجز فى حكمة الله ، عز وجل ، أن يندبهم إلى أمر ليس معهم له استطاعة ، ولا لهم عليه قوة ، ولا لهم به طاقة . وهو يقول ، عز وجل ، : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١) ، و ﴿ .. إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (٢) .

وأما قولك، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، أنا قلنا : إن ذلك إنما يقع جميعاً، وأنه لا يقع بعضه دون بعض، لم تقع الاستطاعة قبل الفعل، ولا الفعل قبل الاستطاعة.

ولعمر الله – لو قلنا ذلك للزمنا ما قلت، ولكنا (٣) نقولُ: إنَّ الاستطاعة قبل الفعل لامعه، وقد كررت من القول فى الاستطاعة ما قد فهمنا، وقد أجبنا على قولك فى الاستطاعة بما أزحنا به حججك كلها، بالصحة الصحيحة، إن الاستطاعة مركبة فى العباد قبل أفعالهم، ولولا ذلك لكانت لهم الحجة على الله ، عز وجل ، أنه كلفهم ما لم يعطهم عليه قوة ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أخذه.

وهذه أفعال الجائر المتعبث، وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى بعدله وصدق قوله ، أنه لا يظلم ولا يجور، ولا يريد الفساد ولا يخلقه ولا يقدره ، جل عن ذلك وتعالى (٤) علواً كبيراً (٥) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) فى الأصل : ولاكنا

(٤) فى الأصل : وتعلى.

(٥) بجوار هذه الكلمة مكتوب بخط رقيق « جزء »

ومن الحجة لنا عليك أن نسألك: إذا وقف الكفار بين يدى الله ، عز وجل ، يوم القيامة، فقال لهم: قتلتم أنبيائى ورسلى..؟

قالوا: قتلناهم بالحق.

فإن قال لهم: وأى حق فى قتل الأنبياء؟!..

قالوا: لأنك قضيت ذلك علينا، ولو لا ما قضيت وقدرت وشئت وخلقت من فعلنا ، ما كذبنا رسلك، ولا قتلناهم.

فإن قال لهم، عز وجل، ما حجتكم أنى قضيت ذلك عليكم، وما فعلتم حق ، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

قالوا، لا حجة لنا ولا برهان أقوى ولا أوضح ، من قولك فى كتابك ، أنك تقضى بالحق، وأنك خير الفاصلين، وكل قضائك فحسن جميل، وكل ما [1] فى الأرض فأنت قضيته وقدرته، وقولنا أنك ثالث ثلاثة، وأن لك الشركاء والأنداد ، وهو قضاؤك وأنت تقضى بالحق كما قلت.

ثم قلت فى كتابك: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [2] ، والواجب لمن صدق عليك ، أن تخلده فى الجنة. فلا بُدَّ لك ، ٢٣ و / يا عبد الله بن يزيد البغداى ولإخوانك المجبرة فى قولهم هذا، وحجتهم بين يدى الله، تعالى، فى قتلهم الأنبياء الله ورسله، وأنه ثالث ثلاثة، وأن له الشركاء والأنداد؛ لأنهم احتجوا بقضاء الله ومشيئته [3] وخلقه لأفعالهم ، زعمتم، وقمتم بعذر جميع الكفار فى قتلهم الأنبياء، وإتيانهم جميع المعاصى ، فلابدً لك من تصديقهم؛ لأنه مذهبك!!..

فإن نكلت عن ذلك ورجعت، وقلت: لا أقول: إن قتل الأنبياء حقٌ ولا صواب، ولا يجوز ذلك لى. لزمك، وأنت مفلوج الحجة، أن الله، عز وجل، يقضى الحق الذى قضى[4] من جميع ما أمر به، من عدلٍ أو صوابٍ أو رشد أوحتم، ليس فيه معصية له،

---

(١) فى الأصل : كلما.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٩ .

(٣) فى الأصل: بقضا الله ومشيته.

(٤) فى الأصل: قضا.

عز وجل، من جميع المعاصى كلها ، وان قتل الأنبياء، عليهم السلام، غيرُ حق، بل هو ابطل الباطل واعظم الكفر والشرك والبهتان، وان قتل الأنبياء، صلوات الله عليهم، ليس من قضاء الله، سبحانه، ولا من مشيئته ، ولا خلق فعل من قتل رسله، فيكون شريكاً فى قتلهم، ومعيناً لمن ظلمهم، وداخلاً فيما عاب على الكافرين، عز عن ذلك كُله، وفى ذلك تركُ اصلك ورجوعك عن مقالتك، وفى هذه المسالة [1] قطع لجميع مسائِلك كلها.

إن الله لا يجبر أحداً مؤمناً كان أو كافراً:

ثم نقول لك ايضاً : وكذلك الرسل والمؤمنون لم يجبرهم الله، عز وجل، جبراً ، ولم يقسرهم على الدخول فيه، إلا بما وهب لهم من العقول والهدى الذى ارسل، ودعا إليه الخلائق وزينه فى قلوبهم، وحببه إليهم بالترغيب فيه وشريف الوعد، والوصف الذى وصف فى الآخرة.

وكذلك ماكره من الكفر، فهو ما خَوَّفَ به من النار والخلود فيها، ثم قال: ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦﴾[2] ، فى آخر الآية ، فاثنى عليهم بالرشد، وهو فعلهم لا فعلُه، ولو كان فعلُه لم يشكرهم عليه ، إلا كما سمعته شكر الشمس والقمر، والسماوات والارض، والليل والنهار، وجميع ماتولى [3] . فهل سمعته شكر شيئاً من ذلك كله، او اثنى عليه، او ان السماوات والأرض، والشجر والدواب والبحار، عنده مشكوراتٌ وراشدات، وكذلك الشمس والقمر والنجوم، هل شكرهن فى شئ من كتابه، او حمدهنَّ او اثنى عليهن، كما اثنى على عباده المطيعين؟!..

معاذ الله، لاناتى فى الحجة ابداً ، ولا نجد لك فيه امراً تكسرُ علينا به، إلا ذكرهن فيما فطرهن عليه ،او ما انعم على خلقه من جعله لهن، فاما غير ذلك، فلا والله، ولا نجده ابداً.

الرد على متشابه المجبرة بمحكم القرآن:

وقد بان من عليه الحق واهله للباطل واهله، ان المجبرة لا يحتجون بآية من المتشابه

(١) وردت فى الاصل: المسلة. (٢) سورة الحجرات : الاية ٧ . (٣) فى الاصل : تولا.

إلا كسرنا / حجتهم بالآيات المحكمات، واعظم الدليل على ان معنا الحق، وان من خالفنا مبطل، انهم لا يقدرون على كسر آية واحدة، مما احتججنا به في العدل، ولايجدون لها تاويلاً يكسرونها به، ولا يردونها علينا بحجة من القرآن ولا غيره، هذا اعظم دليل، وانور برهان، فليقايس جميع من وقع في يده كتابنا هذا، حججنا بحججهم شيئاً شيئاً[1] وحرفاً حرفاً، وآية آية، ثم لينعم النظر، وليحتط لنفسه.

فإن وجد قولهم يقهر قولنا، ويكسر احتجاجنا، علم ان الحق معهم فليلحق بهم، وإن وجد قولنا واحتجاجنا، يكسر قولهم ويبطل دعواهم، ويفسد احتجاجهم، فليعلم ان الحق معنا، والقولَ في العدل قولنا، والقرآن الشاهد لنا، فلا ينظر إلا لنفسه، وليعلم انه من لقي الله، عز وجل، وهوكاذب عليه، ملزم له فعل غيره من الظالمين، انه لا جنة له ولا حجة معه، وانه لا نصيب له في دين محمد، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا من أوله إلى آخره، يشهد للعدل، والبراءة لمن انزله، عز وجل، من الظلم.

دور اللغة في تاويل المتشابه:

واما ما تعلق به الجهالُ من متشابه القرآن؛ لقلة علمهم باللغة العربية عند اهل اللسان، فإن ذلك يفسره اهل العدل على وجه الحق، وتردُّ المتشابهَ الى المحكم، والبيان الواضح بالحجة القاطعة، والشواهد من كتاب الله، عز وجل، بعضهُ على بعض، إذ لا اختلاف فيه ولا فساد ولاتناقض.

الا ترى كيف قال، عز وجل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2]، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، ثم قال: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[4]، ثم قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾[5]، ثم قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾[6]، فمن كان غنياً لم يحتج إلى درجات، ثم قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾[7]، فمن كان الأول قبل كل شئ مما خلق، هل يحتاج إلى درجات؟!.

وإنما الدرجات في لغة العرب عظم القدر والرفعة في المجد، لا انَّ ثَمَّ درجات كما

(١) في الأصل: شيأ شيأ.
(٢) سورة ص: الآية ٧٥.
(٣) سورة الشورى: الآية ١.
(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.
(٥) سورة غافر: الآية ١٥.
(٦) سورة يونس: الآية ٦٨.
(٧) سورة الحديد: الآية ٣.

يعـرفُ النـاس، فكل آية لهـا معنى يحتـاج إلى تأويل، الا ترى كـيـف قال، عـز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ (١) ، وليس احد من الكفار عند الله، سبحانه، خير من احد، وإنما يخرج ذلك من اللغة: أهم أكثر أم قوم تبع (٢)، والذين من قبلهم أهلكناهم، وليس أحد منهم بخير من احدٍ، لأنه لا خير في الكفار كلهم، وليس أيهم عند الله، عز وجل، بخيرٍ ولا رشيد.

ومما يدلك على ذلك في لغة العرب التي قال الله ، عز وجل، فيها : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٣)، فقال الشاعر ما يدل على ما ذكرنا من انه لا خير في أحد من الكفار.

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره — تجد خير نار عندها خير موقد (٤)

٢٤و/ وليس بعض النار خيراً من بعض، وإنما هي نار كلها سواء، ليس بينها فرق، وإنما عنى صاحب اللغة العربية أنها نار، وأراد أنها أوقدت للكرم والمجد والفعل الجميل.

وتقول العرب، إذا ساومها المساوم بالعلق من اعلاقها: أتبيع هذا العلق بكذا وكذا(٥) من دينار؟

فيقول: قد أعطيت خيراً من ذلك!..، لا أن الدنانير خيراً من الدنانير، فافهم هذا.

ثم قال، عز وجل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٦) والله ، عز وجل ، متقدس عن الجوارح والآلات والحواس، وإنما عنى أنه خلق بقدرته التي هي من صفة ذاته ، عز وجل، وقد قال الشاعر:

فحملت من عفراء ما ليس لي به — ولا للجبال الراسيات يدان (٧)

والجبال ليس له أيدى ، ولكن جاز ذلك في اللغة العربية، وقال آخر :

وإذا عادتني العوائد يوماً — قالت العين ولا أرى من أريد (٨)

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣٧.

(٢) انظر المعجم الوسيط: جـ١ / ٢٧٧، مادة «درجة».

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤.

(٤) البيت للحطيئة في ديوان ، ص٥١، وكذلك في الاغاني، ٢ / ٦١، وجمهرة اللغة، ٢ / ٨٧١.

(٥) وردت في الأصل: كذا وكذا.

(٦) سورة ص: الآية ٧٥.

(٧) تخرج بيت الشعر: لم اجده.

(٨) تحرج بيت الشعر: لم اجده.

والعين لا تقول شيئاً ، إنما يقول اللسانُ، فجاز هذا في اللغة العربية، وكل ما [1] ذهبت إليه المجبرة من التعلق بمتشابه القرآن، فكله يجرى عند التفسير على هذا النحو، ولولا طول الكتاب لشرحنا كثيراً من ذلك، بشواهده والاحتجاج فيه.

ولعلنا على فرغة قلب، أو سلوة في شغل، سنضع كتاباً، بحول الله وقوته، ونذكر فيه جميع المتشابة في القرآن ونحتج فيه باللغة العربية وشواهدها، من أشعار العرب البينة ولغاتها، إن شاء الله.

وفي بعض ما قلنا اكفى [2] الكفاية، لمن أراد الرجوع إلى القول بعدل الله، عز وجل، ولم يلحد في صفته، ولم يشبهه بخلقه، ولم يجوره في حكمه، ولم يعدل بالحق إلى غير أهله.

تابع رد أحمد في الإستطاعة :

قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما، ثم إن **عبدالله بن يزيد البغدادى** افتتح في باب الاستطاعة فأكثر فيه القول والاحتجاج، يريد أن يثبت أن الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل، فرأينا أن نجيبه في الاستطاعة، بجمل تقطعه وتفسد عليه دعواه، ويبين فيه كسره، باختصار اختصرناه، من الحجة الباهرة له، ولإخوانة **المجبرة**، والقوة بالله وله.

٢٤ط / فقبل أن نجيبه عن الاستطاعة، نسأله عن أشياء قبلها، مما يفسد عليه **المجبر**.

إرادة الله ورسوله في الأصل الإيمان :

وذلك أنا نسأله عن النبى، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وسلم، ما أراد من الكفار؟

فإن قال : أراد منهم الكفر.

قلنا له : وكيف أراد منهم، وهو يقتلهم عليه، ويمنعهم منه؟!

فإن قال : أراد منهم الإيمان.

قلنا له : فما أراد الله ، عز وجل، منهم؟

---

(١) وردت في الأصل : كما.

(٢) وردت في الأصل : اكفا.

فإن قال: الإيمان [١] .. صدق ورجع عن قوله، وصار الى قولنا بالعدل.

وإن قال أراد منهم الكفر، وجب عليه انه الزم رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، انه مخالف لله، عز وجل، وانه أراد من الكفار، خلاف ما أراد الله، جل ثناؤه؛ لأنه أراد منهم أن يؤمنوا، وأراد الله منهم أن يكفروا، على قود قوله!..

ما أراد إبليس من الكفار؟:

ثم قال له: فأخبرنا عن إبليس ما أراد من الكفار؟

فإن قال: أراد منهم الإيمان .. كَذَّبه جميع الخلق .. وإن قال: أراد منهم الكفر.

قلنا له: فكذلك هو، ولزمه واصحبه أن إبليس موافق في إرادته لإرادة الله، سبحانه، وأن محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله، مخالفٌ لله في إرادته!.. وكفى بهذا عمى[٢] وجهلاً وفضيحة، على من يدعى أنه محقٌ ومن خالفه مبطل!..

ثم يقال له: أخبرنا عمن رأيته يكفر بالله، سبحانه، أقد افترض عليك الا تريد ذلك الكفر منه؟

فإن قلت: نعم ذلك على واجبٌ.

قلنا لك: أو ليس قد أراد الله، جل ثناؤه، ذلك الكفر منه؟

فإذا قال: نعم. قلنا له: فأيهما افضل، ما أردتَ منه أنت، أو ما أراد الله، عز وجل؟!

فإن زعم أن ما أراد الله أفضل مما أراد هو، زعم .. وجب عليه أن الكفر أفضل من الإيمان!!.. فكفى بهذا نقضاً[٣] على قائله.

هل يصنع الكذب من ليس بكاذب؟

ثم نقول له: من جعل الصدق في قلوب المؤمنين؟

فإن قال: الله، عز وجل، جعل ذلك .. قلنا له: فمن جعل الكفر في قلوب الكافرين؟.. فإن قال: الله جعل ذلك.

---

(١) هذه العبارة مكررة من حيث المعنى.
(٢) وردت في الاصل: وكفا ... عما.
(٣) وردت في الاصل: نقضاً.

قلنا له: فهل يصنع الكذب من ليس بكاذبٍ؟!

فإن قال: قد يصنع الكذب من ليس بكاذب.

قلنا له: فلم لا يصنع الظلم من ليس بظالم؟!!

فإن قال: أما من الخلق، فلا يصنع الكذب إلا كذاب، ولا الظلم إلا ظالم، وأما الله، جل ثناؤه، فيصنع الكذب والظلم، ولا يكون كاذباً ولا ظالماً.

قلنا له: فما المعنى الذى صار به العباد ظلمةً كذبةً، هل هو شئ أكثر من ان يصنعوا الكذب والظلم؟!.. وقد زعمت ان الله، عز وجل، صنعهُ فى قلوب العباد، ٢٥ و / فما جعل هؤلاء اولى [١] بالكذب والظلم منه فى قوله؛ إذ لم يكن ثم معنى اكثر من انهم/ صنعوا الكذب والظلم، وقد صنعه الله، عز وجل عما قلتم، كما صنعوه، زعمتم، فما الفرق عندك؟!

تفرق المجبرة بين من يصنع الشئ بنفسه ومن يصنعه فى غيره؟!

فإن قال: من قبل انهم مامورون، وليس هو بمامور، فمن ثم كان ذلك منهم كذباً وظلماً، ولم يكن منه بكذبٍ ولا ظلم.

قلنا له: افليس قد يجوز ان يخبر الله عما لم يكن، فيقول: قد كان كذا وكذا[٢].. ولم يكون ذلك الذى قال بحق، ولا يكون منه بكذب؛ لانه ليس بمامور؟!..

فإن اجاز ذلك، لزمه لنا ان لعل ما اخبر الله، عز وجل، عن الامم السالفة انه لم يكن بحقٍ، ولا يكون ما وعد من الجنة والنار بحق، وغير ذلك!.

ثم نقول له: ما تقول فى رجل وقع فى نفسه ان الله، عز وجل، احد فردٌ، لا شبيهَ له ولا نظير، ولا عديل ولا مثيل؟.

فإن قال: الله أوقع ذلك فى قلبهِ.

قلنا له: أفصدقَ الله فيما أوقع من ذلك فى قلبه، ام لا؟

فإن قال: صدقَ الله.

---

(١) وردت فى الاصل: ها ولا اولا.

(٢) وردت فى الاصل: كذى وكذى.

قلنا له: صدقت، وقلتَ الحق.

ثم نقول له: فما تقول في رجل وقع في قلبه أن الله، عز وجل، ثالثُ ثلاثةٍ، وأن له شريكاً وضداً. مَنْ أوقع ذلك في قلبه؟

فإن قال: الله.

قلنا له: أفصدق، سبحانه، فيما أوقع في قلبه، أم لا؟

فإن قال: إن الله، عز وجل، صدق فيما أوقع في قلبه.

قلنا له: فقد لزمك أن قول المشركين: إن الله ثالث، صدق وحق؛ لأن الله، تعالى، لا يفعل إلا الصدق والحق!.. وقد كفرت وخرجت من الإسلام!!

وإن قلت: إنه لم يصدق. كفرت أيضاً، وغلطت وخرجت من الإسلام (بقولك)[1]: إنه لم يصدق.

الله أعدل وأحكم من أن يوقع في قلب أحد كفراً أو إلحاداً أو تشبيهاً:

ولا مخرج لك من هذه المسألة، إلا بالرجوع إلى قولنا، والتوبة إلى الله، عز وجل، ومن ظلمنا، قولك: إنا قدرية مفترون على الله، تبارك وتعالى، فمن المفترى على الله، عز وجل، أنحن أم أنت؟!.. ألا لعنة الله على الظالمين!

ولا نجاة لك من النار حتى تقول: إن الله، سبحانه، أجل وأعظم وأعدل وأحكم، من أن يوقع في قلب أحد كفراً ولا إلحاداً ولا تشبيهاً، عز عن ذلك وتعالى رب العالمين.

ثم نقول لك: هل يجب على الخلق أن يعملوا بما يشاء الله، عز وجل، منهم، وأحب وأراد، أم يجب لهم أن يخالفوه في مشيئته[2] ومحبته وإرادته؟

فإن أقررت أنه يجب عليهم لله، عز وجل، أن يوافقوه في جميع ما أراد وأحب وشاء.

لا يشاء الله الكفر ولا يحبه ولا يريده:

٢٥ ط / قلنا لك: فهل شاء الله الكفر وأحبه وأراده / وخلقه؟

---

(١) مطموسة في الأصل، ومصححة بالهامش.

(٢) وردت في الأصل: مشيئه.

فإن قلت: نعم. قلنا لك: فقد يجب على الناس أن يكفروا بالله جميعاً، أنْ كان يجبُ عليهم أن يوافقوه في إرادته، وقد أراد الكفرَ وخلقه، زعمت!.

وإن قلت: إنه لا ينبغي للناس أن يوافقوا الله، عز وجل، في مشيئته [1] لكفر الكافرين، وظلم الظالمين.

قلنا لك: فإذاً يلزمك أن تخالفه في ذلك!

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: ومخالفة الله في ذلك، أصلح لك وللخلق من موافقته، فلابد لك من ذلك، على قود قولك واعتقادك، والرجوع الى قولنا بالعدل، ويلزمك أن الكفر أصلح من الإيمان!!.

ومن الشاهد لنا على بطلان ما قلت. قول الله - عز وجل- : ﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [2]. وقوله: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [5]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [6]، ولا نعلم عسراً أعسر ولا أعظم من الكفر، الذي قلت أنه أراده لعباده وخلقه فيهم، ومن قال بقولك من المجبرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون!!!..

ثم نسألك فنقول لك: هل لله على العباد حجة؟.. فإذا قلت: نعم.

قلنا لك: أو ليس قد أمرهم بالطاعة، وأعطاهم القوة عليها، وعلى ماأمرهم به؟

فإذا قلت: نعم. قلنا لك: فما حجتُهُ عليهم فيما يفعلون؟

فإن قلت: أمره ونهيه.. قلنا لك: فهل تجدون في عقولكم أنه أمركم، ولم يجعل لكم السبيل إلى ما أمركم به، ولا غناء عما نهاكم عنه، فحجته عنكم ساقطة،

---

(١) وردت في الأصل: مشيته.
(٢) سورة الزمر: الآية ٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.
(٤) سورة غافر: الآية ٣١.
(٥) سورة النساء: الآية ٢٦
(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

لعذركم القائم الواضح؟!.. فلا يوجد ما سألنا عنه فى عقل أحد من الناس ، فكفى بهذا جهلاً!! [1].

وإن كان الله، عز وجل، قد أمر ونهى ، ولم يقو [2] الخلق على ما أمرهم به ، ولم يُغنهم عما نهاهم عنه، فما حجة الله على عباده إذا سألهم يوم القيامة، فقال لهم: لمَ لمْ تفعلوا ما أمرتُكُمْ به؟!.. فقالوا: لم تجعل لنا السبيل إلى الطاعة، وحلت بيننا وبين النجاة؛ لأنك، على قول عبدالله بن يزيد البغدادى، لم تُرد أن نؤمنَ، فيبطلَ علمُكَ!!

وقد قلت فى كتابك: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [3]، ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ۝٢١ ﴾ [4]، فما ظنك بقوم هذا الجهلُ اعتقادهم فى صفة الله، عز وجل وقلة المعرفة بعدله، وترك التدبر لكتابه، وقد قال: ٢٦و / ﴿ لِئَلاَّ / يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [5] ، لما أعذر وأنذر، وحذر ورغّب، وأبلغ فى المواعظ، وضرب الأمثال.

رد دعاوى المجبرة فى الاستطاعة :

فلم يلتفتوا إلى ذلك، وألزموه ذنوبهم، ونسبوا إليه فواحشهم، بعدما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ [6]، وزعموا أنه لايجوز لقائل أن يقول: إنه لا يستطيعُ شيئاً من جميع الأشياء قبل أن يفعله، ولا يستطيع أن يفعل ما علم الله منه أنه لا يفعله!

وزعموا أن الذى دعاهم إلى ذلك أنهم قالوا: إن العباد لا يستطيعون الأفاعيل كلها ، قبل أن يفعلوها ، و[7] أنهم قبل أن يفعلوها فاعلين لغيرها، وأنهم زعموا أنهم فى حال الكفر، يستطيعون الإيمان، يجب عليهم - زعموا - أن يزعُمُوا أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك الذى زعموا ، محال.

---

(١) فى الأصل: فكفا.
(٢) جاءت فى الأصل : يقوى.
(٣) سورة النساء : الآية ٣٩.
(٤) سورة الانشقاق: الآيتان ٢٠ - ٢١.
(٥) سورة النساء : الآية ١٦٥.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٨.
(٧) ليست بالأصل.

وزعموا ان الذى دعاهم إلى ان يزعموا ان من علم الله منه انه يفعل شيئاً، انه لا يستطيع ان يفعل خلافه؛ لانهم قالوا: لو قلنا: إن ذلك امراً يستطاعُ، للزمنا ان العباد يستطيعون تجهيل الله، عز وجل، ففسد القول - زعموا - بانهم يستطيعون ان يفعلوا ما علم الله انهم لا يفعلونه ؛ لان ذلك - زعموا - يوجبُ على قائله ان يقول : إن العباد يستطيعون تجهيل الله، سبحانه، فمنعهم - ذلك - ان يقولوا: إن العباد لن يستطيعوا ان يفعلوا ما علم الله انهم لا يفعلونه، فذلك - زعموا - ان العباد يكلفون من الفعل ما لا يستطيعون.

جواب الناصر احمد بن يحيى :

الجواب، قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليه - : ثم نقول لهم: اليس إنما كرهتم ان تقولوا: إن العباد يستطيعون الإيمان فى الحال التى هم عليها كفار، من قِبَل ان ذلك يوجبُ عليكم ان تزعموا انهم يستطيعون ان يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك محال عندكم؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: اليس قد امرهم الله ، عز وجل، فى حال الكفر ان يكونوا مؤمنين؟! فمن قولهم : إن الله، عز وجل، قد امرهم فى تلك الحال من الكفر ان يكونوا مؤمنين.

فنقول لهم: أو ليس قد لزمهم فى حال الكفر ان يكونوا مؤمنين؟! وذلك، عندكم، المحال الذى كرهتموه، وزعمتم انكم إذا اثبتم الاستطاعة لانفسكم عليه، اثبتم الاستطاعة على المحال، فإن كان من أثبت انه يستطيع الكفر فى حال الإيمان اثبت بذلك انه يستطيع المحال /

٢٦ ظ/ فلم لا يكون من زعم انه مامور بالإيمان فى حالِ الكفرِ ، زاعماً انه مامور بالمحال، كان المامور به هو الذى احلتم انه يستطيع، وكانت الحال التى قلتم هو فيها مامور بالإيمان؟!.

فإن قالوا: من قبل انا قلنا: إنه فى حال الكفرِ ماموٌر بان يفرِدُ الإيمان فيها ، فيكون بدل الكفر، ولا يكون الكفرُ، فلا يستحيلُ ذلك.

قلنا لهم عند ذلك: فلمَ لا تقولوا: إنه أيضاً[1]، يستطيعُ فى حال الكفر أن يفردَ الإيمان فيها، فيكون كفراً، فلا يستحيل ذلك؟

ونقول لهم أيضاً[2]: خبرونا عن قولكم إن العبد لا يكون مستطيعاً للفعل إلا فى حال الفعل.

مثال يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل:

فاخبرونا عن رجل أعتق عبده، متى أستطاع أن يعتقه؟.. فى حال هو فيها عبد، أم فى حالٍ هو فيها حرٌّ؟!

فإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه فى حال هو فيها عبدٌ. لزمهم أن الاستطاعةَ قبل الفعل، وذلك الحقُ، وهو قولنا؟ لأن حالَ العبودية قبل حال العتق، وقد تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا .

وإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه وهو حرٌّ . لزمهم فى قولهم أن الناسَ يستطيعون عتق الأحرار !! وهذا خروج من المعقول.

ثم نقول لهم خبرونا عن الأحرار ، محتاجون هم إلى العتق ؟!

فإن قالوا: لا .. قلنا لهم: فإذا كانوا فى حال الملك لا يقدرون على أن يعتقوهم وفى حال الحرية لا يحتاجون الى العتق، وإذا استغنوا عن العتق، استغنوا عن الاستطاعة على العتق فى تلك الحال؛ وهى حال الملك ليست حالهم، وقد أعتقوا ، فقد فعلوا إذاً العتق بغير استطاعة، فيلزمهم ترك قولهم.

وإن زعموا أنهم فى حال العتق محتاجون إلى العتق، قلنا لهم : أو ليس هم فى تلك الحال أحرار؟!!

فإن قالوا: نعم. قلنا لهم : فإذاً كانوا أحراراً فما حاجتهم إلى العتق؟!

وكيف يحتاجون إلى العتق أن يكون، وقد كان ؟!... وليس تخلو[3] حاجتهم إلى أن يكون العتق فى حال العتق، من أن يكون قد قضيت أو لم تقض، فهم عبيدٌ

---

(١) ، (٢) وردت فى الأصل ايضى.

(٣) فى الأصل : يحلوا .

فى تلك الحال التى فيها استطاع المعتق عتقهم! .. وفى ذلك ترك قولهم، والرجوع إلى ان الاستطاعة قبل الفعل ، إذ [1] كانت العبودية قبل الحرية.

وإن كانت حاجتهم إلى ان يكونَ قَدْ العتق قَدْ قضيت، فمن قد قضيت حاجته مستغن، فهم مستغنون فى حال العتق عن العتق، وإن استغنوا عنه فى تلك الحال، ٢٧و / استغنوا عن الاستطاعة [2] عليه ، فهم قبل تلك الحال لا استطاعة لهم، ورجع لهم الأمر إلى انهم قد فعلوا العتق بغير استطاعة، وكفى [3] بهذا حجة لمن عقل.

ومثال آخر :

ونقول لهم : خبرونا متى استطاع الرجل ان يطلق امراته؟

فإذا قالوا : مع الفعل .. وكذلك يقولون.

قلنا لهم: ومع الفعل هى امراته، أم ليست امراته؟

فإن زعموا أنها امراته .. تركوا قولهم ولزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأنها إذا كانت امراته فى تلك الحال، فتلك الحال قبل حال الطلاق؛ لأنه لو كان الطلاق فى تلك الحال لم تكن امراته.

فإذا استطاع طلاقها - وهى امراته - فقد استطاع الطلاق قبل الطلاق ، وأنه - زعموا - إن استطاع تطليقها وليست بامراته - زعموا - لزمهم أن الناس يقدرون أن يطلقوا غير نسائهم ، وهذا نحو ما أوجبناه عليهم فى العتق.

ومثال ثالث :

ثم نقول لهم ايضاً [4] . خبرونا عمن كان فى يده حجر، فالقاه من يده، متى استطاع ذلك.. والحجر فى يده أو خارجٌ من يده؟

فإن قالوا: استطاع ذلك والحجر فى يده، لزمهم لنا ان الاستطاعة قبل الفعل، وذلك

---

(١) بالأصل : إذا .

(٢) فى هامش تلك الصفحة شرح ليس من صلب الكتاب ولا تعليقاً عليه، بخط حديث.

(٣) وردت فى الأصل: وكف.

(٤) فى الأصل : ايضىً .

عندنا هو الحق، وتركُ قولهم؛ لأن الحجر إن كان في تلك الحال في يده، فتلك الحال حال إمساك، وليست بحال إلقاء ، والإمساكُ قبل الإلقاء ، وذلك الرجوع إلى أن **الاستطاعة قبل الفعل**.

وإن زعموا أنه استطاع إلقاء الحجر، والحجر خارجٌ من يده. لزمهم أن الناس، في قولهم، يقدرون على أن يلقوا ما ليس في أيديهم! .. وهذا الخروج من المعقول.

مثال رابع :

ثم يقال : خبرونا عن رجل ملك مائتي درهم قُفَلةً [١]. أليس قد فرض الله، سبحانه، عليه الزكاة؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فإنه قد دفع منها خمسة دراهم إلى إمام هُدى [٢] ، أليس قد استطاع دفع ما افترض عليه، وأُمِرَ به في تلك الحال.

فإن قالوا: نعم. ولابد لهم من ذلك، قلنا لهم : فكم يملك في حال الدفع، مائتين[٣] أم مائة وخمسةً وتسعين؟

فإن زعموا أنه يملك مائتي درهمٍ . قلنا لهم: فهو في حال دفع الخمسةِ الدراهمِ إلى إمامٍ عادلٍ لم يدفعها ؛ لأنه لو دفعها لم يكن بمالكٍ [٤] لها . فإذا كان في تلك الحال – زعموا – أنه استطاع دفع الخمسةِ الدراهم ، وهو مالك لها، وحال الملك قبل حال ٢٧ظ / الدفع، وذلك **الإثباتُ للاستطاعة قبل** / الفعل. وهو الحق، وهو قولنا: وإن زعموا أنه في تلك الحال دفع، وليس يملكُ منها إلا مائة وخمسة وتسعين. لزمهم في قولهم أن الله، عز وجل، افترض الزكاة على من لا يملك، إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً! .. وهذا الخروج من دين الإسلام، والرد للحق عياناً بالمكابرة، وذلك أنهم زعموا أن الله، عز وجل، فرض عليه في حال دفع الخمسةِ أن يدفعها، وهو في حال دفعها لا يملك إلا مائة [٥] وخمسةً وتسعينَ درهماً، فوجبَ عليهم أن يزعموا أن الله، جل ثناؤه، فرض على من لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً ، أن يزكيها في قولهم ، وحاشا لله من ذلك.... وكفى [٦] بما قلنا قاطعاً لهم.

---

(١) أي جمعها ، وصارت له في حرزه.

(٢) في الأصل: هذا.

(٣) في الأصل: مئتين.

(٤) في الأصل: لما لك.

(٥) في الأصل. مئة

(٦) في الأصل: وكفا.

ثم نقول لهم: أليس في قولكم واعتقادكم واحتجاجكم علينا، في كتابكم الذي وضعتم، وزعمتم أنا نفرُّ منه، وأنا لا نقدرُ لكم فيه على جواب ؟!..

وقلتم: إن الناس لا يقدرون على شئ من جميع الأشياء، حتى يحدث لهم قوةٌ لذلك الشئ؟

يسمع المجبرة ضعيف الأصوات ولا يسمعون الرعد !!

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم. فهل تدرون لعلكم الساعة ليس فيكم قوة على استماع الرعد والصواعق. ولعلها موجودة عندكم، وليست فيكم القوى على استماعها؟

فإن أجازوا ذلك، لزمهم أنهم لم يدروا لعل الصواعق تكون عندهم، ويستمعها أهلُ بلد هم غيرهم، فلا يسمعون ذلك، ولعلهم لم يعطوا القوة على استماع الرعد والصواعق ، واعطوا القوة على استماع السرار والمخافتة الغامضة!..

ولا يرون الجبال ويدعون رؤية الذر!

وكذلك لعل الجبال، والجبال الرواسي بين أيديهم وهم لا يرونها ، ويرون الذرَّ في صغره، وما هو أصغر من الذرة !.. من قِبل أنهم أعطوا القوة على أنْ يروا الذر ويستمعوا السرار الخفيَّ ، ولم يعطوا القوة على أن يسمعوا الصواعق، ويروا الجبال الرواسي، فهذا غاية التجاهل والتعالي، وقلة النصفة للعقول !!

ومع انه يجب عليهم إذْ أجازوا هذا القول، أن يضربوا بالسياط ويحرقوا بالنار، فلا ٢٨و/ يعلمون ذلك ولا يألمون له!.. وإن كرهوا الإقدام على هذا القول، وقالوا: إذا / سمعنا السرار، فنحن للرعد أسمعُ.

قلنا لهم عند ذلك: أليس القوة على استماع الرعد، هي غير القوة على استماع السرار؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: فلمَ لا يجوز أن تعطوا القوة على السرار، وتمنعوا القوة على استماع الرعد؟!..

فإن أجازوا ذلك، وجبَ عليهم الكلام الأول، حتى يقولوا أنهم في الحال التي يسمعون فيها السرار، لا يسمعون فيها الصواعق وصوت الرعد، وإن هم لم يجيزوا

القوة على السرار، إلا وقد أعطوا القوة لاستماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك يجبُ أن من أعطى[1] القوة على حمل مائة رطل فحملها، أنه يقدر على حمل رطل واحدٍ لم يحمله، إذْ [2] كان لا يُعطى القوة على شئ، إلا أعطى القوة على ما هو أيسرُ منه.

وفى هذا ترك قولهم؛ لأنهم يزعمون أنه قد يكون الرجل حاملاً لمائةِ رطلٍ، وهو عاجز عن (حملِ)[3] رطلٍ واحدٍ فى ذلك الحال!

وإن زعموا أن القوة على استماع السرار، هى القوة على استماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك القوة على حمل مائة رطل، هى القوة على حمل رطلٍ واحدٍ.

فإن قالوا: لا.. قلنا لهم: فما الفرق بينهما، ولا نعلم له فرقاً؟!

فإن قالوا: نعم. القول كما قلتم. خرجوا من قولهم، وبطلت دعواهم، ولزمهم أن من حمل مائة رطل، فقوى على حملها، أنه يقدر على حمل رطلٍ واحدٍ لم يحمله، إذْ[4] كانت القوة على شئ، فهى القوة على ما هو أخف منه وأيسر، ولا يقدر على ردِّ هذا إلا جاهل أو متجاهل، مكابرٌ ليس مثله يكلم.

حول الاستطاعة الإنسانية وعلم الله:

ونقول لهم: أليس نحن إذا قلنا: إنا نستطيع أن نفعل ما علم الله، عز وجل، أنا لا نفعله، فقد زعمنا، ولزمنا أنا نستطيع أن نجهِّلَ الله، عز وجل؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فخبرونا عن الله، جل ثناؤه، هل يقدر أن يجعله فينا؟

فإن قالوا: نعم؛ فقد زعموا أنه [5] يقدر على تجهيله، وذلك مثل ما زعموا أنا نصير إليه، بكذبهم علينا وفريتهم.

وإن زعموا أنه لايقدرُ على شئ؛ وصفوه بالعجز، ومن عجز عن شئ، فليس بإله، وإن ألجأتهم[6] حجتنا، هذه القاطعة العظيمة الجليلة، إلى أن يقولوا: إن هذه مسألة محال، فلا يقال فيها، يقدر ولايقدر.. استكباراً منهم عن الحق وجحوداً، خوفَ الغلبة.

---

(١) وردت فى الأصل: يعطا، ومعنى كلامه ان من أعطى القوة على حمل الكثير حمل القليل واليسير.

(٢) فى الأصل: إذا.

(٣) ليست بالأصل.

(٤) فى الأصل: إذا.

(٥) فى الأصل: غيرواضحة.

(٦) فى الأصل: الجتهم.

قلنا لهم: فخبرونا عن قوله، عز وجل، ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ④ ﴾ [1]، ٢٨ظ/ وقد علم انه لايفعله، وقوله: ﴿ ولو / شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ [2]، وقوله: ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ [3] ، وقوله: ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [5]، واشباه ذلك من القرآن يطول ذكره.

مثال على أنهم يستطيعون الإيمان ولا يفعلونه :

فنقولُ: كيف يجوز عندكم ان يقول، عز وجل: لو شئت لفعلت كذا وكذا [6] ، وذلك محال؟!.. زعمتم - حيث اضطركم احتجاجنا ، فلم تقدروا على حيلة ، إلا ان قلتم: هذه المسالة محال!

وكيف يجوز ان يقول، جل ثناؤه: ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ④ ﴾، ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك.. ﴾ [4] ، والقدرة على ما يعلم انه لا يفعله عندكم - زعمتم - محال!

وإن تابوا ورجعوا إلى ان الله، سبحانه [7]، يقدر على فعل ما يعلم أنه لا يفعله، ولا يكون يلزم احداً تجهيله ،فذلك الحق، وهو قولنا: قد يقدر الناس على ما علم الله، عز وجل، انهم لا يفعلونه، ولايكون ذلك بتجهيل الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لانهم يقدرون ان لا يكفروا وان لا يعصوا، وان لا يشركوا، وان لا يعملوا الكبائر.

ونقول : اليس قد امر الله، عز وجل، المشركين بالإيمان ان يفعلوه؟!

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فإذا ابوا ان يؤمنوا، فقد امرهم، سبحانه، بتجهليه!..

فإن قالوا: لا .

قلنا لهم: فكيف وجب علينا، عندكم، الخطا حين قلنا لهم انهم مستطيعون لتجهيل ربهم ، وقول القبيح فيه، عز وتعالى ، ولا يلزمكم لنا ان تقولوا انهم مامورون

---

(١) سورة القيامة : الآية ٤ .
(٢) سورة السجدة: الآية ١٣.
(٣) سورة الاعراف : الآية ١٧٦ .
(٤) سورة الاسراء : الآية ٨٦.
(٥) سورة يس: الآية ٨١.
(٦) في الأصل: كذى وكذى.
(٧) في الأصل: سبحنه.

بتجهيله، إذ أمرهم بفعل ما علم أنهم لا يفعلونه ، والمأمور به من الإيمان هو المستطاع، فكيف يجب علينا فى إثبات الاستطاعة عليه، إثبات الاستطاعة على التجهيل؟! . . ولا يلزمكم أنتم فى إثبات الأمر به، إثبات الأمر بالتجهيل ، وهو واحد مأمور به - عندكم - مستطاعٌ فعله عندنا؟!

فإن زعموا أن الأمرَ ليس أمرٌ بالتجهيل، قلنا لهم: فكذلك الاستطاعة، ليست بالاستطاعة على التجهيل ، فكلما ألزمونا شيئاً فى الاستطاعة [1] ، عارضناهم فى الأمر حتى يرجعوا إلى أنه ليس الاستطاعة عليه، استطاعة على التجهيل، ولا الأمر به أمراً بالتجهيل وذلك هو الحقُ ، وقهرناهم عند ذلك ، وبانت غلبتهم .

مثال آخر على الاستطاعة للحج وعدم فعله:

ونقول لهم : أليس إنما فرض الله، عز وجل، الحج على من استطاع؟

فإن قالوا: لا . فرضه على من لا يستطيع. /

٢٩و/ ردوا قول الله، عز وجل، وكذبوا كتابه حيث يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [2] .

وإن قالوا: لم يفرضه إلا على من استطاع.

قلنا لهم : خبرونا عمن استطاع هل يمكنه ألا يحج؟

فإن قالوا: نعم. تركوا قولهم فى أنه لا يستطيع الشئ من علم الله أنه لا يفعله، إذا استطاعه، ومن لم يفعله فقد استطاع ما لم يفعله ، وما علم أنه لا يفعله وذلك ترك لقولهم، إذ زعموا أنه لا يستطيع الحج إلا من حج، وإنما فرضه الله، جل ثناؤه، على من استطاع، فإنما فرض الحجُ على من قد حج، فأما من لم يحج، فلم يفرض الله عليه الحج؛ لأن الذى لم يحج، لم يستطيع الحج، وإنما الحج على من استطاع.

فقد لزمهم بذلك أن يزعموا أن الحج ليس بفرض، على من لم يحج، والذى لم يحج ليس يستطيع الحج، إنما الحج على من قد حج؛ لأن الذى حج يستطيع الحج!! . . وفى هذا الذى قالوا ، ترك قول أهل الصلاة، ومفارقة دين محمد، صلى الله عليه.

---

(١) فى الأصل: والاستطاعة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

مثال ثالث على العتق:

فنقول لهم: خبرونا عن قول الله، عز وجل، ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ [1]، فخبرونا عمن [2] كان صحيح البدن، قد ظاهر من امرأته، ولم يجد رقبة، فترك العتق، واطعم ستين مسكيناً؛ أكان مستطيعاً للعتق؟..

فإن زعموا أنه كان مستطيعاً للعتق، فقد زعموا أنه يستطيع العتق من يدعه، وذلك ترك ما بنوا عليه كلامهم؛ لانهم زعموا انه لا يستطيع احد شيئاً إلا فعله.

وإن زعموا انه لم يكن يستطيع العتق إذ تركه، فقد زعموا انه من كان صحيح البدن سليم الجوارح، وظاهر من امرأته، فاطعم المساكين ولم يعتق، ان ذلك جائز له، إذ كان لا يستطيع؛ لأن الله، عز وجل، إنما فرض إطعام المساكين، على من كان لا يستطيع العتق، فإذا كان تاركاً للعتق ولا يستطيعه، فليس عليه العتق، وإنما هو على من يستطيعه، وفي إثبات انه لا يستطيع العتق تارِكُه، إثبات أنه ليس عليه؛ لأن العتق على من يستطيعه!.. وفي ذلك القول الخروج من دين الإسلام، والخلاف لمحمد، عليه أفضل السلام، فيما جاء به من الأحكام.

٢٩ظ / وإن زعموا انه لم يكن يستطيع، وانه قد فرض / عليه، ردوا قول الله، جل ثناؤه: ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ وردوا على جميع الأمة.

مثال رابع على استطاعة المنافقين الخروج ولم يخرجوا:

ثم نقول لهم أخبرونا: ما تقولون في قول الله، عز وجل: ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3]، فهؤلاء [4] القوم الذين تخلفوا عن

---

(١) سورة المجادلة: الآيات ٢ – ٤.

(٢) في الأصل: عن من.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٢.

(٤) في الأصل: مها ولا.

الخروج مع النبى ، صلى الله عليه، فكذَّبهم الله، عز وجل، فيما قالوا، وبطل قولهم ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾[1] ؛ لأن الله، سبحانه[2] ، علم أنهم يستطيعون الخروج قبل الخروج، ولذلك لزمهم الذنب وصاروا عصاةً.

الدليل القرآنى على أن الاستطاعة قبل الفعل:

ونقول لعبد الله بن يزيد البغداى ، ولمن قال بقوله من المجبرة الكاذبين على الله، عز وجل: ومن الدليل علينا لكم، وظهور حجتنا على حجتكم، وغلبتنا لكم، أن الاستطاعة قبل الفعل، بشواهد قوية من كتاب الله، عز وجل، وقد قال ، عز وجل، : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [4]، وقال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [5].

فمن ذلك الآية الواضحة الصادقة القاطعةُ لكم من كتاب الله، عز وجل ثناؤه، حين يقول: ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ [6]، فاخبر، عز وجل، أن وليه قد يستطيع الإملاء ، والإملاء [7] معدوم لم يفعل بعدُ ، ولو كان الولى لا يستطيع أن يُملَّ أيضاً، كما الضعيف الزَّمِنُ لا يستطيع أن يملَّ، لم يكن للآية معنى، ولكان تأويلهم على قود قولكم!

فإن لم يستطيع هذا الضعيف أن يملَّ هو، فليملْ وليهُ الذى لا يستطيع أيضاً [8] ، إذا كانت الاستطاعة مع الفعل ، زعمتم !!

والله، عز وجل ، متقدسٌ عن مثل هذا الكلام الذى لايجوز؛ لأن الرجل الضعيف الذى توجد فيه الاستطاعة، وعدمت عند الإملاء، قد صحَّ أنه لم يقدر لضعفه وزمانته، إن الله، عز وجل، قد أخبرنا وأعلمنا أن قرينه ووليه، الذى هو أقوى منه، السالم من الضعف، فيه الاستطاعة موجودة قبل الإملاء، وكفى بهذه الآية شاهداً عدلاً، والحمد لله.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٢.

(٢) فى الأصل: بياض.

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢

(٤) سورة النساء: الآية ٨٧ .

(٥) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٧) فى الأصل: إلا ملا والاملا.

(٨) فى الأصل: ايضىً.

الاستدلال من جهة القياس أن الاستطاعة قبل الفعل:

ومما يدل على ذلك من القياس، أنَّ الأمرَ لو كان على ما ادَّعت المجبرة من كذبها على الله، عز وجل، من أن الاستطاعة مع الفعل تحدث في حال الفعل، لكان الكافر لا يؤمن أبداً حتى تأتيه استطاعة الإيمان، وكانت الاستطاعة لا تأتيه أبداً، وهو كافر بالله؛ لأن الكافر لا يستحق من الله، جل وعز، لطيفةً ولا مادةً ولا معونة، ولو كان هذا ٣٠و/ هكذا(١)، لما جاز أن يؤمن كافر(٢) أبداً بوجهٍ من / الوجوه، حتى تأتيه مادةٌ من الله، عز وجل، تجبره على الإيمان(٣).

ألا ترى أن رجلاً لو كان في بئرٍ فقيل له: إنك لا تخرجُ من هذا البئرِ، حتى تؤتى بحبلٍ، ولن تؤتى(٤) بحبل، وأنت في البئر!!

ما جاز في المعقول أن يخرج ذلك الرجل، من تلك البئر أبداً، على هذا الشرط بوجه من الوجوه، وكذلك إذا كان الكافر لا يؤمنُ أبداً، حتى يؤتى باستطاعةٍ ينالُ بها الإيمان، ولن يؤتى باستطاعة الإيمان، وهو كافرٌ عدوٌّ لله، عز وجل.

ويلزم في ذلك أنه قد جُبر على الإيمانِ جبراً، فلا يكون له أجرٌ ولا حمد.

فإن قال قائل: فإن استطاعة الإيمان، قد تأتيه وهو كافر.

قلنا له: فهذا يوجب لنا عليكم تقدم استطاعة الإيمان قبل الفعل، وهو قولنا. قد رجعتم إليه، وتركتم قولكم، فافهم هذه الحجة، فلا مخرجَ لهم منها، بحيلة من الحيل.

يستطيع الشئ من لا يفعله:

ثم نقول لهم: ما تقولن في قول الله، عز وجل: ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾(٥).

أخبرونا عن هؤلاء(٦) القوم الذى تخلَّفوا عن الخروج مع النبى، صلوات الله عليه

---

(١) فى الأصل: هكذى.

(٢) فى الأصل: كافراً.

(٣) يقول أهل العدل باللطف، ويذهب المعتزلة إلى حد القول بوجوب اللطف (انظر القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص٥١٨، وما بعدها).

(٤) فى الأصل: توتا .... توتا.

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢.

(٦) وفى الأصل: هاولا.

وعلى آله ، فكذبهم الله، عز وجل، فيما قالوا [١]، خبرونا عنهم أصدقوا فيما قالوا، أم كذبوا فى قولهم : لم نكن نستطيع الخروج مع النبى، صلى الله عليه؟!

فإن زعموا أنهم كذبوا فى ذلك، تركوا قولهم، ولزمهم أنه قد يستطيع الشئ من لا يفعله ، وذلك هو الحق وهو قولنا .

وإن زعموا أنهم قد صدقوا فى ذلك، لزمهم أنهم قد صدَّقوا من كَذَّبَهُ الله، عز وجل، وكُفروا؛ لأنَّ من صَدَّقَ من كذَّبه الله، عز وجل، فقد أكذبَ، الله، جل ثناؤه ، وذلك الكفر بالله، سبحانه، المصرح.

يستطيع الكفار الإيمان فى حال كفرهم :

ثم نقول لهم: خبرونا عن الكفار، أيستطيعون الإيمان فى الحال التى هم فيها كفار؟

فمن قولهم: إنهم لا يستطيعون ذلك.

فنقول لهم: أفليس قد كلفهم الله، عز وجل، الإيمانَ وافترضه عليهم، وهم لا يستطيعون؟

فمن قولهم: أنهم كلفوا بما لا يستطيعون، لعلة كانت من الكفار وهى كفرهم، فقالوا: إنما مُنعوا الاستطاعة؛ لأنهم تمسكوا [٢] ولو آمنوا أعطوا القوة على الإيمان.

فيقال لهم: أخبرونا عن المقعد، الذى لا يقدرُ أن يقومَ ، هل عليه أن يصلى قائماً؟

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: ولِمَ ذلك؟.

قالوا: من قبل أنه لا يستطيعُ أن يصلىَ قائماً.

قلنا لهم: وكذلك الكافر، لا يستطيعُ الإيمانَ - زعمتم .

فلم أوجبتم عليه أن يؤمن ، ولم توجبوا على المقعد أن يصلى قائماً ؟!!.

---

(١) فى الأصل: (فإذا قالوا: نعم صدقوا، قلنا لهم:) وهى عبارة ستاتى، جواباً على تمام السؤال.

(٢) أى تمسكوا بكفرهم وأصرُّوا عليه.

كيف فرق المجبرة بين المقعد والكافر؟

٣٠ظ / فمن قولهم : / إن الكافر إنما صار لا يستطيعُ الإيمانَ، لعلة كانت فيه، وهى الكفر، والمقعد إنما كان لا يستطيع القيام، لعلة كانت من الله ، سبحانه، وهو أنه فعل به الإقعاد ، فصار المقعدُ ليس بتارك للقيام، وصار الكافر تاركاً للإيمان.

قلنا لهم : أليس كل واحد منهما، لا يستطيع خلاف ما هو عليه؟.

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فما جعل الكافر أولى (١) بأن يكون تاركا مستطيعاً للترك من المقعد، والمقعد لا يستطيع القيام؟!.. وفى ذلك كفاية كافية.

وإن سألوا فقالوا: أخبرونا عن الكافر، هل يستطيعُ أن يؤمن؟.. يريدون أن نقول: نعم. وكذلك نقول.

فيقولون: قد يستطعُ أن يكون مؤمناً، وهو قد يستطيع أن يكون كافراً مؤمنًا، وذلك محال - زعموا.

يؤمن الكافر بعد كفره باستطاعته للإيمان:

فجوابنا لهم، والقوة لله وحدهُ فى ذلك، أنا نقول: إن الكافر يستطيع فى حال الكفر، أن يكون بعده مؤمناً، ولسنا نذهبُ إلى أنه يستطيع الجمع بين الإيمان والكفر؛ لأن ذلك هو المحال ، كما النائمُ لا يكون مستيقظاً فى حال واحدةٍ ، ولا القاعد قائماً فى حالٍ واحدة، ولا الليل والنهار يجتمعان فى حال واحدةٍ.

والكافر فهو مستطيع ، وهو كافرٌ، أن يكون مؤمناً قادراً على ذلك بعد حال الكفر، نريد أن الاستطاعة له فى حال كفره على الحال بعدها.

فإذا قالوا: فإذا كان بعدها كافراً أليس قد يستطيع فى الحال الأول. وهو فى حال الكفر، أن يكون فى الثانية مؤمناً، والثالثة أيضاً (٢) حال الكفر؟

الاستطاعة تجوز للكفر أو الإيمان:

قلنا لهم: إنَّ من كان مستطيعاً أن يكفر فى حالته الأولى، مستطيعٌ أنْ يؤمن، إذ

---

(١) فى الأصل : باولا .

(٢) فى الأصل : والثانية ايضى.

هو ممكَّن من الاستطاعة، موجودةٌ فيه، يفعل بها ما أراد من كفر أو إيمان، غير مقهور ولا مجبور على واحدٍ من الفعلين.

والدليل على ذلك شهادة الله، تبارك وتعالى، حيث يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) ﴾ [1]، الا ترى ان معهم استطاعة غير مجبورين فيها ، إلا بالامر والنهي، فإذا شاؤا آمنوا ، وإذا شاؤا كفروا، بالاستطاعة الموجودة فيهم ، لكلتي الحالتين من قبل فعلهم، فهذا دليل واضحٌ، والحمد لله.

مثال على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الرامي والسهم) :

٣١و/ ومن الحجة عليكم ان الاستطاعة قبل الفعل، أن نقول لكم: ما تقولون في رجلٍ ركَّبَ سهمهُ على قوسه، رامياً لرجل بين يديه، فلما خرجَ فقو [2] السهم من وتر القوس، سقط الرامي ميتاً، ووقع السهم في المرمى فقتلهُ، فنقول لكم: خبرونا متى قتل هذا الرجل صاحبه المقتول بالسهم، أو هو حيٌّ مستطيع للقتل، ام وهو ميتٌ لا استطاعة فيه؟

فإن قالوا: قتله بعد ما مات؛ لان الاستطاعة عندهم مع الفعل لا قبلهُ.

لزمهم أن الموتى يقتلون الناس، وأن فيهم الاستطاعة موجودة ، وألزموا الموتى [3] القود، وحمل الديات للمقتولين، وبان كذبهم وصح إبطالهم، وافتضحوا عند جميع الخلق.

وإن قالوا: إنه قتله برميته، وهو حيٌّ، وهو مستطيع.

لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل، ورجعوا إلى قولنا، ولزمهم أن دعواهم، واعتقادهم في الاستطاعة مع الفعل، باطلٌ ، ووجبَ عليهم الرجوع والتوبة، والقولُ على الله، عز وجل، بالعدل.. فما بعد هذا من البيان والحجة القاطعة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣٧.

(٢) هكذا في الأصل: وربماكانت: فقو، وتعني الرمية، أو الأثر (انظر : المعجم الوسيط: ج٢ / ٧٥٨ ، ٧٥٩).

(٣) في الأصل: الموتا

أدلة أخرى على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الحركة والسكون):

ومن الحجة لنا عليكم فى ان الاستطاعة قبل الفعل، انا نسالكم فنقول لكم: خبرونا عن الحركة والسكون فى بنى آدم، هل هى موجودة فى بنيتهم وجوارحهم قبل افعالهم، ام لا ؟

لأنا نجدهم يتحركون ويسكنون من قبل فعلهم للاشياء، كلما أرادوا؛ لأن الحركة والسكون فرع الاستطاعة، والاستطاعة فعل الله، سبحانه، الذى ركَّبَ فى عباده، والحركة والسكون فعل بنى آدم، وليست بفعل الله، عز وجل، فإن قالوا: نعم . نحن نقرُّ أنا نجد فيهم الحركة والسكون قبل فعلهم . تركوا قولهم، ورجعوا إلى أن الاستطاعة قبل الفعل.

ولأنا ، نحن وهم، نجدُ الإنسان يقبض ويبسط، ويتحرك ويسكن، بلا عمل شئ يعمله، يحرك يده ورجله، ورأسه ولسانه، ويفتح عينيه ويغمض، إذا أراد ذلك، ويقوم ويجئ، ويذهب كل هذا الفعل موجود فيه مشاهد من قبل نظره إلى المحارم، ومن قبل سرقته لأموال الناس، ومن قبل سفكه للدماء، ومن قبل قوله القبيح والحسن، ومن قبل فعل الشئ مما يفعل، فهذا موجود مشاهد من فعل بنى آدم.

٣١ط / فإن قالت المجبرة : لسنا نقول ذلك، ولكنا نقول: إن بنى آدم لا ساكنون ولا متحركون حتى تأتيهم / الاستطاعة مع الفعل.

لزمهم أنهم قد خرجوا من التوحيد، الذى ادَّعوا أنهم فيه مقدَّمون ، ولزمهم أنهم قد وصفوا بنى آدم بصفة الله الواحد الفرد، الذى لا يجرى عليه الحركة ولا السكونُ، ورجعوا عن القول بالتوحيد .

الله ليس كمثله شئ فلا تجرى عليه الحركة أو السكون:

فإذا بهم قد خرجوا من التوحيد الذى ادعوا، والعدل جميعاً؛ لأن الله، عز وجل، لا يجرى عليه الحركة ولا السكون لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١]، وليس لشئ من جميع الأشياء، إلا والحركة والسكون، يلزمه ويجرى عليه.

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١

فلابد لهم من إبطال التوحيد الذى انتحلوا، أو يرجعوا عن قولهم، فيقولون: إن الحركة والسكون موجودان فى بنى آدم من قبل أفعالهم، فيتركوا قولهم، ويصيرون إلى الحق والعدل وهو قولنا.

مثال من القرآن الكريم على أن الاستطاعة قبل الفعل:

ثم نقول لهم: أليس قد افترض الله، عز وجل، على جميع الخلق فى كتابه، فرضاً لازماً لهم، حيث يقول فى كتابه: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[1]،فإن قالوا: نعم، هذا فرض لازم للناس كلهم.

قلنا لهم: فهل افترض الله، عز وجل، عليهم ما يملكون غضه، ويستطيعون حفظه قبل فعله، أم لا ؟!

فإن قالوا: قد افترض الله عليهم ما يملكون غضه، ويستطيعون حفظه قبل فعلهم.. تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا، وهو دين الله، عز وجل.

وإن قالوا: إن الله، جل ثناؤه، افترض عليهم ما لا يملكون غضهُ ولا يستطيعون حفظه قبل فعلهم له.. كفروا بقول الله، عز وجل، ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[2]، ﴿**..إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[3]، وبقوله: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[4]، ولانعلم عسراً أعسرُ من تكليفهم أن يغضوا أبصارهم، ولا يملكون غضها قبل نظرها إلى المحارم؛ وأن يحفظوا فروجاً لا يستطيعون حفظها من الزنا قبل مواقعته؛ وأن يكفوا أيديهم عن القتل الذى لا يقدرون على تركه قبل اكتسابه!!

ثم نقول لهم: ما الفرق بين تكليفهم بغضّ أبصارهم، وحفظ فروجهم، وكفّ أيديهم عن قتل المؤمنين، وهم لا يستطيعون شيئاً من ذلك ولا يقدرون عليه، وبين تكليفهم لتناول النجوم، والطيران فى الهواء، والمشى على وجه الماء ؟!!

﴿**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٤٣**﴾[5]، فلابد لكم مما قلنا، ولا مخرج لكم من حجتنا هذه الواضحة، وبعد هذا فانظروا كيف يفسد عليكم القول بالتوحيد، بجهلكم بالعدل، وقولكم بالجبر.

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٦.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٥.

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٤٣

ضـرورة النظـر فـى معرفـة الخالـق:

٣٢و / فانعمـوا النظر فى هذه الحجج، التى نوردها عليكم، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، والحق فيما جاءت به الأنبياء، وليس الحق فيما أخذ من جهلة الرؤساء، والحمد لله رب العالمين.

فإن قلتم: إنما فرض اللهُ علينا غضَّ الأبصار، وحفظَ الفروج، وكفَّ الأيدى والألسنة، مع فعلنا لا قبله .

ما تـلزم مقالـة المجبرة:

قلنا لهم: فإذاً يلزمكم أن قول القائل منكم: إن صيامَ شهر رمضان، ليس مفروضاً على الخلق من عام قابل.. ولايجوز أن يكون اعتقادكم، أن رمضان المقبل عليكم فريضة، وأن الله، عز وجل، يقول ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم ﴾[١].

وكذلك يقول القائل منكم: ليس عليَّ صلاةُ غدٍ بفريضة، وليس عليَّ زكاةُ مالى من السنة المقبلة بفريضة، وليس الحج علينا بفريضةٍ لازمة فى وقتنا هذا، ولا جميع الفرائض حتى يكون الوقت الذى يفعلها فيه!!

فيلزمكم أن فرائض الله، عز وجل، التى افترضها على عباده، وعلى لسان نبيه، صلى الله عليه، قبل فعلها لا يقع اسم فرضها على الخلق؛ إلا عند فعلهم لها، فتزول الفرائض المرسومة [٢] فى القرآن، وهذا ما يقول به مسلم!

لأن الفرض لازم واجبٌ محتوم من قبل فعلهم له، يلزمهم الإقرار بذلك الفرض والاعتقاد، وأنه دين الله المفروض عليهم، الذى لا تزول فرضه فى ساعة من الساعات، ولا وقت من جميع الأوقات، إلا من عِلَّةٍ تحدثُ من العلل التى تنزل بها الفروض وتقومُ بها، مثل المرض والحوادث الموجبة للعذر، إلا خطتان بعدَ العدْل والتوحيد وإثبات الوعد والوعيد، والإقرار بالرسول والكتاب، فإنهما لا يزولان عن المسلمين فى

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

(٢) وربما كانت: الموسومة. وكلاهما يؤدى المعنى.

حالة من جميع الحالات كلها، ولا يسقطان عن عليل ولاغيره، ولا عذر فيها لاحد من المتعبدين اللازم لهم الفرض ، وهى طاعة ائمة الهدى ومودة ذوى القربى [1] .

ضرورة طاعة الأئمة ومودة ذوى القربى:

فكل الفرائض تزول بكون الحوادث الحائلة، إلا هاتان الخصلتان، فإنهما لايزولان عن صحيح ولا عليل ، ولا شاهد ولا غائب، إلا طفل لا يعقل، أو مجنون ذاهب العقل، لا حجة عليه.

الا ترى أن الصلاة قد تزول فى بعض الأوقات بالمرض وغيره، ولا تزول مودة ذوى القربى، ولا طاعة الإمام، واعتقاد إمامته.

٣٢ظ/ وكذلك مودّة آل محمد، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وكذلك تزول الزكاة عند الإعدام، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودّة ذوى القربى ، وكذلك يزول الصيام/ بالعلل التى تزيله، ولا تزولُ طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى، وكذلك يزول الحج بالمرض والإحصار وقلة الجدَة، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى.

أصول العدل والتوحيد:

فكل الفرائض تزول بقيام العذر، الذى تصح علله، ولا يزول التوحيد ولا العدْل ولا إثبات الوعد والوعيد، ولا طاعة كل إمام هدىٍ فى عصره، ولا مودة ذى القربى قربى رسول الله، صلى الله عليه، الطاهرين المطهرين، أهل الفضل والمودة المفروضة فى القرآن.

ولا يزول شئ من هذه الإشياء، التى سمينا ، لا بمرض ولا غيره إلا عمن زال عقله ، وسقط التكليف عن مثله، أو طفلٍ لا تلزمه حجةٌ ، ولا على مثله تباعة، فافهم هذا الباب، وانعم النظر فيه، فإنه حقٌ لا يدفعه دافع ، ولا يقطعه قاطعٌ ، والحمد لله رب العالمين.

***

---

(١) فى الأصل: القربا، وهذان الشرطان اللذان ذكرهما من عقائد الشيعة فى آل البيت.

المسألة الخامسة

مقالة المجبرة في القضاء

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي:

أخبرونا عن العلم – وقد أخبرناه في العلم بما فيه الكفاية في أول كتابنا هذا، وفي اجزائه – ثم قال ايضاً [1]: عن قول الله، عز وجل، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [2] ، ثم قال: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ﴾ [3] . أخبروني ما يعني بهذا ؟

فإن قلنا له – زعم – : قضى [4] عليهم ذلك، فقد أعطيناه – زعم – ان الله، عز وجل، عما قال – قضى الفساد في الأرض ، ونحن – زعم – نقول : إن الله ، جل ثناؤه، لم يقض الفسادَ، وأن من قضى الله عليه شيئاً فإنه لا يعذبهُ بذلك القضاء ، هذا قولنا – زعم – ولعمر الله ، إنه لكما قلنا، وإنه لاعتقادنا.

فإن أعطيناه – زعم – أنه قضى عليهم الفساد، تركنا كلامنا – زعم ، وإن قلنا : – أخبر أن بني إسرائيل يفسدون في الأرض مرتين ، فقد صدقناه – زعم ، وذلك عنده هو العدل ، ان يكون الله ، سبحانه [5]، رضى عنى بني إسرائيل الفساد !

ثم قال : أخبرونا الآن هل كان بنو إسرائيل في هذا الخبر، الذي أخبرنا الله عنهم باطلاً؛ لأنهم كانوا يستطيعون ان لا يكون فيهم ما أخبر الله انه كائنٌ منهم، فهم يستطيعون ان يكون خبره باطلاً وكذباً؟!!

فهذا – زعم – قول عظيم ، تعالى الله عنه علواً كبيراً !!

٣٣و/ وإن قالوا/ : إنهم لا يستطيعون ان يكون الذي أخبر الله به، فهم إذاً لا يستطيعون أن يفسدوا ، ولا يستطيعون ان يصلحوا!

فقد كلفهم الله ، سبحانه ، الإصلاح ، فهذا قولنا – يعني نفسه – زعم.

---

(١) في الأصل: ايضىً.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٤ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥ .

(٤) في الأصل : قضا.

(٥) في الأصل : سبحنه.

رد أحمد بن يحيى : القضاء فى القرآن على معانٍ مختلفة :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلامُ: إنا نقول إن الله، عز وجل، ذكر **القضاء في كتابه** في ثلاثة مواضع من القرآن ، وكل قضاء منها لايشبه الآخر فى معناه ، وكل واحدٍ منها له معناً [1] ، غير معنى الآخر .

١ - **أما واحد منها**: فهو قضاء خبر أخبرهم به أنه يكون من اختيارهم، واتباع اهوائهم ، وهو قوله، عز وجل، ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** ﴾ [2]، اى أعلمناهم ، والإعلام غير الحتم والقسر.

٢ - **والقضاء الثانى** : قوله ، جل ثناؤه: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ [3]، وهذا قضاء الحتم والجبر الصحيح، الذى لا مخرج لاحد منه، ولا دافع له ولا رادٌّ .

٣ - **والقضاء الثالث** : قوله، عز وجل، ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [4]، وذلك قضاء حكم لا قضاءُ حتمٍ، ولو كان قضاء حتم، ما عصاهُ احد من جميع خلقه، ولا قدر له على معصيته.

ووجب أنه ليس فى جميع الأرض، إلا عابد لله، سبحانه، كما حتم وجبر وحزم، وهذه قاطعة لقولكم واعتلالكم، بقوله : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** ﴾ [5]، لانه لو كان قضاء حتم، لم يبق على وجه الأرض إلا عابد له، عز وجل، لقوله: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [4]، وكفى بهذا بياناً، وقاهراً لحجتكم.

ومن الحجة عليه فى قوله: **«أخبرونى عمن أخبر الله منه بهذا الخبر، هل يستطيعون أن لا يفسدوا»** [6] ؟!

فإن قلنا: نعم. لزمنا - زعم - ان يكون خبر الله الذى خبَّر به (عن) [7] بنى إسرائيل باطلاً؛ لأنهم كانوا يستطيعون ان لا يكون منهم ما أخبر الله أنه كائن منهم،

---

(١) فى الأصل: معنا.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤ .

(٣) سورة فصلت: الآية ١٢ .

(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٣ .

(٥) سورة الإسراء: الآية ٤ .

(٦) فى الأصل : يفسدون .

(٧) ليست فى الأصل.

فهم يستطيعون ان يكون خبرهُ باطلاً وكذباً، وهذا قوله - زعم - عظيم يريد به الشنعة علينا، لجهله بعدْل الله، عز وجل.

علم الله لم يدخلهم في معصيته ...

ونحن نقول: إن علم الله، عز وجل، لم يدخلهم في معصيته، ولم يخرجهم من طاعته، ولم يعاقبوا على تصريف العلم، ولا سمعوه، عز وجل، قال في شئ من كتابه، ولا على لسان نبيه، صلى الله عليه، وعلى آله ، للكفار، ادخلوا النار بما علمت منكم، ولا للمؤمنين ادخلوا الجنة بما علمت منكم!

وإنما قال للفريقين جميعاً: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑰ ﴾ [1]، و ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [2]، و ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم ﴾[3]، وان ما علم الله فليس له خلاف إلا وهو يعلمه؛ لأن الأشياء لا تخلوا من احد امرين .. أحدهما : علم ، عز وجل، انه ٣٣ظ/ يكون. والآخر : علم انه لايكون، فكلاهما قد علمه، عز وجل ، علم / ما يكون انه يكون، وعلم ما لا يكون انه لا يكون، وليس غير هذين الوجهين الذين علمهما، عز وجل، فأين الخلاف لما علم؟!! هل تجد ها هنا خلافاً لما علم، فانعم النظر في هذه ، فإنها حجةٌ قاطعة.

علم الله كاشف :

وأن العبادَ يقدرون ان لا يعلم الله منهم المعاصي، ويقدرون أن يعلم منهم الخير!.. وليس تحولهم يكرهُ يفسدُ علمه؛ لانه امرهم ان لا يكون منهم ما علم، ولوكان ذلك يفسد علمهُ ما افترض عليهم الخروج من المعاصي، الا ترى انه قد علم أنه منهم من

---

(١) ما ذكره المؤلف معنى آية، وليس نصها؛ وجاءت هذه المادة في القرآن الكريم على النحو التالي : ﴿فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلاكنتم تعملون﴾ ٩٠/ النمل، ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلاماكنتم تعملون﴾ ٥٤/يس، ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ ١٦/الطور. وقريبٌ مما ذكر المؤلف قول الله، تعالى: ﴿ .. جزاء بما كانوا يعملون﴾ كجزء من آيات، سورة السجدة/١٧، والأحقاف/١٤، والواقعة/٢٤.

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٢.

(٣) ليست آية، ولكنها آية قريب من قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت أيدكم﴾ ١٨٢/ آل عمران، ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم..﴾ ٦٢/ النساء، ﴿ ..يوم ينظر المرء ماقدمت يداه﴾ ٤٠/النبأ، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ ١١٠/البقرة، ٢٠/الزمر.

يعبد الاصنام . ثم قال لهم ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ [1]، وجعل لهم الطاقة والسبيل، على ترك ذلك الرجوع إلى ما يرضيه، فلم يفعل ذلك كثير من الناس!!.

افترض الله على عباده الخروج من معاصيه، لا من علمه :

فليس ما ندب الله، عز وجل، إليه من الطاعة يفسد علمه، إذا تركوا المعصية؛ لأنه افترض عليهم الخروج من معاصيه، ولم يفترض عليهم الخروج من علمه.

انت مقرٌّ لنا بذلك : لأنك تعلم وتعتقد ان الله، عز وجل، قد افترض على الخلق، أن لا تكون منهم معصية، ولم يفترض عليهم ان يخرجوا من علمه، حتى لا يعلمهم ولا ما عملوا !.. هذا هو المحال، وإذا خرجوا من المعاصى، علم بذلك، وهو الذى أراد منهم، وإذا أقاموا على المعاصى، علم بذلك ، وهو الذى كره منهم.

فلا تلزموا الله، عز وجل، فعل الظالمين، ولا جور الجائرين ، ولا شرك المشركين ، إنه برئ [2] من ذلك كله، سبحانه ، وهو العلى العظيم .

والشاهد على ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [3]، فلا تجده ها هنا برئ من شئ من جميع أمورهم إلامن أعمالهم.

وانت تلزمه، عز وجل، ما برئ منه، فلا يبعد الله إلا من ظلم: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [4].

القول بالعدل هنا فساد لحكم الله عند المجبرة !!

والله، عز وجل، لم يكلف العباد الخروج من علمه؛ لان العلم ينتقل بتنقل الافعال، كيفما [5] تنقل العباد. فالله، عز وجل، يعلمه، ولا يدخل بذلك عليه فساد فى علم ولاغيره، وإنما يدخلُ الفساد فى حكمه، على قود قولك.

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦ .

(٢) فى الاصل: برى.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣.

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧.

(٥) بالاصل كيف ما

تقول المجبرة : إن الله يعذب العباد على ما علم ، لا على ما عملوا :

وفى مذهبكم، أيها المجبرة، ان يكون الله، عز وجل، علم من قوم انهم لا يؤمنون ، ثم أرسل إليهم رسولاً قاصداً ، يامرهم بالدخول فى الإيمان، فإن ابوا خلدهم فى النار ابد الأبيد .

وقد علم الله، تعالى، انه قد حال بينهم وبين الإيمان، فسبحان الله العظيم هذا أعظم الجور!!

٣٤و/ والدليل على ذلك/ ان ليسَ لحال العلم عُذبوا ، ولا لحالة كُذّبوا ، ولا لحاله اشركوا وامتنعوا من الطاعة ، ولا لحاله قتلوا الرسل، وائمة الهدى، عليهم السلام.

مثال من تزوج أخته وأنجب منها وهو لا يعلم :

ومثل ذلك ان رجلاً لو كان باليمن ، وله ابن صغير مع امه، ثم إن الرجل خرج مسافراً ، حتى [١] وصل إلى اقصى خراسان، فاقام بها مدةً من دهره ، وتزوج بها مَرَةَ، فاقامت معه وولدت له بنتاً، ثم إنه مات وترك البنت بخراسان، ثم إن ابنه الذى باليمن، نشأ وبلغ مبالغ الرجال، فخرج يطلب التجارة، وليس له علمٌ بابيه، ولا اين مات ولا ما احدث، حتى وصل إلى خراسان، وليس له علم ان لابيه ولد غيره، فاقام وقتاً ثم طلب زوجة، فوصف له الناس ان عندهم مرة ابنة لرجل غريب، مات وتركها، فخطبها الرجل وتزوجها ودخلت عليه، فاقامت معه سبعين سنة، وولدت له عشرين ولداً ، وهو لا يعلم أنها اخته، ولا تعلم انه اخوها!

فعند ذلك نقول لكم: اليس قد علم الله انها اخته؟

فلابد من: نعم. فإذا اقررتم بذلك، قلنا لكم: فهل عليه عقوبة من الله، سبحانه، أو عليه ذنب اوحد[٢]، او هل يلزمه، جل ثناؤه، حجة، بما علم الله، عز وجل، من مقامه ينكح اخته سبعين سنة، وما ولدت له من الاولاد؟!!

فإن قالوا: نعم تلزمه الحجة، وتجب عليه النار بما علم الله، عز وجل، منه.

كذّبهم جميع أهل الإسلام ، وكفروا فى قولهم : إن الله، عز وجل، إنما يُعذّبُ على

---

(٢) بالأصل : حتا .

ما علم، إذ ليس فى القرآن آية واحدة، تـدل على أن الله، عز وجل، يعذب العباد على علمه.

وإن قالوا: إنه لا يلزمه لله، عز وجل، حجة، ولا عليه عذاب بما علم الله، عز وجل، من نكاحه لأخته، تركوا قولهم، وبطل اعتلالهم علينا بالعلم، وفلجوا وانقطعت حجتهم.

ثم نقول لهم أيضاً: خبرونا عن حجةٍ لا تنفعُ المحتج بها فى الدنيا، ولا تنفعه فى الآخرة، هل للاحتجاج بها معنى [1] ؟!..

فإن قالوا: نعم، قد يجوز أن يحتج المحتج فى الدين، بحجةٍ لا تنفعه فى الدنيا، ولا فى الآخرة فلا بأس بذلك، خرجوا من المعقول، وصاروا ضحكةً عند الناس؛ لأن هذا كلام من لا عقل له، ولا معرفة عنده.

وإن قالوا: إن من احتج بحجة فى الدين، لاتنفعه فى الدنيا ولا فى الآخرة، جاهلٌ مخطئ [2] لا تجوزُ حجته.

مثال الزانى المحتج بعلم الله:

قلنا لهم: صدقتم هذا هو الحق، وهو قولنا.

٣٤ظ/ ما تقولون فى رجل زنا، أتى به إلى امام هدىً [3] عادلٍ / ممن أوجب الله، عز وجل، طاعته، فشهد عليه أربعةُ شهودٍ عدول بالزنا، على الإيلاج والإخراج، ما يكون حكمُ الإمام عليه؟

فإذا قالوا: لابدَّ أن يقيم عليه الحدَّ.

قلنا له [4]: فإنه احتج عند الإمام ان الله، عز وجل، قد علم منه أنه يزنى، وسأله ان لا يجلده لما علم الله منه. ما كان ذلك الإمام فاعلاً فى حجتة؟.. هل يخليه من إقامة الحد. أم ينفذ الحدَّ عليه، والحكم الذى فى القرآن، أم يكُفُّ عنه، ويخليه لحجته؟

فإن قالوا: يخليه لحجته الواضحة القاطعة، التى احتجَّ بها أن الله، عز وجل، قد علم

---

(١) فى الأصل: معنا.

(٢) فى الأصل: مخطى.

(٣) فى الأصل: هداً.

(٤) الصواب: لهم.

منه أنه يزنى، وجب عليكم أن كل زانٍ زنا، إذا احتج بمثل حجة هذا الزانى، وجَبَ تخليتهُ وطرح الحدّ عنه، وبطل ما رسم الله، عز وجل، فيما [1] فرض من حد الزانى فى قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ② ﴾ [2]، ومن قال بهذا القول الذى قلتم، فقد خرج من الإسلام، وفارق دين محمد، عليه أفضل السلام..

ثم كذلك إن احتج هذا الرجل يوم القيامة عند الله، عز وجل، فقال : إنما زنيتُ بعلمك يارب فلا تعذبنى ، وإنى مت وأنا مُصِرٌّ على الزنا . هل يعفو عنه من العذابِ بحجته هذه، إنْ عَلِمَ اللهُ منه الزنا؟..

فإن قلتم : إن هذه الحجة تنفعهُ ، ويجبُ أن لا يعذب، لما علمَ اللهُ، عز وجل، من زناهُ . اكْذَبتم قوله : ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ⑥⑧ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ⑥⑨ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [3] .

أفلا تراه يدعو [4] إلى التوبة، ولم يُحلْ علمهُ بين التائبِ والتوبة!..

وإن قلتم : ليس تنفعه حجته فى الزنا، بأن الله، عز وجل، علمَ ذلك منه، بطلت دعواكم فى العلم، ولزمكم لنا الغلبة، وبان جهلكم وخطؤكم، والحمد لله رب العالمين.

لا يجوز لأحد أن يحتج بعلم الله :

وإن قالوا : إنه لا يجوزُ لأحد أن يقول هذا القول، وأن من احتج بعلم الله، سبحانه، فى المعاصى لا ينفعهُ ما احتج به فى الدنيا ولا فى الآخرة.

قلنا لكم : فلم تنكرون أن من افترضَ اللهُ، تعالى ، عليه الخروج من معاصيه أنه يلزم الله، عز وجل، أنَّ من لم يعلم اللهُ منه الخروج من المعاصى أنه مجهِّلٌ لله؟!..

وهذا أحولُ المحال؛ لأن العلم إنما وقعَ على ما اختارَ العبادُ؛ وليس بحاملٍ لهم على معصية ولا مخرجٍ لهم من طاعة.

---

(١) فى الأصل : و.

(٢) سورة النور : الآية ٢.

(٣) سورة الفرقان : الآيات ٦٨ - ٧٠.

(٤) فى الأصل : يدعوا.

علم الله محيط بالخلائق كإحاطة السموات والأرض بهم :

٣٥و/ وإنما مثلُ العلم وإحاطتُهُ بالخلائق ، مثل / السموات والأرض وإحاطتهما بالخلائق.

فنقول للمجبرة: خبرونا عن السموات والأرض ، هل لكم منهما مخرجٌ؟

فإن قالوا: نعم.. كذبهم جميعُ الخلقِ ، وخرجوا من المعقول.

وإن قالوا: لا مخرج لنا منهما.

قلنا لهم: فإذا زَنا الزانى، وكفرَ الكافرُ ، وأشركَ المشركُ، وقتل القاتلُ، وسرقَ السارقُ، هل يكون للسمواتِ والأرض فى فعلهم فعل أو معناً [(١)] أو شاركتهم السمواتُ والأرض فى شئ من أفعالهم، من الفجور والطاعة، بقليلٍ أو كثير؟!

فإن قالوا: نعم، قد شاركتنا [(٢)] السموات والأرض، فى كفرنا وشركنا، وفجورنا وقتلنا النفس، وقولنا أن اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ، عز عن ذلك وتعالى ، وكذلك شاركت السموات والأرض أهل الطاعة فى طاعتهم.

قلنا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟!..

فلا يقدرون على حجة، ولا ملجأ لهم إلا فرج [(٣)] أن السموات والأرض، يشركن معهم فى شئ من أفعالهم!!..

فإذا صح ذلك ولزمهم وانقطعوا؛ قلنا لهم: فأوجدونا هل لكم من العلم مخرج إلى غيره؟..

فإن قالوا: نعم... كفروا ، ولزمهم أن لهم مخرجاً من علمِ اللهِ، تبارك وتعالى.

قلنا لهم: فأوجدونا حجة أن العلم شرِكَ فى أفعالكم، بقليلٍ أو كثير؛ فلا تجدون ذلك أبداً بحيلة محتال.

فإن ألجاهم الأمر إلى أن يفتروا على الله، عز وجل، ويقولوا: إنَّ علمَ الله هو الذى حال بينهم وبين الطاعة، وأوقعهم فى المعصية!

(١) فى الأصل: معنى.

(٢) فى الأصل: ساركتانا.

(٣) هكذا فى الأصل: والفرج: الشق.

الفيصل هو كتاب الله :

قلنا لهم : هاتوا آية واحدة من كتاب الله، عز وجل، تشهدُ على ما قلتم، ونسلم لكم؛ لأن الله، عز وجل ، يقول في كتابه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١)، ويقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) ، ويقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣).

فإن وجدوا آية واحدة تشهد لهم، بأن العلمَ هو الذى حال بينهم وبين الطاعة، وأدخلهم في المعصية، فالقولُ قولُهم ولا حجةَ لنا عليهم.

وإن وجدوا القرآنَ من أوله إلى آخره، يشهد لنا عليهم، بأن الحائل بين العباد وبين الطاعة ، والمدخل لهم في المعصية اتباعُ الهوى، وإيثارُ الشهوات والحميَةُ والعصبيةُ، وأن في جميع القرآن أن الله يلزمهم أفعالهم ويتبرأ منها ، وأنه يقول، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤)، و﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥)، وأنه قال في ملكة سبا: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٦)، ولم يقل صددَتُها ولا علمي صدها!

فنقول لهم: خبرونا عن قوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٦)، هل صدقَ
٣٥ظ / الله عليها، أن الذى كانت تعبدُ من دون الله، هو الذى صدَّها لا غير؟.. فإن قالوا: لا . لم يصدق. كفروا ، وخرجوا من الإسلام جملة.

وإن قالوا: صدق الله، وذلك هو الحق.. قلنا لهم: فقد بَطُلَ ما قلتم، وفسدَتْ دعواكم في العلم، الحمد لله رب العالمين.

***

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٢) سورة الانعام: الآية ٣٨.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٢.
(٤) في القرآن: ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ لجزء من آيات كثيرة منها، سورة الاحقاف، الآية ١٤.
(٥) سورة الحاقة: الآية ٢٤.
(٦) سورة النمل: الآية ٤٣.

المسألة السادسة

الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، لأم موسى: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ (١)، افقد كان فرعون يستطيع قتل موسى ولايردُّه الله إلى امّ موسى (٢)؟!

فإن قالوا: نعم، فقلنا: افليس قد كان فرعون يستطيعُ انْ يخلفَ اللهَ، تبارك وتعالى، لأم موسى حتى لا يتم الله وعده، ويكون ما وعد امَّ موسى باطلاً وكذباً؟..

فإن قالوا: نعم، فقد أعظموا الفريةَ على الله، عز وجل، ولا اراك تريدُ ان تُوقفَهُمْ على اعظم من هذا، ولا اراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامُهم لا يستقيمُ إلا ان يعطوك هذا؛ ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيعُ قتلَ موسى، وهو فى يديه، لان الله وعدَ امَّ موسى ان سيردُّه إليها، فكذلك كلُّ خبر وكل وعد اخبرَ اللهُ، سبحانه (٣)، به واوعده، فلا يستطيعُ العبادُ ردَّ ذلك، وان لا يكونَ منهم غيرُ ذلك.

ردُّ أحمد، وهو يدور حول حرية الاختيار:

قالَ أحمدُ بن يحيى، **صلوات الله عليهما**: إنا نقولُ إنَّ **الهادى إلى الحق**، صلوات الله عليه، قد كان أجاب على هذه المسألة بما انا ذاكرهُ، وهو هذا، فافهمه، إن شاء الله، ثم لى جوابٌ - من بعد ذلك - ستقفُ عليه، والقوةُ بالله تعالى.

جواب الهادى إلي الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨):

قال، عليه السلام: واما ما سالت عنه فى قول الله، سبحانه، فى **أم موسى**: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ (٤)، فقال: هل يستطيع فرعون ان يقتل موسى حتى لايردُّه الله إلى امه، ولا يجعله من المرسلين؟

---

(١)، (٤) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) بالأصل: امه، وفوقها مكتوب (ام موسى).

(٣) فى الأصل: سبحنه.

الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية:

فقال، عليه السلام؛ إن اللهَ، عز وجل، لو أخرجَ فرعون – من أكبر المعاصى، بعد الشرك – من قتل نبيه، إخرجاً ومنعه من معصيته منعاً ، وقسره على الخروج قسراً، ولوجاز أن يُخرجَ عدوَّه من معاصيه قسراً، لكانَ قد أدخلهَ فى ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج العاصى، من معاصى رب العالمين، لكان عباده المؤمنين أولى [1] بذلك.

ولو أخرج عباده، ومنعهم من معاصيه قسراً؛ لأدخلهم فى طاعته جبراً، ولو فعل ٣٦و/ ذلك بهم؛ لأسقط معنى الأمر والنهى، ولكان/ العامل دونهم، والفاعل لأفعالهم، تعالى الله عن ذلك، فلم يُطَعْ ، سبحانه، كرهاً [2] ولم يُعص، جل جلاله، مغلوباً.

إنّ اللهَ لم يُطعْ كرهاً ولم يعص مغلوباً:

ثم نقول [3] فى ذلك بالحق، إن شاء الله، فنقول: إن الله، سبحانه، لما علم أنه إذا ألقى [4] على موسى ، صلى الله عليه ، المحبة [5] التى ذكر أنه ألقاها عليه، فى قوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [6] أحبته[7] لذلك امرأة فرعون، فسألت فرعون تركه، عندما هَمَّ به من قتله، حين تبين له ماكان من فعله[8]، فتركه لها وصفح عنه لحبِّ محبتها، واتباع سارِّها [9] فكان ذلك نجاة لموسى من ما هَمَّ به فيه فرعونُ الكافر الملعون.

فلما أنْ علمَ الله ، عز وجل [10]، أن ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة مرته [11] إلى ماطلبتْ ، من ترك قتل موسى [12] ، حكم عليه بما علم من صيور أمره، فكان ما ألقى [13] عليه من المحبة منه، سبحانه، لنجاته، فنجاه، سبحانه [14]، من فرعون، ورجَّعه [15] إلى أمه كى تقرَّ عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك [16] ، ووعدها

---

(١) فى الأصل: اولا.
(٢) فى رسالة الهادى: ولم يطع، سبحانه، والتى سنرمز لها بالحرف (هـ) مكرها.
(٣) فى هـ: بل نقول.
(٤) فى هـ : أن علم أنه إذ ألقى.
(٥) فى هـ: من المحبة .
(٦) سورة طه : الآية ٣٩.
(٧) فى هـ: فلما ألقى عليه المحبة أحبته.
(٨) فى هـ: فعله فى صغره.
(٩) فى هـ: شاورها.
(١٠) فى هـ: سبحانه.
(١١) فى هـ : امرأته
(١٢) فى هـ: بنى الله
(١٣) فى الأصل. القا
(١٤) فى هـ: الله.
(١٥) فى هـ : وردة
(١٦) فى هـ: فأخبر الله فى ذلك.

ما وعدها؛ لعلمه بما سيكون من مراة فرعون، وطلبها فى موسى، وإجابة فرعون لها، كما أخبر عما يكون فى يوم الدين.

فهذا معنى ماذكر الله من ذلك، إن شاء الله، لا مقال [1] الفاسقون وذهبَ إليه الضالون. تم وانقضى [2] كلام الهادى إلى الحق، صلوات الله عليه [3].

فى الآجال:

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما : ومن الحجة عليكم انا نقول: إن الله، تبارك وتعالى، جعل الآجال التى جعلها لعباده، إلى مدةٍ غير محتومة، ولا ممنوعة ولا محصورة، ممن ارادها من القائلين، ولو جعلها محتومة محصورة ممنوعة، ثم اجتمعَ جميعُ أهلِ السموات والأرض، على ان يقتلوا رجلاً واحداً، ما قدروا على ذلكْ، ولا نالوه أبداً؛ لأنه ليس لما منعَ الله، عز وجل، قاتل ولا خاتل.

فمن أرادَ قتلَ احد، لم يحلْ بينه وبينه حائل، إلا بما حرَّم الله، جل وعز، فى كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [4]، يعنى نفساً بنفس مثلها قُتلت، او بكفر او بارتداد عن الإسلام، أو بحدٍّ من بعض الحدود الواجبة، لا غير ذلك.

مثال بمن قتل الحسين، عليه السلام، وقتل عبيد الله بن زياد:

فنقول لعبد الله بن يزيد البغدادى، ولمن قال بقوله اخبرونا عن قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [5]، وإنما خلق اللهُ، سبحانه، افعال القائلين وارادها وقضاها وقدَّرها، فى قولكم واعتقادكم، لا فى قولنا ولا اعتقادنا، افرايتم من قتل ٣٦ظ/ نفساً/ بغيرِ حقٍّ، مثل الحسين بن على، عليه السلام [6]، ومن قتل عبيد

---

(١) فى هـ : قاله.
(٢) فى الأصل: انقضا.
(٣) انظر رسالة الهادى إلى الحق؛ فى الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، جـ٢ /٢٥١-٢٥٢ - من رسائل العدل والتوحيد، تحقيق د/ محمد عمارة، ط ثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر ١٩٨٤م.
(٤) سورة الانعام: الآية ٥١.
(٥) الهامش السابق.
(٦) هو الحسين بن على بن أبى طالب، ابو عبد الله السبط، ولد سنة ٤ هـ امه فاطمة الزهراء، وجده رسول الله، ﷺ، وفى الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» خرج ملبيا لدعوة اهل الكوفة فلقته جيوش زياد بن أبيه فى كربلاء، وقتلوه شهيداً سنة ٦١هـ.

الله بن زياد [١]، عليه لعنة الله، طالباً له بدم الحسين بن على، عليه السلام، أليس كلاهما إنما قتل المقتول، بما خلق الله، عز وجل، من فعله، وقدَّره وقضاه وأراده!!..

فإن قلتم: لا نقول ذلك. لزمكم انكم قد رجعتم عن قولكم، وبان خطؤكم [٢].

وإن قلتم: نعم، كلاهما إنما الله، سبحانه، خلق فعله، وقدَّره وقضاه وأراده.

قلنا لكم: فأيها الحق وأيهما الباطل؟.. فإن قلتم: من قتلَ الحسينَ بن على، عليه السلام، هو الحق، كفرتم، وخرجتم من الإسلام، لقول النبى، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم،: «الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما» [٣].

فإن قلتم: بل نقول: قَتْلُ عبيد الله بن زياد، عليه لعنةُ الله، هو الحق، وقتل الحسين ابن على، عليه السلام، هو الحرام والباطل والظلم.

قلنا لكم: فقد لزمكم، ووجب عليكم فى قولكم هذا، أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره وقضائه وإرادته باطل، وبعضُهُ حق، لأن كلا الفعلين - زعمتم - إنما هو خلق الله، تبارك وتعالى، وقضائه وإرادته وتقديره، وقد سمعنا الله، عز وجل، يقول فى كتابه ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝٥٧ ﴾ [٤]، زعمتم، انه يقضى الباطل.

فإن قلتم: إن كلا الفعلين حق. لزمكم أن قتلَ الأنبياء وأئمة الهدُى حقٌّ!!

وإن قلتم: إن كليهما باطل، لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطلٌ!.. ولامخرج لكم من هذا، والإقدام عليه هو الكفرُ.

منع الله فرعون من قتل موسى وأقدر قاتل يحيى!

وكذلك نقول لكم: خبرونا عن منع الله، عز وجل، لفرعون عن قتل موسى، عليه السلام، حتى ردّه إلى أمه كما وعدها، أليس فى قولكم: إن اللهَ حالَ بين موسى وبين فرعون قسراً وجبراً حتى لم يُقدر فرعون على [٥] قتلِ موسى؟

---

(١) عبيدالله بن زياد من الشجعان، ولاه عمه على خراسان، ثم ولاه يزيد بن معاوية على البصرة، اعترض على الحسين بن أبى طالب، وقتلته جيوشه، وقتله ابن الأشتر، ثأراً للحسين سنة ٦٧هـ.

(٢) فى الأصل: خطاوكم.

(٣) اخرجه الترمذى ٥/٦١٤ (٣٧٦٨)، واحمد فى مسنده ٣/٣، ٦٢، ٥/٣٩١ - ٣٩٢ وغيرهما.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٧.

(٥) فى الأصل: علا.

فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم: وكذلك لم يحلْ بين يحيى بن زكريا وبين من قتله ، وكذلك من قتل جميع الأنبياء ، عليهم السلام ؟!

فلابد لكم من نعم؛ لأنهم قد صح قتلهم. وشاهد ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [1]، فنقول لكم: أليس في قولكم ودينكم أن الله، عز وجل، خلق فعل فرعون وقدره وقضاه وأراده ، وهو الذى منع فرعون قتل من موسى جبراً وقسراً؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم: وكذلك خلق وأراد وقدر وقضى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام ، على قاتليه؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم فلا نجد التاركَ لموسى، ولا القاتل ليحيى ، عليهما
٣٧و/ السلام، غير الله، عز وجل، على ماتقولون !! لأنه / يقول في كتابه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [2]، وزعمتم ، أن أفعال العباد مخلوقة، فقد سقطت عنهم الحجة؛ لأنهم لا فعل لهم.

لم يخلق الله أفعال العباد !

وإن لا [3]، فأوجدونا شيئاً نستدلُ به، ويصحُ عندنا بعد الاستطاعة المركبة فى العباد، والجوارح السالمة، والحديد الذى قتلوا به، فلا نعرف لله، عز وجل، في الباب الذى ادعيتم عليه خلقاً، يلزمُ به لكم حجة، غيرَ الاستطاعةِ المركبة فى الجوارح، والحديد الذى لا حجة على اللهِ، سبحانه، فيه ، الذى قتلوا به من قتلوا.

وليس تجدون معناً [4] غير ما ذكرنا ، يجبُ به أن الله خلق أفعالَهم.

وإنْ لا ، فأين هذا الخلق الذى لا يرى ولا يسمع، ولا يذاق ولا يشم، ولا يلمس ولاتدركه الحواس ، ولاتقاس بالناس ، ولا تحيط به الأقطار، وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار، الذى لا تدركه الحواس، ولايقاس بالناس، ولا تحيط به الأقطار!

وإن لا ، فأوجدونا هذا الخلق الذى ادعيتم أن اللهَ، عز وجل، خلقهُ ، غيرَ الاستطاعةِ المركبة والجوارح السالمة، والحديدِ الذى قتلوا به الأنبياء، وأئمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله، تبارك وتعالى ، فى تركيبِ الاستطاعةِ فيهم ، ولا خلقه

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٧ ، وفى الأصل: يقضى.

(٣) يعنى: وإن قلتم: لا، وسيكررها فى بداية كل دليل على المجبرة.

(٤) فى الأصل: معناً.

للحديد، حجةٌ ولا علةٌ لمعتَلٍ؛ لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفى هذا الموضوع تبينُ فضيحتكم، وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم فى قولكم: إن الله، عز وجل، خلقَ أفعالَ العباد.

فأرونا أين هذا الخلق، الذى ذكرتم، غير ما قلنا؟!!

فلن يجدوا ذلك أبداً، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع الأسباب، وتفسير ذلك، أن الحركةَ موجودة فى بنى آدم، قبل أفعاله، والحركة فهى فرعُ الاستطاعةِ المركبة فى البنية؛ لأن بنى آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم هم، وليس هو فعل الله، عز وجل، وكذلك خلقَهُم اللهُ، عز وجل، قادرين على الحركة والسكون، مملكين لذلك، مأمورين منهيين، وخلق الجبالَ، وما أشبهها من الجمادات ٣٧ظ / ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة فى بنى آدم، هى قبل / أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم، فى دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لاقبله، ونحن نقول: إن الاستطاعةَ قبل الفعلِ، وهى أصلُ الحركة التى أتوا بها عليها، وهى موجودة فى بنى آدم، قبل أفعالهم [1].

مناظرة بين أبى الهذيل وحفص الفرد:

فإن قلتم: إن الحركة ليست بشئ. أجبناكم بجواب إبى الهذيل [2] لحفص الفرد[3]، فإنه بلغنا أن أبا الهذيل، وكان يقول بالعدل، تناظر هو وحفص الفرد فى الحركات فأبطلها حفص الفرد، وزعم أنها لا شئ، فقال له أبو الهذيل: ياحفص كم حدُّ الزانى الذى أمرَ اللهُ به؟ فقال له حفص: مائةُ جلدةٍ، قال فكم حد القاذف؟ قال: ثمانين جلدة، قال له أبو الهذيل: فأخبرنى الحركة هى يد الضارب؟ قال: لا.

قال: فهى جنب المضروب؟ قال لا. قال: فهى السوط. قال: لا. قال أبو الهذيل: ياحفص فقد أعلمتنا أن لا شئ أكثر من لاشئ بعشرين!! فانقطع حفص الفرد.

فكذلك ينقطع عبدالله بن يزيد البغدادى.

---

(١) تكملة من الهامش.

(٢) ابو الهذيل العلاف من كبار المعتزلة توفى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠م راجع لسان الميزان ٥ / ٣١٤.

(٣) حفص الفرد من المجبرة، الذين ناظروا العلماء قبلاً، وكان معتزلياً. وقال فيه الذهبى، مبتدع. وكفره الشافعى فى مناظرته، كما ناظر أبا الهذيل العلاف، انظر الذهبى ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٤

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: وإنما أخبر اللهُ، عز وجل، أم موسى، صلى الله عليه، برجوع موسى إليها، لما علم من اختيار فرعون وانه لا يقتله، وانه لا تساعده مرته على قتله.

الأجال غير محتومة:

والآجال على ما قلنا غير محتومة، والشاهدُ على ذلك قول الله، عز وجل، يخبر عن نوح، عليه السلام وقوله لقومه: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١)، فنقول لك: أليس ترى انه قد أوجب لهم ان يبلغوا ذلك الأجل المسمى (٢)، ما لم يقدموا على المعاصى، التى توجب تعجيل العذاب من الله، جل ثناؤه؟!

الا ترى كيف يقول: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ④ ﴾ (٣)، الا ترى انه لم يكن هناك تاخير إلا وثم تقديم؟.. الا تره مُسمًّى، وقد هلكوا دونه بإخبار الله، عز وجل، فى كتابه؟!

وقد دعاهم، نوح عليه السلام، إلى ان يطيعوا الله، جل ثناؤه، فيؤخرهم ذلك الأجل، الا تراهُ مسمى (٤) لم يبلغوه؟

او لا ترى نوحاً، صلوات الله عليه، لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتاخير اجل الموت، الذى سماهُ الله، عز وجل، جل ثناؤه، يقول: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾(٥).

فالأجل الذى جعل الله، عز وجل، للموت المسمى، لا يطمع احد فيه، وليس له راد، وقد قال الله، عز وجل، فى آية من كتابه يدل فيها على من سلف، ويؤدب بها من خلف، وفيها حكمه على الاولين والآخرين، وهى قوله، عز وجل،: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⑨

---

(١) سورة نوح: الآية ٣، ٤، ورد فى الأصل (واعبدوا..) وهو خطأ

(٢) فى الأصل: المسما.

(٣) سورة نوح: الآية ٤.

(٤) فى الأصل: مسمي، وكذا كل كلمة مثلها تاتى بعد.

(٥) سورة المنافقون: الآية ١١.

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١)، افلا ترى ان لهم اجلاً مسماً، قد وعدوا التاخير إليه، فلم يطيعوا الرسل، ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم، ما شرط لهم من بلوغ الأجل، فاخذهم الله، عز وجل، بتعجيل العقوبة، فاحترمهم (٢) دون ما سمّى لهم لو اطاعوا، ورجعوا إلى دينه، وفي هذا كفاية، والحمد لله.

مثال آخر بتأخير العذاب عن قوم يونس:

ومن الحجة ايضاً قوله، عز وجل، ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) ﴾ (٣)، افلا ترى ان الله، عز وجل، قد كان اعلم يونس، صلوات الله عليه، ان العذاب واقع بهم، فاعلمهم يونس بذلك، فآمنوا بعد انصراف يونس عليهم، فاخر الله عنهم العذاب، بعد ما كان قد حتمه عليهم، فهذا أكبر الدليل، وأوضح شاهد، والحمد لله.

***

---

(١) سورة إبراهيم: الأيتان ٩ - ١٠، وردت بالاصل ﴿ باتهم لم ﴾ وهو خطا.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٨.

المسألة السابعة

الجدل حول مدى تأثير علم الله فى الاستطاعة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ **وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ** ﴾ [1]، اليس قد كره الله ان ينبعثوا وثبطلهم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس الله ثبطهم عن الخروج مع رسوله، وكره أن ينبعثوا معه، والانبعاث معه طاعة، والتخلف عنه كفر؟!

فإن قالوا: بلى [2] فقل: أفليس الله قد كره أن يطيعوا، إذ علم أنهم لا يطيعونه؟.

فإن قالوا: نعم: فقل. اليس كل من علم الله منه انه لا يطيعه، فقد كره ان يكون منه، غير ما علم؟

فإن قالوا: نعم. فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل، ودخلوا معك فيه.

وإن قالوا: إن الله لم يكره انبعاثهم، ولم يثبطهم، تركوا القرآن.

فسلهم عن ذلك: اليس قد انزل الله هذا القرآن؟

فإن قالوا: بلى[3] .. فقل: فما معنى ذلك، إذ يقول: ﴿ **كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ** ﴾؟!

فإنهم لن ياتوا بحجة، وانهم عسى [4] ان يقولوا: اخبرونا عن أول هذه الآيات، اليس قد قال، عز وجل، ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)** ﴾ [5]، إنهم يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله، وما لا يعلم الله، انهم يصنعونه؛ ولكنه إنما عنى حلفوا بالله، ما لنا استطاعة مال، فشهد الله ﴿ **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)** ﴾، لقد كانت لهم استطاعة مال، وتصديق ذلك قوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ / يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** ﴾ [6].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦.

(٢) فى الأصل: بلا.

(٣) فى الأصل: بلا.

(٤) فى الأصل: عسا.

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢.

(٦) سورة التوبة: الآية ٩٣.

٣٨ظ / وقال : استأذنك أولوا الطول منهم، وحلفوا ما لهم طول، فشهد الله أنهم لكاذبون ، وقال فى بعض ما أنزل الله فى كتابه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً ﴾ [(١)]، يقول: من لم يكن له مالٌ ، أن ينكح المحصنات ، فسمى المال استطاعة الطول، وذلك حين استنفرهم ،اعتلوا له بأن ليس لهم طول مالٍ، فكذبهم الله.

الرد على المجبرة :

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : أما ما سألت عنه من قول الله، عز وجل: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ ، فإن نقول لك: إنما جئت بوسط الخبر، الذى ذكره الله، عزوجل، عن العاصين لنبيه، صلى الله عليه، ولم تعقل ما قبله، ولا ما بعده من شواهد حجج الله ، جل ثناؤه ، المؤكدة ، وبراءته من ذنوبهم الواضحة، إذ قال ، عز وجل، ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [(٢)] .

الجهاد فريضة على كل مسلم :

ونحن نقول لك أخبرنا: هل افترض الله، عز وجل، الجهاد على من بعث إليهم محمداً ، صلى الله عليه، أم لا؟

فإن قلت : لا ، أكذبك جميع الخلق، من أهل الإسلام.

وإن قلت : نعم .. قلت فى ذلك الحق ، إن الله ، عز وجل، قد افترض الجهاد على جميع أمة محمدٍ ، صلى الله عليه، ولم يفرضه على بعضهم دون بعض، إلا من عذره الله، عز وجل، من المريض والأعرج والأعمى[(٣)] ، أو الضعيف أو المجنون أو الطفل.

فإذا الزمك هذا القول، قلنا لك: أفليس قد أمرهم رسول الله، صلى الله عليه ، بالخروج للجهاد فى سبيل الله؟.. فإذا قلت نعم .. قلنا لك : فأخبرنا عما نحن سائلون عنه، وفيه قطع دعواك جميعاً ، فى العلم والاستطاعة مع الفعل ، والقضاء والقدر، وأنك مبطلٌ، فى جميع ما ادعيت من ذلك كله ، مسخطٌ لله، جل ثناؤه ، بما

(١) سورة النساء : الآية ٢٥.

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٦.

(٣) فى الأصل : الاعما.

وضعت من باطل، على أهل العدل؛ لأنه يلزمك فى قولك، أنهم لا يقدرون أن يصنعوا خلاف علم الله منهم.

فنقول لك : فهل لهم حيلةٌ على أن يدفعوا ما خلق الله، عز وجل، من أفعالهم، وقضاه وقدره وأراده من أعمالهم، كما لم يقدروا أن يفعلوا خلاف ما علم الله ، سبحانه ، منهم ؟!

فإن قلت : لا يقدرون على خلاف ذلك، والخروج منه . .

قلنا لك : فما معنى قول الحليم ، الذى لا يظلم ولا يجورُ ، فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [١]، وهم ليس لهم إرادة ولا لهم حيلة، فى الخروج من خلقه، ولا من قضائه وقدره وإرادته، ولا إلى ترك ما علم من أفعالهم، ونحن لا نجد لهم أمراً يجب عليهم فيه عذاب، ولا يلزمهم به معصية؟!!

٣٩و/ إذا الفعل فعل ربهم بهم، وهو الخالق أفعالهم / والمقدر لها عليهم - زعمتم - وهو القوى، الذى لا يغلب ولا يقهر!!

وأخبرونا عن قوله ، سبحانه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [٢] ، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٤]، وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [٥] .

كلام المجبرة يبطل الدين رسالة وتكليفاً

فهات، أخبرنا أنت، ما معنى إرساله الرسل وإنزاله الكتب، على قوم لا يقدرون على أن لا يعلمَ الله منهم فعلاً قبيحاً ولا معصية ، ولا يقدرون على الخروج من خلقه لأفعالهم، ولا تقديره عليهم، وقضائه الذى حتم من معاصيهم؟!!

وهل رأيت أحداً قط يقيدُ عبده، ثم يأمره بالحضراء [٦] ، ويكلفه الطيران فى الهواء، والمشى على وجه الماء، أويكون هذا من صفته حكيم عدل رحيم؟!

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٥) سورة النساء: الآية ٨٢.
(٦) العدو والوثب.

نقض نظرية الكسب[1] :

فإن قلت : إن فعالهم خلقٌ لله، عز وجل، وإنهم اكتسبوا ذلك الخلق.

قلت لك : فإن الحجةَ عليك ، بعدُ قائمةٌ يلزمك أن اكتسابَهم هو خلق الله أيضاً[2]، وإذا كان الله خالق كل شئ ، على قولكم ، واكتسابهم أيضاً[3] ، هو خلقه الذى هو المعاصى !!!

وإن قلت : إن لهم فعلاً ، ولله ، عز وجل، فعلٌ ، وكل واحد منهما غير الآخر.

قلنا لك : فقد لزمكَ أنك قد رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا : إن فعل الخالق غير فعل الخلق، وأن فعل العباد غير فعل المتعبد، ولذلك استحقوا بأفعالهم الثواب والعقاب.

نقض فكرة الفعل بين فاعلين :

وإن قلت : بل فعلهم هو فعلُ الله. لزمك أن الله ، عز وجل ، هو الفاعل لكلِّ قبيحٍ وفاحشة، عز وجل عن ذلك وتعالى البرئ من أفعال عباده، الطاهر من ظلمهم!

وإن قلت : إنه فعل بعضها؛ لأن من قولك أنه فعلٌ من فاعلين . لزمك أنه فعل بعض الفواحش والقبائح، وهم بعضها !!

فلا مخرج لك من أى هذا القول دون الكفر، أو الرجوع إلى الحق، والقول بالعدل، الذى هو العدل والحق، لا جورك الذى وصفت وسميته عدلاً !!

ولا عجب أعجب من تسميتك وتكريرك، كلما احتججت، سميت الجبر عدلاً ! تعالى الله عما قلت .

---

(١) الكلام الذى يذكره أحمد بن يحيى، يدل على ان نظرية الكسب، لم تكن لأبى الحسن الأشعرى، ولكنها ظهرت قبله بزمن بعيد، وكانت مقررة عند فريق كبير من المسلمين ، فاحمد من وفيات (٣٢٥هـ - ٩٣٧م) ، والأشعرى توفى سنة (٣٢٤هـ) على الأرجح ، مما يعنى أنهما كان متعاصرين ، والمعاصرة حجاب، وكتاب احمد رد على كتاب عبدالله ابن يزيد المذكور، مما يدعونا إلى الشك فى نسبة اصول هذه النظرية للاشعرى ؛لانه لا يعقل ان يقرر الاشعرى هذه النظرية بعد تركه الاعتزال، والذى يرجح ان يكون بعد الثلاث مائة للهجرة (٣٠٠هـ) ، ويقرر نظريته، وتروج فى العالم الإسلامى، فيرد عليها الإمام احمد بن يحيى، عن طريق كتاب عبدالله بن يزيد المجبر، وإن كان الاحتمال قائماً بان يكون عبدالله هذا احد اصحاب الاشعرى!

(٢) فى الأصل : ايضىً. (٣) فى الأصل : ايضئً.

تفسير أحمد لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ... ﴾

واعلم أن معنى الآية التى ذكرت، من قول الله، عز وجل، ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [1]، فإنا نقول: إنه لما دعاهم رسول الله، صلى الله عليه، إلى الخروج والجهاد فى سبيل الله، لم يريدوا ذلك، ولم يجيبوا، اتباعاً للهوى، وميلاً إلى الردى، ولم يعدوا العدة التى بها يقوم الجهاد ويجب الأجر، فكان تثبيطهم لما فعلوا، وما حكى الله، عز وجل، منهم - وعلم أنهم لو خرجوا مع نبيه، صلى الله عليه، لفعلوا به.

٣٩ ظ / كما علم، أنهم لو أرادوا ما علم الله ذلك / منهم، ولا علم منهم إلا الخير والطاعة والعُدَّة للجهاد، وترك التسمع [2] والتجسس على رسوله، صلى الله عليه، فقال: ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) ﴾ [3].

ثم قال لنبيه، صلى الله عليه، ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) ﴾ [4].

أفلا ترى، أيها المهلك لنفسه، ولمن معه، أن الله، عز وجل، لم يثبطهم عن دينه، ولم يحل بينهم وبين طاعته، والجهاد فى سبيله، والخروج مع رسوله، صلى الله عليه، إلا لمعصيتهم أولاً وآخراً، التى كان منهم فيها البدوُّ؟!

١ - **فأما أولاً**: فما كان منهم من ابتغائهم للفتنة، وتقليبهم لرسوله الأمور، حتى ظهر الحق الذى كرهوا، وأعرضوا عنه، بكفرهم وظلمهم وعدوانهم، الذى استوجبوا به فى الدنيا الخزى من الله، عز وجل، وسوء الثناء، الذى ذكرهم به فى كتابه، لا يزال يقرأ قبح أفعالهم، وابتداءهم بالظلم والإعراض عن أمر الله، عز وجل، وأمر رسوله، عليه السلام، أبداً حتى تقومَ الساعةُ.

٢ - **وأما آخراً**: فما كان من كفرهم، الذى أضمروهُ لرسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، من الغش والخيانة والتسمع، والذى قال الله، عز وجل:

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦.

(٢) أعلى منها مكتوب: التشميع.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٦.

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٤٧ - ٤٨.

﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ، وقوله : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين.. ﴾ .

وإنما كره انبعاثهم وثبطهم، لما علم من كفرهم، وسوء اختيارهم، وإفسادهم على رسوله، ﷺ، : «لو خرجوا معه».

فلهذه الأسباب كره، عز وجل، انبعاثهم وثبطهم. لا ما ذهبت إليه أنت، من أن الله - عز وجل عما قلت - كره انبعاثهم مع رسوله، صلى الله عليه، وجهادهم لأعدائه، لغير علةٍ من العلل، ولا حجة لزمتهم، وثبطهم عن الجهاد ؛ لا لسبب استوجبوه ، ولا أمر استحقوه ، إلا ابتداءهم بالكراهية، والتسبيط من غير علةٍ وجبت له عليهم، ولا ظلم أتوه، ولا عدوان بدءوه به، تعالى عما قلت علواً كبيراً!!

في نفي الجور والظلم عن الله، عز وجل:

والشاهد لنا في تصديق قولنا وصواب حجتنا قول الله، عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [1]، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ⑮ ﴾ [2]، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [3] وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [4] ، وذلك بعد
٤٠و / استحقاقهم له، وإعراضهم عن الطاعة، فأما ما قبل قيام الحجة / فلا يجوز ذلك، على العدل الذي لا يجورُ!!

كيف؟!.. وهو الذي يقول، وقد أخبر عن قوم ظلموا أنفسهم ، وجحدوا بآياته : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑭ ﴾ [5]، أفلا ترى [6] أنهم لما جحدوا بعد المعرفة، لما جعل الله لهم الاستطاعة إلى تركه وفعله، نفى [7] ذلك عن نفسه، عز وجل.

فإذا كان جحدانهم آياته عنده، ظلماً وعلواً ، فعاب ذلك عليهم . ثم أخذهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٣.

(٤) سورة الرعد : الآية ١١.

(٥) سورة النمل : الآية ١٣ ، تكررت في الأصل: وهو خطأ من الناسخ.

(٦) في الأصل: ترا.

(٧) في الأصل: ونفا.

وعذبهم على امر لم يكن فيه معنى لزمهم به حجة، فلمَ إذن سماه ظلماً وعلواً وفساداً؟.. وإلا فاين العدل والحق، وترك الجور والظلم ؟!!

هل من علِمَ الله منه أنه لا يؤمن يكره منه الإيمان ؟!!

واما قولك: اليس من علم الله منه انه لا يطيعه، فقد كره ان يكون منه غير ما علم؟. فإن قلنا – زعمت: نعم. فقد اعطيناك ما عبنا عليك، من جورك الذى سميته عدلاً؛ عز الله عما قلت.

وبالله، ما نعلمُ للمشركين حجةً على الله، عز وجل، ولا على رسوله، صلى الله عليه، تقوم بعذرهم، وتقطع من خالفهم، اقوى من حجتك هذه، التى احتججت علينا بها !..

لانه لا يجبُ للمشركين، على قود قولك هذا، وفريتك على الله، عز وجل، ودعواك الباطلة، أن من عَلم الله، عز وجل، فيه أنه لا يطيعهُ أنه قد كره منه ان يكون منه غير ما علم الله، سبحانه!.. (ولذلك يجوز) (1) ان يقول المشركون لمحمد، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: اخبرنا يا محمد اليس قد علم منا ان لا نؤمن ولا نتبعك ابداً ؟!

فما قولك، ياعبد الله بن يزيد البغدادى، فى جواب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لهم، هل يجوز له ان يقول: لا لم يعلم الله انكم لا تؤمنون ولا تقبلون منى!.. فإن جوَّزتَ ذلك على رسول الله، صلوات الله عليه، كفرت، وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: إن الواجب ان يقول لهم رسول الله، صلى الله عليه: بلى (2)، قد علم الله انكم لاتؤمنون بى، ولا تتبعونى ابداً.

فإذا قال ذلك النبى، عليه السلام، قالوا له؛ كما قلت انتَ: اخبرنا يا محمد فَلِمَ ارسلك إلينا، وقد علم انا لا نؤمن ابداً ولانتبعك؟!.. وكيف يجوز عندك يا محمد فى حكم ربك، ان يامر ان نتحوَّلَ عن عبادة الاصنام إلى عبادته هو، وقد علم ان ذلك لا يكون منا ابداً؟!!!

---

(1) ليست بالاصل.

(2) فى الاصل: بلا.

لأنــه إن كان منا إيمــان أو توبــة، أو رجعــةٌ إلى الإسـلام، بطــل علمُهُ !!

٤٠ط/ فنحن نقول لك أيها المجبر الجاهل والمفترى على الله / ، جل ثناؤه ، هل مع نبـيك، هذا المصطفى والمنتـجب [1] للوحى. والمختومة به الرسلُ، حجةٌ يقطع بها المشركين، ويورثها أمتهُ من المسلمين ، ليحتجوا بها على المدعين، إلى يوم الدين؟!

فى إثبات الحجة ونفى العبث عن الله ، تعالى:

فإذا قلت : نعم، معه حجةٌ يقطعُ بها المشركين .

قلنا لك : ما هى ؟! هاتها، وعرِّفْنا بها، إن كنتَ من الصادقين؟!

فإن ادعيت، غيرَ ما احتججت به علينا فى العلم، سقطت حجتك علينا، فى العلم التى اعـتللـت علينا بـهـا، لأنـه ، صلوات الله عليـه، إذا احـتج على المشركين، لـم يكن احتجاجهُ إلا بما يقطع به حجة المشركين.

وذلك الذى احتج به المشركون، قولكم وحجتكم، التى احـتججتم بها على أهــل العــدل، فى دعواكم أن من علم اللهُ، سبحانه، منه أنه لا يؤمنُ أنه لا يكن منه غير ما علم الله.

ولو كـان منه الإيمان، لبطل مـا علِمَ الله، عـز وجل، فـيــه أنه لا يؤمـنُ، وهو قــول المشركين، الذى قلنا لك أنهم احتجوا بـه، على رسول الله، صلى الله عليه.

وإن قلت : أن لـيس مع رسـول الله، صلوات الله عليـه وعلى آله، حـجـةٌ ، غـيـر مـا ادعيـت أنـت وإخوانك المجـبرة، وقلتم به فى العلم، لزمك أن الرسول، عليه السلام، لم يحسن يحتج على المشركين ، وأنهم قد فلجوه، ولـم يقـدر لهـم على جواب، غيـر ما قلتم، فـيلزم النبى ، صلى الله عليـه ، أن إرساله عـبثٌ ولعبٌ ، إذْ علم الله، عـز وجل، أنهـم لا يؤمنون!

ثم بعثـه إليـهم، يطلبُ منهـم مـا لايقـدرون عليه!.. وهـذا غاية الكفـر والشـرك، والعبث واللعب، وفساد الحكمة، وغايـة الطعن على الله، عز وجل عـما قلتم، وعـلا علواً كبيراً.

---

(٣) المختار والمصطفى.

علم منهم أنهم لا يؤمنون مع علمه قدرتهم على الإيمان كذلك:

وكذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، ولكنَّا نقول : إنه كما علم الله منهم أنهم لا يؤمنون ، كذلك علم الله أنهم يقدرون على الإيمان، وعلى أن لا يعلم الله منهم الشرك، لأنه افترض عليهم الخروج من الشرك، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم؛ لأن الله، عز وجل، قد أحاط بكل شئ علماً .

على العباد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

ولا مخرج لأحد من علم الله، عز وجل، والدليل على ما قلنا لك، فى بعض كتابنا هذا، من الحجة القاطعة، أنا نسالك : هل أراد الله من العباد، إنفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما علم بإنفاذ ما أمر ؟!

فإن قلت : إن الله، عز وجل، أراد من الخلق إنفاذ ما علم بترك ما أمر، لزمك وأنت ٤١و/ مفلوج الحجة، أن الله، عز وجل، أراد إنفاذ ما / علم من الظالمين، وترك الفرائض التى جاءت بها المرسلون ، وفى هذا القول يلزمك الشرك، والخروج من دين الإسلام كافة، إن - زعمت : أن الله ، عز وجل أراد أن تترك فرائضه وكتبه، ودينُهُ الذى شرع، وأمره ونهيه وطاعته وطاعة رسله، عليهم السلام، إذ يقول : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [2] ، ثم قال : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) ﴾ [3] .

وإن قلت : إن الله، عز وجل، أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم. لزمك أنك رجعت عن جهلك، وأن الحق معنا، وهذا قولنا أن الله، عز وجل، أراد من الخلق إنفاذ ما أمر به من طاعته، بترك ما علم منهم، من اتباعهم للهوى، والميل إلى الكفر والردى، والصدَّ عن الهدى، إذ أمر تخييراً ونهى [4] تحذيراً ، فلمْ يُطع كرها ولم يُعص مغلوباً .

ولعمرُ الله، إن مسالة [5] واحدة من مسائلنا هذه، لتقطعُ جميع أهل الجبر ، وتجزئ عن الاحتجاج بغيرها، ولكن لابد من جوابك على كتابك كُلِّه؛ لتعلم موضع خطابك

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ٢٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٢٧ .

(٤) فى الأصل: ونها .

(٥) فى الأصل: مسئلة

واحتجاجك علينا في مسائلك هذه بالقرآن ، وانت لا تعرف القرآن ، ولو عرفت القرآن لم تقل بالجبر.

المجبرة تعذر المنافقين :

وأما قولك :إن الله، جل ثناؤه، لم يُكَذّبْ المنافقين في قولهم : ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ يعني ، زعمت ، حلفوا انهم لا يستطيعون ان يصنعُوا غير ما علم الله، وإنما عنى الله، عز وجل، بذلك ، زعمت ، أنهم حلفوا ؛ لانهم لا يقدرون على الاستطاعة والمال، وزعمت، ان الله شهد إنهم كاذبون.

وقد قال، عز وجل، زعمت، في حجتك : ﴿وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [1] .

كان للمنافقين استطاعة مالية وبدنية :

الجواب قال أحمد بن يحيى عليهما السلام ، فقد يلزمك في هذا القول، الذى احتججت به علينا، ان الاستطاعة قبل الفعل، إذ اقررت ، زعمت، من لسانك، ان الله، عز وجل، شهد عليهم، أنهم حلفوا مامعهم استطاعة المال، وهي معهم ، على قولك ، وذلك عندنا، نحن، الأمر الذى عاب الله، عز وجل، عليهم ، إذ كانت معهم استطاعة المال، ثم حلفوا ما هي معهم، وهي معهم، قبل الخروج مع النبي، صلى الله عليه، وزعمت أنها التي عنى الله، عز وجل، ففررت[2] من شئ وقعتَ فيه !!

٤١ظ/ فإذا لم تُقرّ لنا انهم إنما حلفوا / على انهم لا يقدرون على الخروج بالابدان؛ لأن ليس معهم استطاعة الخروج بالابدان ، على قولك.

وزعمت أن معهم استطاعة المال ، وقلت :إن الله شهد عليهم بذلك، فقد وقعت فيما فررْت منه ، وليس نريدُ منك اكثر من هذه الآية.

قد لزمك ان الله، عز وجل، شهد عليهم، ان معهم استطاعة المال، ولم يخرجوا مع، رسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا قولنا ، وبه وجبت لله، عز وجل، عليهم الحجة.

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٥

(٢) في الاصل: ففرت.

وقد شهدت للمنافقين بالبراءة، ودافعت عنهم، ولزمك في قولك أن الاستطاعة قبل الفعل لقول الله، عز وجل، على إجماعنا وإجماعك معنا: ﴿ **يحلفون بالله لو استطعنا، لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم، والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾، فأقررت أن معهم المال، ولكون المال معهم، لزمهم الخروج مع النبي، صلى الله عليه، ولزمتهم الحجة؛ لأن كون المال موجود عندهم قبل الفعل، وهو خروجهم مع النبي، صلى الله عليه وعلى آله، فافهم ما وقعت فيه.

من كان له مال استطاع الخروج:

ثم أكدته لنا على نفسك بقولك، وتصديق ذلك قول الله، عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** ﴾ [1]، وقال: ﴿ **اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ** ﴾ [2]، فأخبر أنهم ظنوا ما لهم طول، فشهد الله «**إنهم لكاذبون**».

وهذا هو الحق، وهو الدليل الأعظم على أن الاستطاعة قبل الفعل، وهو قولنا، وقد وافقتمونا، واستشهدتم القرآن، وقد قبلنا هذا الموضع من قولكم؛ لأن من كان له مال، فقد لزمه الخروج في سبيل الله، مع صحة البدن، بعد ملك المال، فقد صح أن الاستطاعة قبل الفعل.

ولذلك لزمهم ما قال الله، عز وجل، منهم: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ** ﴾ [3]، لما قد فسرناه من أول أمرهم إلى آخره، وفي هذا كفاية، والحمد لله، ولولا خوف التطويل لزدنا من الحجج غير هذا.

الاستطاعة في الآية الطول قبل النكاح:

وكذلك قوله: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ** ﴾ [4]، والطول لا يكون إلا قبل النكاح، وإن لا، فبماذا ينكح إذا كان فقيراً؟!.. غير أني أظنُ أنك شهوت في احتجاجك بهذه الآية؛ لأنك احتججت بأنه يشهد عليك، ولا يشهدُ لك. وكل القرآن على ذلك، يشهد للعدل؛ ولأهله، ولا يشهد عليهم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٦

(٤) سورة النساء: الآية ٢٥.

المسألة الثامنة

إن الله قدر معاصي البشر عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغداى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه،[1] : ﴿ أَلَمْ
٤٢و/ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠)/ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) ﴾[2] ، ما يعنى بذلك؟

فإن قالوا: عنى بذلك أنه يخبرنا أنه خلقنا من ماء مهين، فجعله فى قرارٍ مكين، إلى قدرٍ معلوم، يُخرجه ويولجه ، فقل : ذلك كذلك.

اخبرونا الآن عن رجلٍ ، شق بطن امراةٍ حُبْلى، فاخرج ولدها ظلماً وعدواناً، اليس بقدرٍ معلومٍ خرج؟

فإن قالوا[3]: خرج بغير قدرِ الله. فقل لهم: فما كان يقدر الله له قدراً غير هذا؟ فقل: أليس قد يستطيع العباد أن يكون منهم، الذى قال الله انه معلوم، ان لا يكون معلوماً؟

فإن قالوا : نعم .. فهذا اعظم الفرية، وقد اعطوك، ماكنت تجترئ منهم بدونه.

فإن قالوا: خرج حين شقَ بطنها بقدرٍ. فقد قدَّر اللهُ المعصية؛ لأن شقه بطنها معصيةٌ، وبذلك خرج، فقد قدر الله ان يخرج من بطنها بمعصية؟

فإن قالوا: نعم.. فهو قولك، الذى عابوا عليك من العدل، قد دخلوا فيه..

رد أحمد بن يحيى وبيان معنى القدر المعلوم:

الجواب : قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: قد قال الله، عز وجل، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) ﴾[4] . فنحن نقول : صدق الله فى قوله، وفلجت حجته انه خلق الولد فى البطن، وجعل له اجلاً غير محتومٍ ، ولا مجبور ولا محظور على الخلق التعدى عليه ، ولا على امةٍ ، إلا بالامر

---

(١)فى الاصل: سبحنه.

(٢) سورة الموسلات: الآيات من ٢٠ إلى ٢٣.

(٣) يبدو ان جواباً محذوفاً فى هذا الموضوع تقديره: «نعم».

(٤) سورة المرسلات : الآيتان ٢٠ - ٢١.

والنهى، ولو كان ذلك محظوراً على الخلق، حتى لا يجدوا السبيل إليه ولا إلى أمه ، من قتل أو شق بطنٍ ، و ذبح طفل أو قتلِ كهلٍ، لما قدر فرعون اللعين ولا غيره، على شقّ بطون الحبالى، ولا قتل الأطفال، ولا إهلاك الرجال.

هل خلق الله فعل فرعون ؟!

فإن قلت: إن فرعون فعل ذلك بما خلق الله، سبحانه ، (فيه) [1] من فعله وقدَّره من ظلمه، وقضاه من سيرته، وأراده من كفره وعلوه، فليس على فرعون حجة، ولا يجبُ عليه عذاب؛ لأنه مثل الباب، على قود قولكم ، الذى متى شاء صاحبه فتحه، ومتى شاء أغلقه، وإذا احتج فرعون بين يدى الله، عز وجل، يوم القيامة، إذ قال له: يا فرعونُ لم قتلت الأطفال وشققت بطون الحبالى؟.

فقال فرعون: فعلتُ ذلك يارب بما قضيت عليّ وقدَّرت من معصيتى، وخلقت من فعلى. فنقول للمجبرة عند ذلك خبرونا: هل صدق فرعونُ ، أم كذب فى حجته هذه، إذا احتج بها يوم القيامة ؟!

فإن قلتم: كذبَ. رجعتم عن قولكم، وصرتم إلى قولنا بالعدل، وإن قلتم : صدق فرعونُ ، أن الله قضى عليه [2] قتل الأطفال، وشق بطون الحبالى.

جعل المجبرة فرعون مع الصادقين !

قلنا لكم: فما جزاء من صدق بين يدى الله، عز وجل، فى ذلك اليوم؟.. أليس قد ٤٢ظ/ قال ، عز وجل، / ضامناً لمن صدق: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [3] إلى آخر الآية ؟!

فيجبُ، فى قولكم ، أن يأمر بفرعون إلى الجنة؛ لأنه صدق، وقد وعد الله الصادقين الجنة، وهو لا يخلف الميعاد ، وكفى [4] بهذه فضيحة وبلاءً!!!

وبعد ، فلم قلت، فى مسالتك [5] هذه: فاخبرونى عن رجل شق بطن امرأة

---

(١) ليست بالأصل

(٢) فى الأصل: قضا.

(٣) سورة المائدة : الآية ١١٩.

(٤) فى الأصل: وكفا.

(٥) فى الأصل: مسلتك

حبلى[1]، فاخرج ولدها ظلماً وعدواناً، زعمت .. اخبرنا أنت أين موضع الظلم والعدوان الذى قلت، وهذا الرجلُ الذى شقَّ بطن الامرأة، يحتج عليك بأن الله خلق فعله، وقدره عليه، وأرادهُ وقضاه، وأن الله، سبحانه، علم انه يشق بطن الامرأة، ثم لا يقدر هذا الرجل، أن يفعل من ترك شق بطن المرأة، على غير ما علم الله منه، وقدّره عليه وأراده منه، وخلقه من فعله؟!!

فاخبرنا، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوانك المجبرة، لم سميت شقه لبطن الامرأة ظلماً وعدواناً؟

العدل الذى خلقه الله شئ واحد:

وأعلمنا أين الظلم والعدوان، وكيف هيئتُهُ حتى نعرفه، كما قد عرفته بحجة قاطعة وببيِّنة عادلة؟!

فإن الجنة لا تُدخلُ إلا بالحق، وإن النار لا تدخل إلا بالحق أيضاً[2]، إذ القاضى من شانه العدل، وترك الجور والظلم.

وقد قال، جل ثناؤه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾[3]، فإن كان شق بطن هذه المرأة فعلاً لله، تعالى عما قلتم، خلقه وقدره، وأراده وقضاه، ظلماً وعدواناً، فقد ظلمتَ الرجل، فى إضافتك إليه الظلم والعدوان، وهو فعل غيره، لانه فعلُ ربك، زعمت!!

فليس لك أن تسألنا؛ لأن الله، عز وجل، قال: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾[4] وما قولك؛ إن سألناك: أهو فعل الله، جل ثناؤه، تفرَّد به دون الرجل الذى ذكرت، أم لا؟.

فإن قلت: نعم، لزمك أن كتابك هذا، وحجتك باطل، وسؤالك عن فعل الله، عز وجل، خطأ عظيم، وكفر بين، لقوله: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾.

وإن قلت: إن شقَّ بطن الامرأة، فعل للرجل ولله جميعاً، لزمك، فى حكم الإسلام،

---

(١) فى الأصل: حبلا.

(٢) فى الأصل: ايضىً.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

ان لو ان رجلين شقا بطن امرأة ، فاخرجا ولدها، ان عليهما جميعاً دية المرة، وغرة في ولدها، إلا ان يكون حكمكم، ان الدية لاتلزم إلا احد القاتلين، وتسقط عن الآخر !

ومن قال بهذا ، فقد خرج من حكم الاسلام، وقد قال، عز وجل، يحكى عن نبيه شعيب، صلوات الله عليه، وصدقه، الذى قال لقومه، وهو من عدل الله الذى بعثه، عز وجل: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾[1] .

٤٣و/ فذلك الدليل على ان / الله، عز وجل، **لا يحكم على العباد بعدل، ثم يخرج نفسه من ذلك العدل.**

وإن قلت : إن عليهما جميعاً الدية، لزمك ان على هذا الرجل، الذى أدعيت أنه شق بطن المراة، نصف الدية، وعلى الله، عز وجل، نصفها!

وبعد، فلمَ قلت فى مسالتك هذه: فاخبرونى عن رجل شق بطن امرأة حبلى فاخرج ولدها ظلماً وعدوانا ، زعمت؟!.. أخبرنا أنت، أين موضع الظلم والعدوان، الذى قلت؟!

وإن قلت : أن ليس يلزم الله، عز وجل، شئ من ذلك.

قلنا لك: فكيف حكم علينا بامر من العدل، واخرج نفسه من ذلك العدل، الذى شرع لعباده وأمرهم، وقد قال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]؟!..

وإن قلت : إنك لاتقول باحد القولين، وأن الرجل هو الذى شق بطن الامرأة ظلماً وعدواناً وحده، وليس لله، عز وجل، فى فعله فعل .. فذلك هو الحق والعدل، وهو قولنا، وقول الملائكة، والمرسلين، وجميع المؤمنين ، ولزمك ان تكفر بكتابك، الذى وضعت علينا، وأن تتوب مما افتريت عليه، والزمته فيه، ذنب شاق بطن الامرأة ظلماً وعدواناً ، وإخراجه لولدها!

تزعم المجبرة إرادة الله للمعاصى:

وإن الله، عز وجل، زعمت ، أراد تلك المعصية وقدرها فى كتابه، ثم سميت

---

١) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤ .

الرجل عاصياً وظالماً ومتعدياً، سبحان الله العظيم عما قلت، فايكما الآن الظالم العاصى المتعدى .. أنت ام هو، إذ اوجبنا عليك الحجة القاطعة؟!!

وأما قولك : ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] ، فذلك القدر المعلوم، إنما هو إلى مدة، إن تركها الظالمون المحترزون، المكلفون للفرض، لاجبراً ولاقسراً، والممنوعون عن الظلم، بالكتب والرسل، لاكرهاً ولا اضطراراً، سلمت وبلغت الاجل الذى سمى لها، وإن اعتدى عليها معتد، فلا حائل بينها وبينه، من غير غلبة لله، عز وجل، إذ امر، جل ثناؤه، تخييراً ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً ولم يعص مغلوباً، ولا مخرج لك مما قلنا، والحمد لله رب العالمين ، فقد سقطت دعواك، فى ولد الامراة وشق بطنها؛ ولانه لا يجوز فى الحكمة والعدل، ان يقضى على احد بشق بطنها او قتل ولدها، ثم يقول : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [2] .

***

استدل المجبرة بآية الزخرف / ٣٣ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3] .

أليس لو جعل ذلك على الإيمان، لآمن الناس كلهم، كما أنه لو جعله للكافرين لكفروا كلهم، ولو جعله للمؤمنين مع الثواب فى الآخرة، لكان الناس اجدر ان يؤمنوا كلهم؟

فإن قالوا: بلى [4] . فقل فما منعه ان يفعل ذلك؟

٤٣و/ فإن قالوا: لم يرده، فقل: افليس لم يردْ الله ان يؤمنوا جميعاً، ولم يرد ان يجعل ذلك للكفار، فيكفر الناس جميعاً؟!

وهذا بابٌ ليس فيه خبرٌ؛ لانه لو فعل ذلك، لم يكونوا مجبورين ؛ -لجعله للمؤمنين لبيوتهم السقف من الفضة والمعارج. افليس لم يرد الله ان يؤمنوا؟

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٢.
(٢) سورة التكوير: الآية ٨ - ٩ .
(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٣.
(٤) فى الأصل: بلا.

فـإن قـالوا: بـلى [1] ، فقل: قـد اقررتم بان الله، عـز وجل، لم يـرد ان يؤمن الناس جميعاً ، ولـم يُردْ أن يجعل ذلك للكفار فى كفرهـم، فيكفروا جميعاً.

فإن قالوا: نعم.. فقل : هذا قولنا، إنه لم يرد ان يؤمنوا جميعاً ولا يكفروا جميعاً؛ لانه قـد علم أن منهم من يكفـر ومنهم مـن يؤمن، فلم يرد أن يـكون مـا علم غـير مـا علم، ولا أن يكون من العباد، ما لا يعلم انه كائن منهم.

***

جـواب أحمـد الناصـر:

الجواب ، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام،: ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴾ [2].

فإنما هذا إخبارٌ من الله، عز وجل، لم يفعله ولم يرده، ولم يحكم به على احد.

وسؤالك عما لم يفعله الله، عز وجل، خطأ منك، وجهل بكتابه؛ لانه يقول: **﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾** [3]، فانت تسمعه، عز وجل، يقول: **﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾**، ونـهـى [4] عن سؤاله عـما قد فعل، فكيف يسأل عـما لم يفعل؟!.. هذا أعجب العجب، وكفى [5] بهذا جهلاً ، وكفراً بالآية.

وهو ، عز وجل، فقد أنزل هذا الوصف الذى وصف ، وليسَ لاحدٍ أن يقول: لمَ لمْ يفعله، ولو انه أنفذه ، ولوانه لم ينفذه.

هل أراد الله قوماً مؤمنين وقوماً كافرين ؟!

فيجبُ على من يسأل عن ذلك، الخروج من حكم الآية، والمعصية لله، جل ثناؤه، فيها، وهو قوله: **﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾**، وهذا هو الحق.

---

(١) فى الأصل: بلا.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣

(٤) فى الأصل: نها.

(٥) فى الأصل: وكفا

واما قوله: ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، فهذا يوجبُ عليك انه لايسالهم إلا عن افعالهم، التى هو برئٌ منها ، ليس له فيها فعل، بوجهٍ من جميع الوجوه، ولابسبب من جميع الأسباب، إلا أمرُه لهم بالفرائض ونهيه لهم عن المعاصى، ولو كان له فيها سببٌ بمقدار شعْرَةٍ ، لم يجز فى الحكمةِ، ولافى العدل ان يقول: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، فعمَّ [1] يسالون إن كان الفعل كُلُّهُ ، هو خلقه وقدرُهُ؟!.. فهذا اعظم الدليل، واكبر الحجة لنا عليكم.

إنه، عز وجل، لوكان فعل شيئاً من افعال الخليقة، لكان اصح الكلام ، واوجب فى العدل، وابين للحكمة، وابعد من الظلم، ان يقول: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾، ثم يقف، إذ كان جميع ما ادعيت وذكرت، وبه احتججت، هو فعله وخلقه، وتقريره ٤٤و/ عليهم/ ولا يقولُ: ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، وَعَمَّ يُسالون، وهو الذى فعل افعالهم ، وجبرهم عليها؟!

زعمت ، واراد ان يكونَ قوم مؤمنين فكانوا ، واراد ، زعمت ، ان يكونَ قوم كافرين فكانوا، وعلم ، زعمت ، انهم لا مخرج لهم من الكفر، فصاروا بما علم منهم، لا يقدرون على الخروج من الكفر، بعد ما افترض عليهم الخروج من الكفر.

فَعَمَّ يسالون ، وهو الذى حال بينهم وبين كل طاعة، وارادَ منهم كل معصية وبلية - على قولك؟!! تعالى الله عن فريتك عليه، وجل جلالاً كبيراً.

التفسير الصحيح للآية :أراد الله أن يخيِّرهم

وإنما معنى [2] الآية انه، عز وجل، اخبر انه لو فعل لهم من سقف الفضة، والسرُر والمعارج، والامر الذى ذكر، عز وجل، لم يكن ذلك بدائم لهم ولا مُغنٍ، ولكنه، عز وجل، لم يحب ان يكون له فعل، يخرجهم إلى معصية قسراً، ولا طاعة جبراً، بل خيرَّهم تخييراً ، وصيَّر لهم السبيل إلى ذلك، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر، ولا خيرة لهم فى تنعيم ايام يسيرةٍ ، ثم تصير عاقبته إلى العذاب المقيم.

وقد قال الله ، عز وجل: ﴿ اعلموا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

---

(١) فى الاصل: فعمًا.

(٢) فى الاصل: معنا.

في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿٢٠﴾ ﴾ [١].

وأما قولك: فلو جعله للمؤمنين، مع الثواب فى الآخرة، لكان الناسُ أجدرَ أن يؤمنوا كلهم، فإن قلنا ، زعمت ، : بلى [٢]، قلت: ما منعهُ أن يفعلَ ذلك؟!.. وقد أعلمناك كيف عاب الله، عز وجل، عليك أن تسأله ما منعه، ولم فعل ولم يفعل؟ وأعلمناك ما يدخل عليك فى سؤالك الله، عز وجل، من الفساد والمخالفة للآية.

فى نص كلام المجبر الرد على حججه :

ولسنا نقول: بلى [٣]، ولا نجهلُ عدلَ الله، عز وجل، كما جهلْتَهُ ، وإنما انت تحتجُّ علينا، ثم تجيب نفسك عنا بالخطأ، ولا تدرى ما نورده عليك من البرهان القاطع، بحول الله وقوته ونصره.

لا يحتاج الله لرشوة عبادة حتى يؤمنوا :

فاسمع إلى ما قلنا، وانصف عقلك، واعلم أن الله، عز وجل عما قلت، لو جعل سقوف الفضة والمعارج والسرر، حتى يؤمنوا - كما زعمت - كلهم ، لأوجب ذلك عليهم أنهم لم يدخلوا فى الإسلام إلا بالجعل والرشوة، والعطية من عرض الدنيا الفانية، فيسقط أجرهم ويزول حمدهم وشكرهم، ولم يجب الثناء من الله، عز وجل ، عليهم، ٤٤ط/ ولم يقل: ﴿ الصابرين في / البأساء والضراء ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ [٦]، ويقول: ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴿٢٤﴾ ﴾ [٧]، ولكان مثلهم - على قود قولك - مثل أجناد السلاطين، الذين يقاتلون معهم بالأجرة ، فلم يجب لهم عليهم مِنَّة ، إذا أخذوا منهم الأجرة والعطاء[٨] .

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠. (٢) ، (٣) فى الأصل : بلا.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٦) الآية نفسها (٧) سورة الواقعة: الآية ٢٤، وفى أخرى ذكرنا بعضها من قبل.

(٨) ويسمون المرتزقة، وقد عرفتهم النظم القديمة، وما زالت تستعين بهم العديد من الدول، مع تطور لمفاهيم هذا النظام، الذى تعد الجاسوسية والإرهاب، وما يسمى بالطابور الخامس، شكل من أشكاله

ترى المجبرة أن الله لايريد إيمان الناس جميعاً ولاكفرهم جميعاً :

وأما قولك : افليس لم يرد الله ان يؤمنوا؟ . . فإن قلنا : زعمت – بلى . . **قلت لنا فقد** أقررنا بأن الله لم يرد ان يؤمن الناس جميعاً، ولم يرد ان يجعل ذلك للكفار فيكفروا جميعاً.

وإن قلنا لك ، زعمت ، : نعم . . قلت لنا ان ذلك قولك . وقول أصحابك **« أن الله لم يُردْ أن يؤمنوا جميعاً . ولم يرد أن يكفروا جميعاً »** لأنه ، زعمت ، قد علم ان منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يردْ ان يكونَ غير ما علم، على غير ما علم، ولا ان يكون من العباد ما لا يعلم انه كائن منهم.

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى: عليهما السلام: فَتَبَّتْ يداكَ [1] – لقد هلكت وأهلكت، من قبل عيكَ، وجهلك وجبرك وخطئك [2] ، وفريتك على خالقك ولم تدَّبر كتابه ، ولم تعرف محكمه من متشابهه، ولا الشافى الكافى من معانيه، الدالة على عدله والبراءة له من أفعال خلقه، والنزاهة عن ظلمهم، والقضاء بالفساد عليهم ، والبعد والتقدس عن القول الخطل، الذى ينقضُ بعضهُ بعضاً، جل ثناؤه، حاشاه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الا تسمع أيها المهلك نفسه، ولمن اتبعه من إخوانه ،كيف قال، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله : **﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾** [3]، وقوله: **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾** [4]، وقوله: **﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾** [5].

فهذا يكذب قولك، ويبطل حجتك، أنه أراد أن يكون بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين، وقوله : **﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾** [6]، يدعوهم إلى الهدى والطاعة، يدلُّ ويشهد على بطلان قولك، وان الله، عز وجل، أراد منهم الإيمان والطاعة جميعاً، ولم

---

(١) دعاء بالهلاك، ومثل يقال على كل ظالم ومكابر عنيد، واصله قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ سورة المسد الآية الاولى.

(٢) وردت في الأصل : خطاك.

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٦) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

يرُدْ منهم الكفر والمعصية، ولم يقل: «إني رسول الله إلى بعضكم دون البعض»، وقوله، عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[1]، و«الكافة» في لغة العرب[2]: هو الجميع الذي لا يبقى منهم أحدٌ لا ذكر ولا أنثى، هذا يوجب عليك أنه أرسله إلى جميع أهل الأرض ليؤمنوا كلهم، وبطل قولك: إنه أراد أن يكفر بعضهم، وأن يؤمن بعضهم!.. لابد لك من ذلك، إلا بجحود هذه الآيات، ومخالفتك جميع الأمة، على إجماعهم أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، قد دعا الناس كلهم إلى ٤٥و/ الطاعة، ولم يكتف / ببعضهم دون بعض، إلا أن تقول: إنه لم يبلغ!.. فإن قلت: إنه لم يبلغ. كفرت، وعذرت بعض الناس، ولم تعذر رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

واعلم أنه لا يجوز على الله، عز وجل، أن يقول لرسوله، صلى الله عليه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[3]، ثم يقول ذلك القول، خديعة وطيراً واستهزاء، والأمر على غير حقيقة، بعد قوله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾[4].

فلا يجوز هذا، وهو لا يريد أن يؤمنوا كلهم، فاظهر لهم، زعمت، قولاً في الظاهر، ثم دَسَّ محمداً، صلى الله عليه، إلى بعضهم حتى آمنوا كما أراد، وكفر الآخرون كما أراد، وهذه صفة المخادع والماكر، والذي يقول ما لا يفعل!!

وقد عاب الله، عز وجل، مثل ذلك على عباده فقال: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾[5]، فكيف يدخل، عز وجل، فيما عاب؟!!.. ثم يقول لنبيه، صلى الله عليه: ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[6]، ويقول لموسى وهارون، صلى الله عليهما، حيث أرسلهما إلى فرعون الملعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾[7]، يأمرهما، كما تسمع، بالرفق به والحرص على إيمانه، وخشيته وتذكيره.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٢) انظر المعجم الوسيط، مادة كفف، جـ٣ / ٧٩٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٤) سورة النساء. الآية ٨٧.

(٥) سورة الصف: الآيتان ٢ -٣.

(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٧) سورة طه: الآية ٤٤.

إرسال الرسل عند المجبرة شكلي وغير حقيقي !!

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادى، ومن قال بقوله من إخوانه المجبرة، أن هذا القول، على قود قولهم، كان على المخادعة وغير الصحة، ولم يكن على الحقيقة، ولم يكن من الله، عز وجل، على ثقة من القول ولا عدل، وإنما كان عن طريق الظن والاستهزاء، والأمر الذى لايريد أن يكون له حقيقة؛ لأنه أرسلهما، عليهما السلام ، إليه بهذا القول، وقد علم أنه لا يقدر على إجابتهما ولا اتباعهما.

زعمتم - فأرسلهما فى العبث واللعب، وترك الحكمة [(١)] والعدل، بغير إيجاب حجة ولا إبلاغ فى عذر، ولا على أن يعذب بعد استحقاق وكمال حجة، وإرسال نبيين اثنين بالقول اللين والرفق، والفعال الحسن الجميل، والدعاء إلى الخروج من الكفر، فخلده فى العذاب المقيم ، زعمتم ، على غير جرم ولا حجة لزمته، على قول المجبرة.

فإن قال قائل: إنا نشنع عليهم، ونقول عليهم خلاف ما قالوا، قلنا له : أليس هذا كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى، أقرب الحجج، الذى كتابنا هذا جوابه؟!..

يقول فيه : «إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم
٤٥ط/ مؤمنين، وكرر ذلك فى / كتابه مراراً ، واحتج علينا به، فإن الذى حال بين الكفار وبين الإيمان علم الله» زعم !!

لأنه لم يرد أن يكون منهم خلاف ما علم مع قوله : «إن الله، عز وجل، خلق أفعالهم وأرادها وقدَّرها وقضاها عليهم»!.. فالويل له ، ولمن قال بقوله!!

ماجوابه لمن سأله فقال له: أخبرنا عن قول الله، جل ثناؤه، لنبيه، صلى الله عليه، : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [(٢)]، هل تقرأ هذه الآية فى القرآن؟!

لا إكراه فى الدين :

فإن قال: لا .. كفر، وإن قال: نعم. قلنا له: فما معنى هذه الآية؟ فهى قائمة بنفسها، شاهدة لنا على من خالفنا، بأن الله ، عز وجل، أرد أن يكون الدين كله له، إرادة

---

(١) جاءت فى الأصل: «الحكمة وهو خطأ.

(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٩.

أمر، لا إرادة جبر وقسر، بل أراد أن يكون ذلك طوعاً من أنفسهم؛ لأنه لو أراد القهر والجبر، لم يُغلبْ ولم يكن فى الأرض إلاما أراد، ولا فى السماء.

وإذاً كان الدين كله لله، عز وجل، لم يبق فى الأرضِ كافرٌ واحدٌ!.. وفى ذلك بطلان قولكم: إن الله، عز وجل، أرد الكفر من الكافرين، ويلزمك أيضاً، فى دعواك، أنه أراد الكفر من الكفار.

زعمتم أن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يزول ماعلم. وكذلك يزول ما أراد من الكفر، فإن قلت: إن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم حتى يزول ما علم من كفرهم.. رجعت عن قولك، وبطلت دعواك، ولزمك التوبة من فريتك، وصرت إلى قولنا بالعدل، وبان جهلك لإصحابك وغيرهم.

وإن قلت: إنه لم يأمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم، حتى يزول ما علم من كفرهم.. قلنا لك: فما معنى قوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[1]؟! و«الفتنة» فى غير موضع من القرآن، الكفر خاصةً، معروفٌ ذلك فى كتاب الوحى، فلا تجدُ حجةً تلجأ إليها، ولا وزراً تأوى إليه، إلا الكفر بالآية، والتكذيب لها، أو الرجوع[2] إلى قولنا اضطراراً وقهراً.

قصد الله قتال المشركين:

إن الله أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يكون الدين كله لله، عز وجل، ويخرجوا مما علم من كفرهم وظلمهم، وجورهم وشركهم، وعداوتهم وجميع معاصيهم، والتى كرهها الله، عز وجل، وحرّمها عليهم.

فخرجوا من قبيح ما علم، إلى أحسن ما علم، وهذا هو دين الله، جل ثناؤه، الذى بعث به المرسلين وجاءتهم به الملائكة المقربون.

لابد لك ممّا قلنا: إما الكفر بالآية والجحدان لها، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل، لا جورك الذى سميته عدلاً، عز الله عن ذلك، وعند ذلك تفتضح، ويتبين خطؤك[3] وفريتك وخديعتك لأصحابك.

---

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٩.

(٢) فى الأصل: والرجوع.

(٣) فى الأصل: خطاوك.

٤٦و/ من الدليل / على تصديق قولنا ايضاً [١] قول الله، عز وجل، يحتجُ لنفسه على الكفار، ويبرأ من عظيم فعلهم، وانه لم ياخذهم بالعذاب إلا بعد الحجة القاطعة، والإبلاغ في العذر، والإصرار منهم على المعاصي، فقال، عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ، لَقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ، فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤) ﴾ [٢].

اهذا ويحك قول من أراد كفرهم ، او قضاء المعاصي عليهم؟!.. افلا تراه كيف لم يهلكهم إلا بعد الإعذار والإنذار، وقيام الحجة البالغة، وشاهد ذلك قوله، عز وجل، اصدق شاهد، واصح حاكم بيننا وبينك: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [٣]، وقوله ، جل ثناؤه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾ [٤]، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾ [٦]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [٧]. فاى ظلم اظلم ، او اىُّ جورٍ اعظم، من انه اخرجهم من العدم إلى الوجود ، ثم اراد ، زعمت ، ان يكفر به بعضهم ، وان يؤمن بعضهم، على غير حجة ولا امر لزمهم به العذاب ، ولا وجب للمؤمنين به الثواب؟!

وإلا فاوجدونا حجة لزمتهم بها حجة، هوخلى منها او برئ من مشاركتهم فيها، ونسلم لك!! لا تجد، والله ، ذلك ابداً ، إلا ان تجد الحيتان فى عقد الرمل، والضبات فى لجة البحر!.. وهذا غاية المحال، والحمد لله رب العالمين.

فهذا جواب ما ادعيت فى قول الله، عز وجل، فى آية الزخرف: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) ﴾ [٨]، الا ترى [٩] كيف قال، عز وجل، فى آخر القول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن

---

(١) فى الاصل: ايضىً.
(٢) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٤) سورة هود: الآية ١١٧.
(٥) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ٨١.
(٧) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٣٣.
(٩) فى الاصل: لاترا.

ذكرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]، أفتراه هو الذى عشى عن ذكر الرحمن، بإعشائه لنفسه واتباعه لهواه!.. ثم قال، عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2]، وهذه الصفة فقد أصابتك، ومن قبل عنك، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

الا ترى كيف هذا القول، يوجب عليهم الظلم، ويوجب براءة الله، عز وجل، من افعالهم كلها، لما ينسبُ إليهم من ظلمهم، ولا ينسب شيئاً منه إلى نفسه، جل عن ذلك ربنا وتعالى علواً كبيراً!!

٤٦ظ / وأما «التقييض» الذى ذكر، عز وجل، وماكان مثله فى جميع القرآن، فإنما هو عقوبة/ بعد استحقاق، لاعقوبة للإجرام، ولو كان ذلك لم يصح قوله، عز وجل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5].

***

احتجاج المجبر بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن، وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [6]:

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [6]، اتخيرٌ هذا ام وعيدٌ؟!..

فإن قالوا تخييرٌ. فقل: هل سمعتم الله خيَّر قوماً قط، ثم عنفهم، بأن يأخذوا ببعض ما خيَّرهم، أليس إنما ينفع التخيير فى كلامِ العرب، أن المخيَّر ليس بمذنب إذا اختار؟!

وذلك فى كتاب الله قوله: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [7]، فهو إن أرجى أو آوى، فلا ذنب عليه ولاتباعه، وقوله: ﴿ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [8]، فهو إن منَّ أو امسك، فليس مذنباً ولاحساب عليه، افهكذا [9] خيرهم؟!

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٢) سورة الزخرف: الآيات من ٣٧ - ٣٩.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٤) سورة غافر: الآية ١٧.
(٥) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.
(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٧) سورة الاحزاب: الآية ٥١.
(٨) سورة ص: الآية ٥١.
(٩) فى الأصل: افهكدى.

فإن قالوا: نعم. فهم إن أخذوا بالشرك بالله، فلا ذنب عليهم ولاتباعة؛ لأنهم إنما اختاروا ما جعل لهم فيه الخيار!!

وإن قالوا: ذلك وعيد من الله لهم، كقولك: أما والله، لئن فعلت لتعملن، وكقول الله، سبحانه: ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ [1]، فقد قالوا فيه بالعدل، وذلك ما عابوا عليك، قد أعطوكه.

جواب أحمد:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: عن قول الله، عز وجل: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [2]، ثم بلغت إلى ها هنا، ثم وقفت عن آخر الكلام، الذى فيه الشرط الذى شرط الله، عز وجل، فلم تذكره، حيث قال، عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ [3].

فنقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، لما بعث رسله، وأنزل عليهم كتبه، بالأمر والنهى، والفرائض والترك للشرك وجميع الظلم، ووعد الجنة من أطاع، وأوعد النار من عصاه، وأحكم ذلك كله، ووكده فى كتبه وعلى السنة رسله، صلى الله عليهم وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [4]، فلما أكد ذلك الأمر كله، بالحكمة البالغة، أحب أن يعلمهم، عز وجل، أنه غير جائز لهم، ولا قاسر على طاعة ولامعصية، وأنهم مخيرون بعد الشرط، الذى اشترط عليهم، لئن لا يكون لهم عليه حجة، وتصديق ذلك قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [5].

اللغة العربية تعرف التخيير بشرط:

٤٧و/ هذا تخيير بعد شرط. / مشروط، ولا محيص عنه، وليس هو على ما ذهبت إليه، أنه تخيير لاشرط فيه، وقلت: إنه يجوز فى لغة العرب، أن التخيير فى الشئ لايلزم ذنب، ولا عليه تبعه.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة الكهف: الآية نفسها.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

ولعمرُ الله، ما يجوز ذلك في لغة العرب، ولا في عقولهم، ولا في تعارفها، إلا أن يكون فيه شرط.

فإن العرب تعرفُ في عقولها ولغاتها، أن رجلاً لو قال لرجلٍ: أنا أهبُ لك أحدَ فرسي هذين، أو أحد سيفي هذين، على أن تخرجَ إلى البصرة ، وتأتي منها برطب، أراد في الشتاء. كان هذا التخيير في الفرسين والسيفين، يجوز على إنفاذ الشرط.

فأما لو قال: أنا أهب لك أحد الفرسين، أو أحد السيفين تختاره. ولم يذكر شرطاً، ولم يشرط عليه شيئاً، لم يكن عليه ذنبٌ فيما اختار ولا تبعةٌ ، ولا لوم ولا تعنيفٌ.

وإنما وقع اللومُ والتعنيف، والمطالبةُ على من عصى [1] الله، عز وجل، من جميع العصاة؛ لأجل الشرط الذى شرط عليهم، والفرائض التى افترضها، عز وجل، ووضعها[2] وأوجب لهم على أدائها الجنة، وعلى تركها النار، بالحكمة والموعظة الحسنةِ وطرح الجبر والقهر والقسر، ومعرفة كلٌ بما يأتي به وما يذر، مما يصلحه ويهلكه والإقرار بالعلم.

ومما يعرف في تصديق حجتنا، من التخيير في لغة العرب، التى ادعيتُ بجهلك باللغة، قول الشاعر يخير قوماً في الحرب، أو الكف عن الحرب فقال :

وأطلقنا أساراهم فَراحوا ... وكانوا في المنازلِ مكرمينا
وقُلنا ثم وعزنا إليهم ... إذا أنتم بَلغتم سالمينا
فإن شئتم فزورونا، نزركم ... وإن شئتم فقروا راغمينا

فجعل الخيرة إليهم ، وإن شاءوا رجعوا إلى الحرب والقتل والأسر، وإن شاءوا قروا في مواضعهم راغمين.

وهذا تخيير بلاشرط، فهذا الصحيحُ في لغةِ العربِ، أنه تخيير لا شرط فيه، وإنما التخيير بعد الشرط المؤكد فهو قول الشاعر :

أقول لقيسٍ بعد ما قد دللته ... على خطة الرشد التى لاتعصفُ. /
٤٧ط / إذا نسيت أن تمضى على ماشرطته ... فعلت، وإن لا ، فالظلوم الموقّفُ.

فهذا تخيير في شرط مشروط، وتنشدُ المعّنفُ ، فهذا شاهد لنا من لغة العرب،

---

(١) في الأصل: عصا

(٢) في الأصل هكذا : ووطقها.

التى احتججت علينا بها: إذ لا تعرفُ اللغةَ، ولو عرفت اللغة، لم تقل بالجبر؛ لأن اللغة تكذب قولك، وتصدق قولنا، كلا هذين الشاهدين من اللغة يوجب ما قلنا، ويبطل ما قلت.

صفات الاختيار الذى لا تبعة عليه:

ثم نقول لك: وكذلك يلزمك لنا ما احتججت علينا، فقلت: إنه يجب علينا ان يقال لنا: هل سمعتم الله خَيَّر قوماً، ثم عنفهم بان ياخذوا بعض ما خَيَّرهم الله؟!

ثم قلت: اليس إنما يقع التخيير فى كلام العرب، ان المخير ليس بمذنب إذا اختار؟!

وقولنا لك: انا نقول معاذ الله وحاش لله، ما على المخير ذنبٌ إذا اختار ما قيل له، وكان ذلك التخيير بلا شرط قبله يلزمه فيه حجة، ولو خيرهم الله، عز وجل، فاختاروا احد وجهين بلا شرط شرطه عليهم، ثم عذبهم على ذلك، لكان ظالماً لهم، ولخرج من صفة الحكمة، والعدل والحق، ولفسد التخيير.

عرف العرب أن التكليف لا يكون إلا قدر الوسع:

ثم نقول لك: وكذلك انه يلزمك لنا ايضاً، ان نسالك فنقول لك: هل سمعت أنت ،واصحابك المجبرة، فى كلام العرب ان عادلاً حكيماً لا يجور، ولا يظلم ولا يعبث ولا يخرج فعله من العقول، امر قوماً قط بامر لا يقدرون على بلوغه ان يبلغوه؟ او هل يجوز لمن هذه صفته ان يقدِّر على قوم تقديراً، او يريد منهم ان يفعلوه، او يقضيه عليهم، ويخلقه من فعلهم، فإذا فعلوه وصار إلى مراده، غضب عليهم، وانكر فعلهم وسخط قولهم وصنعهم، وكادت جباله ان تخر هداً ،وارضه ان تنشق غضباً، وسماواته ان تنفطر، إنكاراً ان دعوا له ولداً، قَدَّرَ عليهم تلك الدعوى، وارادها من فعلهم، وخلقها فى السنتهم، وقضاها عليهم، ثم قال بعد ما خلقها فى السنتهم - زعمت المجبرة - وقضاها عليهم وقدرها وارادها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) ﴾ (١)، ما معنى هذه الآية؟!

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ٧٣ - ٧٤.

ولا يجد بداً أن يقول: إن الله، عز وجل، ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وعاب عليهم التقصير فى ذلك، وإن لم تقل هذا كفرت بالقرآن.

٤٨و/ فإذا قلت ذلك / قلنا لك : أفليسَ ، قد علمَ أنهم لا يفعلون؟

فإن قلت: بلى [١]، قد علم أنهم لايفعلون . قلنا لك: فما معنى قوله، عز وجل: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٢]؟!

ثم قال هذا القول، وقد علم أنهم لايتوبون؟!..

فإن قلت: إنه قول ليس له معنى. لزمك أن الله ، عز وجل، يقول قولاً ليس له معناً. فصار قوله من العبث والنقص، إلى مثل قول أهل العبث والنقص، ولزمك الكفر بهذا القول!

وإن قلت: إن له معنى.. قلنا لك : فما ذلك المعنى الذى لامهم على ترك التوبة فيه، وحضهم على التوبة والاستغفار، وإنه من قولهم بأنه ثالث ثلاثة، وأخبرهم أنه غفور رحيم إن تابوا؟!!

جملة مقالة العدلية :

فلا تجد حجة، من جميع الحجج، تلجأ إليها إلا أن تقرَّ أنه ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وأنه يغفر لهم ذلك، إن رجعوا عنه وتابوا واستغفروا، وهذا هو الحق، وهو قولنا، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك، وأن علم الله، عز وجل، بكفرهم، ليس لهم فيه حجة على الله، عز وجل، ولا عذر من التوبة، وأنهم يقدرون على التوبة حتى لايعلم الله، عز وجل، منهم شركاً ولاكفراً ولا قولاً أنه ثالث ثلاثة؛ لأن علم الله، عز وجل، هو المحيط بكل شئ، فما فعلوه من كفر وإيمان ، فالله، عز وجل، يعلمه، ومعهم الاستطاعة إلى فعل ما أرادوا لو أرادوا ، لم يعلم الله منهم الكفر، وشاهد ذلك القوى الواضح قوله، عز وجل: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾، يوجب، عز وجل، على نفسه، كما تسمع أنهم إن رجعوا عن قولهم ، أنه ثالث ثلاثة، أنه يغفر ذلك لهم، ألا تراه كيف يحضهم على التوبة والاستغفار ، ولم يذكر لهم ما علم؛ لأن علمه ليس بمانع لهم عن التوبة.

---

(١) فى الأصل : بلا.

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٤ .

ولو كان قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾، على قود قولكم، انه قد علم انهم لايؤمنون، فعلمه بذلك، هو الذى حال بينهم وبين التوبة؛ لوجب انه مستهزئ بهم، وانه يقول من الشرط المؤكد، ما ليس له حقيقة ولا تمام!!

وهذا اقبح ما يكون من الكفر بالله، عز وجل ، واعظم الفرية عليه، واشد التكذيب لكتابه، عز عن وتعالى علواً كبيراً.

مفتاح سورة الكهف حجة على المجبرة :

ثم قال، سبحانه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ..﴾ (١).

٤٨ظ / فاسمع إلى هذا الموضوع / من سورة الكهف، ما فيه عليك من الحجج القواطع، فى جميع ما افتريت على الله، عز وجل.

(١) اما واحدة فردٌ عليك، فى قولك جعل بعض الناس مؤمنين، وبعضهم كافرين.

افلا تسمع إلى قوله، عز وجل: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ ، فنسب عمل الصالحات إليهم ، وبذلك وجب لهم الأجر، الماكثون فيه ابداً، غير مجبورين ولامقسورين، ولامخلوقة افعالهم.

(٢) ثم وصف الكتاب الذى انزل، تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾، والذى ليس فيه عوج، يوجب انه لا ظلم فيه، ولاجبر على طاعة ولا معصية، ولا خلق فعل متعبَّد من الناس. إذاً للزمه اشد العوج والتخليط، إذا عاقب على فعله، وغضب من إرادته ، وانهدت سماواته وارضه وجباله، وامر من الأمر بما لا يعلم ان احداً لايقدر عليه، فاى عوج اوضح من هذا العوج، واىُّ جور ابين من هذا الجور، او اى ظلم اشد من هذا الظلم؟!! .

(٣) ثم قال: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، و«القيم»: هو الذى لاعيبَ فيه

---

(١) سورة الكهف: الآيات ١ - ٦ .

ولاظلم ولاتباعة لمعتل، اعتل فيه بحجة واحدة، ولو كان فى كتاب الله، عز وجل، عُلقة أو تباعة لمعتل اعتل فيه بحجة واحدة، تثبت الجبر له لا غيرها، لبطل كله؛ لان الحق لا باطل فيه بمقياس راس الشعرة، ولا اقل منه ولا أكثر، الحق اشرف شرفاً، واقوى دعائماً واعز سلطاناً واوضح برهان، وامنع أركاناً من أن يوجد فيه مدخل لداخل، أو علة لمعتل اوحجة لمفسد، كيف وهو، عز وجل، يقول: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1].

(٤) ثم قال، عز وجل: ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾، فنقول لك: خبرنا عن هذا الكذب الذى عنى الله فى هذه الآية، الله الذى خلقه وأراده وقدره وقضاه؟

(فإن قلت: نعم. قلنا لك: استعظم ما خلق من الكذب، وأراده وقدره وقضاه)[2]، وهو فعل فعله لا فعل الكفار!.

لم تجد لهذا القول امراً تدفعنا به، ولزمك انه غضب من فعله، فاخرجته من العدل والحكمة؛ لان الحكيم لا يعيب فعله، ولا يعاقب عليه، ولا يغضب منه.

وإن قلت: هو فعلهم. رجعت عن قولك. ومهما قلت لزمتك فيه الغلبة، وانقطاع الحجة.

وإن قلت: فعل من فاعلين. لزمك أنه غضب من نصف فعله، وقبحه وأنكره، وليس هذا فعل حكيم.

ما كان بعضه باطلاً لزم بطلان جميعه:

واعلم عما يقينياً انه لو كان للمجبرة فى كتاب الله، عز وجل، حجة واحدة، توجب لهم علة يقهرونا بها؛ لبطل كله؛ لانه ما كان بعضه باطلاً، يلزم الخصوم فيه الحجة التى لا يجدون لها دفعاً، وبعضه حقاً لم يكن ذلك لله، عز وجل، بحجة على خلقه، يُوجبُ بتلك الحجة، الخلود فى الجنة، والخلود فى النار.

٤٩و / فالقرآن مبرأً من كل عيب، ومن كل جبر، ومن كل ظلم، ومن / كُلِّ تناقضٍ واختلافٍ.

---

(١) سورة فصلت: الآيتان ٤١ - ٤٢.

(٢) تكملة وزيادة من الهامش.

وأما ما قال عبدالله بن يزيد البغدادى، ومن قال بقوله من المجبرة، من ان الله، عز وجل، خلق أفعال العباد وقدرها وقضاها وأرادها، وانه علم ان الكفار لايؤمنون، فلم يرد منهم غير ما علم ، زعموا ، وان ذلك القول كله، الذى ادعت المجبرة ، يوجبُ للكفار على الله، عز وجل ، اعظم الحجة، فإنه عذبهم فى أمر ، حال بينهم وبينه، وقضاه وقدره عليهم، وأراده منهم.

بمَ تقوم الحجة ؟! :

فما يكون العدوان، إن لم يكن هذا عدواناً ؟!.. وما الفرق بين الحق والباطل؟ وأين موضع كفر الكافرين ميّزوه لنا ، حتى يتميز، من فعل رب العالمين؟!!

فإن ميزتموه، قامت على الكفار الحجة، ووجب العذاب، وإن لم تميزوه، ولم تفردوه من فعل الله، عز وجل، فحجة الكفار قائمة واضحة على الله ، جل ثناؤه وتعالى عما قلتم علواً كبيراً.

إقرار الكفار بأن معاصيهم كانت منهم :

الا ترى كيف قال لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) ﴾ (١) ، ثم قال فى موضع آخر : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾(٢)، ولم يقل أهل النار على الله، عز وجل، بعد إذ صاروا إليها، كما قالت المجبرة: إن الله قدّر فعلنا ولاقضاه علينا، ولا جبرنا ولا خلقه اعمالنا.

مقالة المجبرة فى تخيير النبى فى أزواجه :

اما قولك فى ازواج النبى ، صلى الله عليه، وما خيره الله ، جل ثناؤه ، من إرجاء من شاء منهن، وإيواء من شاء ، فذلك تخيير صحيح ، اى الفعلين فعله ، صلوات الله عليه وعلى آله ، لم يكن فيه ذنب ولا تباعة ؛ لانه تخيير بلا شرط قبله.

هو تخيير بلا شرط :

وتخيير الناس فى الدين، الذى اعتللت به، إنما هو بعد إحكام الشرط، وبعد

---

(١) سورة المدثر : الآيات من ٤٢ – ٤٧.

(٢) سورة الملك : الآية ١١.

الوعيد الذى أخبرهم الله، عز وجل، أنهم إن لم يأتوا بالفرائض على وجهها، إن ذلك الوعيد لازم لهم، ثم قال: إن شئتم الآن فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا، فقد تقدمت بما فيه الكفاية، وشاهد ذلك قوله، عز وجل، لهم يوم القيامة : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)[1] ﴾ [2]، وقوله : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [3]، وقوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾ [4]، فنقول لك: ما تقول فى هذه الآيات ، هل تصدقُ ، الله ، جل ثناؤه، فيها، أنه قد تقدم إليهم بالوعيد، وأنه لهم غير جابرٍ على ظلم؟!

فإن قلت : نعم قد صدق . قلنا لك: فأين قولك فى هذه المسألة، أنا قد قلنا معك بالجبر الذى سميته عدلاً، وأنا قد أعطيناك ما عبنا عليك ، زعمت؟!!

***

وأما قوله، عز وجل، الذى اعتللت به: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) ﴾ [5]، فهو تخيير فى نعمة أنعمها عليه بلا شرط فى ذلك التخيير، وهو قوله : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [6]، وليس هذا بنظير لقوله، عز وجل: ﴿ فَمَن ٤٩ط / شَاءَ / فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [7]، الا ترى كيف قال بعد التخيير: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [8]!

أفلا ترى أيها المهلك لنفسه، ولمن تبع، ، إلى قوله " ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾، فلمَ سماهم ظالمين إن كنت صادقاً؟! . . وأين موضع ظلمهم الذى ألزمهم فيه النار المحيط بهم سرادقها؟ . . وبأى حجة ألزمهم الشراب ، الذى كالمهل يشوى الوجوه، وسوء المرتفق؟!!!

فلابدَّ لك أن تقوله: إنه فعله متفرد به دونهم .

---

(١) تكملة من الهامش.

(٢) سورة ق: الآية ٢٨ - ٢٩ .

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩ .

(٤) سورة يس: الآيتان ٦٠ - ٦١ .

(٥) سورة ص : الآية ٣٩ .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٥ .

(٧) سورة الكهف: الآية ٢٩ .

(٨) الآية السابقة .

فتلزمه انه سماهم ظالمين ، ولم يظلموا!!.. فتخرجه من الحكمة والعدل، وانه اوجب النار المحيط بهم سرداقها، والماء الذى كالمهل يشوى الوجوه، ظلماً على غير امرٍ فعلوه، فتكذبه وتنقض قرآنه، وتبطل حجته، وتقوم بعذر من عانده!

وإن قلت: بل له بعض فعلهم، ولهم بعضه، على قولكم ، فعل من فاعلين، فيصيرون بذلك، على قولك، شركاء لله، جل ثناؤه، فى فعله ولزمك الشرك؛ لان من قولك انه خلق افعالهم، وقدرها وقضاها وأرادها، ثم سماهم ظالمين، وهو شريكهم فى ذلك الظلم، الذى عابه عليهم ، واعد لهم عليه النار، وهم شركاؤه الذين ادخلهم فى فعله، وقدره عليهم، واراده منهم وقضاه عليهم ، وقد علم انهم لايقدرون على إبطال قضائه وقدره؛ لانه حال بينهم وبين إنفاذ امره حتى لايبطل ، زعمت!!!

وهذا هو الشرك الأكبر، والكفر الأعظم، والتعطيل الأجل، والبراءة من الإسلام، واليهود والنصارى وعبدة الأصنام احسن حالاً ممن قال بهذا القول، واعتقده دينا وعلَّمه الناس، ودعا إليه ، وضع فيه الكتب بالردّ على أهل العدل!!

وإن قلت: إنك لاتقول باحدٍ من القولين؛ لا انه منفرد بالفعل دون العباد، ولا انه فعل بعض افعالهم، ولا حال بينهم وبين امر دعاهم إلى دخول فيه، وعلم انهم لا يفعلوه، ولم يرد ان يكون منهم غير ما يعلم.

أهلك المجبر نفسه ومن معه:

فإن رجعت عن هذا كله، لزمك انك كنت مقيماً على الكفر والشرك، وانك لم تكن بمسلم؛ لانك قد اهلكت جميع من اخذ بقولك، وتعلم منك ودان بدينك، ورجعت إلى قولك بالعدل، وذلك انك تقول القول الثالث، الذى هو الحق والعدل، وهو دين الله، عز وجل، ودين ملائكته ورسله، عليهم السلام، إن ذلك الأمر الذى ٥٠و/ اعد الله، عز وجل، للظالمين من النار ، التى احاط بهم سرادقها، والماء الذى كالمهل يشوى الوجوه، وسوء المرتفق، وخلود الأبد إنما هوبما استحقوا، واختاروا لانفسهم، واتبعوا فيه اهواءهم / الذى ذكر الله، عز وجل ، فى كتابه حين يقول:

---

(١) فى الأصل: فعمًا.

(٢) فى الأصل: معنا.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ [١] .

فإن قلت بهذا القول، وبرأت الله، عز وجل، من افعال عباده، ودخلت فى الإسلام من ذى قبل، فقد سلَمتَ ونجوت ، وبطل ماكنت عليه، والحمد لله رب العالمين.

ثم يجبُ عليك ان تستغفر الله، عز وجل، من التعليم الذى مضى [٢] منك إلى من ماتَ ومن بقى، ومن سمع كتابنا هذا، فعليه التوبة واجبةٌ، وان يشيعَ هذا الكتاب فى الآفاق؛ ليتوب من يقول بهذا القول، الذى وضعتموه لأهل الجبر. وإلا فالنار .

فلا يبعد الله إلا من ظلم، واصرَّ على الكفر الواضح، الذى لا شك فيه . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [٣] .

***

---

(١) سورة النازعات: الآيات من ٣٧ - ٤١ .

(٢) فى الأصل: مضا .

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ .

المسألة التاسعة

الله يحب كون المعصية عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [١]، هل أحب اللهُ أن يستشهدَ احدٌ من خلقه؟

فإن قالوا: نعم. فقل: افليس إنما تكون الشهادة بأن يقتل الرجل؟.. افليس قد أحبَ اللهُ أن يقتل؛ لأنه قد أحب أن يستشهد ، والشهادةُ لا تكونُ إلا بقتلٍ من عاصٍ؟! أفليس قد أحب الله أن تكون إذن المعصية؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصية، فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصى؟!!.

فإن قالوا: لمَ يحبُ اللهُ أن يستشهدَ احد [٢] من خلقه.

فقل: افليس قد كرهَ اللهُ ما صنعَ حمزة بن عبد المطلب [٣]، ولم يحب ما يصنع ، ولا أن يستشهد احداً [٤] ممن كان مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد امر الله بما لا يحبُ ؛ لأنه قد امر بالقتل وفيه الشهادة فقد امربما لا يحب وقوله : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ ، فهو لا يحب ما قال إنى متخذه منكم ومثيبكم عليه الجنة؟!!..

فإن قالوا: نعم. فهو تكذيب لكتاب الله، فابصر مواضع هذه المسائل، فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

***

رد أحمد بن يحيى:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما،: قد فهمنا ما اعتللت به، من قول الله، جل ثناؤه : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾، واعتقادك فى ذلك أن الله، عز وجل عما قلت، هو الذى قتل الشهداء، أو سفك دماءهم ، وأراد ذلك

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) فى الأصل: احداً.

(٣) فى الأصل: احداً.

(٤) هوحمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله، ﷺ، اسلم قبل الهجرة، وكان قوى الشكيمة ، اسد لله ولرسوله، هاجر وشهد بدراً، وكان فتحاً للإسلام والمسلمين ، فجاهروا بالدعوة ، قتل شهيداً بأحد، ودفن بالمدينة سنة ٣هـ.

من المشركين وقدره عليهم، وخلق فعلهم بالمؤمنين، وقضاه على الفرقين جميعاً، فقتل أولياءهَ وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه، صلى الله عليه، بأيدى أعدائه المخالفينَ له، والمشركين به والمحاربين له ولنبيه ، صلى الله عليه ولمن ولاه ووالى رسله من المؤمنين!

٥٠ ظ / وهذا القول يوجب عليك، أن حسن نظره ورضاه ومحبته. / وإرادته لظفر المشركين بأوليائه ، وأهل طاعته، وقتل حمزة بن عبد المطلب ، رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين، على قولك، إلا ما أراد الله، عز وجل، من قتلهم لأهل طاعته وأنصاره، وأوليائه وصفوته ، فذلك قولكم أيها المجبرة، وعليه وضعت حجتك هذه علينا، فى اتخاذه الشهداءَ من المؤمنين، وأنه هو الذى أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين ، زعمت !

الفصل بين إرادة الله وإرادة إبليس :

ونحن نقول لك : إن إرادة الله ، عز وجل، فى قتل المؤمنين ، على قولك، موافقة لإرادة إبليس اللعين فى قتل المؤمنين؛ لأن إبليس أراد أن يقتل الأنبياء والمؤمنين، وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين؛ لأنهم أولياءه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرةُ والحسرة ، على أعدائه المؤمنين؛ لأنهم أبغض الفريقين إليه.

وكذلك أراد الله ، زعمتم ، فى حجتكم هذه علينا، أن إبليس أحسنُ نظراً لأهل طاعته من الله، عز وجل، لأهل طاعته؛ لأن إبليس يريدُ أن يكونَ الظفرُ للمشركين على المؤمنين ، وأن الله، عز وجل، كما قلتم، أراد قتل المؤمنين وسفكَ دمائهم، وظهور المشركين عليهم، وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون فى قتلهم ، فبين إرادة الله، عز وجل، فى أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه، والأئمة من عباده ، من زوال الأقدام ، وظهور الأعداء ، وبين إرادة إبليس فى ثبات أقدام أوليائه ،وظهورهم على حزب الله ، عز وجل، وغلبتهم للمؤمنين ، فرقٌ عظيمٌ!!!

إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس :

وهذا لازمٌ لكم، وفيه خروجُكُمْ من الإسلام ، أو الرجوع إلى التوبة، وأن إرادةَ

إبليسُ قد وافقت إرادة الله، زعمتم، فى قتل الشهداء ، وان رسول الله (محمد المصطفى)[1] صلى الله عليه. مخالفةٌ إرادتهُ لإرادة الله فى قتل الشهداء ؛ لان النبى ، صلى الله عليه، قد احب بقاء عمه حمزة، وعمه قتله، وبلغ منه، واوجعَ قلبه، ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، جميعاً، وعمّه ايضاً ، وبلغ منه ظفر المشركين به وباصحابه.

إلا ان يقول: إن النبى ، صلى الله عليه، كان شامتاً فرحاً بقتل الشهداء!.. فوافق إبليس فى فرحه بقتلهم وشماتته عليهم، كما زعمت، ان الله، عز وجل، اراد قتلهم، وان يعصيه المشركون فى ذلك، فاتفقت إرادة الله، عز وجل، وإرادة نبيه، صلى الله عليه، وإرادة إبليس، عليه لعنة الله، جميعاً فى قتل الشهداء، والرضا به والمحبة لزوالهم من الدنيا، وراحة المشركينَ منهم واختلال موضعهم من الإسلام ، وظهور المشركينَ على الرسول ، صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله، على قود قولكم!

وهذا أعمى العمى[2] ، واكفر الكفر؛ لان الصحيحَ فى إرادة إبليس، المخالفةُ لله ولرسولهِ؛ وان الله ورسوله لم يريدا ، ولم يحبّا قتل المؤمنين ، وان إبليس اراد ٥١و/ قتلهم وظهور المشركين عليهم.

ثم نقول لك: ياعبد الله بن يزيد البغدادى: اخبرنا : هل كانت العربُ، اهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة، عند فصل الخطاب، الذين خاطب الله، عز وجل، محمداً ، صلى الله عليه، بلغتهم ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3] ، فهل كانت العربُ والنبى، صلى الله عليه ، واصحابه من المهاجرين والأنصار، رحمة الله عليهم، يسمون حمزة بن عبدالمطلب ، رضى الله عنه، «سيد الشهداء» قبل ان يقتله المشركون فى يوم أحدٍ؟!

فإن قلت : نعم. أكذبك جميعُ أهل الإسلام، وعلموا أنك قد قلت غير الحق ، وشهدوا لنا عليك جميعاً ، بأنك افتريت الباطل، وما لا يعرف فى الإسلام.

---

(١) زيادة من الهامش.

(٢) فى الأصل: عما العما.

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

حمزة شهيد بعد قتله:

وإن قلت : إن النبى ، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان ، إنما سموا حمزةَ، رضوان الله عليه، سيد الشهداء ، بعد ما استشهدَ في يوم أحدٍ، هو وأصحابه. لزمكَ أن الله!، عز وجل، إنما اتخذ الشهداء شهداء، بعد ما قتلهم المشركون؛ لأنه سلط عليهم أعداءه المشركين، حتى قتلوهم ، وأدخلوا بقتلهم الوهن على نبيه، صلى الله عليه!! عزَّ ذلك الواحد العدل، الذى لايجور ولايقضى بالفساد ، الذى لايرضى لأوليائه، وأهل طاعته، إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم ، وأن يكون لهم العاقبة والغلبة، والظهور والرياسة، هذه إرادة الله، عز وجل، فى أهل طاعته، وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه، عز وجل، الذى حرَّم دماءهم غاية التحريم، وأكد فى قتلهم على الظالمين، غاية التأكيد، وهذا القرآن، أكثر شاهدٍ لنا، وأفلح حجيج.

قال الله، عز وجل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾[١] ، فبلغنا أن عبدالله بن العباس [٢]، رحمة الله عليه، قال لما نزلت الآية: ما كان اللهُ، عز وجل، أن يقطع عنه، يعنى القاتل، مع قوله عزوجل: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ [٤] ، فسمَّاه مظلوماً، وجعل لوليه الحكم والحجة، ولوكان الله، عز وجل، فى قتل المؤمنين سَبَّبَ سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها، لم يسم المقتول مظلوماً ، فيكون الله، عز وجل، قد دخل فى ذلك الظلم ، وعاب ما فعل وزراً ، ٥١ظ/ نفيما هى عن فعله، عز وجل عن ذلك، العدل الذى لا يجور، ولايفعل إلا الحكمة، ولايريد الباطل ولايقضى بالفساد، ولا يخلق الكفر، ولا يقتل الأولياء بايدى الأعداء / ولا يظهر عليهم الأشقياء، ولايُعذبُ على ما صنع، ولا يؤاخذ بما قدَّرَ ، ولا يعيبُ ما خلق، ولا يضطر إلى ما علم ، ولا يوجب النار على أمرٍ هو فعلهَ،

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٣.

(٢) هو عبدالله بن العباس ابن عم رسول الله، ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، نشا فى الإسلام، وروى عن رسول الله، وشهد صفين والجمل مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ولد فى ٣ ق هـ ، وتوفى فى الطائف ٦٨هـ بعد ماملأ الدنيا علماًوفقهاً . انظر ، ترجمته الزركلى : الأعلام ٤ / ٩٥.

(٣) ، (٤) سورة الإسراء : الآية ٣٣.

ولا يغضبُ مما أدخل فيه، وحمل عليه وقدَّره ، قدوس رب الملائكة والروح، (و) كذبَ العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً.

ثم قال، عز وجل: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١).

افهذا ، ايها المهلك لنفسه ، والمفترى على خالقه، قول من اراد قتل اوليائه بايدى اعدائه؟!! قاتلكم الله انا تؤفكون.

فاتخاذ الله، عز وجل، للشهداء، إنما هو بعد قتلهم لا قبله، جزاء بما نالهم فى جنبه، وتشريفاً لهم وتفضيلاً ، بما وفوا به من الشراء، الذى باعوا فيه أنفسهم وأموالهم، رحمة الله عليهم ورضوانه، وإنما اتخذ اللهُ، جل ثناؤه، شهداء من المؤمنين، لما قتلوا فى سبيله مجاهدين للكفار، ناصرين للحق دافعين عن الرسول، صلى الله عليه وعلى آله، راغبين في الثواب ، مستبشرين بالبيع الذى قال الله، عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (٢).

فاخبرهم ، عز وجل، ان لهم الجنة، والملك الذى لايزول، على ان يقاتلوا دون الإسلام ، واعداء الله المشركين ، فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله، عز وجل، الخلود فى نار جهنم ابداً الأبيد، بما عصوا الله ورسوله، وكذبوهما ، واتبعوا أهواءهم فى ذلك، وجعلوا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، إذ لم يحملهم الله ، عز وجل، على قتل أوليائه، ولم يرده منهم، ولم يقضه عليهم ولم يقدره من فعلهم، ولم يخلقه فيهم، بل قال ، جل ثناؤه: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ (٣) ، وقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

(٤) سورة النساء: الآيتان ٢٦ - ٢٧.

فاخبرنا ، عز وجل، كيف إرادته ، وكيف العدل فيها؟ وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها، مع قوله إن الله برئ من المشركين ورسوله، ليس براءته إلا من فعلهم ، وقد فسرناه فى صدر كتابنا هذا.

فالله، عز وجل ، إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم، لا قبله ، اى سماهم وحكم لهم انهم شهداء تجب لهم الجنة.

٥٢و/ فاما ان يكون جبراً وقسراً، واراد من اعدائه المشركين قتل /أوليائه المؤمنين، فحاشاه وتقدس عما قلتم، والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة ، فيه قوله، تبارك وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه ﴾ (١)، فاوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولافتنة، ويكون الدين كله لله، عز وجل، ولايبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة فى أرضه.

واراد ان يبقى دينه الذى ارتضاه لنفسه، وفى هذا أكبر الدليل وأبين الحجة على انه لم يُرد قتل أوليائه، ولا ظفر المشركين بهم؛ لانه لو اراد قتل أوليائه، فيمن إذن تقتلُ انبياؤه أعدائه؟ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؟!!

ومن الحجة ايضاً ما يوجب بطلان قولكم، ويدحض حجتكم، ان نقول لك: هل أرادَ اللهُ، عز وجل، من المشركين ان يقتلوا أولياءه من المؤمنين؟

فإذا قلت: نعم.. كما قد قلت، اكذبك الله، عز وجل، فى قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه ﴾ (١)، فيلزمك انه إذا لم يكن فتنة ، وكان الدين كله ، عز وجل ، على فرض لم يبق فى الأرض فتنة، ولا مشركٌ يقتل المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، فهذا يوجب عليك انك قد ابطلت واخطات فى قولك: إنه، عز وجل، اراد قتل أوليائه ؛ لانه لو اراد قتلهم لم يعن اعداءهم بالقتال الذى افترض على النبى، صلى الله عليه، والمؤمنين، تخييراً لاجبراً ، حتى تكون لهم العاقبة والملك والسلامة من القتل ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق، وتاب عن الفرية على الله ، جل ثناؤه.

وإن قلت: إن الله، عز وجل، لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين، ولم يقضه على المشركين. رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل، وذلك هو الحق ، ولا نعلم لك مخرجاً من

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩٣.

هذه الحجج، وفيها بطلان حجتك في قولك: إن الله، عز وجل، ، اتخذ الشهداء بإرادته لمعصية الأعداء، وهذا أعظم الفرية على الله، جل ثناؤه ، مع آيات كثيرة تشهدُ عليك، مثل قوله، عز وجل، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1] ، وفي هذه الآية حجة عليك أيضاً، في أن الاستطاعة قبل الفعل.

لأن إعدادَ القوةِ، ورباط الخيل، إنما يكون قبل القتال لا مع القتال ، وهذا يبطل قولكم ان الاستطاعة مع الفعل لاقبله، وقوله، عز وجل، في التحريض على قتال المشركين، وإرادته لفنائهم، وبقاء المؤمنين من بعدهم وسلامتهم: ﴿ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ
٥٢ظ/ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ / الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً (٨٤) ﴾[2]، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [3]، إلى آخر الآية ، كل ذلك يدل على انه يريدُ قتل المشركين ، وحقن دماء المؤمنين، لا ما قالت المجبرة الكاذبة على الله، عز وجل، أنه أراد قتل الشهداء والأولياء ، وظفر المشركين والكفار والأعداء.

الفرق بين الأولياء والأعداء، هو أن إرادة الله مع أوليائه :

فإن كان الله، عز وجل، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب، رضوان الله عليه ورحمته، يوم أحد، وأراد قتل أبي جهل بن هشام [4]، لعنة الله عليه وغضبه ، يوم بدر، فما الفرق بين الإرادتين ، وما الفصل بين الحكمين، وأين الحق والعدل في هذين المعنيين؟!

فالله ، زعمتم ، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب وسماه مطيعاً ، وحكم له بالجنة وأراد قتل ابي جهل بن هشام وسماه عاصياً وحكم عليه بالنار ؛ لأنكم ، زعمتم ، ان الله، عز وجل، أراد أن يكون بعض الخلق مؤمنين، وبعضهم كافرٌ بلا استحقاق واحدٍ من الفريقين ، زعمتم !!!

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠.
(٢) سورة النساء : الآية ٨٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ٥ وفي الأصل : اقتلوا . وهوخطأ.
(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، كان من اشد الناس عداوة للنبي والإسلام ، من سادات قريش ، خرج مع المشركين في بدر فقتل سنة ٢هـ. انظر ترجمته؛ الزركلي : الأعلام ٥ / ٨٧.

ثم قال في كتابه للكفار: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑦﴾ [1]، ويحك فأخبرنا، ماذا عملوا ، وإنما بإرادته قتلوا، وبإرادته دخلوا النار، جل الله عما قلتم!!

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥﴾ [2] ، وهو ، زعمتم ، الذي أراد قتلهم، وبإرادته قتلوا ، وبإرادته دخلوا الجنة لا بعمل ، زعمتم ، في قود قولكم ؛ لأنه ، زعمتم ، في قود قولكم؛ لأنه - زعمتم - جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

ثم قال لهؤلاء: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ㉔﴾ [3]، ولم يقل ما قالت المجبرة من أن ذلك الجزاء كله كان بإرادته وباستحقاق، وكان من فعل الفريقين، ولا أنه دخل بمقياس ذرةٍ فما دونها.

أدلة المجبرة متهافتة :

أفترى ، أيها المفترى، أن البهائم لو علمت، واحتج عليها، بدون هذه الحجج ، هل كانت تستجير أن تقول مثل مقول المجبرة، المفترية على الله الزور والبهتان؟!!

وهؤلاء المجبرة المفترون على الله، جل ثناؤه ، يسمعون القرآن يتلى عليهم في كل يوم، ويحتج به أهل العدل في رده دعواهم، وهم مع ذلك يصرُّون ويستكبرون على الجهل، والتعامي عن الحقّ، وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من خالفه ، ولو كان في القرآنِ آية واحدة، توجبُ لهم علينا حجة، أو تقطع لنا مقالة، ٥٣و/ لانقدر لها على جواب ؛ لفسد جميع العدل، ولم تقم لأهله حجة؛ وإنما تعلقوا بآيات متشابهات، ولم يعرفوا معانيها/ وقلدوا كبراءهم، وما غروهم به في تأويلها، مع جهلهم باللغة العربية وتصرُّفها في القرآن، وجهلوا التأويل الموروث عن أهل بيت النبوة ، عليهم السلام، وأبغضوا الحق وأهلَه ، ونصبوا لهم العداوة

---

(١) سورة التحريم: الآية ٧.

(٢) سورة محمد : الايات ٤ - ٦.

(٣) إشارة لعدة آيات من القرآن سبق تخريجها من قبل وليس بها: « بما كنتم » ، ولكن يوجد بالقرآن « بما كانوا » ، كقوله تعالى : « جزاء بما كانوا يعملون » سورة الواقعة الآية ٢٤

وتعاموا عن قوله، عز وجل، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (١).

فى فضائل آل البيت :

والمطهر من الرجس، لايكون فى دينه زلل، ولا فى قوله ميل، ولا فى تأويله للقرآن خطلٌ، فلم يكن، عز وجل، ليطهر من يكذبُ عليه، ويكون من عانده أولى بالحق منه، وهو ، عز وجل، أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم ان أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه، والأمر الذى زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون ، من قولهم بالعدل والتوحيد، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة.

ما أذهب الله، عز وجل، الرجس عمن يعلم أنه يكذب عليه، ويعتقد غير دينه الذى ارتضاه ، وإذن لم يطهرهم تطهيراً، وهو يعلم ان فى الأمة من هو ابصر منهم بالدين ، وأقوم بالحق، واقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق.

ثم يصطفى أهل البيت دونهم، ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة، وهو يعلم أن فى أمة محمد، صلى الله عليه، من هو خير منهم، ثم طهرهم واذهب عنهم الرجس، وفى الارض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم ، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل، ولا مفضل لأهل الفضل، ولا مُعَرِّفٌ بقدر مستحق، ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذى قال، عز وجل : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)، اى: سماهم ضُلّالاً بفعلهم وظلمهم ، لا أنه أضلهم جبراً وقسراً.

وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)، فالواجبُ عليه، عز وجل ، إذا كان الخلق لا يستوى عنده أن جعل التطهرة وإذهاب الرجس، للفرقة التى هى أقوم بدينه ، وأعرف بحقه، واقوم بطاعته، واعلم بكتابه، واحكم بسنته، واقول بعدله

---

(١) سورة الاحزاب : الآية ٣٣.

(٢) سورة الكهف : الاية ٣٠، وجاءت فى الاصل خطا بيناً.

(٣) سورة القصص : الآية ٦٨.

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٢٧.

(٥) سورة الزمر : الآية ٩.

وتوحيده ، وإثبات وعده ووعيده، وأولى [1] أنْ تثبت بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قبل الآخرة .

فلما علمنا أن ربنا، عز وجل، قد طهر أهل بيت نبينا، صلى الله عليه، فى كتابه، وأذهب عنهم الرجس، وذلك للسابقين [2] منهم بالخيرات دون غيرهم، علمنا أنهم ٥٣ظ / أهل الحق، وأهل العلم بالدين، والقومة بالكتاب، والحكام / على الناس، وأن من خالفهم هو المبطل الهالك؛ لأن الله، عز وجل، أكرم وأعدل وأحكم، من أن يذهبَ الرجسَ ، ويطهر من الدرن والعيوب، من يكذب عليه، ويخالف كتابه ورسوله، صلى الله عليه، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم .

فقد صحَّ وثبت، والحمد لله، أن الحق، والدين الصحيح، والمذهب المرضى، مع القوم المطهرين، فى القرآن المذْهَب عنهم الرجس، وأن الباطلَ والضلال، والجبر والتشبيه والخطأ والفساد، مع القوم الذين عاندوهم، ولم يطهروا فى القرآن ، ولم يذهب عنهم الرجس ، فوجب أن الحق الحق ، مع القوم الذين أذْهبَ عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، ومن قال بقولهم على الحقيقة؛ أن الله، عز وجل، لا يغلط ولايخطئ ولايجور ، ولا يضع الصفوة فى غير أهلها، ولا يعطى الحجج القاهرة من يكذب عليه، كما لا يجوز أن يعطى الله، عز وجل، المعجزات، من يكذب عليه، ممن يدعى النبوة وليس بنبى ، ويغوى العوام وجهال الناس .

لا يعطى الله المعجزات لكذابين :

وذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخبر الذى سال الله فى ، زعمهم ، فأرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف ، ولوجاز أن يكون هذا حقاً ، لم يكن بين معجزة فرعون، ومعجزة موسى، عليه السلام، فرق، تجب به نبوة موسى، صلوات الله عليه، من إلقائه العصا وفلق البحر، وغير ذلك من الآيات .

فافهم هذا، أنت يا عبد الله بن عمر [3]، أكرم الله وجهك، أعنى ولينا عبدالله عمر، أكرمه الله .

---

(١) فى الأصل: ولولا .

(٢) ولذلك قال بعض علماء الزيدية، بأن اجتهادات الأئمة السابقين منهم «السلف» حجة لازمة .

(٣) هذا الرجل هو الذى أطلع الإمام أحمد بن يحيى على كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى، فقام بالرد عليه فى كتابنا هذا .

المغزى من كتاب المجبر عبدالله بن يزيد :

واعلم يا أبا محمد ، أكرمك الله، أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبد الله بن يزيد البغدادى ، ليوقفوك أن معهم من الحجج فى إثبات الجبر، ما لا يقدر له أحد على نقض ، ولا رد جواب.

فقد أتاك من حجج الله ، وتصديق كتابه، ما فيه الشفاء لكل مسلم، والمعرفة بكذب من كذب [1] على الله، عز وجل، وافترى عليه، وتأول كتابه على الكفر به ، والإلحاد فى صفته، وإقامته لعذر المشركين وجميع العاصين ، واسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد، إلى رب العالمين ، عز عن ذلك أكرم الأكرمين.

فانعم النظر فيما رسمنا لك، وعلِّمه المسلمين ، واشْهره فيما قبلك؛ ليعرفَ الناسُ الحق من الباطل، والمحق من الكاذب، إذ لا يسع غير ذلك ، وحرِّج على من وصلِ إليه كتابنا هذا كتمانَهُ ، حتى يبينه للناس، وكفى [2] بالله شهيداً .

احتج المجبرة بقول الله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [3]، أليس قد جعلها قاسية؟!

فإن قالوا: نعم. فقد أعطوك بأن جعل بعض قلوب العباد قاسية، فسلهم عند ذلك ٥٤و/ فقل: أخبرونى عمن جعل الله قلبه/قاسياً ، أيكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً؟

فإن قالوا: نعم. فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل. وإن قالوا: لم يجعلها الله قاسية، فقد تركوا الكتاب.

فسلهم: أرأيتهم قوله: ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، هل أنزل الله هذا؟. فإن قالوا : بلى [4]. فقل: فإنه قال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، فإن قالوا: إنما عنى بذلك جعلها قاسية بالنقض؛ لأنه قال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [5]، فقل لهم عند ذلك: إنا لانبالى على أىِّ الوجهين جعلتم كلامكم؛ لأنه عندنا لنا فيه حجة، فلا نبالى قلتم الطبع قبل النقض ، أو بعد؟

(١) فى الأصل: كذب.
(٢) فى الأصل: وكفا.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٤) تكررت العبارة فى النص مرتين.
(٥) الآية السابقة.

أخبرونا الآن، إذ زعمتم أنه طبع بعد بالنقض، وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذه بمعصية ، وأن الله لايفعل ذلك إلا بعد النقض، لأن وصفَ الله بأنه يطبعُ ثم يُكلِّفَ فقد وصفَ الله بالجور!

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع النقض، وزعمتم، أكلفهم الإيمان من بعد ما طبع على قلوبهم؟!

فسلهم عند ذلك عن اليهود والنصارى، وجميع الكفار، واليسوا ناقضين ؟ فإن قالوا: بلى [1] .

قل : أفليس قد طبع الله على قلوبهم؟ فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع فقد يطبع الله على قلوب قوم، ثم يكلفهم الإيمان؟!..

فإن قالوا: نعم. فقل: اليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لايظلمهم؟!

وأخبرونا عمن سأل الله أن لايظلمه، أعرف الله أم لا؟

فإن قالوا: نعم، إنه يعرف الله.

فقل: أفليس يعرف الله من لايدرى لعل اللهَ سيظلمه؟! فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به، في غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يخلقهم ، فذلك العدل قد أقروا به.

رد الإمام أحمد بن يحيى:

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله، عز ٥٤ظ/ وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [2]، ونسبت العدل في ذلك، ووقع عندك وفي اعتقادك أن الله، تبارك وتعالى، العدل الذي لايجور، ولا يقسي قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول في دينه.

لو كان ذلك فعله، عز وجل، لما افترض عليهم الإسلام ، ولا الاقتداء بمحمد، عليه

---

(١) في الأصل: بلا

(٢) الآية السابقة.

افضل السلام، ولا جاز في عدله ولا في حكمته، ولا نفى الجور والظلم عن نفسه، ان يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١)، وهو الذى اقساها وحال بينها وبين الطاعة، بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه، عز وجل، هو الذى اقساها ، لم يكن لإرساله لنبيه، صلى الله عليه، معنى في مجيئه إليهم، ليثبت عليهم الحجة، فيقول لهم : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢)، فقد ارسلنى الله، عز وجل: إليكم ، لانْ تدَعُوا قساوة القلوب، وترجعوا إلى الإيمان بالله، والإقرار بانى رسول الله.

وإنما المعنى فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (٣)، فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم فى اول الآية، فقال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (٤) ، فبهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة، وسماهم قساة القلوب بفعلهم ، لا انه اقسى (٥) قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم، وحرفوا القول عن مواضعه ، ولا يزال الرسول، صلى الله عليه، يطلع على خائنة منهم.

جعل التسمية أراد لا جعل الجبر :

فهذا الذى به قامت عليه الحجة، ولم تقم على الله، جل ثناؤه، لهم حجة ، وإنما سماهم، عز وجل، قساة القلوب، تسمية لا انه جبرها على القساوة جبراً .

فالذى أراد من ذلك، عز وجل، من الجعل الذى غلطتم فيه، **جعل الحكم والتسمية**، لا جعل الجبر، وذلك جائز فى لغة العرب ، تقول العرب : ضللنى فلان، ان سماه ضالاً، وكفرنى فلان: اى سماه كافراً.

قال الكميت (٦) :

فطائفة قد أكفرونى بحبكم ... وطائفة قالوا مسئٌ ومذنبُ

وزنانى فلانٌ : اى سماه زانياً ، فعلى هذا القياس يخرجُ الكلام، **فعبد الله بن يزيد**

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٣) ، (٤) سورة المائدة : ١٣.
(٥) فى الأصل: اقسا.
(٦) الكميت بن يزيد بن خنيس الأسدى، شاعر الهاشميين ، اشتهر فى العصر الأموى وكان عالما بآداب العرب ولغاتها واخبارها وانسابها، تعصب للمضريين، قيل فيه: لولا الكميت لم يكن للغة ترجمان، انظر الزركلى : الاعلام ٥/٢٣٣.

البـغدادى، يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله، ويثبت عذرهم فى نقض العهد والكفر، وتحريف القول والخيانة.

ونحن نحتج لله ، عز وجل، ونزودهم عن قوله؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ٥٥و/ بعد الرسل، والمجبرة المفترية/ على الله، جل ثناؤه، يطلبون إبطال قوله: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١)، وتكون الحجة لهم على الله، يدورون فى كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾ (٢).

فانظر أى الفريقين يحتج لله ، عز وجل، ومن الذى يحتج عليه، ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى (٣) به قلوبهم ، لسلموا من النار، ونجوا من العقوبة!

سبحان الله العظيم، ما أقبح هذا القول، وأشنع هذا من مذهب قوم، يسمعون القرآن ويقرون به ، أنه من عند الله، عز وجل، ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار، ونفيهم العيب عن جميع العصاة، وإلزامهم العيب والجور لربهم، عز وجل عن ذلك وتعالى.

الا ترى كيف قال فى القوم الذين اراهم آيته ، ليومنوا به، فلم تزدهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً ، حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله، عز وجل، إليه، حيث يقول: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٤).

أفلا ترى أن قسوة القلوب، إنما هى بعد ما رأوا الآيات، وبان لهم الحق، وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم، لا هو، عز وجل، إنما سماهم بما فعلوا واختاروا، وضرب لهم المثل العظيم فى الحجارة ، أنها ألين من قلوبهم القاسية، التى أقسوها عن الله، عز وجل، عدواناً وظلماً ، وحميَّة وعصبية على الكفر.

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥.
(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢ وفى الأصل: ويابا.
(٣) فى الأصل: اقسا.
(٤) سورة البقرة : الآية ٧٤.

أقسام الجعل في كتاب الله:

وقد أعلمناك أن الجعل في كتاب الله، جل ثناؤه، على وجهين: **جعل حكم وتسمية**، وجعل جبر وقسر وحتم، لا مخرج منه لأحدٍ من الخلق.

جعل الحكم والتسمية:

فالجعل الذى هو جعل الحكم والتسمية، مثل قوله، عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾ (١)، وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ (٢)، وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾ (٣)،ذلك كله مما ليس لله، عز وجل، فيه جبر خلقه، ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم، وحكم عليهم بفعلهم.

جعل الجبر والقسر والحتم:

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذى لا مخرج لأحدٍ فيه، ولا حيلة فيه ولا محيص عنه، فهو ما لم تعقله، أنت وأصحابك المجبرة، ولم تأخذوه من عين صافية ولامنهل رويّ، ولا وراثةٍ عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب، من اغترف من البحر المالح الأجاج!!

٥٥ظ/ فذلك قوله، عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا / السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا**﴾ (٤)، ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**﴾(٥)، ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾(٦)، ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)**﴾(٧)، ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾(٨).

مقالة المشبهة والمجبرة في الحقيقة الواحدة:

وهذه من حجتكم على **أهل التشبيه** في إثبات التوحيد، إذا قالت لكم **المشبهة**: إن القرآن كلامُ الله نطق به بآلةٍ كآلة المخلوقين. واحتججتم عليهم بأنه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد، ويسقط دعواكم فيه، لما تقولون به من الجبر.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٧) سورة النبأ: الآية ١٣.

(٨) سورة الزخرف: الآية ٣ . كتبت خطا هكذا: وجعلناه.

فلا يزال الكلام يدخل عليكم في اعتقادكم للجبر، بما يبطل عليك ما قلتم به من التوحيد؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدل، لأن من وصفَ الله، عز وجل، بالجبر، فقد شبهه بالمخلوقين، وهذا معنى جوابنا في هذا من فساد التوحيد عليكم، بما فيه الكفاية إن عقلتم؛ لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل؛ لأنه لا يوحد الله، عز وجل، من شبهه بالجائرين؛ لأنه مشبه كالمشبهين.

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [1]، فإنما هو جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق ولا جبر، ولو كان، عز وجل، إنه هو الذي خلق ذلك إلا فك؛ لأن أفعال العباد، على زعمكم، مخلوقة. فافهم هذا الباب الذي غلطت فيه، وأهلكت من اتبعك [2]، وإلا [3] لزمك ان الله، عز وجل، خلق أفك الأفاكين؛ ثم عذبهم على خلقه، لا على أمر فعلوه هم، ولا خلقوه!!

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين، على قولكم، إذ زعمتم أنه خلق خلقاً لله، واكتساب من العباد!

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذي خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب، إن كان ثم عدل أوحكم حق لاجور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان، على قولك هذا، أن قالوا: إن الأوثانَ أرباب مع الله، عز وجل، وأنهم عملوا بأيديهم، ثم زعموا أنها التي ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم: إنه خلق الشرك والكفر، وأقسى [4] القلوب. ثم خلد من فعل ذلك في العذاب الأليم!!

ثم نقول لك: خبرنا عمن خلق أعيان العباد؟.. فإذا قلت: الله. قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم، وإلى عورات النساء، وجميع القبائح!!.. فإن قلتم: نعم. قلنا لك: فلمَ عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولمَ يعذبهم على خلقه لأعينهم[5]، التي خلق في رؤسهم؟!! فلا تجد حجة تجيبنا بها.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢) في الأصل: اتبعث.

(٣) في الأصل: وإن لا.

(٤) في الأصل: واقسا.

(٥) في الأصل: لاعيانهم. وهو يقصد العين: عضو الإبصار ويجمع على اعين، وعيون، انظر المعجم الوسيط: ٢ /٦٤٧.

وكيف ماادعيت من أمر فى النظر المحارم، لزمك مثله فى خلقه للأعيان، وكذلك الأسماع والألسنة والأيدى والأرجل. لقولك: أليس قد خلق الله، عز وجل، يدَ السارق؟

فإن قلت: بلى [1]. قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لأستار الكعبة، وأكفان ٥٦و/ الموتى [2]، وأموال المؤمنين، فإذا قلت: نعم. قلنا لك: ما [3] عذرك وما حجتك إذا سألناك/ : لمَ عذبه على سرقته [4] أستار الكعبة، وأكفان الموتى، وأموال المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التى بها سرق وظلم؟!

فلا تجدُ حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من الحيل، إلا أن ترجع عن قولك، وتصير إلى العدل، فنقول: إن السرقة فعل العبد، ولذلك أمر بقطع يده، وأن السرقة ليست خلقاً لله، وأن اليد هى خلق لله، جل ثناؤه، لا عذابَ على العبد فيها، وهذا هو الحقُ والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلقُ الله، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذِّبه على خلق يده، كما عذبه على سرقته؟! فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لمَ عذَّبَ على بعض خلقه، ولم [5] يعذب على بعضه؟ وهذا غاية الفلج، وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله، عز وجل، يحكى عن الكفار ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [6]، فنقول لك: كيف جعل الكفار الملائكة إناثاً؟ وكيف هذا الجعل الذى ذكر الله، عز وجل؟ فإنه لابد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم، بما قالوا فيهم أنهم أناثٌ غير ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك، والتصديق لنا أن الجعل فى كتاب الله، عز وجل، على وجهين.

---

(١) فى الأصل: بلا.

(٢) فى الأصل: الموتا.

(٣) فى الأصل: مما.

(٤) فى الأصل: سرق.

(٥) ليست فى الأصل.

(٦) سورة الزخرف: الآية ١٩.

وإن قلت : جعلوهم جعل خلق؛ لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة!! فأى هذين الوجهين قلت به، غلبت وسقطت حجتك فى قولك أن الله، عز وجل، هو الذى جعل قلوب الكفار قاسية، جبراً وقسراً وحتماً؛ لأن الله، عز وجل، هوالجاعل للأجساد ، لا جاعل لها غيره ، وذلك قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ⑧ ﴾ (١) .

وكذلك جميع المعاصى الله، عز وجل، منها برئٌ لم يجعلها جعل خلق، ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا، وتقليد الرؤساء والحميّة على الكفر والخطأ، والرغبة فى التافه الأدنى (٢) ، وليس لله، عز وجل، فى فعلهم فعل قل ولا كثر ، صغر ولاكبر ، عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الكسب يدل على الشرك :

ومن الدليل على تصديق قولنا، وبرهان حقنا، أن الله، عز وجل، لم يخلق أفعال العباد، ولم يقض على خلقه بالفساد ، ولم يرد الإلحاد، ولم يقدر العناد ، ولا العبادة للأنداد ؛ أن يقال لك: **ياعبد الله بن يزيد البغدادى**، ولمن قال بقولك من **المجبرة؛**
٥٦ظ / خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة، أيهما عندكم **أفضل، خلقُ الله، جل ثناؤه، الذى / ليس للعباد فيه اكتساب ولافعل، أم خلق الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟**

فإن قلتم: إن خلق الله الذى فيها اكتساب وفعل أفضل . قلنا لكم: فقد أوجبتم فى قولكم، ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والكبائر، أفضل من الملائكة والنبيين والمرسلين، والأئمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل.

وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله، عز وجل، ومن اعتقده ودان به، قد بان خطؤه(٣) ولم يجز خطابه، وانقطعت حجته ، وانهتك ستره، ولا ينبغى الكلام عندنا لمثله.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨ .

(٢) فى الأصل: الادنى.

(٣) جاد فى الأصل : خطاه.

وإن قلتم ، ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم: بل نقول: **إن خلق الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب، ولا فعل أفضل.**

قلنا لكم: فقد أوجبتم فى قولكم هذا ، ان الخنزيرَ والكلبَ والحمار ، **والقرد** والبغل **واليهودى والنصرانى،** خيرٌ من الإيمان ، ودين الإسلام ، **وكفرتم بالله العظيم ،** جل الله عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً.

وإن قلتم: لسنا نقول إن احداً منها أفضل من الآخر، ولكنا نقول هما سواء . لزمكم انكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير، **واليهودى والنصرانى** سواء هم عندكم، وعلى قولكم ، والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم ، عليه السلام، والمؤمنين والشهداء والصالحين، والمشعر الحرام، سواء هو عندكم ومن ذكرتم!!!

فليس لكم، ولا لأحدٍ من جميع اخوانكم **المجبرة، اهل الفرية على الله،** جل ثناؤه . .

من هذه الثلاثة الوجوه مخرج، ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا سبب من الأسباب!

وفى هذا تقوم الحجة بالحق ، ويسقط الباطل ، ويبين من المحق ومن المبطل. إلا ان ترجعوا إلى القول على الله ، سبحانه، بالعدل ونفى الجبر؛ وتقولون بقولنا بالعدل، وهو دين الله، عز وجل، فتقولون: إن الله ، جل ثناؤه، برئٌ من افعال العباد كلها، وانه لم يخلق منها شيئاً ، قل ولا كثر ، صغيراً كان ذلك اوكبيراً، ولا حسناً منها ولا قبيحاً، ولا طاعة منها ولا معصية ، وتقولون : إن ذلك كله امر ونهى، لاجبر ولاحتم ولا قسر، وإنما امر الله، جل ثناؤه، بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر، والامر والنهى محتوم، اى مفروض لا جبراً وقسراً ، ويصدّق ذلك قوله ، عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٩٠) ﴾ [١]، و ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [٢]، ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ**
٥٧و / **عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [٣]، ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [٤]،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٢) سورة البقرة : الآية ١١٠.
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٣.
(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧.

ولم يقل، عز وجل ، انه خلق واحداً من هذه الأشياء، التى افترضها وأمر بها، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ﴾ (١) ، ولم يقل خلق تاديتكم للامانات، وانه، عز وجل ، ارسل رسله بالدعاء إلى الإيمان ، فسارع إليه المؤمنون ، غير مكرهين ولامجبورين ، وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصى، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبرين.

وتصديق ذلك وشاهده قوله، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه وعلى آله، : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (٢) ، ولم يقل كما خلقت فعلكم وجبرتكم، ولم أرد إيمانكم، وقوله، عز وجل، للظالمين : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٣) ، ولم يقل عما خلقت فيهم، واردت منهم، ولو خلقه فيهم واراده منهم ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ان يقول : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ (٣) .

وكيف يعتو من فَعَلَ عتوه غيره؟! فى أى لغة وجدتم هذا ، ام فى اى اى نجو (٤) ام فى اى قرآن ، ام فى اى شعرٍ قالته العرب ، ام فى اى خبر عن رسول الله ، صلى الله عليه، ام فى اى حريةٍ ، ام مروءةٍ ام فى اى سيرة، ام فى اى سنة، ام فى اى عقل أو جميل ادب ، إلا فى سيرة سدم (٥) وسنته، وادبه واحكامه التى هى تتحرى (٦) للصبيان ، ويتحدث الناس بها فى المجالس ، تعجباً من جور سُدم، وقبح حكمه، وسخافة عقله .

فيا سبحانه الله العظيم ، لقد جعلتم ، ايها المجبرة المفترون ، احكام الله ، جل ثناؤه، وافعاله كاحكام سدم وافعاله، بل سدم عند أهل المعرفة ، يكبر عن كثير مما اسندتم إلى الله العدل، الذى لا يجوز، سبحانه وتعالى عما يصفون .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٦ .

(٤) النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط ، أو السحاب يريق ماءه ثم يمضى (انظر المعجم الوسيط: ٢ / ٩١٢) مادة؛ نجا.

(٥) السدْمُ : من اصابه الهمْ والغيظ والحزن فهو (سدمان ندمان) ، او السَدِمُ ؛ من الفحول : الهائج، وعاشق سدمٌ : شديد العشق ؛ ولعل المؤلف يقصد المعنى الاخير . (انظر المعجم الوسيط : ١ / ٤٢٦ مادة ؛ سدم) ، وسدم : احد ملوك اليمن الجائرين، اصحاب السيرة القبيحة .

(٦) هكذا فى الأصل

ثم زعمتم انه غير جائز !.. وهذا الخروج من المعقول ، فليت شعرى ، كيف يكون الجور إلاما قلتم وعليه اعتمدتم !!.. وهذه حجة لا مخرج لكم منها، فى قولكم بخلق الأفعال . وعندها بيان فضيحتكم ، والحمد لله رب العالمين .

واما قوله ، عز وجل : ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [١]، فإن ذلك ليس بنسيان من وجوه [٢] النسيان ، الذى يجب فيه العقاب؛ لأنه قد روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، انه قال : «رفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يبلغ، وعن الناسى حتى يذكر» [٣] .

تفسير النسيان فى الآية:

وأماهذا النسيان الذى ذكر فى القرآن ، فهو الترك متعمداً [٤] لا نسيان سهو ، وذلك النسيان المتعمد ، يجب على صاحبه العقابُ ، وهو نسيان الترك معتمداً [٥] ، شاهد ذلك قوله، عز ، وجل : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٦] ، اى تركوا امر الله، فتركهم ٥٧ظ/ من رحمته / والله ، عز وجل ، لا ينسى، ولا يؤاخذ بالنسيان ، إلا نسيان العمد الذى ذكرنا ، مما يجرى فى اللغة [٧] ، فافهم هذه اللغة العربية التى جهلتها، واحتججت فيها باول الآية، فى قساوة قلوبهم ، ولم تذكر اولَ القصة ، ولآخرها ، وجئت بالوسط فى الآية ، ورجوت أن تتعلق فى الوسط، بحرف تتفرج إليه ؛ وتتزين به، عند أصحابك ، وتفترى على الله ، عز وجل ، فيه، ما قد قلت ، فانظر ما حلَّ بك !..، والحمد لله الموضح لدينه ، المعز لكتابه ، وهو القوى العزيز.

قسى اللهُ قلوبهم بما نقضوا من الميثاق :

وأما قولك انا سوف نحتج عليك، فى هذا الموضع، بأن الله ، عز وجل ، لم يقسّ

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ . جاءت فى الأصل : فنسوا .

(٢) فى الأصل : وجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ، (٥) فى الأصل : معتمداً .

(٦) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٧) فى اللغة : نسيَ فلانٌ الشئَ نَسْوةً ونَساوةً ونسْيَاناً: تركه على ذُهول وَغَفْلةٍ، او تركه على عمد . (انظر المعجم الوسيط ١/ ١٩٢٧ مادة : نَسَا)

قلوبهم ، إلا بما نقضوا من الميثاق ، فذلك لعمر الله ، من أقوى حجج الله ، عز وجل ، وحججنا عليك ؛ لأن الله ، جل ثناؤه ، لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ، ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب ، إلا بعد ما اختاروا القساوة ، وصدوا عن الحق ، والشاهد لنا على ذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [1] ، وأنت تقول :[2] إنه أقسى قلوبهم ، بغير جرمٍ ، ولا ذنب كان منهم .

والضلال منه أيضاً ، إنما هو ضلال حكم وتسمية ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [4]، فأين ماجبرهم عليه ، زعمت ، من قساوة قلوبهم بعد هذه الحجج ، التى لا مخرج لك منها (ولا) [5] لمجبر مثلك أبداً؟

فلكم جهدتم ، فى إبطال ماقلنا ، فإن جئتم بحجة – ولن تجيئوا بها أبداً – سلمنا لكم ، ومحالٌ أن يقومَ ، الباطل أبداً [6] ، والحمد لله رب العالمين .

المجبرة والطبع:

وأما ما قولك أنك تسألنا ، زعمت ، عن طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم ، بعد النقض لعهدهم ، وأنه يلزمنا أنهم مطبوع على قلوبهم، ثم كلفهم الله، عز وجل ، الإيمان ، بعد ما طبع على قلوبهم .

وشاهد ذلك عندك ، زعمت ، فى كتابك ، أن اليهود والنصارى اليوم ، قد طبع الله على قلوبهم ، وهم مع ذلك الطبع ، مكلفون للإيمان، والخروج من الكفر.

نفى العدلية أن يكون طبع قسر وقهر:

فإن أقررنا لك ، زعمت ، بذلك فهو قولك ، زعمت ، والعدل عندك ، زعمت ،

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٢) فى الأصل : « تقول أنت » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : : الآية ٢٧ .

(٥) هكذا فى الأصل على تقرير : ولا لمجبر مثلك أبداً الخروج منها .

(٦) أى حجة .

فاسمع إلى جوابنا ؛ وليس قولنا أن الطبع الذى طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم طبع جبر ولا قسر ، فتلزمهُ الجورَ والظلم والخروج من قرآنه الذى قال فيه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [4] ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5] ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾[6] ، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [7] .

هو طبع حكم وتسمية :

٥٨و / **وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية ، حكم عليهم ، عز وجل ، وسماهم** مطبوعاً على قلوبهم ، بما اختاروا من الضلال ، وتركوا الحق وما جاءت به الرسل، صلى الله عليهم ، ولو كان الأمر على ذهبت إليه، لم يكن **اليهود والنصارى** اليوم مكلفين الإيمان ، وكيف يكلفون الإيمان، وقد حال بينهم وبينه بالطبع. على قلوبهم - زعمت ؟!

وفى هذا الخروج من حكم القرآن. والجبر لرب العالمين ، وهذا يوجبُ على أهل الإسلام أن لايقاتلوا الروم ، ولايسبوا حرماتهم، ولايغنموا أموالهم، ولايسفكوا دماءهم، وأن لايدعوا **يهودياً ولانصرانياً** إلى الدين أبداً ؛ لأنهم فى قولكم ، قد طبع الله على قلوبهم ، ولا حيلة لهم فى الرجوع إلى الإيمان ، من أجل ذلك الطبع الذى قام به عذرهم فى قولكم.

وهذا أعظم الجور، وأبين الكفر ، إذ نَزَّلَ اللَّهُ ، عز وجل ، علينا قرآناً (أخذناه من) نبى صادق، يقول لنا فيه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [8] ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥

(٥) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨ .

(٧) سورةالانعام : الآية ١٦٤ .

(٨) سورة الانفال : الآية ٣٩ .

فكيف يكون الدين كله لله ، وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر ، حتى لم يقدروا على الخروج من الكفر، الذى فى زعمكم؟!

ونحن فلا ننسبُ إلى ربنا هذا ، عز وتعالى أن يكون هذا فى حكمته ، وفى ملكه وإتقانه ، عز عن هذا القول الذى قلتم .

وكذلك قوله فى اليهود : ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝٢٩﴾ [١]، وإنما الطبع على قلوبهم، اسم سماهم به بفعلهم ، وحكم (حكم) [٢] عليهم به بفعلهم، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤﴾ [٣]، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [٤] اى حكم عليها بأنها زائغة عن الحق ؛ لا أنه هو الذى أزاغها عن الهدى [٥] ، ولو أزاغها عن الهدى، لم تلزمها حجة ؛ إذ لا طاقة لها بالزيغ لقلوبها ، ولا قوة لها عليه ، ولو كان ذلك منه ، عز وجل ، لم يكن بينه وبين إبليس فرقٌ ، فى عداوة بنى آدم وصدهم، وإضلالهم وإقساء قلوبهم ، وإمالتهم عن الهدى ! جل الله عن ذلك ، وتعالى علواً كبيراً .

تم الجزء الأول ويتلوه الجزء الثانى

***

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الصف : الآية ٥ .

(٥) فى الأصل : الهدا

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة العاشرة

الله يكلف ما فوق الطاقة عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: أليسَ قد تزعمونَ أن من قال : إن الله قد كلف العباد ما لا طاقة لهم به، فقد وصف الله بأنه يظلمُ العبادَ؟

فإن قلنا : نعم .. قال : فسألهم عن المؤمنين حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنا بِهِ ﴾ (١) ، أليس قد قالوا : ربنا لا تظلمنا ؟!

٥٨ظ/ فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لا / يظلمهم ؟

وخبرونا عمن سأل الله أن لا يظلمه، أعرف الله أم لا ؟

فإن قالوا : نعم ، إنه قد عرف الله . فقل : أفليس (يتقى) الله، من لا يدرى لعل الله سيظلمه ؟!.. فإنهم لن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به ، فى غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يكلفهم ذلك ، فذلك العدل، قد قالوا به.

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن قول الله ، عز وجل، يحكى عن المؤمنين إذ قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (١) ، وزعمت أن ذلك التكليف، كان من الله ، عز وجل ، وأنه ، عندكم فى دينكم ، قد كلفهم ما لا طاقة لهم به فى غير ظلم ، زعمت ، من الله لهم .

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٦

نقض مقالة المجبرة عقلاً ونصاً :

وإنا إن أقررنا لك بذلك، أنه عندك العدل، فقد لزمنا وأقررنا به ، زعمت ، فعند ذلك نقول لك ، على قود قولك ، ماتقول فيمن ادعى أن الله ، عز وجل ، كَلَّفَ قوماً أن يقلعوا النجوم من السماء، فلما لم يقدروا على ذلك ، عذبهم بخلود الأبد فى النار الكبرى [1] ، وهو غير ظالم لهم ؟!

فما تقول (وما) يكون ردك، على السائل فى هذا الباب ؟

فإن قلت له : إن هذا عدلٌ غيرُ جورٍ .

قال لك : أفليس قد وصفَ اللهُ نفسه، بالعدل ونفى عنه الجور ، وجعل فى عقولنا معرفةَ العدل والجور ، ومعرفةَ الحق والباطل، والحسن والقبح؛ حتى لا يسقط علينا منه صغيرٌ ولا كبير ، وهذا كله ما لا يجوز فساده أبداً ، ولا قلبه عن وجوهه ، ولا عن معانيه التى جعلها الله ، عز وجل ، فى عقول بنى آدم أبداً ؟!!

لو جاز ذلك لبطلَ الحقُ ، ولم يفرق بينه وبين الباطل ، فإن أنت لم تقر بهذا القول، قلنا لك : فما حجتك على من قال لك : إنك بقرة ، وأنت تظنُ أنكَ رجلٌ ، وما يدريك لعل الدين والحق عند الله، عز وجل ، غير الدين الذى أنتَ عليه؟ وما يدْريكَ لعل السماء هى الأرض ، والأرضَ هى السماء ؟!!

هذا يلزمك ، إذا أبيتَ إلا التجاهلَ والخروج من المعقول والصحيح ، الذى لا فساد فيه ، من التعارف الذى أوجبَ لله ، عز وجل ، به الحجة ، ثم صرتَ أنتَ إلى إبطالِ المعقول والعارف ،لقولِكَ أن اللهَ ، عز وجل ، عذب قوماً على ما أراده منهم ، وقضاه عليهم ، وهو غير ظالم لهم .

وكذلك ، زعمتَ ، أنه خلقَ الزنا والسرقة ، على غير معناً [2] ، ولا أمر يندب إليه به أنه فعلَ الزنا والسرقة ، وهذا الخروجُ من المعقول ، وليس من قال بمثل هذا القول، يخاطبه الرجال ، إذا أبى [3] إلا التجاهل والخروج من الحق ، وقد عاب الله ، عز وجل ،

---

(١) فى الأل : الكبرا .

(٢) فى الأصل : معنى

(٣) فى الأصل : أبا

الظلم ونهى عن التظالم ، وقال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] ، كيف يجوز هذا على الحكيم الأكبر ، والإله الأعظم ، ان يدخلَ فيما عاب ، أو يصيرَ إلى ما عنه نهى / ؟!

٥٩ / وقد حكى عن نبيه ، صلى الله عليه ، حيث يقول لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [2] ، وبعد هذا فنحن نحبُّ أن تعرفونا الفرق بين تحميله للمؤمنين ما لا طاقة لهم فى غير ظلم - زعمتم - وبين العدل والجور، حتى نعرفه، كما عرفتموه؟.. وأين موضعُ العدل ، فى هذا الباب ، الذى هو ظلم عند أهل العقول والمعرفة ، وليس هو عندكم بظلم فلا تجدون فرقاً فى ذلك أبداً؟!..

لأن هذا العدل ، الذى زعمتم انه عدلٌ وليسِ بظلمٍ، لايقبله منكم إلاجاهل مثلكم ؛ لأنه لا يجوزُ فى المعقول ولا فى التعارف، أن يقولَ رجل لجماعة من الناس : عندى لكم رجل اعمى [3] خسيف ، يبصرُ النجومَ مع نصف النهار ، ويدخل الخيط فى الإبرة مع نصف الليل فى الليلة الظلماء ؟!!.. لأن هذا من القول لا تقبله العقولُ ولا يجوز عند ذوى الألباب ؛ لأنه محالٌ ولا يجوزُ مثله على الرجال ، ولنم يجعل اللهُ، عز وجل، لنا العقول لأنْ يجوزَ عليها الفسادُ ، وما لا يعقل من أن يكونَ العادلُ يفعل الجور ، ثم لايكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً !

نقد المجبرة عقلاً ولغة :

هذا الخروجُ من العقول المركبة التى جعلها الله ، عز وجل ، حججاً ، بها يثيب وبها يعاقب ، وكذلك لو قال رجل: إن الأمير قتل اليوم من المشايخَ العُبادِ فى المسجدِ الأعظم مائة [4] شيخ من المؤمنين العباد الصالحين ، فى غيرِ جرمٍ أتوه ولا ذنبٍ اكتسبوه ، وكان فعل الأمير ذلك بهم، فى غير ظلم ولا جور ، لم يكن هذا القول بصائغ لقائله عند الناس ، ولا بجائز فى لغة العرب، ولا فى عقولها ، ولا فى التعارف الذى به لزمت الحجج، وانقطعَ عذرُ كل معتذرٍ بباطل .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٣) فى الأصل : اعما .

(٤) فى الأصل : مئة.

فإن قلتم : إن اللهَ لا يجوزُ عليه ما يجوز على المخلوقين ، قلنا لكم : فكيف يجوز على الله ، سبحانه ، ان يفعل الظلمَ ثم لا يسمى ظالماً ؟

فهو إذنْ يلزمكم ويجبُ عليكم - إن صح ما قلتم - ان يجوزَ عليه ان يدخلَ الأنبياءَ والصالحين والآئمة الراشدين والشهداء والمؤمنين ، النار ، ويدخل المشركينَ والكافرين والعصاة الظالمين الجنة !.. ولا يكون بذلك منه بظلم ولا جورٍ !!..

نقد المجبرة فى مقالتهم بأن الله يكلف عباده ما لايطيقون :

وكذلك لو قال رجل : إن الله ، عز وجل ، امرَ قوماً أن ينزعوا ما فى البحر ، من مائه حتى لايتركوا فيه قطرة واحدة، فلما لم يقدروا على ذلك أوجبَ عليهم الخلودَ فى النار ، ولا يكون ذلك منه بظلم لهم ، بعد ما عَرَّفَ الخلقَ ، وأنزلَ عليهم الكتبَ، وأرسل إليهم الرسل ، يخبرهم انه عادلٌ ، وانه لايريدُ ظلمهم ، وانه قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [1]، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ٥٩ط / وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ / أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) ﴾ [2].

فهذا خبره عن نفسه ، عز وجل ، وعمن خالف امره ، وهو الذى قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ [3] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [4]، وقوله ، عز وجل: ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [5] ، فالويل لك كيف يكون الحيف إلا ما قلت ؟!.. وكيف يعقلُ الحيف والجور والظلم، إلا ما ذكرتَ وبه احتججت على الله، عز جل، وألزمته إياه ، وبرأت أعدائه، واقمت عذرهم، وخالفتَ الكتابَ؟!!

فأىُّ حيفٍ اعظم وأجل من ان يكلِّفَهم الله ، عز وجل ، ما لا طاقة لهم به ، ثم لايكون ذلك جوراً ولا ظلماً ، وهو يخلدهم بذلك فى العذاب المقيم، والنكال الأليم، الذى لا راحة لهم منه، ولا انقطاع لسرمده؟!!

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥

(٢) سورة النساء : الآية ٢٧

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢

(٤) سورة النساء : الآية ٨٧

(٥) سورة النور : الآية ٥٠ .

احتجاج خازن النار على الكافرين :

ثم يخبرنا ، عز وجل ، عن قولهم يومَ القيامة ، لمالكَ خازن النار، حيث يقول: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١) ، ويلكم الا تتدبرون القرآن، كما امركم الله ، عز وجل؟!

أهذا تحميل ما لايطاق ؟ أم المجئ إليهم بالحق فتركوه وكرهوه ، واعرضوا عنه ، ظلماً وعدواناً ؟

ثم نقول لك: اخبرنا عما اخبرَ اللهُ ، عز وجل، في كتابه ، من احتجاجِ مالك خازن النار ، اصدقٌ قوله أم لا ؟ فإن قلتَ : صدقَ في قوله . انقطعتْ حجتُكَ ، وفسدَ عليك قولك : **إن الله حمل العباد ما لا يطيقون ، في غير ظلم ولا جور** ، وفلجناك وأنت صاغر ؛ لأن الله ، عز وجل ، إنما اخبرنا بفلج مالك لهم، وإيجابه الحجة لله، عز وجل، عليهم ، ورضى بقول مالك خازن النار ، واخبر به نبيُّهُ ، صلى الله عليه ، لعلمه بصدق حجة مالك، وفلجه لجميع من دخل النار .

وإن قلت : كذب مالك فيما احتج به عليهم ، لزمك ان الله ، عز وجل ، احتجَّ بالباطل فإن الذى قال مالك لأهل بالنار : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١) ، كان باطلاً ولم يكن اللهُ ، عز وجل ، جاءهم ، ولا لزمتهم لله ، عز وجل ، حجةٌ ! .. وقائل هذا كافرٌ بالله العظيم ، وخارج من دين الإسلام. فلا بدٌ لك من القول بأحد هذين الوجهين ، وفيه بطلانُ ما قلتَ ، وفسادُ حُجتكَ.

فضل أهل العدل :

ثم نقول لك من بعد هذا ايها المغرور في دينه والجاهل بكتاب ربه ؛ **إن القومَ الذين** قالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ (٢) ، وهذاكله لم نات به ، في حجتك إلا بالطاقة وحدها ، وقد

---

(١) سورة الزخرف : الآيتان ٧٧ - ٧٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

زدناك أمثالها من المعانى ، التى تحتاج إلى التأويل، ويبين فيها فضل **أهل العدل**، على ٦٠ و/ **أهل الجبر** ، ولو فطنت / لتذكرتها ، لتقوى بها حجتك فى **الجبر** ، والمدلُ بالعلم لايبالى من أى طريق قدمَ السائل عليه .

واعلم أن الذين دعوا بهذا الدعاء ، وسألوا الله ، عز وجل ، هذا السؤال هم المؤمنون ، ولم يقله ، ولم يدع به الكافرون ، ولو كان الأمر فى هذا الدعاء، على ما توهمتَ واعتقدتَ ، من جهلك وفريتك على الله ، عز وجل ، العادل الذى لا يظلمُ ، لكان الأمرُ على ما ذكرتَ أنهم سألوه أن لا يظلمهم ، والمؤمنون أعرفُ بالله ، عز وجل، وبعدله وحكمته ، وصدق وعده ووعيده ، من أن يطلبوا منه أن لا يظلمهم ، ولكنَّهُ ، عز وجل ، افترضَ عليهم الدعاء والتضرعَ ، وعابَ على من لم يتضرَّعْ إليه ، فقال : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) ﴾ [١] ، وقال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢]، وقال : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [٤] ، فافترض عليهم الدعاء بالغدو والآصال ، دائباً ما عاشوا .

وقال : ﴿ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [٥] ، وقال : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾ [٦] .

وقد علم المؤمنون أن الله ، عز وجل ، سيصدقهم فيما وعدهم على رسله ، وأنه لا يخزيهم يوم القيامة ، **ولكن الدعاء من الله ، عز وجل ، بمكان ، وهو فريضةٌ لازمةٌ جهلتَ معناها** ... ومثل هذا فى القرآن ما يكثرُ عددُه ، وفيما ذكرنا كفاية .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٧٦ .

(٢) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٥ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ٢٠٥ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ - ١٩٤

فلما افترض الله ، عز وجل ، على المؤمنين الدعاء ، كان الدعاء من شأنهم ودينهم وشريف مذهبهم ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [1]، و« النسيان » : ها هنا هو الترك معتدين ؛ لأنه قال فى تصديق ذلك : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [2] ، والله ، عز وجل ، لاينسى ولا يؤاخذ بالنسيان، الذى هو نسيان ، لا العمدُ .

ثم قالوا : ﴿ وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [1]، فقد جاء فى التفسير انهم سالوه ، عز وجل ، ان لا يمتحنهم بغيبة محمد ، صلوات الله عليه وعلى آله ، وكما امتحن بنى إسرائيل بغيبة موسى ، صلوات الله عليه .

ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [1]، يعنون النارَ التى لا طاقة لهم بها ، يارب لاتعذبنا بالنار التى لا طاقة لنا عليها .

٦٠ ظ / فإن قال قائل : أو ليس هم مؤمنين ، / والمؤمنون فقد أمنوا من العذاب ؟! فما معنى طلبتهم أن لا يعذبوا ؟!.. قلنا : إنه قَدْ أعلمناك أن اللهَ ، عز وجل، افترض على الأنبياء والمؤمنين الدعاء ، وليس هذا الدعاء جهلاً منهم أن الله ، عز وجل ، يعذبهم بغير جرم ، كما قال عبدالله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة ، ثم لا يكون ذلك ظلما لهم .

حد الظلم :

وكذب عدوُ الله ، عبد الله بن يزيد البغدادى ، ما نعرف الظلم إلا المؤاخذة على غير جرمٍ ، ولا يفعل الظلم إلا الظالم .

تفسير دعاء الملائكة للمؤمنين :

فَسَألوه أن لا يعذبهم بالنار ، وهو ما لا طاقة لهم به ، والشاهد لنا على ذلك (الأمر) الواضح، دعاء الملائكة ، عليهم السلام ، لعبادِ الله المؤمنين، حيث أثنى الله ، عز وجل ، عليهم بذلك، وأخبر نبيه ، صلى الله عليه ، فى كتابه بفعل الملائكة ، صلى الله عليهم ، وحسن دعائهم للمؤمنين ، على معرفة الملائكة بعدل الله ، جل

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

ثناؤه ، وانـه لايخلف الميعـاد ، وانه لايعـذب المؤمنين ، وانـه قـد أوجب لهـم الجنة ، وحكم لهـم بها ، لا شك فى ذلك عند الملائكة ، ولا خلْفَ في صدقه ، فقال ، عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⟨٧⟩ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⟨٨⟩ ﴾ (١) .

وقد علمت الملائكة ، صلوات الله عليهم ، ان الله ، عز وجل ، لا يعذب المؤمنين ، ولامن اتبع سبيله ، وانه يقيهم عذاب الجحيم ، ويدخلهم جنات عدن التى وعدهم ، لا شك فيه عند الملائكة ؛ ولكنهم دعوا لهم، **إذ كان الدعاء عند الله، عز وجل ، بمنزلة شريفة، وهو الأمر الحسن المقبول المفترض .**

إن أنكر المجبر التأويل فى الدعاء أنكرت عليه المشبهة تأويله للعرش :

فإن انكر عبدالله بن يزيد البغدادى، واصحابه ، هذا التأويل انكرْت عليه **المشبهة** دعـواه في العـرش ، وقالوا له : قد تسمع إلى قول الله ، عز وجل ، ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ (١)، وحمل العرش عنده تشبيه إن كان موحداً ، فإن انكر التأويل فى الدعاء أنكر عليه التأويل فى العرش ، والا فما جعله أحق بالتأويل من الناس !

ومن ها هنا أعلمناك أنك لا تقوم بالتوحيد ، لجهلك بالعدل ، فافهم ما لزمك فى احتجاجك ، بأن الله ، عز وجل ، **يحمل العباد ما لا طاقه لهم به ، فى غير ظلم** ، زعمت ، فاعرف ما لزمك، فلا مخرج لك منه بحلية محتال ، وهذا هو العدل ، لا جبرك الفاحش الذى سميته عدلاً !

دليل آخر على أن الله لا يكلف شيئاً فوق الطاقة :

ومن الحجة لنا عليك قوله ، عز وجل : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ⟨١٩١⟩ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ⟨١٩٢⟩ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

---

(١) سورة غافر : الآية ٧ – ٨ .

٦١ظ / عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار (١٩٣) ربّنا وآتنا / ما وعدتّنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤) ﴾ (١) ، فنقول لك : الا تسمع إلى قوله ، سبحانه ، يحكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ ربّنا وآتنا ما وعدتّنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ﴾ ؟! وانه صادق فيما وعدهم على رسله، لا شك عندهم فى ذلك ، وانه لايخزى المؤمنين يوم القيامة ؛ لانه قال : ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ (٢) .

وقد سمعوه يقول : ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) ﴾ (٣)، وقوله : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ﴾(٤) .

أفلا ترى ، بعد ما وثقوا بهذه الآيات التى ذكرنا ، انهم سالوه تمام النور والمغفرة، بعد اليقين انه لا عقاب عليهم ، فكل هذا شاهد لنا فى دعاء المؤمنين بانه ، عز وجل، فرض عليهم الدعاء، فدعوا وهم واثقون ان الله، عز وجل، لا يخلف الميعاد، ولا يخزى المؤمنين يوم القيامة؟! وهو الذى يقول ، عز وجل، ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ (٥) .

وهذا كله مثل ما اعتللت به من دعاء المؤمنين : ﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ (٦) ، يعنون : النار .

فإما ان يكون المؤمنون جهلوا العدل ، واعتقدوا الجبر، كما جهلته ، واعتقدتَ ان اللهَ، عز وجل ، يحمّلُ العبادَ ما لا طاقة لهم به - وهو عندك انه يعلم منهم انهم لا يؤمنون ، ثم يامرهم بالإيمان ، ويفرضه عليهم ، وهو لا يريد ، زعمت ، ان يؤمنوا ، فيفسد علمه ، زعمت !!.. لأنك أقمت العلم، مقام الشئ المانع الحائل بينهم ، وبين الدخول فى الإيمان .

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ - ١٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٨٩ .

(٣) سورة الانبياء : الآيتان ١٠١ - ١٠٢ .

(٤) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٥) الهامش السابق .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وهذا أعظمُ كفر قاله ملحدٌ ، وقد مضى فى صدر كتابنا هذا ، من الحجج عليك فى العلم ، ما لا مخرج لك فيه، ولا حجة لك تدفعه ، ولا طاقة تفسده ، ولا عذر لك من التوبة، أنت وأصحابك ، من الفرية على الله ، عز وجل ، بعد سماعه - وفيه الكفاية الكافية الشافية ، والحمد لله رب العالمين .

دليل قرآنى على إثبات العدل:

ألا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ
٦١ ظ / الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ/ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) ﴾ [١] .

فنقول لك : والله ، لو لم ينزل الله ، جل ثناؤه ، على نبيه ، صلى الله عليه ، فى باب العدل والبراءة من خلق أفعال العباد، والقضاء بالفساد ، غير هذه الآيات وحدها؛ لكان فيها من الكفاية والشفاء، والدلالة على العدل، وإسقاط الجبر ، وأنه لم يحملهم فوق الطاقة، ولم يرد منهم الكفر ، ولم يحببه من فعلهم ، ولم يَحل بينهم - بعلمه - وبين النجاة ، فإن علمه بكفرهم ، لم يُحل بينهم وبين ترك ما علم من اختيارهم ، وأنه يعلم أنهم يقدرون على الخروج من الكفر ، كما علم أنهم يقدرون على أن يختاروا الدخول فى الإيمان ، ففى ذلك من الكفاية الشافية، ما يجزئ كل من له أدنى [٢] لبٌ

---

(١) سورة الجاثية : الآيات من ٢٧ - ٣٧ .

(٢) فى الأصل : أدنا

وتمييز عقل ، او تفكُّرٍ ، او يسير من نِصَفَةٍ ، وإن فى هذه الآيات لأوضح البرهان، وأبين البيان .

الا تراه ، عز وجل ، كيف الزمهم فعلهم وتبرا منه ، واسنده إليهم ! .. والمجبرة تقولُ هو منه ، وهو إرادته وخلقُهُ ، بلا حجةٍ ، ولا كتاب مبين، إلا التجاهل والإصرار على العمى[1]، فنعوذ بالله من الحيرة فى دينه، والغلط فى عدله ، والخروج من توحيده، إنه منانٌ كريم .

***

(1) فى الأصل : العما .

المسألة الحادية عشرة

ترى المجبرة أن الله يضل عباده!

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [(1)] ، يعنى بذلك؟

فإنهم يزعمون ان اللهَ لايريدُ ان يضل احداً ، وان من وصف الله بهذه الصفة ، فقد وصفه بالظلم ، فسلهم عن قول الله ، عز وجل ، فى هذه الآية : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [(1)] ، اليس إنما نقول : إن من أرادَ الله ان يظلمه، يجعله كذلك؟

فإن قالوا : نعم . فقل : (أفليس الله يقول ذلك ، ويصف نفسه بذلك؟

فإن قالوا : إن الله لايصف نفسه بهذه) [(*)] ، فقل : فما يعنى بذلك ؟

فإنهم لن يجدوا حينئذ بداً من ان يقولوا : إن الله قد يريد ان يضلَ العبادَ بلا ظلم منه لهم ، وإنما وصف ذلك من نفسه ؛ لانه قد اضل قوماً ، بما علم أنهم يفعلونه ، فذلك العدل . فقد تركوا حينئذ قولهم .

وجوب الاجتهاد وطلب العلم وسؤال العلماء :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما :

وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [(2)] ، وقد أعلمناك انك لم تلق العلماء ، ولم تعلم تاويل الكتاب ؛ وإنما سمعت جاهلاً فتنك، فاخذت عنه دينك تقليداً ، بلا تمييز ولا كشف ، ولا سؤال لأهل الذكر الذين امرك الله ، عز وجل ، ان تسالهم ، فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) ﴾ [(3)] ، وهو محمد ، صلى الله عليه ، والذى عنى الله ، عز وجل ؛ لانه

---

(١) سورة الانعام : الآية ١٢٥ ، وكتبت هكذا فى الأل « ومن يرد الله . . . .

(*) زيادة وتكملة من الهامش.

(٢) انظر الهامش السابق (١) .

(٣) سورة النحل : الآية ٤٣ .

قـال : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ⑩ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ [١] ، وقـد أعلمناك فى صدر كتابنا هذا أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل ، على وجهين .

١ - أحدهما : جعل حكم وتسمية .

٢ - والآخـر : جعل حتم وجبر وقسر .. لا مخرج منه ، وهذا الجعل الذى سألت ٦٢ و/ عنه ، جعل حكم وتسمية ، لاجعل حتم ولا جبر ولا قسر ، فإذاً لم تلزمهم / حجـة ؛ لأنه ، عـز وجل ، سـمـاهم وحكم عليـهم ، بأنه جـعلهم بفـعلهم ضـيـقـة صـدورهم حـرجـة ، ولو أرادوا الحق لاتـسعت صـدورهم فى طلب الهـدى ، وقبـول القـرآن، ولذلك عنفهـم وعـاب فعلهم ؛ لأنـه أخبر عن نفسـه ، عز وجـل ، أنـه يريـد بخلقـه اليـسـر، ولا يريد بـهم العـسـر ، وهـذه الإرادة هى إرادة الحكم، الذى حكم عليهم بـه ، وسمـاه من فعلهم ، وشاهد ذلك قولـه ، عز وجـل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [٢]، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ، لَقَالُوا: رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ⑬④ ﴾ [٣]، ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ③① ﴾ [٤]، وقـوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ①①⑦ ﴾ [٥].

وأما قوله ؛ أنا نسأل ، فيقال لنا : أليس إنما يريد الله أن يضله ، فهذه الحجة عليك لنا ؛ لأنا نحن نقـول إن كـان تأويل الآية : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[٦]، بلا سبب كان منه ولا معنى ، ولاجرم تقدم من فعله ، ولا أمر دعا إليه فتركه ، ولا نهى نهى عنه فلم ينته عن فعله ، وإنما أضله الله بلا حجة لزمته له ، فإن كان هذا هكذا، فالقول قولكم ، ووجب بلا شك أن التأويل للآية : فمن يرد الله أن يضله ، لا محالة يجعل صدره ضيقا حرجاً !

ولكنه ينتقض عليكم ، بما ذكره عن نفسه ، عز وجل ، فى القرآن المبين، الذى قال

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ - ١١.

(٢) سورة التوبة : الآية ١٥ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٤) سورة غافر : الآية ٣١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١١٧

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

الله فيه : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾ [1] ، ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [2] ، الا تسمع إلى قوله : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين (108) ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (39) ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (134) ﴾ [6] ، وقوله : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[7]، وقوله : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (107) ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [9] ، وقوله : ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (26) ﴾ [10] . وقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً (27) ﴾ [11] ، وقوله : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون (44) ﴾ [12] . وفى هذا ما لا نحصيه من الحجج ، ولولا طول الكتاب لاوسعنا فى شرحه.

أفلا ترى كيف يحتجُ ، عز وجل ، عن العدل ونفى الجور والظلم، والابتداء لخلقه بتضيق الصدور ، وإقصاء القلوب، والتحميل فوق الطاقة على غير جرمٍ ، وكان الواجب لو كان هذا ، عَلامَ يعذبُ من أرادَ أن يعذبه بلا جرم اجترمه ، ويدخل الجنة من أرادَ بلا ٦٢ ظ/ عمل عمله / ولا يغنى (إرساله) إليهم الرسل يلبسون الدروع ، ويلقون الرماح، وحدَّ السيوف ، ويحصنون المدن، ويخندقون الخنادق ، ويعقدون الرايات ، ويجمعون العساكر ويسفكون الدماء ، وتُسفك دماؤهم على أمر قد جبر

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٤) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

(٦) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٨) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .

(٩) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(١٠) سورة النساء : الآية ٢٦ .

(١١) سورة النساء : الآية ٢٧ .

(١٢) سورة يونس : الآية ٤٤ .

الخلق عليه، قبل إرسال الرسل، وإيراد المواعظ والكتب ، وإن لا ، فأىُّ حكمة تسمى هذه الحكمة، والتى ذكرتم، وأىُّ عادل حكيم يسمى هذا الرب العظيم ، الذى وصفتموه بالعبث والجور على عباده ، والجبر لهم على الأمور التى كرهها، ثم يعذبهم عليها فى خلود أبد الأبيد؟!!

ويفترض عليهم الفرائض ، ثم يحول بينهم وبين أدائها ؛ لأنْ لا يفسدُ علمَهُ – زعمتم – تعالى الله العدل العلى الحكيم البرئُ المتنزه القدوس عما قلتم، وبه دنتم، وإليه دعوتم ، وبه احتججتم ، كذب العادلون بالله، وضلوا بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً.

نقد المجبرة للمشبهة:

ثم نقول لك: أخبرنا عن الأمر الذى عبته أنت وأصحابك على أهل التشبيه فى قولهم ، واحتجاجهم فى قوله ، عز وجل: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4]، وقوله : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[5]، ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [7] ، وقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [8]، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ [9]، وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [10] ، وقوله : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[11]، وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [12] ، وما أشبه هذه الآيات فى القرآن.

---

(١) سورة ص : الآية ٧٥ .
(٢) سورة طه : الآية ٣٩ .
(٣) سورة القمر : الآية ١٤ .
(٤) سورة الفتح : الآية ١٠ .
(٥) سورة طه : الآية ٥ .
(٦) سورة القلم : الآية ٤٢ .
(٧) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .
(٨) سورة الحجر : الآية ٢٩ .
(٩) سور غافر : الآية ١٥ .
(١٠) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .
(١١) سورة النور : الآية ٣٩ .
(١٢) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

أليس إنما غلطت المشبهة في تأويلها فشبهت الله ، عز وجل ، بخلقه ، وخرجت من توحيده ؟ أليس هذا من قولكم واحتجاجكم على المشبهة ، وأن لذلك عندكم تأويلاً جهلته المشبهة وغلطت فيه ؟!

وكما اخطأت المشبهة اخطأتم ،

فإذا قلت : نعم. قلنا لك : فكذلك جهلتَ وغلطتَ أنت ، ومن قال بقولك ، في الآيات التي اعتقدت بها الجبر ، والفرية على الله ، عز وجل ، بلا برهان ولا بينة ، فلا فرق بينك وبينهم في ذلك ، إذ جهلتَ وشبهتَ - كما شبهوا - ولم يصح توحيدك .

والدليل على صدق قولنا ما قد نقضناه عليك من التوحيد ، فيما جهلت من العدل في غير موضع ، وكله قد جمعه هذا الكتاب ، وكل ماجهلت من العدل في الآيات التي تعلقت بها ، فاعلم يقيناً أنها على مثل ذلك القياس ، الذى تعلقت به المشبهة ؛ لأن العدل حكم واحد ، لا خلل فيه ، كما التوحيد حكم واحد ، لا خلل فيه ، ولا فساد في واحد منهما ، ولا عُلقةَ ، ولا حجةَ لمبطل ؛ لانهما اصل دين الله ، ٦٣ و / عز وجل ، الذى / تعبَّدَ به الأولين والآخرين ، ولا يصح الإسلام إلا بهما ، ولوأنك تعلقتَ علينا بحرف واحد ، حتى لانقدر له على جواب ، ولانخرج منه بحجة ، لفسدَ جميعُ العدل ، ولم يقم حقٌ ؛ ولبطل قوله ، عز وجل : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، فالحق حق في نفسه لا باطل فيه ، والباطل باطلٌ في نفسه لا حق فيه ، ولو كان الأمرعلى ما ذكرت واعتقدتَ واحتججتَ به في كتابك ، لكان الحقُ والباطل ممتزجين ، لايخلص واحدٌ منها من الآخر ، ولا يبين عدل من جور ، لا حكمة من ظلم ، ولا صواب من عبث ، ولا فساد من صلاح ، ولا حق من باطل ، ولا حسن من قبيح ، ولامحقٌ من مبطل ، ولا نبيٌ من متنبئ ، ولا حكم الرحمن من حكم الشيطان ، ولاهدىً من ضلال .

فكل حجة لك هي في معنى واحد ، لاتقتضي[2] إلا إثبات الجبر والجور ، والظلم والفساد ، والخروج من الحكمة ، وإبطال الربوبية .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

(٢) في الأصل : تقضي ، والتصحيح من الهامش

وجوابنا : عندنا إثباتُ العدل بشواهد الكتاب، وتهذيبُ الحق ونفى الجبر والجور والظلم، فقد رأينا جوابك إلى آخر كتابك ، بحول الله وعونه.

وليس الجعل، من الله، عز وجل، إلا على ما ذكرنا لك، من أنه جعل حكم وتسمية، والجعل الآخر جعلُ جبر وقسر، لابد من ذلك ، وإلا لزم كل مدعٍ بطلان الكتاب، والخروج من العدل والحكمة ، لأنه لابدَّ لكم ، على قود قولكم ، من تجوير الخالق ، عز وجل ، وتكذيب رسله وكتبه ، وتناقضهما واختلافهما .

وقد قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [١] ، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل ، وترك قولكم من الجبر، للفرية على الله ، عز وجل ، والطعن على حكمته ، وشماته اليهود والنصارى بكم ؛ لأنهم لايقولون بالجبر - كما قلتم .

وأما قولكم : إن الله ، عز وجل ، جعل صدورَهم ضيقةً حرجة ، وكذلك جميع ما اسندتَ من الظلم إلى الله ، سبحانه ، إنما يكونُ منه إلى عباده ، زعمت ، بغير ظلمٍ ولا يسمى [٢] ظلما !.. قلنا لك : فما حجتك على من قال لك: وكذلك هل يجوزُ أن يدخلَ اللهُ النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين والمؤمنين النار. وأن يدخل المشركين والكافرين وجميع الظالمين والعاصين الجنة ، ولا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً ؟!

فإن قلت: إن ذلك شئ لا يجوز ، قلنا لك: من أين قلت بأنه لا يجوز؟ فإن قلت: لأن الله ، عز وجل، عدلٌ لايظلم ولا يجور ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : إنه جائز أن يدخل الله الأنبياء والمؤمنين النار، ويدخل المشركين والكافرين الجنة . ولا يكون ذلك منه بظلم، تركت القرآن صراحاً ، وخرجت من حدٍّ
٦٣ ظ/ من يكلم عند جميع الناس ، وبان جهلك، وفارقت الإسلام ، وخرجت من قوله ، عز وجل : ﴿ كَتَبَ عَلَى / نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [٣] ، مع آيات كثيرة، قد أوجب فيها على نفسه الجنة للمطيعين، والنار للعاصين.

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) في الأصل : يسما .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٢

ثم قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾ [1] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) ﴾ [3] ، وقد كفاك آخر الآية التى ذكرت فى ضيق الصدور وحرجها ، قوله ، عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [4] ، فوجب انه إنما جعل ذلك التضييق والحرج ، حكماً حكم به عليهم ، وتسمية سماهم بها ، لم استحقوا بتركهم لدينه ، وأنهم لم يستعملوا عقولهم ، التى وهبها لهم، وركباها فيهم ، فى طلبِ الحق والنجاةِ من النار ، فهذا هو جواب ما سألتنا عنه ، والحمد لله رب العالمين .

***

احتجت المجبرة بقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [5] ، ما يعنى بذلك ؟

إرادة إبليس أمضى من إرادة الله عند المجبرة !

فإن قالوا : إن الله لم يرد تطهير قلوب بعض العباد ، فذلك العدل قد اقروا به ، وإن وجهوا تأويلها على غيرهذا ؛ فسلهم : اليسوا يستطيعون ان يكون منهم ما لم يرد الله أن يكون ؟ فإن قالوا: بلى. فقل افليس قد يريد الله ان يكون امر ويريد إبليس ان يكون غيره، وأرادتهما فيه على وجه واحد، ليس على وجه جبر ولا قسر؛ فيكون ما يريدُ إبليسُ ان يكون، ولا يكون ما يريد الله ان يكون ؟

فإن قالوا : نعم . فقل: لمَ ذلك؟ أمن عجزٍ من إرادةِ الله ، وقوة من إرادة إبليس؟

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩ .

(٤) سورة الانعام : الآية ١٢٥ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤١ .

فإنْ قالوا : نعم . . فقل : أفليس قد يريدُ الله أن يكن أمر على وجه ، ويريد إبليس ألا يكون ذلك الذى أراد الله على وجه ما أراد الله ، وإرادتهما على وجه واحد ، فيكون ما أراد إبليس ولا يكون ما يريد الله أن يكون؟!

فإن قالوا: نعم. فقل : أليس قد أرادَ الله وأحبَ أن يكون ما أراد أن يكون ، ولم يرد يحب أن يكون ما أراد إبليس ، فغلبت إرادة إبليس ومحبته إرادة الله ومحبته ، وكانت أقوى منها ؟

فإن قالوا : نعم . فهذا من أعظم الافتراء على الله؛ لأنهم يسألون عن ذلك، أليس قوة إبليس أقوى من قوة الله ، فقد يكون بعض خلقه أقوى منه فى بعض الأمور ؟! . . ولن يعطوك هذا.

فإن قطعوا به، ولم يجيبوك فيه ، وقالوا: بل يكون ما أراد الله أن يكون ، ولا يكون ما أراد إبليس أن يكون ، وإرادة الله ومحبته أقوى من إرادة إبليس ومحبته ، فكذلك تعالى الله وتبارك ، وما أراد الله أن يكون فسوف يكون، كما أراد الله ، أن يكون ، لا يعجزه شئ ولا شئ أقوى منه، ولا مثلٌ لله ولا شبيه ولا ندٌ ، تبارك وتعالى.

رد أحمد بن يحيى:

٦٤ و/ **الجواب قال الإمام الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما /** : سألت عن قول الله ، جل ثناؤه ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ (١) ، قلتَ : ما يعنى بذلك؟ متعنتاً لنا، وزارياً علينا .

القرآن جميعه يشهد بالعدل ونفى الظلم والجور عن الله :

فاسمع مايردُ عليك، بحول الله وطوله ، من إثبات العدل ، ونفى الجور، والقول على الله ، جل ثناؤه ، بالحق ، وبالله نستعين وعليه نتوكل.

وأنا نقول لك : اعلم علماً يقيناً ، لا كذب فيه ، أنْ ليس فى جميع القرآن، من

---

(١) الهامش السابق

أوله إلى أخره، آية واحدة يثبت بها الجبر ، ولا يتعلق اهله منها بشعرة واحدة، وليس من سورة إلا وفيها العدل قائم واضح ، شاهد لله، عز وجل، بعدله ونفى الجور عنه . ونحن نسالك ، فنقول لك : إن سالك سائل فقال لك : **هل لله، سبحانه ، حقٌ فيه باطل ، أو باطلٌ فيه حق؟!** . .

فإن قلت : لا يجوز ذلك . أجبت بالحق ، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : نعم، لله حق فيه باطلٌ ، وباطل فيه حق، اكذبتَ القرآن، وكفرت بالرحمن ، وصرت إلى قول عبدة الأوثان ؛ لانه ، عز وجل ، يقول، وقولُهُ الحق : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [1] ، وهذا اكبر الدليل ان ليس لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، أو باطل فيه حق؛ وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى .

ثم نقول لك ايضا : خبرنا عن قول الله ، سبحانه : ﴿ **الْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [2] ، هل انت مقرٌ بهذه الآية ؟ فلابدٌ لك من نعم.

فإذا قلت ذلك قلنالك : فهل صدقَ الله ، جل ثناؤه ، فى هذه الآية ، انها كما قال، وانه يوم القيامة لا يظلم احداً شيئاً ، ولا يجزيهم إلا ما كانوا يعملون ؟ . . فإن قلت : لا . كفرت وإن قلت : نعم . لزمك ان جميع ما عددتَ وسطَّرتَ فى كتابك، وتأولت من الفرية على الله ، عز وجل ، باطلٌ قد كذبت فيه .

إذ قررت انه لا يظلمُ ولا يجزى الخلق إلا بما عملوا . . فإن قلتَ : إنه ما فعل من ظلم لم يكن بظلم . . قلنالك : فهذا كلام المجانين ، قد احتججنا عليك فى بطلان ذلك ، فى هذا الكتاب، بما لا تدفعه انت ، ولا غيرك ابداً .

النهى عن اقتطاع بعض الآية والاستشهاد بها . وأن المتشابه يرد إلى المحكم :

ثم نقول لك : هذه الآية، التى سالت عنها ، من قوله ، عز وجل : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ**

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٢) سورة يس : الآية ٥٤ .

﴿يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [1]، هى من وسط كلام ، تركت ما قبله وما بعده ، وما عليك فيه وجوب الحجة ، وثبات العدل ، وفساد دعواك فى الجبر والفرية على الله ، عز وجل، وذلك أن القرآن عربى نزل بلسان العرب، قال الله ، عز وجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [2]، وقد تكون الآية من المتشابه وغيره ، تُرَدُّ على المتأول [3]، وتفسيرها فى أول القصة أو فى آخرها ، أو فى أول السورة أو فى آخرها، ٦٤ظ/ أو يوجد تفسيرها فى سورة أخرى ، غير السورة التى هى / فيها ، مثل قوله ، عز وجل: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٧﴾ [4]، فخرج جوابها فى سورة أخرى ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [5]، رداً عليهم فيما قالوا على رسول، صلى الله عليه ، من الجنون ، فنفاه الله ، عز وجل ، عنه ، ومثل قوله ،عز وجل ، : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [6]، فخرج جوابها فى موضع آخر ، ومثل هذا كثير فى القرآن يطول شرحه.

فأما الآية التى سألت عن وسطها ، وتركتَ ما قبلها ، من قوله الذى يوجبُ له ، عز وجل، العدل على عباده ، والبراءة من الجور والظلم، وخلق أفعال عباده، وإرادته لكفرهم ، وقضائه الفساد عليهم ، بقوله، عز وجل، فى أول الكلام وبيان حكمته وعدله ، جل ثناؤه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ [7]، ولم يقل: جزاء بما قضيت عليهما ، ولا قدرت من فعلهما ولا ما أردت من سرقتهما ، ولا ما خلقت من فعلهما .

ثم قال : ﴿نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ ي، عنى بالنكال ، إقامة الحد على من سرق؛ لأنه عزيز حكيم، والحكيم فلا يفعل إلا الحكمة والعدل.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .
(٢) سورة إبراهيم : الآية ٤ .
(٣) فى الأصل : المسؤل .
(٤) سورة الحجر : الآيتان ٦ – ٧ .
(٥) سورة القلم : الآيتان ١ – ٢ .
(٦) سورة النساء : الآية ٣ .
(٧) سورة المائدة: الآية ٣٨ .

ثم قال : ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]، فنسب الظلم والإصلاح إليه .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ وزعمت ، انت وإخوانك المجبرة ، ان من علم الله منه انه لايتوب ، ان الله لايريد منه التوبة؛ لان في ذلك ، زعمتم ، فساد علمه !! . . ولوكان الامرعلى ما زعمتم ، ما جاز في الحكمة ان يقول : ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾، كانكم ما سمعتم هذا القول في كتاب الله قط، ولا قرأتموه، ولا فكرتم فيه ساعة واحدة، حباً للمكابرة وعصبية على الجهل، وتقليداً للكبراء، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

ثم قال ، عز وجل ، على إثر هذا القول الذي شرحنا من القرآن : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، فوالله ما عنى (*) ، عز وجل، انه يغفر لكافر ولا مشرك ماتا على الإصرار ، ولا لغيرهما من الظالمين ، ممن أصرَّ على الظلم والعدوان ؛ ولا انه يغفرُ لمؤمن لم يات بجميع فرائضه ، وإنما عنى بذلك افعل (*) الاستحقاق ؛ لانه ، عز وجل ، يشاء ان يغفر للمؤمنين ، ويشاء ان يعذب الكافرين والمشركين ، تصديق ذلك قوله ، عز وجل :
٦٥و/ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [3]، يعني لمن تاب ورجع إلى الحق واقلع عن الخطايا ، وقوله : ﴿ ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [4]، ويقول : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5].

ثم قال مع هذا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[6]، فاسمع انت إلى هذه الصفة، وهذا العدل من الله، عز وجل ، انه عزى نبيه ، صلى الله

---

(١) سورة المائدة : ٣٩ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٤٠ .
(*) في الاصل : عنا .
(*) في الاصل : امعل.
(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .
(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ ، فيالاصل ، «رحمتي...».
(٥) سورةالاعراف : الآية ٥٦ .
(٦) سورة المائدة : الآية ٤١ .

عليه ، أن لا يحزنه مسارعتهم فى الكفر الذى اختاروه ، وآثر فيه الهوى على اتباع الحق، وأنهم آمنوا بالقول بالأفواه، لا بالصحة من القلوب واعتقاد الضمائر.

ثم قال ، عز وجل، ﴿ لَمْ يأتوكَ يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ (١) .

معانى الفتنة فى القرآن الكريم:

فإن قال قائل: فما هذه الفتنة فى هذا الموضوع ؟! نحنُ نجدُ اللهَ يريد فتنة الناس، قلنا له : إن الفتنةَ تصرف فى كتاب الله ، عز وجل ، على عشرة أوجه واضحة فى القرآن، فمنها عذاب، ومنها فتنة سيف ، ومنها فتنة محنة .

(١) وهذه الفتنة فى هذه الآية يجوزُ أن تكون عذاباً . والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) ، وليس فى الآخرة فتنةً إلا العذاب ؛ لأن الفتنةَ عندك فى الحرب، وليس فى الآخرة حربٌ ولا إغراء ولا سيف .

(٢) والفتنة أيضاً هى محنةٌ ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل، فى موسى ، صلى الله عليه : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ (٣) ، وموسى ، صلى الله عليه ، غير مفتون بالفتنة التى ذهبت إليها المجبرة والعوام.

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٤) ، أى أيقن أنا امتحناه ؛ لأن الظن فى مواضع من القرآن يقين ، من ذلك قوله : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ (٥) ، فظنهم فى هذا الموضع يقين جائزٌ فى لغة العرب .

قال الشاعر ، وهو دريدُ بنُ الصِّمَّة الْجَشْمىُّ (٦) :

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة الذاريات : الآية : ١٣ .

(٣) سورة طه : الآية ٤٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٤.

(٥) سورة الكهف : الآية ٥٣ .

(٦) هو دريد بن الصمة الجشمى البكرى بن هوازن : شجاع ، من الشعراء المعمرين فى الجاهلية، كان سيد قومه وقائدهم، غزا أكثر من مائة غزوة ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم، وقتل يوم حنين سنة ٨هـ ، انظر : الزركلى : الأعلام ٢ / ٣٢٩ .

فقلتُ لهم :ظُنوا بألفَىْ مُقَاتلٍ		سـرابيلهم بالفارسى المُسرَّدِ [(١)] .

يعنى قلت لهم : أيقنوا بألفى مقاتل ، وكذلك قوله ، عز وجل ، فى الفتنة : ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② ﴾ [(٢)] ، أى وهم لا يمتحنون ، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [(٣)] ، أى لقد امتحنا الذين من قبلهم .

ولو كان الله ، عز وجل ، يفتن الخلق على ماذهبتم إليه ، لم يكن بين فعله وبين فعل ٦٥ ظ/ إبليس فرقٌ فى الغش للخليفة، والحسد، وإرادة التلف / والخلود فى النار ، سبحان الله العظيم ، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً .

فهذا هدىً .. ثم قال ، عز وجل ، فى إثر هذه الآيات ، التى أوجب فيها على الظالمين الحجة وقطع عذرهم ، والزمهم الخطأ لمعصيتهم ، وبَرأ نفسه ، عز وجل ، من ظلمهم وفعلهم ، والزمه إياه ، عبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة ، فقال ، عز وجل : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ㊶ ﴾ [(٤)] ، فيا لك الويل ، هل يكونُ من الله ، عز وجل ، الخزى والعذاب العظيم على غير جُرمٍ ولا ذنب ؟!

وإنما أراد بهذا القول، عز وجل، أنه لم يرد أن يطهر قلوبهم، التى نجسوها ، وأصراوا على نجاستها، فلم يطهروها بالدخول فى الإيمان، فأخبر ، جل ثناؤه ، أنه لم يرد أن يطهرها، ولا يحكم لها بالتطهير ، وهم [(٥)] لم يطهروها ، ولم يحسنوا النظر لها، ولو طهرها ولم يطهروها ؛ لكان ذلك هو نفس الجبر والقسر ، ولم يجب لهم حمد ولا شكر، ولا حسن ثناء ولا أجر ، فهذا معنى [(٦)] ما سألت عنه ، فأنعم فيه النظر.

---

(١) وقد ورد البيت برواية أخرى على هذا النحو :

فقلتُ لهم : ظُنوا بألفى مُدجج		سَراتهم فىالفارسىَ المُسرّدِ.

والبيت من بحر الطويل، ورد بالأصمعيات ؛ ص١ ، وجمهرة أشعار العرب؛ ص١١٧ ، وفى الأغانى ٩ / ٤، وفى مراجع أخرى، كالأضداد لابن الأنبارى ، ص١٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيتان ١ - ٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٥) زاد فى الأصل : هم .

(٦) فى الأصل : معنا

والعجب كيف استجزتَ في ملك الله، وعظمة سلطانه وعدله، وقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] ، ان تقلب ذلك القول كله ، فنسبته إلي الله ، عز وجل ، وقد سمعته يقول : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [2].

فاسمع أول الكلام إلي ما قاد ، وكيف خرج فيه صحة العدل ، وبيان كذبك على الله ؛ عز وجل ، وفريتك عليه ، ما ليس من دينه ، وهو البرئ من ذلك ، جل ثناؤه ، بل ليت شعرى ، فيما استخفوا الخزى فى الدنيا ، والعذاب العظيم فى الآخرة ، أعلى امر هو فعله، أم هم فعلوه بأنفسهم ؟!..

فإن كان هو الذى فعله ، فقد صح فيه الجورُ ، وإن كانوا الذين فعلوه فهذا القرآن يشهد بفعلهم وبراءة الله ، عز وجل ، مما قلت : إنه لا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً عليهم ؛ فليت شعرى، كيف يكون الظلم عندك، وعند جميع الناس ؟!! لا ما لا يعقل ، ولا سبيل إلى الوقوف عليه ؟!.. فسبحان الله العظيم وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وأخبرنا أيضاً عن قولك : إنَّ اللهَ ، عز وجل عما قلت ، أرادَ من الكفار الكفرَ ، ولم ٦٦ و/ يرد منهم الإيمان . اَقَوْلك عندك اصدقٌ ؟ أم قول الله ، عز وجل ، حيث يقول: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ / إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ ﴾[3]؟..
فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، فى هذه الآية أصدقُ منك فيما ادعيت ، لزمك أنك قد رجعت إلى قولنا بالعدل ، ولزمك أنك كُنت مبطلاً فى دعواك : (لابد من ذلك ، وإن قلت أنك أصدق من الله ، عز وجل ، كفرت عند) [4] جميع أهل الإسلام ، ووجب عليهم قتلك، من آخر ساعتك، لابدَّ لك من ذلك .

وأما قولك أنا نقول : إنا نستطيعُ أن يكون منا ما لم يرد الله ، عز وجل ، أن يكون. فإن قلنا : بلى [5]– زعمت . قلت لنا : أفليس قد يريدُ الله أن يكونَ أمرٌ ، ويريد

---

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٤١ .
(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .
(٤) زاد فى الأصل : عند .
(٥) فى الأصل : بلا .

إبليس ، أن يكون غيره، وإرادتهما ، زعمت ، على وجه واحد ، ليس على وجه جبر ولا قسر ، فيكون ما يريد إبليس أن يكون ، ولا يكون ماأراد الله أن يكون ؟!

وقد فهمنا ما أردت كله، واختصرنا عن التطويل فى الكلام الفاسد الذى لا وجه له، فاسمع إلى قولنا، وانعم النظر فيه .

فإنا نقول : إنه قد يكون منا ما لم يرد الله ، عز وجل ، ونستطيع أيضاً أن يكون منا ما أراد الله ، فالذى يريد الله ، عز وجل ، منا الطاعة ، والذى لا يريده منا المعصية ، ولم يجبرنا على واحد منهما جبراً ، ولم يقسرنا عليهما قسراً ، ونحن مخيرون غير مجبورين على شرط منه، عز وجل، أن الجنة واجبة للمطيعين ، وأن النار واجبة للعاصين .

وقد يفعل الخلق ، وهو أكثر فعلهم ، ما لا يريد الله ، عز وجل ، من الكفر ، وجميع المعاصى ، يفعلون ما يريد إبليس منهم من جميع الشرك والكفر والمعاصى . وليس ذلك بمدخل على الله ، عز وجل ، عجزاً ولا وهناً ولا ضعفاً ولا نقصاً ولا عيباً ولاغلبة ولا قهراً، على أنه ، عز وجل ، الذى قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [3]، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [4]، ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [5]، يريد أنه يفترضُ على المؤمنين جهاد الكافرين .

ومثل هذه الآيات [6] كثيرة فى القرآن، يخبرنا ، عز وجل، أنه لو شاء فعل ذلك الذى سمينا قسراً وجبراً ، ولو فعله لم يقم له قائمة، ولم يعجزه شئ، ولم يقو على أمره أمرٌ ، ولم يعانده معاند، ولم يحل دون إرادته حائل، إذ هو، عز وجل ، الذى لو

---

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .
(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .
(٣) سورة الانعام : الآية ١٠٧ .
(٤) سورة يونس : الآية ٩٩ .
(٥) سورة محمد : الآية ٤ .
(٦) فى الاصل . الاثات .

اراد أن يفنى جميع من تحت أديم السماء، بذرة من هذا الذر ، لأهلكهم كلهم جميعاً، فى أسرع من لمح البصر ، إلا أنه ، عز وجل ، أمر تخييراً ونهى تخييراً ، فلم يطع
٦٦ ظ / كرهاً ولم يعص مغلوباً .

وهذه الآيات إنما دلَّ بها على أنَّ نعل من فعل ظلماً ، وعصى [1] الرسل وخالف الكتب ، لم يكن ذلك عن عجز ولا غلبة ، ولا ان مراد إبليس الضعيف الذليل غلب مراد الله القوى العزيز ، ولا انا قلنا ذلك ولاجهلناه ، كما جهلت الحق .

ولكنه لماكان التخيير، صار إلى إرادة إبليس من جنوده وأوليائه ، من احبه ومال ميله، وهم أنتم ومن اشبهكم من العاصين ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل، أولياؤه وأحباؤه وحزبه المؤمنون ، وهم اهل القول على الله ، عز وجل ، بالعدل والتوحيد ، ونفى الظلم والشبيه .

فهذا هو الحجة ، ودليل ذلك وشاهده من كتاب الله ، عز وجل، ما لا نحصيه من الشواهد لنا ، مثل قوله ، عز وجل ، ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] ، وقوله ، عز وجل ، يحكى عن حجة إبليس على الكفار التى علم الله، عز وجل، انه قد صدق عليهم فيها ، حيث يقول : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] وقوله ، عز وجل، يحكى عن فلج إبليس للكفار [3] ، ويبرئ الله ، عز وجل ، من فعلهم ، وفعل نفسه .

وعبدالله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة، يلزمون الله، عز وجل، افعال المشركين والكفرة المعاندين، والدهرية الأخسرين، والزنادقة الكاذبين، وعباد النور والظلمة المعاندين ، وعباد البددة الأرذلين، وجميع الظالمين والعاصين .

وهذا القرآن اكثر شاهد، واعظم حجة، واوضح برهان، حيث يحكى، عز وجل ،

---

(١) فى الاصف : وعصا .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٠ .

(٣) سورة الانفال : الآية ٤٨ .

(٤) فى الاصل : لهم للكفار .

عن قول إبليس واحتجاجه عليهم يوم القيامة [١] ، حيث يقول : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [٢] .

افلا تسمع إلى قوله انهم هم اشركوا باتباع الهوى[٣]، والإعراض عن الهدى!

ثم نقول لك : اخبرنا هل صدق إبليسُ فيما حكى الله عنه[٤]، عز وجل ، فى هذه الآية على الكفار، ام كذبَ عليهم؟

فإن قلت : صدق إبليس . لزمك أنك لنا ظالمٌ ، ومماحكٌ [٥] لنا ، وكفرت بالله العظيم ، وأن كل ما ادعيت قد كذبت فيه ، وبان جهلك وفريتك على الله ، عز وجل .

٦٧ و / وإن قلت : بل كذب / إبليس ، ولم يصدق فيما حكى [٦] الله، عز وجل، عنه فى هذه الآية ، لزمك أن الله ، تبارك وتعالى ، اخبر عن إبليس ، وعن احتجاجه على أعداء الله، عز وجل، بالكذب، والمحال والباطل ، وانه أنزل على نبيه ، صلى عليه، قرآناً لا معنى له ، ولا حجة فيه على أعدائه .

وأن الله ، عز وجل ، قد احتج فى هذا الموضوع بحجة باطلة فاسدة ، لا وجه لها ، وكفرت بهذا القول، وخرجت من الإسلام ، وهذا اقوى واوضح وابين عند كل سامع ، من قولك أنا نُعظم الفراء على الله ، عز وجل، ومن تكريرك ، فى ان قُوَّةَ إبليس اقوى من قوة الله ، تلزمنا ذلك – زعمت !! .

فاسمع ما حلَّ بك من النكال، فى الدنيا قبل ورودك ، وأن محمداً، صلى الله عليه، أراد الله، عز وجل، من أبى جهل الكفر فى قولك ، وأن محمداً، صلى الله عليه،

(١) فى الأصل : القيمه .
(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .
(٣) فى الأصل : الهوا.
(٤) تكررت فى الأصل .
(٥) مطموسة فى الأصل : ولم يظهر منها إلا ما قرأناه .
(٦) فى الأصل : حكا .

أراد منه الإيمان ؟!.. فأيهما أولى [١] أن يكون ولياً لله وصفوته [٢] الذى وافق إرادته، أو الذى خالفها؟

وقوله ، عز وجل، ينفى عن نفسه ما أسندت إليه المجبرة ، ويعلمنا أنه لم يضلل خلقه ، ولم يرد كفرهم ، وأن إبليس هو الذى أراد منهم ، فإنهم أطعوه باتباع أهوائهم ، بعد البيان والإعذار والإنذار . فقال ، عز وجل : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤] ، فأىُّ ظلمٍ تراه يلزمهم ، إن كان الأمر ، على قولك أن الله ، عز وجل ، أراد أن يكون بعض الناس ظالمين ، وبعضهم مؤمنين ؟!.. عز الله عن ذلك ومن الرد عليك فيما احتججتَ به فى أمر إبليس ، الحجة لنا الواضحة ، فاسمع إلى ما قلنا ، فإنا نردُّ عليك السؤال الأول .

الإمام أحمد يسأل المجبرة:

فنقول لك : أخبرنا عن محمد رسول الله ، صلى الله عليه ، وماأراد من الكفار حيث بعث إلى جميع أهل الأرض ، هل أراد منهم الكفر أو الإيمان؟

فإن قلت : أراد منهم الكفر. أكذبك الله ، عز وجل، فى قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٥]، وقوله ، سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٦]، ويلزمك الكفر ، إذ قلت : إن رسول ٦٧ ظ / الله، صلى الله عليه ، أراد [٧] الكفر من الكافرين ، قلت / أراد منهم الإيمان ، كان ذلك هو الحقُّ ، وهو قولنا وقول المسلمين جميعاً .

---

(١) فى الأصل : اولا .

(٢) فى الأصل : صفوة .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٦

(٤) سورة الانفال : الآية ٤٨

(٥) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .

(٦) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٧) فى الأصل : رد .

فنقول لك عند ذلك : فاخبرنا ما أراد الله من الكفار ؟!

فإن قلت : أراد منهم الكفر ، لزمك من التكذيب ما يشهد عليك به القرآن ، مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ① ﴾ [٢] ، وقوله: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ⑧٥ ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ①٠٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [٦]، ثم نقول لك : فما أراد إبليس من الكفار ، هل أراد منهم الكفر ، أم أراد منهم الإيمان؟.

ماذا أراد إبليس من الكفار؟

فإن قلت : إن إبليس أراد من الكفار الإيمان . أكذبك، عز وجل، حيث يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ①٠٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [٧]، وقوله ، عز وجل: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ⑥٠ ﴾ [٨] ، وقوله : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ⑨١ ﴾ [٩] ؟!

وهذه الآية أيضا رادةٌ عليك، ومكذبة لك في قولك : إن الله ، عز وجل عما قلت ، أراد الكفر من الكافرين.

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٦) سورة آل عمران : الآيتان ١٠٢ - ١٠٣ .

(٧) سورةفاطر : الآية ٦ .

(٨) سورة يس : الآية ٦٠

(٩) سورة المائدة : الآية ٩١

وإن قلت : أرادَ إبليسُ الكفر من الكافرين . قلنا لك صدقتَ ، ولكن انظر ما يلزمك منه الهلاك والفضيحة الفاضحة ، فإنه يلزمك أن إرادة محمداً رسول الله صلى الله عليه ، مخالفة لإرادة الله ، سبحانه ؛ لأن محمداً ، صلوات الله عليه ، أراد من الكفار الإيمان ، والله ، عز وجل ، أراد منهم الكفر ، على قولك ، وكذلك الشيطان أيضا أراد منهم الكفر !!

فايهما الموافقة إرادته لإرادة الله ، عز وجل ، امحمد نبى الله ، صلى الله عليه ، أم إبليس عدوُّ اللهِ ، عليه لعنة الله ؟!..

فإنه لابدَّ لك أن تقول : إنَّ إرادة إبليس موافقةٌ لإرادة الله ، عز وجل ، وإرادة محمد ، صلى الله عليه ، مخالفةٌ لإرادة اللهِ ، عز وجل . هذا لازمٌ لك ، إلاأن ترجع عن هذا القول، فنفلجك ، وأنت مقهورٌ مغلوبٌ ، فاختر من سنا ما بدا لك .

واعلم أن الموافق أولى [1] أن يكون رسولاً لله ، عز وجل ، ووليا وصفيا ، من المخالف لله، جل ثناؤه ، فإبليسُ احقُ بالرسالةِ، فى قولكم ودينكم واعتقادكم ، من ٦٧ و/ محمدِ بن عبدِ الله رسول اللهِ، صلوات الله عليه ، لموافقته لإرادةِ الله / ، عز وجل ، ومخالفة محمدٍ ، صلى الله عليه ، لإرادة الله ، عز وجل !!.. وهذا القول لازم لك بالحجة الواضحة ، ولكل مجبر على وجه الأرض ، لا مخرج لكم منه ، إلا بالتوبة والرجعة عن هذا البهتان العظيم والجهل الكبير ، وما فى حسابى أنَّ حميةَ الجاهليةِ التى اعتصم بها أهل الأصنام ، بخارجة من قلوبكم إلى القول بالعدل ، فلا يبعد الله إلامن ظلم !!!

واعلم أن الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، إنما يقعان بعد إثبات الحجة ، وإبلاغ الرسل وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، والحمد لله رب العالمين.

***

هذه الآية من أحكام الآخرة :

وأما الآية التى ذكرناها قبل هذا الموضع، التى قال فيها ، عز وجل ، :

---

(١) فى الأصل اولا

﴿ ولو شئنا لآتينا كُلَّ نفسٍ هُداها ولكنْ حقَّ القولُ مني لأملأنَّ جهنَّمَ من الْجِنَّة والنَّاس أجمعين (١٣) ﴾ [١] .

فتفسير قوله : ﴿ ولَكِنْ حقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جهنَّم من الْجِنَّة والنَّاسِ أَجْمَعِين (١٣) ﴾، فهذه الآية من أحكام الآخرة ، وليس من احكام الدنيا ، شاهد ذلك الواضح ، قوله ، عز وجل ، في آخر الآية : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لقاء يوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نسِيناكُمْ وذُوقُوا عذاب الْخُلْد بما كُنتُم تعْملُون (١٤) ﴾ [٢] ، فتراه قال ، عز وجل : ﴿ بما كُنتُم تعْمَلون (١٤) ﴾ ، وانت وإخوانك المجبرة ، تلزمونه ذنوبهم وخلق أفعالهم ، وإرادة [٣] الكفر منهم ، وانه لم يرد، زعمت ، منهم أن يؤمنوا ، فيبطل علمَهُ ، ونسيت ترغيبه لهم في التوبة، والرجوع إلى الحق ، فهربت من أمر ، ووقعت في أعظم منه .

ولو كنت نظرت في باب العلم، نظراً شافياً ، لعلمت أن الله ، عز وجل ، ليس لأجل العلم أثاب ولا عاقب ، ولاخلق جنة وناراً ، ولا أرسل الرسل ولا انزل الكتب ، ولا حذر ولا أنذر ولا أعذر ، ولا عنه سأل ، ولا به أخذ ، ولا انزل فيه قرآناً ولا حجة مع نبي ، ولا تجد في العلم حجة توجبُ لك أن العلم حائل بين العباد وبين الطاعة أبداً .

المجبرة ونفي الدهر :

أما نفي الدهر ، فاعزل العلم من فريتك على الله ، عز وجل ، ناحية، فقد أهلكت من أخذ عنك ، وقلدك أمر دينه، فلايُبعد اللهُ إلا من ظلم : ﴿ وسيعْلَمُ الَّذِين ظَلَمُوا أيَّ مُنقلبٍ ينقلِبُون (٢٢٧) ﴾ [٤] .

واسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ ألمْ تر إلى الَّذين يزْعُمُون أَنَّهُمْ آمنُوا بما أُنزِل إليْك وما أُنزِل مِن قبْلك يُريدُون أن يتحاكمُوا إلى الطَّاغُوت وقدْ أُمرُوا أن يكْفُرُوا به ويُريدُ الشَّيْطَانُ أن
٦٨ظ / يُضِلَّهُمْ ضلالاً بعيداً (٦٠) ﴾ [٥]، هذا - ويحك - قول من اراد منهم ، الكفر / وقدره عليهم، وخلقه فيهم من فعلهم!

(١) سورة السجدة الآية ١٣

(٢) سورة السجدة الآية ١٤

(٣) في الأصل : أراد

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

(٥) سورة النساء الآية ٦٠

سبحانه الله العظيم، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً، ألا ترى كيف تضربون وجه القرآن، وتردون عليه مكابرة للعقول، وتركاً لاستعمال النظر وتدبر القرآن، فالله المستعان.

والدليل على أن الله، جل ثناؤه، عدلٌ لا يجورُ على خلقه، ولا يقضى عليهم بالفساد إقرار المخالفين لنا، أنه، عز وجل، غنيٌّ، فلما صحَّ أنه غنيٌّ، نظرنا ما سبب جور الجائر، وما الذى حمله على الجود، فإذا الجائر لم يحمله على الجور لا استجلاب منفعة لنفسه، أو دفع مضرة عنها، ولولا ذلك لم يجر ولم يظلم، وأن [1] ذلك الفعل لا يفعله إلا فقير محتاج، غير غنى عن فعل ذلك، وإذا الواحد الرحمن، الكبير المتعال، القوى القادر القاهر، عز وجل، غنى على الحقيقة لا على المجاز، وهو غنى عن عباده، ولا يحتاج إلى شئ من جميع الأشياء كلها، والغنى عن عبادة لا يستجلب لنفسه منفعة ولا يدفع عنها مضرة، فصح وثبت أن الجور والظلم عنه منفى، إذ لا فاقة ولا حاجة تضطره إلى استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، تقدس عن ذلك رب العالمين، الذى لا يامر بالجور، ولا يرضى [2] به، ولا يقضى بالفساد، ولايخلق افعال العباد، ولا يقدر عليهم العبادة للأنداد، ولا الموالاة للأضداد، ولا قتل أهل الرشاد، ولا القول بالإلحاد، ولا ما ادعوا عليه من الصواحب والأولاد، قدوس قدوس رب العرش العظيم.

***

احتج المجبر بقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [3]، اليس هو فعال لذلك؟ فإن قالوا: بلى [4]. فقل: افليس قَدْ ارادَ أن يكون الناس جميعاً مؤمنين؟.. فإن قالوا: بلى.

فقل لهم: فما لهم لم يكونوا كما اراد أن يكونوا؟!

فإن قالوا: إنه لم يرد أن يكونوا مؤمنين، إرادة قسر، وإنما أراد أن يكونوا مؤمنين

---

(١) فى الأصل: إذا

(٢) فى الأصل: ولا يضا

(٣) سورة البروج: الآية ١٦

(٤) فى الأصل: بلا. وكذلك كل حرف رجانه يأتى بعد

على وجه التفويض إليهم ، فقل لهم عند ذلك ، أليس لله إرادتـان ومحبتان ، أحداهما لا تكون كما أراد أن تكون ، والأخرى تكون كما أراد وأحب ؟ .

فإن قالوا : بلى . : فقل : أفليس تختلف إرادة الله محبته ؟ .

فإن قالوا : نعم . فقد أعظموا الفرية على الله ، حيث ، زعموا ، أن إرادته ومحبته مختلفة . أحدهما : قاهر ، والأخرى : مقهورة ، واحدة نافذة ، والأخرى ليست بنافذة . / فإن قطعوا بها ، فليس لها وجه إلا ما أراد الله فهو كائن ، ولم يرد الله أن يؤمن الناس ٦٩ و/ جميعاً ولا يكفرون جميعاً ، وأن ما أراد الله أن يكون / فهو كائن، كما أراد أن يكون ، فذلك العدلُ قد أقروا به .

***

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : وسألت عن قولك الله، سبحانه : ﴿ فَعَّالٌ لما يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، وزعمت أنا إن قلنا : إن لله، عز وجل، إرادتين ومحبتين، لزمنا ، زعمت ، أن له إرادة مقهورة، والأخرى قاهرة، وأنا قد أعظمنا على الله، عز وجل، الفرية ، أن قلنا : إن إرادته ومحبته مختلفة، وأن أحدهما نافذة والأخرى غير نافذة، وقلت : إنه يلزمنا - إن قلنا ذلك - أنا نوجبُ عليه الضعفَ والقهرَ .

إرادة الخلق : إرادة قاهرة نافذة :

وإنما يجب الضعف والقهر على من عجز من إنفاذ إرادته ، وقهر عن بلوغ أمره ، وحيل بينه وبين مشيئته ومحبته ، وهذه صفة العاجز المقهور، والضعيف المكثور [2]، فأما من أراد الأمر والخلق لما خلق ، والابتداع لما ابتدع، والإنفاذ لما أمرهم ، عز وجل ، ولم يجعل فيه الخيرة إلى عبيده، ولا الظلم لأحد من بريته ، فخلقَ ماأرادَ وأنفذ ماأحبُ، مما تولى [3] صنعه ، فتلك إرادته التي حتم نفاذها، وقضى [4] كونها، وقهر سلطانه، فطرتها .

---

(١) سورة البروج : الآية ١٦

(٢) المغلوب .

(٣) في الأصل : تولا

(٤) في الأصل : قضى

مثل السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والنجوم والرياح، والسحاب والجبال، والأشجار والأمطار والأنهار ، والأجسام والأعراض ، وماكان من خلقه الذى لم يشاور فيه أحداً ، ولم يشركه فيه شريك ، ولم يعانده فيه معاند ، ولم يعب كونه على أحدٍ ، ولم يعذب عليه مضاداً ولا عاصياً، وحتمه حتماً لا حيلة فيه ، فذلك خلقه ، عز وجل ، وإرادته النافذة غير المقهورة ولا المردودة

إرادة الأمر :

وأما الأمر الآخر الذى أراد أن يكون عباده، بالتخيير منه لهم، لا بالجبر ولا القسر ولا الحتم، فهو ما أمرهم به من الطاعات، واجتناب المحرمات، التى جاءت بها الرسل، صلوات الله عليهم، ونزلت بها الكتب، من الفروض الواجبة المحتومة عليهم، وأمرهم أن لايتعدوا حدوده فى ذلك ، بلاجبرٍ ولا قسرٍ، بل خيَّرهم فى ذلك تخييراً، وقال لهم. ﴿ إِنَّ الأبرار لفي نعيمٍ (١٣) وإِنَّ الفجَّار لفي جحيمٍ (١٤) ﴾(١)، ولو جبرهم جبراً على الطاعة، لم يكن لهم حمد ولاأجر، كما لم يكن للسماوات والأرض حمدٌ ولاأجر، لما فطرهما عليه من الفطرة ، وكذلك لما وقع التخيير لبنى آدم، وجب الثواب والعقاب.

ولو كان جبر الكفارَ على الكفر، ثم عذبهم ، لم يكُن بعادلٍ ولا صادق فى قوله : ٦٩ ط / ﴿ وما ربُّكَ بظلاَّمٍ لِّلعبيد (٤٦) ﴾(٢)، مع آيات / تكثر وتطول منها : ﴿ وما اللَّهُ يريدُ ظُلْمًا لِّلعالمين (١٠٨) ﴾(٣)، ﴿ وما كان ربُّكَ لِيُهلك القُرى بظُلمٍ وأهلُها مصلحون (١١٧) ﴾(٤)، وقوله. ﴿ إِنَّ اللَّه لا يظلمُ النَّاس شيئًا ولكنَّ النَّاس أنفُسهم يظلمون (٤٤) ﴾(٥)، فهذا قوله ، وخبره الذى لاينتقض .

وأما الدليل أنه له إرادة نافذة قاهرة لا مرَدَّ لها، فقوله، عز وجل، : ﴿ إِنَّما قولُنا لشيءٍ إِذا أردناهُ أن نَّقُولَ لهُ كُن فيكُونُ (٤٠) ﴾(٦)، بلا فاقة إلى ذلك القول ، ولا حاجة إلى قول : ﴿ كُن فيكُونُ (٤٠) ﴾.

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٣ ، ١٤

(٢) سورة فصلت الآية ٤٦

(٣) سورة [illegible] الآية [illegible]

(٤) سورة هود الآية [illegible]

(٥) سورة [illegible] الآية ٤٤

(٦) [illegible]

إنما المعنى فيه ، إنه كلما أراد شيئاً ، كان ذلك الشئ، بلا امتناع، طرفة عين ؛ لأنه حتم وقسر وجبر، وليس ثم حاجة ولاافتقار ، إلى قول « كاف ونون» .

إرادة النهــى :

وأما الإرادة الاخرى؛ فهى أنه أراد من العباد الطاعة ، وترك المعصية ، مخيرين غير مجبورين ، ليجب الثواب والعقاب ، بالحكمة الظاهرة ، وإتقان الصنع ، وقوام العدل الذى لا ضلل فيه .

فالدليل على تلك الإرادة ، والشاهد لها قوله ، عز وجل للكفار لما ادَّعوا الاولاد والصواحب والشركاء والأنداد ، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً، فقال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَم ﴾ [1] ، وزعمت أنت واصحابك المجبرة ان الله ، عز وجل، أراد من الكفار أن يدَّعوا له الصواحب ، والأولاد والشركاء والأنداد ، فقد نسبوا إليه ، عز وجل ، ما لا يعلم ، فيلزمكم ايها المجبرة أن له إرادة لا يعلمها ، ومن كانت له إرادة لا يعلمها ، فهو أجهل الجهال ، وإرادته أحول المحال، وهذا فابطل مقال، واضل ضلالا ، وكفى بهذه الحجة القاطعة، لنا عليك، إن عقلت وعزلت الهوى؛ لأنه أرد ما لايعلم ، فى قولكم ، وهذا أحول المحال، الذى لا محال أوضح منه، وفى هذه الحجة وحدها، انقطاعك فى الإرادتين جميعاً ، وبيان غلبتنا لك ، وسقوط حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

إرادة بيان وهــدى :

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) ﴾ [2] ، وذلك الأمر الذى أراده الذين يتبعون الشهوات ، هو إرادة الله أيضاً ، زعمت ، لأنه عندك فى قولك، خلقها وقدرها وقضاها .

فعند ذلك نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، التى ذكرمن التبيين لعباده ، والهداية للسنن الماضية من الحق ، أليس هى إرادة الله ، جل ثناؤه ،؟! .. فإن قلت : لا .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣٣ .

(٢) سورة النساء : الآيتان ٢٦ - ٢٧

٧٠ و / كفرت بالقرآن. وإن قلت : نعم. قلنا لك : فهل هى إرادة حق وعدل ورشد وصواب . فإن قتل: / لا . كفرت . وزعمت ان إرادةَ الله ، عز وجل ، للبيان لعباده ، والهداية لهم إلى سنن الذين انعم عليهم من قبلنا ، انها غير حق ولا رشد ولا عدل ولا هدىً [١] . . قلنا لك : هذا خروجك من الإسلامِ جملة . .

وإن قلت : إنك لا تقول ذلك، وانها إرادة عدل ورشد وهدى [٢] وصواب . قلنا لك : هذا هو الحق ، وهو قولنا .

ثم نقول لك : فاخبرنا عن إرادة الذين يتبعون الشهوات ، اليس هى عندك ايضاً إرادة الله التى أرادَ منهم ان يفعلوها ؟ . .

فإن قلت : لا . لزمك أنك قد رجعت عن قولك، وبان جهلك، وأن الله ، عز وجل، لم يرد منهم ان يتبعوا الشهوات ، وأن يميلوا ميلاً عظيماً ؛ وأن للكفار إرادة هى غير إرادة الله، وذلك الحق، وهو قولنا وقول الأنبياء والمرسلين ، وقول الملائكة المقربين .

وبان خطؤك [٣] وفريتك على الله ، عز وجل ، وإخوانك المجبرة ، وإن جسرت وأدركتك الحمية على ا لعمى والكفر، وتقليد الرجال امر دينك ، فقلت : بل إرادة الذين يتبعون الشهوات، هى إرادة الله، أرادها الله منهم ان يكونوا متبعين للشهوات .

قلنا لك : فاخبرنا عن إرادتهم هذه ، التى أضفتها إلى الله، عز وجل، ما هى ، هل هى إرادة رشدٍ وحق وعدل وصواب ؟

فإن قلت : لا . . لزمك ان الله ، عز وجل ، يريد غير الرشد والصواب والعدل ، ورجعتَ عن قولك، ولزمك انك كنت مقيماً على الفرية على الله ، عز وجل.

وإن قلت : إنها إرادة رشد وعدل وحق وصواب . لزمك ان إرادة الكفار المتبعين للشهوات المريدين للميل العظيم ، هى إرادة رشد وحق وعدل وصواب ، ولافرق بين إرادة الله، وإرادتهم – على زعمك – فى الصواب والرشد والعدل .

---

(١) فى الأصل : هدا

(٢) فى الأصل هدا

(٣) فى الأصل حطاك

ويلزمك أيضاً أن اللهَ ، عز وجل ، عاب عليهم في كتابه إرادة الصواب والرشد والحق والعدل ، وأنه لم يعب عليهم جوراً ولاخطا ولا ظلماً ، وهذا أعظمُ كفرٍ قال به كافرٌ، وأعظم فرية افتراها مشرك ، وفي هذه بيان خطا ما قلت، وسقوط قولك ، لو كانت كل إرادة من العباد هي إرادة الله، عز وجل، للزمك ان الله ، تبارك وتعالى عن قولك، حيث قال : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [١] ، انه اراد الفواحش كلها، وقتل الأنبياء، وأئمة الهدى، وإرادته ، زعمت ، فعله . فيلزمك أنه فاعل الفواحش ، تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيراً .

٧٠ط / وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ / يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٢] ، يكفينا عن قول غيره من القول، لو وَجَدَ عقولاً تقبله !

وقوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [٣]، فالبغي منهم والاختلاف منهم ، وانت وإخوانك المجبرة، تقولون ان جميع ذلك من الله، عز وجل، خلق وإرادة وقضاءٌ وجبر ، سبحان الله، جل عن ذلك العزيز الرحيم، الذي لايحب الفساد ، ولا يظلم العباد .

احتج المجبر بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ !

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[٤]، اخاصة هي لثمود أم عامة للناس؟

فإن قالوا: إنها خاصة لثمود ، فقل لهم : فاخبروني عمن لم يخصه الله بالهدى، أيستطيع الهدى ، ولمن يخصه الله به، ولم يعطه إياه؟

فإن : قالوا: نعم .. فقل لهم : (**إذاً يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه؟ فإن قالوا: نعم . فقل**)[٥]: فهم إذاً اقوى من الله حين يستطيعون ان ياخذوا مايمنعهم الله إياه؟ وإن لم ينفذوا هذا، وفروا منه، وقالوا : إنها للناس جميعاً .

---

(١) سورة البروج : الآية ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٤) سورة فصلت : الآية ١٧

(٥) زيادة من الهامش

فقل : أفليس قد هدى المشركين إلى ما هدى إليه المؤمنين ؟.. فإن قالوا : نعم [١] . فقل : قد هداهم الله ، عز وجل، جميعاً يعنون قد دعاهم جميعاً . فقل : إنا لا نسالكم عن هذا ، هذا عدلٌ نحن نقول : إن الله قد دعا [٢] الناس جميعاً ، وذلك معنى هذه الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[٣]، يعني دعوناهم إلى الهدى . ونحن نلزمهم ان الله ، سبحانه ، قد خص بالدين قوماً دون قوم، وأن المؤمنين لم يكونوا يشكُّونَ فى توحيد الله ولا فى القيامة ، وأن الكفار كانوا شاكين جهلاً ، لقول ، عز وجل ،: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾[٤]، وقوله عنهم: ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ [٥]، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[٦].

جواب أحمد :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسالت عن قول الله ، سبحانه ، وهو اصدق القائلين : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾، قطعت آخر الكلام الذى فيه انقطاع دعواك ، وذلك أنك علمت أنك مغرور ، وان فى آخر الآية فضيحتك وبراءة الله، عز وجل، فى فريتك ، وما أسندت إليه وألزمته كفر ثمود ، وبراءتهم منه، فإفهم أيها الأعمى القلب، والمفارق للحق إلى حجة الله، جل ثناؤه ، على ثمود التى أوجبت عليهم الخلود فى النار الكبرى بفعلهم وظلمهم واختيارهم، واتباع أهوائهم، لا فعله هو ولاتقديره ، عز عن ذلك وتعالى ، فقال يخبر محمداً ، صلى الله عليه ، من كفرهم واختيارهم للعمى على الهدى وتركهم للهدى [٧]، عياناً بعد البيان ، والدعاء
٧١ و / الذى اقررت به ، فقال، عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ / فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[٨]، افلا ترى كيف أخبر الله، عز وجل، عنهم أنهم استحبوا العمى على الهدى، استحباباً لا كرهاً ولاقسراً!!

---

(١) فى الأصل : نعم . «فقل:» وهى زيادة بلا معنى.
(٢) فى الأصل : دعى .
(٣) سورة فصلت : الآية ١٧
(٤) سورة فصلت : الآية ٥٤ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١١٨ .
(٦) سورة النجم : الآية ٣٠
(٧) فى الأصل : للعنا ....للهدا وستتكرر كثيراً فى الصفحات التالية
(٨) سورة فصلت : الآية ١٧

ونحن نقول لك: ما تقول في قول الله ، عز وجل ، : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾، هل صدق الله، جل ثناؤه، عليهم أنهم استحبوا العمى على الهدى، أم لا ؟.. فإن قلت : لا ، لم يصدق عليهم.. كفرت، وخرجت من الإسلام جملة.

وإن قلت : إن الله ، عز وجل، قد صدق على ثمود، أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى واختاروه على الطاعة . لزمك أنك تركت قولك، ورجعت عن فريتك على الله، عز وجل، واحتججت بآية من القرآن، هى عليك لا لك. **مرسلُ سيفِ البغى قتل به !!**

وأما قولك: هل اهى خاصة فى ثمود، أم عامة للناس؟ فإن جميع ما القرآن من العدل يجرى مجرى واحداً ، وعدل الله ، عز وجل، فيه واحد، وأن جميع ما دعا الله، عز وجل، إليه جميع الكفار واستحبوا فيها العمى على الهدى ، أنه عام لفاعليه كلهم، وقد يخص الله، عز وجل، قوماً بمخاطبة يدخل فيها غيرهم ، مثل قول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⁽٦⁾** ﴾[١]، يريد بذلك ، جميع الناس كلهم ، وهى من حجتنا فى العدل حيث قال ، جل ثناؤه ، ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⁽٦⁾** ﴾، يعنى : وما الذى غرك من الطاعة له، ولوكان هو الذى غرَّه ، ما سأله عما غرَّهُ هو به ، رجع الكلام، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾[٢]، ولم يقل فقضيت عليهم الظلم والعقر لها ، بل قال ، عز وجل ، : ﴿ **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ⁽٢٩⁾** ﴾[٣]، ولم يقل: فعقرت ناقتى، ، ولا قضيت عليهم عقرها ، ثم الزمتها قداراً وقومه ، وعذبتهم بالنار فى خلود الأبد على عقرك لها ، وإرادتى لعقرها ، وعتقت ثموداً ، وعبت فعلها ، عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً!!

أعطى الله الدين للجميع :

وأنت مخطئٌ فى سؤالك فى هذا الموضع عن الاختصاص بالدين ، وتريد ان الله، عز وجل ، خص به بعضاً دون بعض، وهذا من قولكم وهو مما لايجوزُ ؛ لان الناس كلهم فى الدعاء إلى الدين سواء ، والإعطاء للطاقة على أخذه، فهم فيه سواء ،

---

(١) سورة الانفطار : الآية ٦

(٢) سورة الإسراء : الآية ٥٩

(٣) سورة القمر : الآية ٢٩ .

والتعريف لجميع الدين، فهم فيه سواء، لم يجبرهم عليه جبراً ، ولم يفضل بعضهم على بعض، بأنه أعطى بعضاً ديناً وحرمه آخرين ، حاش لله من ذلك، عز وجل رب العالمين .

الدين واحد، والدعوة واحدة، والأمر بالدين واحد، وليس الله، عز وجل ، يمنع أحداً عن دينه، ولا يحول بينه وبين أخذه، بل لطف بهم في الدعاء ، وسألهم الدخول في
٧١ظ/ الطاعة بأرفق الرفق ، وأحسن الدعاء، وأبين رحمة، وأوجب / حجة، وأكمل عدل، وأبعد ظلم وجبلٍ وهزل .

ألا ترى كيف قال لموسى وهارون، صلى الله عليهما ، : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾ (١) .

وأما زعمك أنانفر من طريقك وحججك ، فلعمري الكفر أحقُّ ما فرَّ منه المؤمنون ، فأما مسائلك ورد جوابها ، فليس مثلنا فرَّ عن مثلك ، والحقُّ هو القاهرُ للباطل .

وأما قولك إنك سألتنا ، زعمت ، فتقول : أفليسَ قد هدى الله المشركين لما هدى إليه المؤمنين ؟ فإذا قلنا لك : نعم قلت لنا ، زعمت : قد هداهم الله جميعاً ، يعنون قد دعاهم جميعا ، وهذا عندك - زعمت - معنى الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ (٢)، ثم أمسكت عن آخر الكلام، وهو: ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾، ونحن نقول : إن الهدى من الله، عز وجل، هو الدعاء إلى الدين لا الجبر ، ولا القسر ولا الحتم ، فأنت تجعل الهدى إدْخالاً في الهدى كرهاً وجبراً ، وكذلك الكفر تجعله إدخالاً فيه جبراً وقسراً .

الهدى هو الدعاء:

ولم نجد في كتاب الله ، عز وجل ، آية واحدة، تشهد لكم في القرآن بذلك ، بل الآيات كلها كاملة، تشهد لنا بأنه ، عز وجل ، لم يعاقب، ولم يثب، إلا بما فعل الخلق، لا بما فعل هو ، جل ثناؤه ، والهدى هو الدعاء ، وأي هدى أعظم من الدعاء الذي دعا الله، عز وجل ، خلقه إليه، فاستحب من استحب منهم العمى على الهدى

---

(١) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧

هو الدعاء، وليس لك فيه حجة، تسقط العدل بوجه من جميع الوجوه ، ثم قلت فى آخر مسالتك : ولكنّا إنما نسالكم عن التعريف للهدى : اليس قد عرفَ المشركين - زعمت - جميعاً من توحيده ،ورسالة رسله، ما عرف المؤمنين ؟!..

فإن قلنا لك: نعم ، قلت لنا : فإن الله يذبُ قولنا ، زعمت ، بقوله: ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾[١]، وقوله: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾[٢]، وبقوله: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله﴾[٣]، وبقوله: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾[٤] ، واشباه ذلك من كتاب الله ، عز وجل ، والمؤمنين ، زعمت ، لم يكونوا فى شك من ذكر الله ، ولا فى شك من القيامة ، زعمت ، ولا فى مرية من لقاء ربهم، وانا لانجدُ ، زعمت ، ها هنا مخرجاً ، ولا حجة ندفع ما قلت ؛ لان تنزيل القرآن يكذبنا ، زعمت ، وقد كتبت هذه فى أول مسائلك ، زعمت ، فقلت: إنه قد دخل فيها شئ أحببت تفسيره!

فالجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ،: ونحن نجيبك، فنقول لك :
٧٢و/ إن الله ، عز وجل ، قد عرف المشركين جميعاً من توحيده، ورسالة رسله ، ما عرف المؤمنين ولايجوز غير ذلك فى عدل الله ، عز وجل ، وإلا لم تلزم المشركين حجة، الا ترى كيف قال : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴿١١٥﴾﴾ [٥]، قوله ، عز وجل، : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [٦]، وقوله، عز وجل: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [٧]، وقوله : ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[٨]، وقوله : ﴿إن علينا للهدى ﴿١٢﴾ وإن لنا للآخرة والأولى ﴿١٣﴾﴾[٩]، وقوله : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب .. ثم قال .. ليقوم الناس

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .
(٢) سورة ص : الآية ٨ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .
(٤) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٥) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .
(٦) سورة سبا: الاية ٢٨ .
(٧) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .
(٨) سورة المائدة : الآية ٦٧ .
(٩) سورة الليل : الآيتان ١٢ - ١٣ .

بالقسط ﴾(١) ، لم يخص احداً دون احد بتعريف ولا هدىً ، وقال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣) .

أفلا ترى انه أراد ان لا يكون فى جميع الأرض، كلها دين إلا دينه وحده ، ولادين معه تخييراً ، وانه قد دعا جميع الخلق إلى تعريف ذلك الدين ، شاهد (٤) ذلك قوله ، عز وجل، يدل على انهم قد عرفوا الدين كله، حيث يقول : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(٥)، وقوله: ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٦)، وقوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾(٧)، ثم قال ، عز وجل ، الحجة القاطعة ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾(٨)، وقوله : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾(*) ، ثم قال ، عز وجل، الحجة القاطعة، التى ليس لأحد بعدها عذر ، وهى قوله ، عز وجل، : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾(٩)، فاى حجة اقوى من حجة من خص بامر على صاحبه ، وكلف صاحبه من العمل مثل ماكُلف ، فلما قصَّرَ خُلد فى العذاب المقيم ، وقد عرف صاحبه من التوحيد ، ورسالات الرسل ، زعمت ، ما لم يعرف الآخر ، وكذلك يقضى قائدكم سُدم، فى مجلس قضائه، فأما رب العالمين، العدل الذى لايجور، فليس هذا حكمه، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

***

---

(١) سورة الحديد · الآية ٢٥

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(٣) سورة الصف : الآية ٩ .

(٤) فى الأصل : شاهدك .

(٥) سورة النمل : الآية ١٤ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٦٦

(٨) سورة البقرة : الآية ١٤٤

(*) هكذا تكررت فى الاصل

(٩) سورة النساء : الآية ١٦٥

يعذر المجبرة المشركين بأن كفرهم كان تجهيلاً من الله لهم به :

وأما قولك تعتذر على المشركين ، وتحتج لهم على رب العالمين ، وانه قصدهم بالجهل، وخص المؤمنين بالعلم والهدى ، مثل ماذكرت : ﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [(١)] ، وشك، ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[(٢)]، وقولهم : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [(٣)]، وجميع مادفعت به عنهم، من الآيات التي جهلت معناها ، والزمت الله ، عز وجل ، كفرهم ، وانهم لم يؤتوا في كفرهم إلا من قبله، إذ جهلت تأويل المتشابه ، ولم تكن من أهل العلم الراسخين فيه ، فذهبت عن ا لهدى مذهباً بعيداً .

ثم قلت لمن غررتهم من أصحابك واتباعك ، واهلكتهم في دينهم ، أنا لم نجد ها ٧٢ظ / هنا، مخرجاً ولاحجة، زعمت؛ لان تنزيل القرآن يكذبنا على قولك، زعمت!

فاسمع الآن ما ياتيك من القرآن ، وغيره من الحجج القواطع ، بحجة الله ، عز وجل، أما قوله ، عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [(٤)] ، وجميع ما ذكرت من الحجج، فذلك الذي فعلوه من المرية، والإعراض عن ذكر الله، عز وجل، والشك في لقائه ، وأنه مبلغهم من العلم، فذلك كله الذي اعتللت به، إنما اختاروه بعد إبلاغ الرسل لهم ما حُمِّلتْ إليهم ، وبعد تعريف التوحيد والفرائض، وإرسال الرسل في دعائهم ونصحهم لهم، وتعليمهم والحرص عليهم والرفق بهم، فلما صدوا وعتوا، واختاروا العمى والجهل، على الهدى والطاعة ، واستعملوا الشك والارتياب والتجاهل بعد البيان ، سماهم الله، عز وجل، بما اختاروا من ذلك ، ونسب إليهم ما عملوا، وقص ذلك عليهم في كتابه؛ لا انهم جهلوا الله . عز وجل، ولارسله ولا توحيده ولا خلقه لهم، ولا انه ربهم ، ولا تبليغ الرسل إليهم .

والشاهد لنا على ذلك، وإبطال حجتك، قول الله، عز وجل، : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[(٥)] ، وقولهم في الاصنام : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[(٦)]،

---

(١) سورة فصلت :الآية ٥٤ .
(٢) سورة النجم: الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .
(٤) سورة فصلت · الآية ٥٤ .
(٥) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .
(٦) سورة الزمر : الآية ٣ .

وقوله ، عز وجل، : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ⑨ ﴾[1]، وقوله ، عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑭ ﴾[2]، وقوله ، عز وجل، يشهد عليهم بالبصائر : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ㊳ ﴾[3]، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ㊾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ㊿ ﴾[4]،الا ترى كيف أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ، وأكبر البينات تعريف التوحيد والعدل.

اقرار الكفار بالرسالة :

الا ترى كيف اقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ؟!

فاى شك فى التوحيد والعدل، او فى القيامة[5] ، بعد إقرارهم بان الرسل قد جاءوهم بالبينات، كما قال الله ، عز وجل ؟!.. كانك لم تسمع الله ، جل ثناؤه ، يقول: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾[6]، وقوله : ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[7]، وقوله : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ ﴾[8]، وقوله فى فرعون اللعين: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[9]، فاين كانت اذناكَ عن هذا كله، يايها الهالك فى دينه؟!!

وقوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ
٧٣و/ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ / الْبَصِيرُ ㊱ ﴾[10]، وقوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ㊴ ﴾[11]، وكل ما [*]

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٩
(٢) سورة النمل الآيتان ١٣ - ١٤ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .
(٤) سورة غافر : الآيتان ٤٩ - ٥٠ ،
(٥) فى الأصل : القيمه .
(٦) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .
(٧) سورة النمل : الآية ١٤ .
(٨) سورة فاطر : الآية ٤٣ .
(٩) سورة القصص : الآية ٣٩ .
(١٠) سورة غافر : الآية ٥٦
(١١) سورة غافر : الآية ٥٩
(*) فى الأصل : وكلما

ذكر الله ، عز وجل، عنهم من شك او مرية أو ارتياب او تجاهل ، فإنما ذلك كله بعد لزوم الحجة لهم، وإبلاغ الرسل، ووضوح القرآن ، وقطع عذر جميع من تحت اديم السماء، والدليل على ذلك قوله، عز وجل، : ﴿ **فلمَّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٨٣)** ﴾[١].

كان للكفار علم :

أفلا ترى أن الله، عز وجل، أخبر أن عندهم علماً ، ثم قال : ﴿ **فلمَّا رأوا بأسنا قالوا آمنَّا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾[٢]، وكذلك لم ينفع فرعونُ إيمانه، لما رأى بأس الله، عز وجل ، وقوله ، سبحانه ، : ﴿ **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥)** ﴾[٣].

اختاروا الكفر :

أو لاترى أكبر شاهد عليك. أنهم إنما اختاروا الكفر على **الإيمان** ، اختيراً لاجبراً، فلما رأوا بأس الله ، عز وجل ، تركوا ما اختاروا من الشرك، حين عاينوا العذاب وعرضوا عليه، وحيث ارادوا الإيمان آمنوا ، كما كفروا حيث ارادوا الكفر، وهذا[٤] **اكبر** شاهد، فى إثبات العدل، وإبطال الجبر، وفى هذه الآية التى قبل هذه الآخرة ، **لنا عليك ثلاث حجج ، واحدة فى اعتلالك بالعلم، والآخرى قولك أن الاستطاعة مع الفعل، والثالثة قولك أنهم مجبورون على الشرك جبراً.**

١- فتراهم حيث أرادوا ورأوا بأس الله، عز وجل، فايقنوا بالعذاب ، كفروا بماكانوا به مشركين ، حيث أرادوا الرجوع عن الشرك . فصح انه لاجبر كان لزمهم !!

٢- والأخرى أنهم كانوا مستطيعين للإيمان، قبل فعل الإيمان ، لما آمنوا حيث أرادوا.

٣- والحجة الثالثة: قد لزمك أن العلم لم يحملهم على الشرك ، ولا أن قولك : إن

---

(١) سورة غافر: الآية ٨٣ .

(٢) سورة غافر : الآيتان ٨٤ - ٨٥ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٣٤ .

(٤) فى الأصل : وهاذا.

الله لايريد أن يؤمنوا ، فيبطل علمه ، زعمت ، أفلا تراهم قد آمنوا حيث أردوا، كما أراد منهم أن يؤمنوا تخييراً لاجبراً ، ولم يَحُلْ العلم بينهم، وبين التوبة !

ألا تسمع كيف حكى الله، عز وجل، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا
٧٣ط / كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، فأي برهان أوضح من هذا البرهان !!..

وأي حجة أقوى من هذه الحجة الدامغة لكل مجبر على وجه الأرض.

لا توبة عند حضور الموت وانكشاف العذاب :

ثم قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] ، وكذلك قال ، عز وجل ، في إيمان فرعون ، سواء سواء ، إنه آمن حيث أراد، وكفر حيث أراد ، ولم ينفعه إيمانه ؛ لأن السنة قد جرت من الله ، عز وجل ، أنه لا يقبل التوبة عند حضور العذاب ؛ لأنهم كانوا يستطيعون الإيمان قبل ذلك ، ألا ترى كيف قال : ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3] ؛ لأن الاستطاعة موجودة فيهم قبل الفعل ، وإنما تقبل التوبة والناس في مهل ، والإيمان لهم ممكن؛ لأنهم يقدرون عليه ويستطيعون ، ولذلك لم يقبله ، عز وجل، عند حضور العذاب والأخذ بالكظم ، وهذا أكبرُ دليل، وأقوى حجة على أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولذلك لزمتهم الحجة .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ، فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4] .

أفلا ترى، أيها المغبون في عقله، أن الصاعقة أخذتهم بكسبهم ، لا بما ذكرت من أن الله ، عز وجل ، أخذهم بلا كسبهم ، وزعمت ، أنه أراد منهم الكفر !!

ألا تسمعه كيف يقول : ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]؛ ولم يقل بما خلقت من فعلهم ، سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم على الله ، عز وجل ، .

---

(١) سورة غافر : الآية ٨٤

(٢) سورة غافر : الآية ٨٥ .

(٣) سورة القلم : الآية ٤٣ .

(٤) سورة فصلت : الآية ١٧

ومن الحجة عليك، فى عذرك للمشركين ، أنهم فى مرية وشك، وأنه لا علم لهم ولا بصيرة عندهم ، واحتججت بقوله ، عز وجل، ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ (١)، فأين نسيت قوله، عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(٢).

وزعمت أنا لانجد فى هذا الموضع حجة ندفع بها قولك، جهلاً منك بكتاب الله، عز وجل، وإعجاباً بالخطا، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)، فهل تسمعه ، عز وجل، يقول كما قلت ، أو ينسب إلى نفسه ما نسبت إليه، من أنه أراد ذلك منهم ، وقضاه عليهم، وخلقه من فعلهم !!!

وزعمت أنهم لاعقول لهم ، ولا بصائر عندهم ، ولامعرفة توجب عليهم حجة، فأى ظلم أو جور أجور، من ظلم عَذَّبَ من هذه صفتُهُ ، بل عذرتهم والزمتَ خالقك خطاياهم ؟!

٧٤ و/ الم تسمعه ، عز وجل ، يخبرُ أنه خَلَّدَهم فى / النار ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٥)، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٦)، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٧)، وتبرأ ، عز وجل ، مما ادعيت عليه، والزمته من خلق أفعالهم ، وقضى الفساد عليهم ، وقوله ، عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾(٨)، ثم

---

(١) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النمل : الآيتان ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة فصلت : الآيات ٢٦ - ٢٨ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٨٢ .

(٥) سورة النساء : الآية ٦٢ ، وقد اخطأ المؤلف فى ذكرها فاضاف لها : (جزاء . .) حيث توجد هذه المادة فى عدة صور ، اقربها للمعنى المقصود ما ورد فى سورة آل عمران / ١٨٢ ، وسورة الروم / ٣٠ ، وما اشرنا إليه .

(٦) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٢٨ .

(٨) سورة فصلت : الآية ٥٣

قال ، عز وجل، : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤) ﴾ [1] ، افلا ترى، أيها المغرور، ان المرية إنما اختاروها لانفسهم !

واتبعوا الأهواء فيها ، مكابرة لعقولهم ، بعد ما تبين لهم الحق ، الذى أعلمك الله، عز وجل، (أنه أراهم آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، ولزمتهم فيه الحجة، وتبين لهم فيه الحق، ثم اختاروا التعامي) . عن ذلك الحق، فاحتج عليهم وعلى غيرهم من الظلمين ، انه لا عذر لأحد بعد البيان وإرسال ، الرسل ، عليهم السلام ، وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾ [2] ، افلا ترى انما يمارون بالمشاقة والمكابرة ؛ لا انهم جبروا على ذلك ، ولا قسروا عليه !!

وقوله ، عز وجل، : ﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ، أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ، قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) ﴾ [3] .

افلا ترى، قد كانوا يعلمون بما أوتى موسى ؟! . . وزعمت أنت انه لاعلم عندهم وقوله ، عز وجل: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(١٨٣) ﴾[4] . ولنا فى هذا الباب من الرد عليك، من شواهد القرآن، ما يطول به الكتاب .

وأما ما ذكرت من المؤمنين، انهم لم يكونوا فى شك من ذكر الله ، جل ثناؤه ، ولا فى شك من توحيده ، ولا فى شك من القيامة ، ولا فى مرية من لقاء ربهم ، فنحن الآن نقول لك : خبرنا عن هؤلاء المؤمنين ، وهل هم مجبرون على ما ذكرت، لا تخيير لهم، كما قلت ، ام مخيرون تخييراً؟

حرية الاختيار مقررة عقلاً ونقلاً :

فإن قلت : إنهم مخيرون تخييراً ، قلنالك : لزمك انك قد رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٨

(٣) سورة القصص : الآية ٤٨

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨٣

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، جبرهم على الإيمان جبراً ، وعلى انهم لا يشكون فى توحيده، ولا فى القيامة ، ولا فى لقاء ربهم - أعنى المؤمنين .

قلنا لك : أخبرنا (متى) جبرهم الله على هذا الذى ذكرت ، أكان ذلك الجبر منه لهم، وهم مشركون قبل ان يؤمنوا، أم وهم مؤمنون؟!

فإن قلت : إن الله، عز وجل، جبرهم على الإيمان ، بعد ما كانوا مشركين ، ٧٤ظ / قلنالك: فقد أكذبك الله، عز وجل، / بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ③ ﴾ [1] ، وقوله :، عز وجل،: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ⑩⑦ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ⑯⑦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ⑯⑧ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ [4]، وقوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [5] ، فاسمع إلى هذه الآيات فى مسألتك عن ثمود خاصة، كيف جاءك فيه الجواب القطاع لك فى براءة الله ، عز وجل ، من كفرهم ، وإضافته لكفرهم إليهم، وإلى ما زين لهم الشيطان، وصدهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين .

فلم يستعملوا تلك البصائر فى طاعة الله ، عز وجل .

وأنت وإخوانك المجبرة ، تقولون: إن الله ، عز وجل ، هو الذى صدهم عن السبيل ، وأراده منهم، وقضاه عليهم، وخلقه من فعلهم ، فانقهر المفترى على الله منا ، والراد لكتابه صراحاً : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ⑪① ﴾ [6] .

ما يلزم المجبرة إن كانوا مجبورين على الإيمان :

ثم يلزمك من بعد ذلك، انه لا حمد لهم ولا شكر، ولا اجر تجب به الجنة، لو كانوا مكرهين على الإيمان ، وإذا لم يجز فى حكمة الحكيم الصادق، أن يقول :

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٧ .

(٣) سورة المنافقون : الآية ٦ .

(٤) سورة النساء : الآيات ١٦٧ - ١٦٩ .

(٥) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١١١ .

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[1] ، ولا يقـول : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ ﴾[2] ، وقال : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾[3] ، وقال : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝٣٠ ﴾[4]، وإن قلت : إنه خيرَّهم من بعد ماهم مؤمنين.

قلنا لك : فقد لزمك ان أصل إيمانهم كان بلا جبر ، وبطلت دعواك .

ثم زعمت انه جبرهم بعد ما اختاروا هم الإيمان ، زعمت ، وصار فعلهم للإيمان باختيارهم ، لاجبر لهم على الإيمان ؛ ثم جبرهم ، زعمت ، على ان لا يكون منهم شك في توحيده، ولا في قيامته ، ولا من لقاء ربهم ، زعمت ، بعد ما لزمك أن إيمانهم كانَ بلا جبر ولا قسر .

ويلزمك أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وكل مجبور على شئ لا تجب له مكافاة ، ولا يعقل هذا الذى قلت، فى لغة العرب ولا خطابها، ولاغير ذلك.

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ﴾[6]، وقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ۝٨ ﴾[7]، وقوله : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ۝٦٣ ﴾[8]، وقوله: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[9]، ولوكان مجبوراً لم يوجد فى العقول أن له أجراً ، إلا أن تزعم أنه يجوز فى اللغة، أن باب دارك إذا أغلقته عليك ، أن له حمداً أو ٧٥و/ شكراً ، وإذا ./ فتحته ، وجب له حمد وشكر، وأنت المحرك له والفاتح!! . . فإن كان – لعمرى – هذا يجوز فى لغة العرب، ولايذم قائله ، فلا بأس بما قلت؛ وإن لم يجز عند العرب، وكان قائله فى العقول مذموماً ، لم يجز ما قلت !!

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٧

(٢) سورة الذاريات :الآيتان١٧ – ١٨ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٢٤.

(٤) سورة الكهف : الآية ٣٠.

(٥) سورة الرحمن : الآيتان ٦٠ – ٦١ .

(٦) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٧) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ – ٨ .

(٨) سورة مريم : الآية ٦٣.

(٩) سورة النساء : الآية ١٠٠

وهذا القرآن أكبر شاهد عليك ؛ قال الله، عز وجل، : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[١]، والآخرة لا تكون إلا للعاملين ولا تجب للمجبروين ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[٣]، فهل تراه أدخل الجنة أحداً بلا عمل ، أو أدخل النار أحداً بلا عمل؟!.. ولا تجد ذلك أبداً !.. إلا أن تجد سمكاً في الهواء، وطيراً في أسفل الماء . فإن وجدت ذلك ، فسوف تجد آية توجب لأحد من بني آدم الجنة ، أو توجبُ عليه النار، بلا عمل عمله، ولا أمر استحقه ، إلا أن يكون طفلٌ أومجنون لا عقل له ، أو معذورٌ ممن عذره الله في القرآن ، فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً، ولوجهدت جهدك؛ لأن الباطلَ لجاجٌ ، والحقُّ أبلجُ ، وكفي[٤] بهذا باهراً وكاسراً عليك .

عرّف الله المشركين توحيده :

ومن الدليل على أن الله، عز وجل، قد عرف المشركين من الدعاء إلى توحيده، ما عرف المؤمنين، من إقرار أبي طالب بن عبد المطلب[٥] ، عم النبي، صلى الله عليه، بأن الله، عز وجل ، هو الذي أرسل محمداً ، وأن محمداً رسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وأن الله ربه وخالقه؛

ألا أبلغا عنّي على ذات نبهنا لؤيـاً ... وخُصًا من لؤيٍ بني كعبِ

ألم تعلموا أنّا وجدنا مُحَمداً ... نبياً كموسى، خُط في أوّلِ الكتبِ

وأنّ عليه في العباد مَحَبةً ... ولا خيرَ ممن خصّهُ الله بالحبِّ

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٤) في الأصل : وكفا .

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ، (عبد مناف) ولد سنة ٨٥ ق م ، وناصر النبي وآزره حتى مات ، وبلي في ذلك بلاء حسناً ، ومعتقد الشيعة وأكثر الزيدية أنه مات مسلماً ،كاتماً لإسلامه، ساتراً له ، تقية من قريش ت ٣ ق هـ.

وأنّ الــذى ســودتم مــن كتابــكم لكم كائن نحساً كراعيــة السَّقْب [١]

وهى أبيات اختصرناها .

أفلا ترى إقراره ، بالله ، عز وجل ، وبوحدانيته ، ونبوة نبيه ، وإقراره بموسى ، صلى الله عليهما ، وإقراره بناقة ثمود ، حيث قال : وأن الذى سودتم فى كتابكم لكم كائن نحساً كراعية السقب ، وراعيةُ السقب، هى ناقة ثمود ، يقول لقريش : إن الكتابَ الذى كتبوه على النبى ، صلوات الله عليه وعلى آله، وعلى بنى هاشم، فى قطيعة ٧٥ظ/ الأرحام ، سوفَ يكونُ نحساً عليهم، كما كانت الناقة نحساً على ثمود/ وله أيضاً :-

والله لا أخــــذل النبـــــى ولا يخذلــه من بنــى ذوحسب

حتى تذهب الــرؤوسُ عابــرة منــا ومنهــم، بالقُطَّــع القُضُـب

وترجــع الخيــل بعــد شــدتها مــردودة نحــو وجهــةِ الهـــرب

نحـــن وهــذا النبــى أسرتــه تـضـــرب عنــه العــداة بالشهبِ

بمرهفـــات عن هاشمٍ ورثـــت بيــض خفــاف، وعبــد مطلــب

إنـــا إذا رام ضيمـــة أحـــدٌ لــم يــذق المــوت، الــم العــرب

(إن عليـــاً وجعفـــراً ثقـــة عنــد شــداد الأمــور والكــرب

لاتخذلا ، وانصرا ابن عمكمـا أخــى لأمـى، مــن بينهــم وأب)

أفلا ترى إلى هذا الإقرار، وجودة المعرفة بالله، عز وجل، وبرسوله، وأنه غير منكر لذلك ولاجاهـل بـه ، ولكن منعتـه العـصبـيـة، وحـمـيـة الجاهلية، أن يفـارق دين الأصـنـام .

ولقد علمت ماجاء فى الأخبار ، حيث ساله النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أن يؤمن ويضمن له على الله الجنة) [٢] .

---

(١) تخريج الأبيات : لم أجدها فى سيرة بن هشام، ولامقاتل الطالبيين، ولا فى غيرها من المصادر.

(٢) سيرة أبى طالب وكذلك الحديث فى سيرة ابن هشام ، ص ١٠٨ ، وطبقات ابن سعد الجزء الاول ، ص ٤٨ وما بعدها حتى ٥٧

فقال له : يابن أخي إني لأعلم أنما قلت حق، غير أني أخاف أن تقول نساء قريش : جزع أبو طالب عند الموت ، والدليل على صدق ذلك، قوله :

والله لا يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ، ما عليك غضاضة ... أبشر وقرْ بذاك منك عيوناً
ودعوتني ، وزعمت أنكَ ناصح ... ولقدْ صدقتَ بما زعمتَ يقينا
وعرضْتَ ديناً علمتُ بأنهُ ... من خيرِ أديانِ البريةِ دينا
(لولا الملامة أو حذاري سبةً ... لوجدتني سمحاً بذلك مبينا)

وقد كان في قريش، وغيرها، من هو على مثل رأى أبي طالب ، كثير غير قليل ، مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وما روى عنهما من التصديق بالنبي ، صلى الله عليه ، وفي كتاب المغازي حيث اخبرهما عَدَّاس غلامهما عن النبي ، صلى الله عليه ، ولولا طول ٧٦و / الكتاب لفسرنا كثيرا من ذلك، فأبوا طالب قد علم ، وصحَّ عنده / أن محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، رسولٌ من الله، لا شك في ذلك عنده ، وأن الله الواحد الذي بعثه ، وإلهه الذي خلقه، ألا ترى إلى قوله في شأن الصحيفة ، حيث يقول :

ألا هل أتى أخواننا صنع ربنا ... على نأيهم والأمر بالناس أرودُ /
ألم يأتهم أن الصحيفةَ مُزقت ... وكل الذي يرضه الله مفسدُ /
تداعى[1] لها أفكٌ وسحرٌ مجمعٌ ... ولَمْ يُلْفَ سحرٌ آخرُ الدهرِ يصعدُ .
تَراوحهَا من ليس فيها بمثبت ... فَطائرها في رأسها يترددُ .

فلم يكُ في شكٌ من الخالق ، ولا من النبي ، صلى الله عليه ، ولكن منعَتْهُ الحميةُ ، واتباع الهوى، بلا جبر ولا قسر ، فلم يُردْ أن يؤمنَ ، وهو قد عرفَ الحقَّ أينَ هو، ومَعَ مَنْ هو .

لمَ يمنع اللهُ أبا طالب من الإيمان :

فإن قال قائل منكم، ومن غيركم: إنما امتنع ابو طالب من الإيمان ، لأن الله لم يردْ

---

(١) في الأصل : تداعا .

انْ يؤمن، لما علمَ انه لايؤمنُ ، ولو أرادَ منه الإيمانَ ، لكان ذلك يوجبُ على الله انه أرادَ منه انْ يبطلَ عَلْمَهُ.

قلنا لكم : فنحنُ نزيدُكم في تأكيد الحجة لكم في ذلك من القرآن ، حتى يعطف عليكم، بما لا مخرج لكم منه ، بحول الله وقوته ، قال ، عز وجل ، في آية من كتابه نزلَتْ في أبي طالبٍ ، وهي قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ (١) .

أفلا ترى أنَّ فيه الاستطاعة ثابتةٌ قبل الفعل ؟

فنقول لكم : أليس قد أخبر الله ، عز وجل، عن قولِ أبي طالب يومَ القيامة ، إذا وُقفَ على النار ، وقَدْ علمَ أنه لا يؤمنُ ؟ . . . فإذا قلتم : نعم . قلنا لكم : فأخبرونا عن قول رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله، لعمه أبي طالب عندالموت : ياعم ، قُلْ: لا إلهَ إلا اللهَ ، وأقرَّ بأني رسولُ الله ، أضمنُ لك بها عند الله ، عز وجل ، الجنةَ غداً فقال: إني أعلم أن الذي قلت كما قلتَ ، ولكني أخافُ أن تقولَ نساءُ قريشٍ جزعَ أبو طالب عندَ الموتِ (٢) .

فنقول لكم: أريتم لوأسلمَ أبو طالب كما طلب منه النبي ، صلى الله عليه ، هل كان النبي يفي بما ضمن له على الله، عز وجل، أم لا يفي له به؟! . . فإن قلتم: لم يكن ليفي له بما ضمن به . كفرتم بضمان رسول الله ، صلى الله عليه ، وألزمتموه أنه طلبَ ٧٦ط/ من عمه أمراً لا يجوز له عند الله، وأن اللهَ يحقرُ فيه ضمانه / وخرجتم من قوله: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى... ﴾(٤) . وقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٥)، وإن قلتم :

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

(٢) الحديث : اخرجه البخاري ٣/٢٦٣ حديث (١٣٦٠) ، ومسلم ١/٢١٤ حديث (٣٩ ، ٤٢) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن سعد في طبقاته جـ١ / ق١ ص ٧٧ - ٧٩ ق١، واحمد في مواضع من المسند منها ١/٢٢٧. وفي سيرة ابن هشام ، ص٢٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠

(٤) سورة النور: الآية ٥٤ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ . وفي الأصل ، (ما آتاكم..) .

نعم ، لو أسلم أبو طالب، لوفَّى له رسول الله، صلى الله عليه ، بذلك الضمان لا شكَّ فيه ولامرية .

قلنا لكم : فنراكم الآن قد أوجبتم ، ولزمكم ان على الله، عز جل، لايحولُ بين أحد من الناس كلهم ، وبين طاعة الله ، بعد ما أنزل الآيةَ ، لم ييئسْ رسولُ الله ، صلى الله عليه ، من توبته ورجعته، لعلمه انه مخيرٌ قادر على التوبة، غيرُ مجبور على الكفر، ولا مقسور ولامخلوق فعله، ولا مقضى عليه ظلمه ، ولا مقدر عمله، ولا مراد كفره، ولا العلم مانعٌ له على الرجوعِ إلى الحقِّ.

فلما كان الامرُ على ما قلنا ، بواضح الحجةِ والصدق، الذى لا كذب فيه، طلبَ اللهُ (من) [1] رسول الله ، صلى الله عليه ، ان ينطق بتوحيد الله، وان يعتقده فى قلبه، ويقر انه رسول، صلى الله عليه ، ويضمن له على الله، عز وجل، الجنة، فكره ذلك واخذته الحميةُ .

ولو فعَلهُ ، فقاله بلسانه، واعتقده فى قلبه ، لم يُمضِ اللهُ، عز وجل ، عليه حكمَ الآية، لانه قد فتحَ بابَ التوبة، وجعل إليه السبيلَ وسهَّل إليه الطريق ، ومكَّن فيه الاستطاعة ، ولم يحلْ بين احد وبين الطاعة بعلم ، ولا غيره من جميعِ الأشياءِ، فهذه من أكبرِ الحججِ عليك، واقطعها لمقالتك، وفريتك على الله، جل ثناؤه .

فافهم ما سألتنا عنه من قول الله، عز وجل، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]، ألا ترى إلى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، او لا ترى إلى قول صالحٍ ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3]، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [4]، ويحك فهل تجدُ اللهَ ، عز وجل، اخبركَ انه شرك فى افعالهم فى شئ من جميع ما افتريته عليه؟!.. وفى هذا الكفاية .

---

(١) ليست فى الاصل .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧ .

(٣) سورة هود : الآية ٧٤ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ٧٧، ولان القصة تكررت فى اماكن مختلفة ، خلط المؤلف بينها خلطاً شديداً ، فخرجناها على النحو السابق.

وأنت تجعل لهم الحجة على الله، جل ثناؤه ، وتخلصهم من العمى الذى اختاروه، وتضيفه إلى ربك حتى [1] يفلجوا، ويبطلوا القرآن : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[2]، فاسمع ما ورد عليك من الحجج، التى لا مخرج لك منها ، والحمد لله رب العالمين.

***

(١) فى الأصل : حتا .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢

المسألة الثانية عشرة

هل جبر الله خلقه على عبادته ومعصيته؟

ثم قال عبدالله بن يزيد البغداى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1]، اليس قد زعمتم ان كل من خلُقَ / لشئ فقد ٧٧و/ جبُرَ على ذلك، وان الله لم يخلق الناس لجنة ولا لنار ولا لعبادة؛ لان فى قولكم ان كل من خلق لشئ، فهو مجبورٌ عليه، وان اللهَ لم يخلق الجنَ والإنسَ لجنة ولا لنار، فاخبرونا عن قول الله، سبحانه ؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ ، اليس إنما خلقهم للعبادة؟!

فإن قالوا: نعم. فقل : فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم الله له؟!... فإن قالوا: إنه إنما عنى بهذا، أى إنما خلقتهم لأن آمرهم بالعبادة . فإن قالوا : كذلك نقول . فقل أفليس: قد يجوز لنا ان نقول: خُلقوا للنار على غير وجه الجبر؟!...

فإن قالوا: بلى . فقل : فلمَ عبتم ذلك علينا ؟!.. وإن قالوا : لا. فقل فكلُ مخلوق لشئ إذنْ فهو مجبورٌ ، وقد جبر اللهُ الناسَ على عبادته ، فعجزَ عن ذلك ، تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً ، الله اعزُ واقهر من ان يريدَ شيئاً فلا يكون، او يجبر شيئاً على شئ فيعجزه.

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، وسالتَ عن قول الله ، سبحانه، : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[2]، وقلت : انا نقول : إن من خُلقَ لشئ فقدَ جُبر عليه. وكفى عليك بهذا الكلام فضيحةً ، ونقصاً وثلباً عند اهل العلم، وما تاتى من الجهل والعمى [3] والتخليط، لا انت تحسنُ ان تسال، كما يسالُ الرجالُ، ولا انت تاتى بقولنا فى العدل على وجهه ، وليسَ العجبُ منك ، إنما العجب ممن اطاعك على قولك من الجهال ، واعتقد جهلك وتخليطك فى السؤال، ولم يميزوا عليك، وذلك لإعجابهم بك!!

---

(١) ، (٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) فى الأصل : العما.

فأنت وهم، كما قال، عز وجل، في فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]، فهل بلغك أنَّ عدلياً يقول: إن الخلقَ لم يُخلقوا لجنة ولا لنار؟!!

وزعمت أنَّ من قولنا : إن كل من خُلق لشيء فقَدْ جُبَر عليه، فنحن نقولُ لك الآن، فما قولك أنت؟.. أكلُّ خُلق لشيء فليس هو بمجبور عليه؟!

فإن قلت : نعم، ليس (كل) مَنْ خُلق لشيء فهومجبورٌ عليه، بَطُلتْ دعواك كلها، في جميع ما قلتَ من أن الله، عز وجل، جبرَ العبادَ على الكفر والإيمان، وخلقه وأراده منهم، أن يكونَ بعضُهم كافرٌ وبعضُهم مؤمنٌ، كذا قلتَ: إنَّ الله، عز وجل، جبرَ الكفارَ جبراً على الكفر، وكذلك فعلَ بالمؤمنين ، جبرهم على الإيمان جبراً!... أكذبك اللهُ، عز وجل، في كتابه المنزل، على لسان نبيه المرسل، صلى الله عليه ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... ﴾[2]، ٧٧ظ/ وقوله : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ / التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[5]، أفلا ترى أنهم لا يصحُ لهم إيمانٌ حتى يصيروا على هذا الشرط؟!.. أفهذا قولُ من جبرهم على طاعة أو معصية؟!!

خلق اللهُ العبادَ مخيرين ، فلا يجبرون على طاعة ولا معصية :

وأما قولك لنا: فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم ؟.. فهذه المسالة[6] راجعة عليك ؛ لأنك أنت المجبر ونحن العدليون، ونحن نقول لك: أخبرنا عن خلقه لهم للعبادة ، مابالهم لم يعبدوه كلهم ، وإنما عبده الأقل منهم ؛ لأنه قال : ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[7]، وقال : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة هود الآية ٩٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

(٥) في الأصل : المسلة.

(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٩

(٧) سورة هود : الآية ١٧ .

فإن قلت : كذلك أردَ منهم وقضى عليهم، أن يكون بعضهم مؤمناً ، وبعضهم كافراً . وهو لعمر الله ، قولك قد احتججت به فى كتابك هذا .

قلنا : فاخبرنا عن قوله ، عز وجل، : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] أصدق فيه أم لم يصدق؟ فإن قلت: لم يصدق . كفرت وحل قتلك.

وإن قلت: صدق. قلنا لك: فما بال العباد لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته ؟..

فإن قلت : غلبوه وعجزَ عنهم. كفرت، وخرجت من دين الإسلام . فلابدَّ لك بالاضطرارِ، وأنت راغمُ الأنفِ، أن تقول: لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته، لا[2] من عجز، ولا من ضعفٍ.

فنقول لك: فاخبرنا ما العلة التى قعدت بهم عن العبادة ، وأخرجتهم عن الطاعة والعبادة التى خلقوا لها؟! فلا تجد علة تعتلَ بها، ولا حجةً تجيبنا بها، ولا وَزَراً تلجا إليه، إلا الإقرار بانهم مخيرون فى العبادة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولامقسورين .

وذلك هو الحقُّ، لابدَّ لك من ذلك، احببت أو كرهت ، لاضطرار الحجة الخانقة لك، التى لم توجُدكَ سبيلاً إلى كذب على الله، عز وجل، ولا فرية عليه ، فافهم هذه الحجة الدامغة، لك ولأصحابك المجبرة، التى غرقتم فى بحرها ، فإن مثلك مثلُ الشاة التى تبحث عن الشفرة لتذبح بها .

ثم نقول لك من بعد هذا : إن الله، عز وجل، خلق الجنَ والإنس والملائكة، ليعبدوه، مخيرين لا مجبورين ولا مكرهين ، ولو أراد لجبرهم على العبادة جبراً قسراً وقهراً، فلا يكون تحتَ اديم السماء احدٌ إلا عابد لله، عز وجل، وشاهدُ ذلك قوله لنبيه، صلى الله عليه، : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3].

٧٨و/ فاخبره ، عز وجل، أنه لو شاء لآمنوا كلهم جميعاً ، جبراً وقسراً وحتماً ، ثم لا يكونُ لهم حمدٌ ولا اجرٌ ، ولكان فى ذلك الكفاية / عن إرسال الرسل وإنزال

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم النص .

(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

الكتب، وقوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾، يعنى أنه لايقدرُ على إكراه القلوب ، وجبرها على الإيمان وغيره إلا الله القوى القادر.

وليس النبى ، صلى الله عليه، ولا غيرهُ من جميع الخلق يقدر على إكراه القلوب ، وإنما يقدرُ على إكراههم بالسيف كما أمر، حتى يُعبَد اللهُ، عز وجل، حقاً حقاً، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾[1]، يقول : لو أنه أراد أن يجبرهم حتى لايقدروا على الشرك؛ لفعل ذلك. وما كان من نظائر هذا فكله فى معنى [2] واحد، يقتضى أنه، عز وجل، لو أراد ما عصاه مخلوق جبراً وقسراً ، ولكنه خَيَّرهم تخييراً، ليعملَ كل منهم ما أرادَ وما اختاره ، ولذلك بان العدل والحكمة ، واستحق الثواب والعقاب، إذ جعل الأمرَ بالدين فرضاً افترضه على عباده ، تخييراً لا جبراً ، وهذا هو الحكمة والعدل.

والدليل على ذلك والشاهد لنا فيه ، وقوله ، عز وجل، : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[3]، وقوله ، عز وجل: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[4]، وكفى بهذا القول حجةً شافيةً لمن عقلَ وانصف، ولو لم تكن بينة ولم تلزم حجة، ولم تثبتْ حكمة، ولم يقم عدلٌ. فهذا جوابُ مسألتك، والحمدلله رب العالمين .

نقد المجبر فى أن الله خلق بعض عباده للنار، على غير وجه الجبر!

وأما قولك : إنه يجوز أن نقول : **إنهم خلقوا للنار على غير وجه الجبرِ** ، فليس هذا قول من له عقل ولا أدنى [5] معرفة ، يحتاج أن يناظرَ بها الرجال ، ومناظرة الرجال لا تكون بالمحال ؛ لأنه ليس فى محال القول حجة ولا فى المسألة [6] عنه جواب! .. وأنه يلزمك ، إن جاز عندك أن يخلق الله ، عز وجل ، خلقاً للنار على غير وجه الجبر ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٧ .

(٢) فى الأصل : معنا .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٤٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٩ .

(٥) فى الأصل : ادنا .

(٦) فى الأصل : المسله .

زعمت ، لزمك ، ووجبَ على، قود قولك، ان يدخلَ اللهُ، عز وجل، (على) [1] ذلك الأنبياء والمرسلين (النار)[2]، على غير وجه الظلم والجبر ، ويدخل المشركين الجنة على غير وجه الجور والجبر !.. ولا فسادَ فى ذلك ولا خروجَ من حكمة ولا عدل ، وهذا أعظم ما يكون من العمى [3] والتجاهل والكفر، والاستخفاف بدين الله، جل ثناؤه ، وبكتبه!!

وكذلك يلزمك ان يقول القائل لليل : هذا نهار ، وللنهار: هذا ليلٌ ، وللقائم : هذا قاعدٌ ، وللقاعد: هذا قائمٌ ، وللنائم: هذا يقظان ، ولليقظان: هذا نائم . وهذا قول المجانين ، فاما الأصحاء فلا يقولون كما قلت، وإنما ألجأك إلى هذا القول ٧٨ظ/ الاضطرار/ وعدم الحجة، والجهل بمعانى اللغة العربية ، والحمد لله رب العالمين.

***

الجبر يرى أن المعصية من الله :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله، عز وجل، : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾[4]، اليس قد اراد الله ان يملى لهم ليعصوا؟.. افليس قد اراد اللهَ انْ يملى لهم، لتكونَ المعصية؟

فإن قالوا : بلى . قل: أفليس قد أراد الله، عز وجل، ان يملى لهم لما هو شر لهم؛ لان الإثم شر لهم من الطاعة ، فقد صنع الله بهم ما هو شر لهم ، لان الإملاء شرٌ لهم ، لانهم يزدادون إثماً؟!..

فإن قالوا: نعم . فقل فقد أراد اللهُ لبعض العباد ان يكون منهم الشر، لما علم منهم؟!. فإن قالوا: نعم . فقد تركوا قولهم: إن الله لا يريد بالعباد ما هو شرٌ لهم . ودخلوا فى قولك ، وإن قالوا: إن الإملاء والإثم خير لهم. قل : افليس المعصية خير

---

(١) فى الأصل : عن .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) فى الأصل : العما .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

للعباد ، والمعصية خير لهم من الطاعة، وثواب المعصية خير لهم من ثواب الطاعة؟! .. وإنما نعنى الذين أملى الله لهم ، ليزدادوا إثماً.

فإن قالوا: نعم ، إن المعصيةَ خير لهم من الطاعة، فإن الله، عز وجل، يكذب قولهم بقوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) ﴾[1]، ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾[3]، وأشباه هذا من كتاب الله، عز وجل.

رد أحمد بن يحيى : معنى الإملاء :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ،: وسألت عن قول الله، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾[4]، وقلت : إن الله، سبحانه، أملى[5] لهم ليزدادوا إثماً، أرادهم بذلك جبراً وقسراً ، بلا سببٍ ولا أمرٍ استحقوه ، هذا قولكم، وإليه يأول مذهبكم.

وزعمت أن الله ، عز وجل، أملى لهم، لتكون المعصية منهم، والله ، تبارك وتعالى ، لايبدأ أحداً من خلقه بظلم، ولا جور ولا آمر على أمر يدخل به النار، ولا يريده منهم ولا يقضيه عليهم، فاين قوله، عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) ﴾[6] !!

وإنما تكون الآية فى القرآن على وجه حَكَمَ الله، عز وجل، به على مستحقٍ استحقه باختياره لنفسه واتباع هواه ، ولها آياتٌ تفسرها وتدل على معانيها ، والله ، عز وجل ، يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾[7]، وانت وإخوانك المجبرة، لاتعقلون ذلك، ولا تهتدون إلى معانى العدل فيه ، فانتم تخوضون
٧٩و/ فى سكرة /وحيرة، تريدون أن تقوموا بعذر جميع الكفار، وأن الله ، عز وجل،

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٣ .. فى الاصل بدون (قل..).

(٢) سورة الحج : الآية ٧٢ .. جاءت فى الأصل بدون (قل افانبئكم..)

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٥) فى الأصل : املا .

(٦) سورة الحج : الآية ٦٥ .

(٧) سورة النساء : الآية ٨٢

قال : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ زعمت، ليزدادوا كفراً به ومعصية له ، وليس الحكيم يريد ان يُعصى ولا يكفر به، سبحان الله ما أعظم هذا من القول!

وإنما أملى لهم ، عز وجل ، لكمال الحجة ؛ ولانه ، تبارك وتعالى ، قد فتح باب التوبة رحمة منه لخلقه، وتفضلاً وتعطفاً ، وجعله سبباً للرجوع إلى الطاعة ، فمن أرادان يتوب تاب لامكرهاً ولامجبوراً ، ومن أراد ان يصرَّ على الكفر لامكرهاً ولامجبوراً ، صار ذلك الإملاء حجة عليه؛ لان الله ، عز وجل، يقول : ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] ، فسماهم ظالمين ، عز وجل ، وصار ذلك التعمير حجة عليهم، وذلك الإملاء شراً ، إذ لم يُقلعوا عن المعاصى ، ويسارعوا بالتوبة ، والإنابة والامر ممكن .

في نقد القرامطة :

ومثل ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وهذه الآية مما يحتج به القرامطة[3] على الجهال من العوام ، يقولون لهم : إنما عنى بقوله «واستغفر لهم الرسول »، يعنون بذلك المهدى ، لقوله – زعموا – ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك يا محمد فاستغفروا الله. ثم قال: واستغفر لهم الرسول – يعنون الذى يجئ بعدك – وهذاكفر بالله العظيم ، وجهل باللغة العربية .

والحجة عليهم فى ذلك قول الله ، سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[4] ، افلا ترى انه يخاطبهم بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ ﴾ ، ثم صار آخر الكلام إلى قوله: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾، وهذا ما لا تعقله القرامطة ، ولا تهتدى إلى اللسان العربى فيه؛ لان هذا جائز فى اللغة العربية ، لغة العرب، وموجود فى مخاطباتها، يقول الرجل للامير، وهو مواجه –: اعز الله الامير قد فعلت لى كذا وكذا[5] ، وإن رأى الامير اعزهُّ الله ان يفعلَ لى كذا وكذا، . فهذا جائزٌ فى اللغة .

---

(١) سورة فاطر : الآية ٣٧ .

(٢) سرة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) **القرامطة** : فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى رجل من سواد الكوفة يقال له **قرمط** ، وهم **السبعية** ايضا ، **والباطنية**؛ لانهم قالوا: إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تاويلاً.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢.

(٥) فى الاصل : كذى وكذى .

قــال الشاعــر يرثــى رجــلاً :

يالَهْــفَ نَفْسِــى صَــارَ غُــرةُ خَالــد   وَبَيــاضُ وجهِـكَ للتُّرَابِ الأعْفَــرِ (١)

الا تراه كيف قال فى أول بيته ، كأنه يخاطب رجلاً غائباً ، ثـم صار آخر البيت، وآخر الخطاب ، على رجل مشاهد، فهذه أكبر حجة .

الإمــلاء بــين اللــه وإبليــس :

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول الله، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا ٧٩ظ/ تَبَيَّنَ/ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢)، أليس هذه الآية فى كتاب الله، عز وجل؟.. فلابد لك من نعم. فنقول لك: أخبرنا عن إملاء الشيطان لهم، هو الإملاء الذى أملى (*) الله بعينه أم لا ؟.. فإن قلت : نعم، هو الإملاء الذى أملى الله، عز وجل، لهم. قلنا لك: فما الفرق بين إملاء الله، عز وجل، وبين إملاء إبليس؟

فإن قلت: إنه إملاء واحد . لزمك ووجب عليك. أن الشيطان شريك لله، عز وجل، فى فعله بعباده ، وأن فعلهما وحد لا فرق فيه .

وإن قلت : إن إملاء الله ، عز وجل ، شئ على حدة، وإملاء الشيطان شئ آخر غيره .

قلنا لك : ففسر لنا ذلك، حتى تفرق لنا بين إملاء الله ، سبحانه ، وبين إملاء الشيطان ؟

فإن قلت: إن إملاء الله ، عز وجل ، إنما هو جبرٌ جبرهم عليه، وقسرٌ قسرهم على فعله من المعاصى .

لزمك أن القرآن الذى أنزله الله ، سبحانه ، حجة له على خلقه، ودليلاً على

---

(١) البيت لأبى كبير الهذلى؛ وروى بصورة أخرى هى : ياوَيْحَ نَفْسِى كان جدَّةُ خالد   وبياضُ وجهكَ للتراب الأعفرِ.
– وهو من بحر الكامل . انظر : ديوان الهذليين ، ٢/ ١٠١ القسم الثانى، وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٠٢، والصاحبى لابن فارس، ١٨٣، وأمالى المرتضى ٤/ ١٣٩ ، وغيرها .

(٢) سورة محمد ، الآية ٢٥ .

(*) فى الأصل : املا

عدله، باطلٌ محالٌ من قوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[2]، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾[7]، وقوله: ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[8]، وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[9]، فاسمع أيها المغرور فى دينه إلى قوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ .

كانت هداية الله للخلق أجمعين:

فاخبر ، عز وجل، أنه قد هدى الخلق كلهم جميعاً، الشاكر منهم والكافر ، وامتن عليهم بالتعريف والدعاء إلى الحق، والرسل والبيان والكتب ، فبدأهم بالهداية والمنة العظيمة، والنعمة الجليلة ، والإحسان والتفضيل، الذى لايبلغ له غاية ، وأخبر أنه هداهم السبيل ولم يجبرهم على المعاصى ، وكفى (*) بهذه الآية برهاناً وعدلاً ، لو كان لها من يقبلها، أو يفعل ما فيها من العدل، ونفى الجور عند الله، عز وجل ، والبراءة له من أنه أراد أن يملى لهم ، لتكون المعصية منهم ، وليزدادوا كفراً به ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٢) سورة الروم: الآية ٤١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٦) سورة هود : الآية ١١٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٥٩ .

(٨) سورة ق : الآيتان ٢٨ - ٢٩ ..

(٩) سورة الإنسان : الآيات ١ - ٣ .

(*) فى الأصل : وكفا.

٨٠و/ زعمت ، واسقطت قوله، عز وجل: ﴿ لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى / اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [١]، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [٢]، قوله: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٣].

وقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[٤]، ولم يقل من عنده ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٥] وقوله: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦] وقوله: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٧]، مع آيات تكثر وتجل.

فهذا كله يلزمك، إن قلت: إن الله أملى لهم قسراً وجبراً وعمداً، لتكون المعصية منهم.

ما يلزم المجبرة إن قالوا بإملاء إبليس لبني آدم:

وإن قلت : إن إملاء الشيطان لهم، قسر وجبر وإكراه . لزمك ان الشيطان له من المقدرة والقوة والسلطان، على جبر العباد مثل ما لله ، عز وجل ، واكذبك الله ، جل ثناؤه ، حيث يقول يحكي عن الشيطان، واحتجاجه عليهم يوم القيامة ، ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٨]، ولم يقل : فلا تلوموني ، لوموا ربكم !

وقوله: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[٩]، وقوله: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[١٠].

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣٠

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٩

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٥

(٦) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٤ .

(٨) سورة إبراهيم : الآية ٢٢

(٩) سورة النساء : الآية ٧٦ .

(١٠) سورة الحشر : الآية ١٦ .

فلا تجده في هذه الآية فعل به شيئاً غير القول ، والدعاء على الكفر، قال الله، عز وجل : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[١]، ولم يقل : إنه شريك في ذلك الظلم، ولا بمريد له ، عز عن ذلك رب العالمين .

وإن قلت : إن إملاء الشيطان لهم، إنما هو خديعة واستمالة الدنيا للشهوات ، والترغيب في الفواحش ، والتزيين للمعاصي .

لزمك أنك إن قلت : إن الله ، عز وجل ، يفعل بهم كذلك من الخديعة، والدعاء إلى الشهوات، والترغيب في الفواحش، والتزيين للمعاصي ، إذ ليس بين إضلال الله ، عز وجل ، لخلقه ، وبين إضلال الشيطان فرق، بوجه من الوجوه .

وإن قلت : بل إضلال الله لهم هو الجبرُ على المعاصي . لزمك من تكذيب القرآن لك ما قد قلنا ، فاختر أي هذه الوجوه شئت، فلا عذرَ لك ولا راحة ، ولا مخرج في أيها قلت به .

إلا أن تقول : إن إملاء الشيطان لهم، غرور يغرهم به، وخديعة وتزيين . فيلزمك ٨٠ظ/ أنهم أتوا في كفرهم من قبل أنفسهم / ومن قبل الشيطان ، وأنهم لم يؤتوا في ذنوبهم من قبل الله ، عز وجل ، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسببٍ من جميع الأسباب كلها، وذلك هو الحق ، وهوقولنا بالعدل وهو دين الله، عز وجل، الذي تعبد به الأولين والآخرين ، وإلا فيلزمك أن الله يفعل بخلقه كفعل الشيطان ، وأن الآيات التي تبرأ فيها من ظلم خلقه ، إنما هي على جهة الظن والاستهزاء ، والهذيان والخروج من الحكمة ، وأنها نزلت لغير معنى ، وأن ليس لها جانب من (*) الصدق ، وأنه أخبرنا في كتابه بغير حق من قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[٤]، ومثل هذا كثير في القرآن ، ولا صدق في العدل والقيام بالحكمة ، وإنما تحتمل تأويلاً

---

(١) سورة الحشر : الآية ١٧

(*) مكانها بياض .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٧٦ .

يفسدها ، ويحيلها عن العدل والحكمة ، فإن قال ذلك ، فقد كفر بالله العظيم ، وخرج من دين الإسلام .

وإن قال : بل هي على الحقيقة والصدق والصحة وواضح البرهان . لزمه أن القول قولنا، وأن العدل هو دين الله ، عز وجل، ودين ملائكته ورسله والمؤمنين أهل طاعته ، وأن الجبر هو دين الشيطان ، ودين عبدالله بن يزيد البغدادى ومن قال بقوله، وبان كذبه في قوله علينا أن ديننا هو دين الشيطان .

أدلة أخرى في الإملاء :

ومن الحجة لنا في الإملاء أيضا قوله ، عز وجل، : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ [1] ، وهذه الآية مما يتعلق به المجبرة على أهل العدل [2] ، وإنما معناها مثل معنى [3] الإملاء أيضاً ، ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، بعد ما أخبر أنه ذراهم لجهنم ، وَصَفَ لأى علة صيَّرهم ذَرْواً لجهنم ، فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾[4]، يعني ، عز وجل ، أنهم اختاروا ذلك كله ، ولم يستعملوا الجوارح التي خلقها لهم في طاعته ، ولم يصغوا بها إلى كتبه ورسله ، فاستحقوا بذلك أنه صيرَّهم في حكمه وعدله ذَرْواً لجهنم ؛ لا أنه صيَّرهم ذرواً لجهنم، لاجبراً ولا قسراً ولاحتماً ، على غير جرم ولا ذنب ، ولا على غير استحقاق لزمهم به الخلود في النار ، عز عن ذلك ، وإنما أخبر الله، عز وجل، بصيور أمرهم إلى ما يأول، وذلك جائز في لغة العرب، أن تخبر الرجل بما يعلم أن إليه يصير الأمر، الذى قد عرفه، وأيقن به أنه سوف يكون،

٨١و/ قال الشاعر في نحو ذلك :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

---

(١) سورة الأعراف · الآية ١٧٩ .

(٢) انظر الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ / ٢٣٠ .

(٣) في الأصل : معنا .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

وليس جمعه للاموال ، ولابناؤه للدور ، كان على عهد منه وقصد ان يجعله للورثة، وربما كان الورثة ابغض الخلق إليه ، وإنما اخبر بما [1] علم انَّ المصير إليه ، من جمع المال وعمارة الديار، إذ لا يبقى على الأرض مطيع ولا عاص ، فاخبر عن علمه بما تصير إليه الامور ، وكذلك اخبر الله، عز وجل، عن هؤلاء انهم سيصيرون ذَرْواً لجهنم، بما قدموا واستحقوا.

قال الشاعر :

وللموت تغذوا الوالدات سخالها   كما لخراب الدهر تبنى المساكنُ [2]

والوالدات ليس يغذين سخالها للموت لا محالة ، ولا للخراب تبنى المساكن ، قصداً لذلك من الغاذين للاولاد ، ولا العامرين للديار ، وإنما اخبر بعلمه إلى (ما) [3] يصير إليه ذلك كله، فجاز هذا فى اللغة العربية .

جهل المجبرة باللغة العربية :

وإنما وقع أكثر الجبر فى هذه المجبرة، لجهلهم تصاريف اللغة العربية ، وعميق بحارها وشرف قدرها ، فلما لم يعلموا حقائق اللغة العربية ، قالوا بالجبر ، والحدوا فى صفة الله ، جل ثناؤه، وفارقوا أهل الحق ، وتركوا القول بالعدل ، فتوارث ذلك عن قوم، وقلدوا فيه الكبراء ، وصار عندهم ديناً يدان به، ومن خالفه عندهم، لقد كفر وفارق السنة والجماعة !.. فعلى هذا كان العمل فى الأوائل ، والله المستعان. وإياه نسال ان يعز دينه، وينتصر لكتابه؛ إنه قوى عزيز .

***

وقوله ، عز وجل، : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [4]، افترى ان آل فرعون التقطوا موسى، ليكون لهم عدواً وحزناً؟!.. معاذ الله، ما كان ذلك، ولا التقطوه إلا ليكون لهم ولياً وعضداً، وولداً ، فاخبر الله ، عز وجل، عن آخر أمره لهم

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) انظر ابن هشام : المغنى اللبيب، جـ١، جـ١ / ٢١٤ شاهد رقم (٣٥٥)، وهو لجرير بن عطية .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) سورة القصص : آية ٨ .

ما يكون ، وانه يصيرُ لهم عدواً وحزناً ، مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾[1]، لعلمه بآخر امرهم إلى ما يؤل، فاخبر ، عز وجل ، عن العاقبة ، وعلى أن التقديم والتأخير جائز في القراءة، في مواضع كثيرة، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليك في نص الإملاء ، الذى ادعيت فيه الجبر ، ماجاء التفسير في قوله، عز وجل، : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾ [2] ، إنما نعنى بذلك : إنما نملى لهم لئن لايزدادوا إثماً ، وهذا من عجائب اللغة العربية وغامضها [3]!

وشاهد ذلك عن أهل التأويل والعلم والمعرفة ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
٨١ظ/ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [4] ويريدُ بذلك / ليعلم أهل الكتاب ، أن لا يقدرون على شئ من فضل الله ، فأدخل (لا) في هذا الموضع صلة للكلام ؛ لأن العرب تفعل ذلك في كلامها ، وتدخل (لا) لغير حاجة إليها .

قال الشمّاخُ بن ضرار التغلبى [5]:

أعَائشُ مَا لأهْلِكِ لاَ أراهُمْ يُضيعونَ السَّوَامَ مَع الُمضيع [6]

فقوله : « لا اراهم » ، ها هنا ، زائدة، والمعنى فيه « أعائشُ ما لأهلك أرهم يضيعون السوام مع المضيع »، فادخل (لا) صلة للكلام ، فافهم هذا الباب .

---

(١) سورة الاعراف : الآية ١٧٩

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٣) انظر الهادى إلى الحق: الرد والاحتجاج على الحسين بن محمد بن الحنفية، ٢ / ٢٤٤

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٩ .

(٥) **الشماخ بن ضرار بن سنان المازنى الذبيانى الغطفانى** : شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة **لبيد والنابغة** . كان شديد الحفظ لمتون الشعر ، ولبيد اسهل منه منطقاً . وكان ارجز الناس على البديهة. جمع بعض شعره في ديوان مطبوع، (وحققه بعد ذلك **د/ صلاح الدين الهادى** كرسالة جامعية حصل بها على درجة الماجستير من دار العلوم) وشهد **القادسية** ، وتوفى في **غزوة موقان** سنة ٢٢هـ ؛ (انظر ترجمته في الزركلى : الاعلام، ٢ / ١٧٥) .

(٦) البيت في امالى ابى على القالى ١ / ١٠٥ ، وللسان في مادة (ضيع) . وابن قتيبة في المعانى الكبير ١ / ٤٢٩ ، وتهذيب الألفاظ للتبريزى ، ص٦٧ ، وأمالى ابن الشجرى ، وقد روى في الديوان :

اعائشُ مالاهلك لا اراهم . يُضيعون الهجَان مع المضَيع   وهو من بحر الوافر

وهذه اللغة العربيةُ التى نزل القرآن بلسان أهلها ، وقال الله ، عز وجل ،: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1]، ولكن [2] لا معرفة عند المجبرة باللغة العربية ، ولذلك اعتقدوا الجبر ديناً !!

* ومن الحجة أيضاً ، فيما قلنا فى هذا الباب قول الله ، عز وجل ،: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ۝ ﴾[3]، والمعنى [4] فيه : غير المغضوب عليهم والضالين ، فدخلت (لا) صلة للكلام، وقوله، عز وجل، : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [5]، يريد بذلك: وقوم يونس ، فادخل (لا) صلة للكلام مثل الأول

قال الشاعر :

وكلُّ أخ مفارقُهُ أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان [6]

فجعل (لا) بدلاً من الواو ، والمعنى فيه : وكل أخ مفارقة أخوه، لعمر أبيك، والفرقدان أيضاً يفترقان ؛ لأنه لابد من فراق الفرقدين ، ولوكان الشاعر عنى [7] ان كل أخ يفارق اخاه إلا الفرقدان ، اى انهما لايفترقان ، لأوجب ذلك أن الدنيا لا تزول أبداً ، وصار إلى قول الدهرية [8] ، وأن الفرقدين لايفترقان أبداً ، فيكون هذا

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) فى الأصل : لاكن .

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٧ .

(٤) فى الأصل . والمعنا .

(٥) سورة يونس : الآية ٩٨ .

(٦) تخريج البيت : ذكره ابن هشام فى شواهده ، ١ / ٧٢ .

(٧) فى الأصل : عنا .

(٨) الدهرية ، والزروانية ايضاً، نسبة إلى الدهر، أو الزرفان أو الزروان بالفارسية، وهو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك، والدهرية طائفة من الاقدمين يجحدون الصانع المدبر العالم القادر، ويزعمون ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون ابداً ، وهؤلاء هم الزنادقة (الغزالى : المنقذ من الضلال) والدهرية ينكرون الخالق والنبوة والبعث والحساب، ويردون كل شئ إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون الخير ولا الشر ، وإنما اللذة والمنفعة (الجاحظ : الحيوان) ، والطبيعيون الدهريون بخلاف فلاسفة الدهر ، والاولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول، بينما يقول الاخرون بالمحسوس والمعقول معاً ، وينكرون الحدود والاحكام ، وصارت الدهرية ديناً صريحاً فى عهد يزدجرد الثانى فى الدولة الساسانية ، (من ٣٤٨ - ٤٥٧م) وفى القرآن ، فيقول : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية الآية ٢٣ .
انظر (الشهرستانى : الملل والنحل ٢ / ٤٦٢ ، ٤٧٩ ، والرازى : الاعتقادات ، ص ١٤٥ ، والاسفراينى : التبصير فى الدين ، ص١٤٩ ، وانظر ايضا د/ عبد المنعم الحفنى : الموسوعة الفلسفية ، ص ١٨٣ .

كفراً من قائله ، وجحوداً للوحدانية ، ومجيء الآخرة، وقيام الساعة ، فادخل (لا) صلة للكلام ، وهو لا يريدها ، إلا لقوام اللغة العربية ، وما فيها من العجائب .

وقوله ، عز وجل، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[1]، فيقول القائل : هذا يوجب أن تميد بهم، فيقال : إنما المعنى فيه ، «وجعل فيها رواسى أن لا تميد بكم» ، كقوله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾[2]، يريد «يبين الله لكم أن لاتضلوا» ، فاسقط (لا) من
٨٢ و / الكلام، قال عمرو بن كلثوم: [3]/

نزلتم منزلَ الأضياف منّا فعجَّلنا القِرىَ أنْ تشتُمونا [4]

فطرح (لا) شعر من الكلام ، وإياها أراد؛ لأن المعنى فيه : أن لا تشتمونا .

وقال آخر :

ونركَبُ خيْلاً لا هَوادَةَ بينهَا وتَسْعى الرماحُ بالضَّياطِرةِ الحمرِ [5]

والضياطرةُ رجال ، والرماحُ لا تسعى بالرجالِ ، إنما الرجالُ تسعى بالرماح، فجاز هذا فى اللغة العربية .

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٣١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٦

(٣) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بنى تغلب ، أبو الأسود : شاعرٌ جاهلىٌ ، من الطبقة الاولى، ولد فى شمال جزيرة العرب فى بلاد ربيعة ، وتجول فيها وفى الشام والعراق ونجد . وكان من أعزّ الناس نفساً ، وهو من الفتاك الشجعان . ساد قومه (تغلب) ، وهو فتىً وعمر طويلاً . وهو الذى قتل الملك عمرو بن هند ، اشهر شعره معلقته التى مطلعها: الا هبى بصحنك فاصبحينا ... يقال : إنها كانت فى نحو الف بيت ، وبقى منها ما حفظه الرواة .... مات فى جزيرة الفراتية (سنة ٤٠ قبل الهجرة / ٥٨٤م) . انظر ترجمته فى الزركلى : الاعلام ٥ / ٨٤ .

(٤) البيت من معلقته الشهيرة ، وجاء فى الديوان البيت على النحو التالى :

نَزلتم مُنزلَ الاضياف منا فاعجلنا القرى ، انْ تشتمونا

انظر موسوعة الشعر العربى : لمطاوع صفدى ، وإيلى حاوى، ص٤٢٨ ، وكذا ديوانه، وجمهرة أشعار العرب للقرشى ، ص١٤٦

(٥) البيت بجمهرة اشعار العرب ، فى قصيدة لخداش بن زهير ، ص١٠٨، وروايته هكذا : ونركب خيلاً .. ونعصى ، وفى لسان العرب ٦ / ١٦٠ ، وروى هكذا.. وتشقى الرماح والضيطر : للئيم الضم، ونعصى بالرمح ، اى نضرب به ونطعن، وهو من بحر الطويل، والبيت فى الاضداد لابن الانبارى ايضا ، ص٨٥ ، وترجمة خداش ، فى طبقات فحول الشعراء ، ١١٩ ، والشعر والشعراء ، ص٢٤٦ .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [1] ، يريدُ بذلك : « وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مساكين » ؛ لانه لا يجوز ان تكون الفدية على من يطيق الصيام، فبما يفتدى إذا كان مطيقاً ؟! فطرح (لا) من الكلام ، وإياها أراد .

وقوله، عز وجل : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [2]، يريد ان العصبةَ أولى القوة لتنوء بمفاتحه ، وهذا جائز فى لغة العرب .

قال الشاعر :

حتىَ لَحقنا بهم تَعْدوا فَورا سُنَا   كأنبار عرقف تَرفع الآلا

والآل هو السرابُ عند العرب ، والسهاب هو النق يرفع القف ، فقلبَ الشاعرُ المعنى ؛ لأن السرابَ هو الذى يرفعُ الأشياء ، وليست الأشياءُ التى ترفعه .

ومن الشواهدُ فى لغة العرب، قول أبى طالب بن عبدالمطلب يرثى جده حيث يقول :

جدى الذى حجتْ قريشُ قبره   أيام مات، فما تريد زيالا

وله تحالفت القبائل كلها   جزعاً عليه، يلبسون نعالاً

يريد « لا يلبسون نعالا » ، فاسقط (لا) ، فعلى هذا يخرج المعنى فى الآية التى اعتللت بها؛ والمعنى فيها : «إنما نملى لهم؛ لأن لا يزدادوا إثماً، وأن يرجعوا إلى التوبة والطاعة».

والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[3]؛ وقوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [4]؛ وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، ولم يخبر انه أملى [6] لهم ليعصوه ويكفروا به ، عامداً ذلك بهم بغير استحقاق ، جل الله عن ذلك وعلاعلواً كبيراً .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٤ فى الاصل «مساكين».
(٢) سورة القصص : الآية ٧٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
(٤) سورة النساء : الآية ٧٩ .
(٥) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .
(٦) فى الأصل : املا

ولو عبدوه كلهم لادخلهم الجنة ، والدليل على رحمته بهم، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم، وإرادته ان يدخلهم الجنة تخييراً لا جبراً ، انه فتح عليهم / باب التوبة ، وجعل إليه السبيل، وأمر به، وحض عليه، وحرضهم على الطاعة ، وحثهم على الهدى ، ورغبهم فى الجنة ، وحذرهم من النار غاية التحذير .

وقال فى كتابه، عز وجل، : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ [1]، وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) ﴾ [2]، وقوله: ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾[3] ، وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾[4].

فأى عبث أعظم من عبث من أملى لعبيده عمداً ليعصوه ، ويخالفوا مراده ويكفروا به ويحاربوه، ويقتلوا رسله ، وأئمة الهدى من خلقه، والمؤمنين من عباده؟!.. كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً .

فكل ما ذكرنا واستشهدنا من القرآن ، والحجج القواطع ، تدل وتشهد على أنه لا يريد لهم أن يزدادوا إثما ، وإنما يريد أن يتوبوا ويرجعوا إلى الحق ، ويطيعوا الرسل ويدخلهم كلهم الجنة ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل: إن أول الآية يوجب الجبر: ﴿ ولايحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم (خيراً)[5] لأنفسهم ﴾، فتراه لم يمل[6] لهم ،لما هو خير لهم . قلنا له: إن اللغة العربية واسعة على أهلها ، ضيقة على من جهلها ، وإنما المعنى فى أول هذه الآية انه ، عز وجل، أخبر نبيه، صلى الله عليه، ان تأنّيه بهم ، وكثرة إملائه لهم ، لا يرجعون فيه إلى حق ، ولا يكفون فيه عن ظلم، ولا يقصرون فيه عن كسب شر على أنفسهم ، فصار ذلك الإملاء لاخير لهم فيه ، بل هو شرٌ لهم، لما قصروا فى طلب النجاة ، فى مدة ذلك

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات ٢٠ - ٢٤ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣٧ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١١٥

(٥) زيادة من الهامش وهى صحيحة .

(٦) فى الأصل : يملى .

الإملاء ، الذى أمهلهم فيه ، وانسا فى آجالهم ، واحسن لهم النظر ، وتفضل عليهم بالإملاء ، فلم يقلعوا عن الخطايا ، ولم يبادروا بالتوبة، ولم يزدادوا إلا تمادياً فى الغى والضلال ، فصار ذلك الإملاء شراً لهم ، ووبالاً عليهم ، وليس ذلك ، من قبل الله، عز وجل ، كيف يجوز ذلك، وهو ارحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين، وأكرم الأكرمين؟!!

بل كيف يجوز على من وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين ، أن يملى لخلقه ، ليكونوا آثمين وعن طاعته صادين، وهذا ما لا يجوز على رب العالمين ؛ لأنه ، عز وجل، لايبتدئ احداً من جميع خلقه ، بشرٌ ولا ضُرٍّ ولا صدٍّ ولا ظلم ، ولا إغواء ولا بلاء ، ولا إملاء ليزدادوا إثماً .

٨٣ و/ وشاهدُ ذلك قوله ، عز وجل / ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾(١)، فهذا خبر الله، عز وجل ، وحجته على خلقه، وكتابه الحق الذى انزله نوراً لا عمى فيه ، وصدقا لا كذب فيه ، فإن نقضتم هذه الآية بحجة ، حتى يلزمنا فساد، قوله ، عز وجل، عن الفساد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾(٢)، ووجب ان هذه الآية تستحيل فى قولكم، ويصير حكمها أنه ما أصاب العباد من مصيبة ، فبظلم الله ، عز وجل عن قولكم، وبقضائه وقدره، وإرادته ومشيئته للمصائب ، ان تحل بهم وتنزل بعقوبتهم عمداً منه، وقصداً بغير استحقاق ولا جرم اقترفوه ، وعلمنا أن الكفار برآء (٣) مما ذكر الله، عز وجل، عنهم، واستحال القرآن ، وانقلبت الأحكام ، ولم يصح الإسلام . وإن لم يأتوا بحجة، ولن يأتوا بها أبداً ، شهد الخلق على المبطل منا ومنكم ، والمفترى على الله، جل ثناؤه، فالحق واضح غير مجهول، والحمد لله رب العالمين (٤).

---

(١) سورة الشورى ' الآية ٣٠

(٢) الهامش السابق

(٣) فى الأصل : براءة .

(٤) فى نهاية الصفحة كتب الناسخ : تم الجزء الأول ، ويتلوه الجزء الثانى من كتاب «النجاة ، لمن اتبع الهدى واجتنب الردى» مما وضعه ، الإمام الناصر لدين الله احمد بن الإمام ، الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، صلوات الله عليهما ، وإثبات العدل ونفى الجبر والرد ، على عبد الله بن يزيد البغدادى» ، وفيه كتاب «الرد على المجبرة فى وسوسة إبليس» ، وفيه مسائل للتميمى سأل عنها الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، وعلى ابائهما ، الطاهرين وسلم تسليماً .. وقد قمت بتحقيق هذه الكتب تباعاً، خدمة للتراث العقلى والعقيدة الإسلامية.

تـرى المجـبرة أن الكافـرين كفـروا بمنّ الله !

ثـم [1] قـال عبدالله بن يزيـد البغدادى، ثم سلهـم: أليس قـد تزعـمـون أن الأسمـاع والابصار والجوارح مِنّة ، من الله ، عز وجل، على الكافرين ؟!

فإن قالوا : بلى [2] . فقل افليس بمنّ الله عصوا ، وبمنّ الله ظلموا؟! فإنما اشركوا بمنّةِ الله، وبمنة الله زنوا وسرقوا، وبفضل الله وبمنه كفروا .

فإن قالوا : نعم . فقل : أخبرونا عمّا به كفروا وبه ظلموا ، أخيرٌ ذلك لهم، أو شرٌّ لهم ؟

فإن قالوا : ذلك خيرٌ لهم ، فالعذاب إذنْ خير لهم من الرحمة ، لأنه إنما منّ عليهم بشئ لو لم يمن عليهم به ، لم يعذبهم ! .. فإنما عذبهم ؛ لأنه مَنّ عليهم ، فإن تلك منتهُ التى منَّ بها عليهم فى الأسماع والأبصار كانت خيراً لهم ، فبالخير عُذبوا ؛ لأن ذلك الخيـر لو لم يجعله الله لهم لم يعذبوا ، فكان مَنُّ الله عليهم شراً لهم ، وإن لم يكن خيراً لهم .

فإن زعموا ان ذلك الذى جعل لهم مَنّاً إن لم يجعله لهم ، فالعذاب إذن خير لهم من ان لا يعذبوا ، فهذا قولٌ عظيمٌ مختلف يؤفك عنه من إفك!!

رد أحمـد بـن يحيى :

الحواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن الأسماع والأبصار والجوارح كلها ، ماهى مِنّةٌ من الله ، عز وجل، على الكافرين؟.. فإذا قلنا لك : نعم. قلت لنا : زعمت ، ان بمنة الله عصى [3] العاصون ، وكفر الكافرون ، وزنا الزناة ، وسرقَ السرّاق ، وبفضله ومنته ايضاً أشركوا ، وعطلوا وتزندقوا وفعلوا كل فاقرة ، وعملوا كل فاحشة، وافتروا كل عظيمة ، وقتلوا الرسل وائمة الهدى والمؤمنين ، ولولا تلك المنة والفضل الذى افضل الله، عز وجل ، به عليهم .

زعمت، والمنة التى امتن بها ما فعلوا شيئاً من المعاصى ، زعمت ، ولكن بُدُوُّ ذلك

---

(١) فى اعلى الصفحة : الجزء الثانى من كتاب النجاة ، بسم الله الرحمن الرحيم .

(٢) فى الأصل : بلا .

(٣) فى الأصل : عصا

منّة على قولك ، فصار مشاركاً لهم فى افعالهم؛ لانه هو الذى امدُّهم بالمنة والفضل ، على ان يكون منهم كل ما اسخط، وجميع ما كره ونهى عنه، ثم غضب من ذلك الفضل الذى تفضل به عليهم، والمنة التى امتن بها من الاسماع والابصار، وجميع ٨٤و/ الجوارح ، واشتد غضبه فاوقد النيران، واعدُّها / للقوم الذين امتن عليهم وتفضل بالإحسان عليهم ، ولم ينههم فضله ولا منته ، وخلدهم على منته التى امتن بها عليهم، وبفضله الذى تفضل به بين اطباق النيران، فى العذاب الاليم الذى لا راحة لهم منه، ولا انقضاء لسرمده ، ولاخروج من ابده ولا راحة لهم فيها [١] ، زعمت فى قولك واعتقادك ، عز الله وتعالى عن ذلك.

افهكذا ، ويحك ، صفة صاحب المنة والتفضل والإحسان ، زعمت ، ام هكذا[*] يفعل الحكماء الكرام ، والرحماء العظام ، العادلون فى الحكم ، الصادقون فى القول ، والبراءة من الظلم ؟!

ام هذا تصديق قوله فى كتابه يؤدب المؤمنين ، ويعلمهم الرشد ، ويدلهم على الهدى ، ويزجرهم عن العيب، والخطأ والفواحش والردى، بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ .. ﴾[٢]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى ﴾[٣]، ثم قال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾[٤]، فكيف يدخل فيما عاب ؟!

هذه اسألة دسيسة زنديق :

وبالله ، إنى لا اظن ان هذا السائل لنا ، والواضع لهذه البلايا ، دسيسٌ من الزنادقة ؛ لان هذا قول عظيم ماخوذ من الشرك، الم يسمع هذا السائل احتجاج الله، عز جل، على خلقه فى الاسماع والأبصار، وما وهب لهم من الجوارح ، وافترض عليهم ان يستعملوها فى طاعته ، كما خلقها لذلك لا لغيره من المعصية ، فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ

---

(١) مكانها كلمة مطموسة .

(*) فى الأصل : افهكذى .... ام هكذى .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ [١]، أفلا تسمع كيف قال : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ أى: مامنعه من اقتحام العقبة ، وقد تفضلنا عليه بهذه الأسماع والأبصار والجوارح .

ولو كان الله، عز وجل، إنما خلقها فيهم، وأنعم عليهم بها عمداً ، ليعصوه بها ، وليكفروا بها ، وليقتلوا رسله وأولياء من العالمين ، بتلك الجوارح – للزملك ها هنا – أنه قد دخل فيما عاب، وفعل ما عنه نهى [٢] ، وقدر ما منه حذر، ، بعدما أخبر أنه كريم ، وانه متفضلٌ وعادلٌ، مع قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٣]، وهذه وحدها كافية لنا فى الاحتجاج عليك، إذ اخبرنا الله، عز وجل، انه لا يغير نعمة أنعم بها على قوم، حتى يكون التغيير والا تبداء بالظلم منهم ، وقوله ، عز وجل، : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾[٤] .

٨٤ ظ / فكيف يفرح احدٌ من الخلق بمنة وفضل وإحسان / يورث ذلك الفضل والمنة الخلود فى عذاب الجحيم والعذاب المقيم ؟!! .... حاش لله من ذلك وعلا علواً كبيراً ، وما كان مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، كيف ، ويلك ويحك، استجزت بعد هذه الآية أن تقدم على هذالكفر العظيم ؟ وكيف وضعت فيه كتاباً تفترى فيه على الله، عز وجل، جهاراً ، لا يزال من شيعتك وإخوانك وأتباعك من يعمل به ، ويجرى عليك وباله ، إلى يوم تلقى [٥] الله، عز وجل ، فما عذرك عنده ؟!

أما تدبرت كتاب الله، سبحانه ، يوماً واحداً ، اما اعملت فكرك فى عظيم سلطان الله وملكه، وعدله وحكمته، وجوده وكرمه، ونعمه على خلقه ساعة واحدة ويوماً واحداً، فأنزلت العدل منازله التى يشهد لها القرآن والسنة ، وتشهد عليها العقول؟!! .. ، سبحان الله العظيم ما قدرت الله حق قدره ، فعلمت انه إنما ركب فيهم

---

(١) سورة البلد : الآيات ٨ – ١١ .

(٢) فى الأصل : نها .

(٣) سورة الانفال : الآيات ٣ – ٥ .

(٤) سورة يونس : الآية ٥٨ .

(٥) فى الاصل : تلقا .

الاستطاعة ، وفرض عليهم الطاعة ، وامتن عليهم بالاسماع والابصار والجوارح ، بما افترض [1] (غير) الطاعة اليسيرة، ولم يكلفهم فوق الطاقة.

وأنه قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2]، فاين كانت اذناك عن هذا وامثاله؟!.

أتراه أيها المغرور في دينه ، إنما عذَّبَ خلقه وغضب عليهم، والزمهم العقاب ، لما وهب لهم من الجوارح السالمة، والاسماع والابصار القائمة ، وامتن عليهم بالنعمة الكاملة ، والفضل الجميل ، غير المنغص ، ولا المكدَّر ولا المعاقب عليه ، ولا المغضوب عليهم لكونه ؟!!.

فكان غضبه ، عز وتعالى ، وعقابه التخليد في ناره ، لما صرفوا تلك المنة العظيمة والعطية ، والمواهب السنية في اتباع الهوى ، أو الاختيار منهم لمعاصيه على طاعته ، والكفر به واتخاذ الشركاء والانداد معه ، والادعاء معه الصواحب والاولاد ، وقتل الرسل والائمة ، عليهم السلام ، وتكذيبهم ، وقتل الذين يامرون بالقسط من الناس ، ورفض الكتب واتباع الهوى ، وجميع المعاصي واللذات ، والقول بالجبر والإلحاد ، كما قلتم ، فقال فيهم جميعاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] .

٨٥ و / ففعلوا جميع ما ذكرنا باهوائهم غير مجبورين، واخترعوه بإرادتهم / فلم يكن لهم عليه ، جل جلاله ، حجة في فعلهم، ولا تباعةٌ في كفرهم ، ولا مقالة في شركهم ، بل المنة له عليهم، فيما وهب لهم من جوارحهم ، فهي فعله لا فعلهم ، ولذلك لم يسلهم من فعله الذي فعل من الاسماع والابصار والجوارح .

وقال في كتابه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] ، (ولو كان فعلهم هو فعله لم يقل : وهم يسألون)[5]؛ لان الفعل كله ، في قولكم، هو فعله لا فعل العباد ،

---

(١) بالهامش (اظنه ثم افترض) وهو صحيح ايضا .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم : الآيتان ٢٨ - ٢٩ .

(٤) سورة الانبياء : الآية ٢٣

(٥) تكملة من الهامش .

لما قلتم : إن أفعال العباد كلها مخلوقة، فلو كان ذلك، كما قلتم ، لما جاز أن يقول : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾ ، فعمَّ يُسألونَ إذا كان الفعل كله فعله، والزنا والخنا والفواحش والردى والكفر والشرك ، وجميع المعاصي كلها ، التي ذكرت ، أنهم نالوها بمنة الله وبفضله ، ولولا منته وفضله ، زعمت ، ما كفروا ولا أشركوا؟!!

وبالله العظيم لو قال هذا القول الزنادقة على شركهم ، لكان عظيماً ، فكيفَ من زعم أنه ينتحل التوحيد !!

والجوارح والحواس هي فعل الله، عز وجل ، ومنتة ، والمعاصي فهي فعل العاصين واختيارهم ، وليس يلزمه ، عز وجل ، فعلهم ؛ لأنه ، عز وجل ، قد أمرهم أن يستعملوا تلك المنة التي وهب لهم ، في الطاعة لا في المعصية ، وجعل لهم السبيل إلي ذلك وأقدرهم عليه ، ولم يحل بينهم وبين الرشد ، بأمر من جميع الأمور كلها، وبينَّ لهم وحذر ، وأعذر وأنذر ، فاختاروا لأنفسهم ما أرادوا من طاعة أو معصية ، واستعانوا بتلك المنة التي امتن بها من الجوارح ، على ما نوهوا عنه .

فاستعانوا بنعم الله ، عز وجل ، على معاصيه ، وصرفوها في غير الوجه الذي له خلقوا ، وبه أمروا ، وله إياها أعطوا ، فادبروا من غير غلبة الله ، عز وجل ، ولا معف ، بل أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، فلم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً .

وكذلك المؤمنون استعملوا مِنَّة الله ، سبحانه ، التي امتنَّ بها عليهم من الجوارح ورضاه وطاعته ، فأنجحوا وأفلحوا ، غير مجبورين ولا مكرهين ، ومثل ما قد ذكرنا فيما احتججنا به عليك ، في أنه لا حجة على الله ، سبحانه [1] ، فيما وهب لهم من الأسماع والأبصار والجوارح ، بل له به المنّةُ عليهم والحجة .

فمثل ذلك نسألك فنقول لك : أخبرنا عن رجل دفع إليه رسول الله، صلوات الله عليه ، سيفاً جيداً نفيساً صارماً ، وقال له : خذ هذا السيف ، ثم اذهب فقاتل به، بين يدي من خالفني من المشركين ، وجاهد به في سبيل الله مع المجاهدين ، واحذر أن

(١) في الأصل : سبحنه .

٨٥ظ / تحــارب به المؤمنين ، ولا تقتل به / المسلمين ، فاعـاقبك العقوبة الموجعة ، فاخذ ذلك الرجلُ السيف ، ومضى[1] به حتى صار به إلي مكة، واستامن إلى أبى جهل ابن هشـام ، لعنة الله عليه ، وخرج معه حتى سارَ يوم بدرٍ فى حرب رسول الله ، صلى الله عليه ، فلقى النبى ، صلى الله عليه ، ومن معه من المؤمنين، فوضع ذلك السيف فى رؤسهم وأبدانهم ضرباً ، لا نالوا قتلاً ولا قتــالاً .

فقال له المؤمنون : ويحك يافلان لا تفعل، اهكذا[2] أمرك رسـول الله ، صلى الله عليه ، حين أعطاك السيف ، واشترط عليك ان لا تقاتل به المؤمنين ! .

فابى[3] ان يكف عنهم .

فنقـول لك : هل للمـؤمنين او لأحدٍ من جـميع المخلوقـين ، ان يقـول : إن السـيفَ إنمـا كـان بدءوهُ من النبى ، صلى الله عليــه ، ولـولاه مـا قــدر الرجل على قــتـل المسلمين؟! . . والنبى هـو الذى كان منـه إعـطاء السـيف للرجـل ، وبـذلك السـيف كان قتل المؤمنين!

واحتج أيضا فقال : لولا أن النبى ، صلى الله عليه ، اعطانى السيف، ماقتلت أصحابه!

فنقــول لك : هل يلزم النبى ، صلى الله عليــه ، عند الله، جل ثناؤه ، وعند المسلمين، وفى أحكام الدين ما قال ذلك الكافر ، ومن قال بقوله ؟!!

فــإن قلــت : نعم ، يلزمـه مـا قـالـه الكافـر . لزمــك ان رسـول الله ، صلى الله عليــه، شـريك لذلك الكافر فى جـرمـه وإثمـهِ وذنبـه ، وسفك دمـاء المؤمنين ، كـمـا أعطــاه السـيف ليقـاتل به فى سـبيل الله ، فلم يفـعـل ، وقـاتـل بـه فـى سـبيل الشيطان!

وهذا من أعظم الكفـر والفرية على رسـول الله، صلى الله عليـه وعلى آله ، وهذا الخروج من أحكام الإسلام والعقول .

---

(١) فى الأصل : معنا

(٢) فى الأصل : اهكذى

(٣) فى الأصل : فابا.

مثـال آخـر :

وكذلك لو ان رجلاً اليوم استعدى [١] على رجل، فقال للحاكم : إن هذا الرجل أعطى [٢] فلاناً سيفاً وامره ان يقاتل به مع إمام هدى ، فلقى ابناً لى من المسلمين فقتله، اليس فى احكام الإسلام انه لاتباعه على ذلك الرجل المعطى السيف ، وإنما الذنب والجرم على القاتل وحده، لايجوز فى الإسلام غير ذلك .

فكيف يلزم الله ، عز وجل ، ظلم من ظلم، وكفر واستعان بنعم الله على معاصى الله، عز وجل،؟! .. لقد هلكت واهلكت ، رجع الكلام إلى حجتنا عليك .

وإن قلت : إن ذلك القول لا يلزم النبى ، صلى الله عليه ، بطلت دعواك ، وفسد اعتقادك، وبانت فضيحتك ، وكذلك على الله، عز وجل، وجعلك ذنوب العباد عليه، وان بمنّة الله عصوا وكفروا ، ولابُدَّ لك من احد هذين القولين ان تقول به ، وانت مفلوج الحجة .

٨٦و/ ثم نقول لك ايضاً : ما تقول فى رجل من المسلمين / الأخيار، دفع إلى رجل الف دينار ، وقال له : خذ هذه الدنانير فتصدَّقَ لى بها على الضعفاء والمساكين وابناء المهاجرين والأنصار الصالحين ، والمؤمنين ، واسق بها الماء فى السبيل وافعل بها كل بر ارضاه ولا اسخطه ، ولا يُلزمك لى عقوبة .

فأخذها ذلك الرجل، وقصد بها بيوت الخمارين، والنساء (الفواجر) والفواحش [٣] والعرافات ، فانفقها فى ذلك كله حتى نفذت ، هل كان ذلك الرجل المؤمن المعطى لها، لينفقها له فى سبيل الله تباعةٌ أو جريمة، أو لوم أو عذاب، أو مشاركة فى جرم أو عيب بحرف واحد؟!!

فإن قلت : نعم ، إن عليه العيب واللوم والتباعة ، كما أعطاه الف دينار ، لينفقها فى سبيل الله ، فانفقها هو فى سبيل الشيطان . اكذبك جميع من صلى [٤] القبلة ، واكذبتك احكام القرآن ، واحكام القضاة والفقهاء .

---

(١) فى الأصل : استعدا

(٢) فى الأصل . اعطا

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) فى الأصل : صلا

وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) ، وقوله ، عز وجل : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٢) .

وإن قلت : لا تباعة ولا لوم ، ولا عيب على الرجل المعطى الآخر ألفاً ؛ لينفقها فى سبيل الله ، فانفقها هو فى سبيل الشيطان ؛ لأن هذا هو الحق والعدل .

قلنا لك : فقد لزمك الرجوع عن قولك ، وبطلت دعواك وبرأت الرجلَ صاحب الألف الدينار ، من أمر لم تبرئ منه ربك ، واضفت إليه ما برات من عيبه ، وقبح ذكره الرجل !! وحسبك برجل هذا مبلغ علمه وعقله واعتقاده فى توحيد بارئه ، الذى خلقه ولم يك شيئاً ، وادعاء زعم أنه موحدٌ وهو عين الملحد ، والله ما قال بالجبر قط ، من عرف الله بالوحدانية .

قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٣) ، كيف يوحد الله من شبهه بالجائرين ، وكيف وحَّد الله ، عز وجل ، من شبههُ بالشيطان الرجيم ، وكيف يوحد الله ، عز وجل ، من زعم أنه يقضى قضاء المفسدين السفهاء الجاهلين ؟!! . .

وقال القائل يصف العدل بما لايخرج فى العقول والحكمة غيره ، وقد قال رسول الله ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، «إن من الشعر لحكمة» (٤) وقال :

المجبرون يجادلون بباطل ... وبغير ما يجدون فى الفرقان

الواصفون إلههم بتعنت ... لعباده ، كذبوا على المنَّان /

٨٦ط / كل مقالته : الإلهُ يُضلنى ... ويريدُ لى ما كان عنه نَهانى

---

(١) سورة النجم : الآيات ٣٨ - ٤١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٩١ .

(٤) اخرجه البخارى فى صحيحه حـ١٠ / ٥٥٣ ، كتاب الادب وباب ما يجوز من الشعر ... حديث رقم (٦١٤٥) ، وابو داود فى سننه حـ٤ / ٣٠٤ كتاب الادب ، باب ماجاء فى الشعر ، حديث رقم (٥٠١٠) ، وكذا احمد فى مسنده ، وانظر الجامع الصحيح ، ص ٩٨ .

*إن كــان ذا فــتــعــوذوا من ربكم ودعــوا تعــوُذكم من الشــيطانِ !.

إن كـــان ذاك كـــذا، إرادة ربـنـا فلمن أعــدَّ جــواحم النيــرانِ.

إن كــان ذلك فــالمعــاصى طاعــة والبــرُّ مــثل عــبــادة الأوثانِ.

إن المهــيــمن لا يضل عــبــاده حــتى يضلوا، يا ذو الطغــيــانِ.

ألزمــه لهم الضــلال بفــعلهم إضــــلاله لـهـم بـكـل أوانِ.

يجد اختيارهم الضلال على الهدى لا قــبـل بيِّنةٍ أتى ببـــيــانِ.

قــالوا: الذنوبُ مــشــيــئــةٌ من ربنا قلتُ: المشــيــئــة والرضــا سيَّانِ.

قالوا: الرضا غيرُ المشيئة، فاعبدوا والله يجـــزيهم على العـــدوانِ.

إن المشــيــئــة والإرادةَ والرضــا معنى، ومـا هي فـاعلمـوا بمعـاني.

والاســتطاعــة فــيكم مــخلوقــة خُلــقتْ مــعَ الأرواح والأبــدانِ.

لولا اســتطاعــتكم لطاعــة ربكم مـا قــالَ ربكُمُ: اطلبــوا رضــوانِ.

اللهُ ملَّكنـا يـوجبُ حـــجـــةً تحــريك كل يد وكل لســـانِ.

جــعلَ اســتطاعــتنا علينا حــجــةً والاســتطاعــةُ حــجــةُ الرحــمنِ.

ولذاك ليس على المصــاب بغــفلة في الـديـن مـن جُرم ولا الـولـدانِ.

والناسُ يحــذرُ منهم أفــعــالهم والاســتطاعــة جــبلة الإنســانِ.

زعــمــوا بأن الله كَلَّفَ عــبــدهَ أشــيـــاءَ ليس له بهن يدانِ.

إن آلم كلَّفَ عندنا لعــبــيــده مــا لا يطاقُ، لجــائرُ السلطانِ.

أيريد معــصــيــةً، ويفــرضُ طاعــةً، إن كــانَ ذاك فــأمــره أمــرانِ!

أراد أن يُعــصى [1] وعذب من عصـا تلك المقــالةُ أعظم البــهــتــانِ.

أراد ســيــرة من أطاع ومن عــصــا فــهــمــا إذاً في الأمــرِ مــتــســويانِ.

---

(١) في الأصل: يعصا

إن كـــان ربكم أراد ضـــلالكم فـالمجـرمـون إذاً ذوو إحــســان.
أيقـــولُ ربكم لقـــوم : آمنوا ويردُّ ألـسنتـــهم عن الإيمانِ.
مـا كـان ربكم ليـصـرف عـبـده عن وجـه طاعتـه إلى العصـيانِ.
ليس الحكيمُ بمن يقـول لعـبـده والعبـد يفـعل ما يشـاء : عـصـانِ.
والله لم يُردِ الفـــواحش، إنمـــا بالعـدِ بأمـرنا وبالاحـســـانِ.

***

الحواس ابتلاء من الله !!

واما آخر كلامك في هذه المسالة، فقد خلطت فيه وجئت بكلام محال، وزعمت ان الله جل ثناؤه، جعل الأسماع والأبصار غير رحمة من الله، وأنها، زعمت، خلقت ضرراً عليهم ليبتلى عليها و جعلها قوة فيهم، ثم ابتلاهم بما جعل فيهم من القوة فمن أطاع الله، فيمنُّ الله عليه بالقوة، والمن، زعمت، رحمة من الله، ومن عصى [٢] الله بالقوة التي فيه، كانت المنةُ التي عصاهُ بها شراً عليه وفتنة، ولم تقل هذه رحمة ؛ لان الرحمةَ والمنة ما نفعَ الناسُ. وهذا قولك، زعمت، قد دخلنا فيه، وهذا الكلام الذى قلته مخلطٌ لم تحسن شرحه.

وقد عرفنا ما قلت، زعمت، أنك تقول : إن الاسماعَ والأبصار والألسنة والأيدى والارجل إنما جعلها الله قوة في بني آدم. هكذا قلت فى كتابك، وليس هى عندك رحمة ولا منةٌ؛ لان الرحمة والمنة، زعمت، ما نفع الناس.

وهذا ما تقولون به، زعمت، قد دخلنا فيه، وحاشا لله، ما ندخل فى هذا ؛ لأنه لو قال: هذا صبيٌّ مخرجٌ من بلاد الحبش، لعظم التعجبُ منه لجهله.

فكيف رجلٌ يزعمُ انه متكلٌ بمناظر الرجال، ويقاوم، زعم، أهل العدل والتوحيد.

هيهات، غرق الجاهل فى الطين، الا ترى أيها الجاهل أنك، زعمت، أن

الأسماع والأبصار التى وهب الله لعباده ، وجميع الجوارح لايجب ، على قولك ، أنها تسمى [1] رحمة ولا منَّة من الله على خلقهِ ، وإنما يجبُ ، زعمت ، أن تسمى [2] قوة ابتلاهم لا رحمة ولا منة ؛ لأن الرحمةَ ، زعمت ، والمنة ما ينفعُ الناس .

فأوجبت أيها الجاهل أن الأسماع والأبصار والأيدى والأرجل والألسنة ، وجميع الجوارح، غير نافعة لأهلها ، وأنها ضررٌ عليهم .

بل هى منة:

كيف والله ، جل ثناؤه ، يقول ويمتن عليهم بأعظم المنة : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3] ، فهل سمعت فى لغة العرب أحداً يلوم أحداً على التقصير فى الشكر على غير منة؟

وهل يكون الشكر إلا لمن أعظم المنة، مع ما لا نحصيه فى غير موضع من القرآن يذكر الله، عز وجل، فيه مننه على خلقه، بآلة الأسماع والأبصار ، وجميع الجوارح التى لا يؤدون فيها شكره أبداً .

وأنت فقد خرجتَ من المعقول ، مع خروجك من حكم الكتاب ، فلا يبعد الله إلا من ظلم!

وزعمت أن الأبصار والأسماع ليست رحمة ولا منَّةٌ من الله على خلقه ، فأوجبتَ على زعمك، أنه لا يجبُ أن يشكرَ اللهُ على ما رزق من الحواس والجوارح؛ لأنه لا منَّةٌ له فى ذلك!!

ولزمك أن الله ، عز وجل عما قلت ، خلق فى صورة بنى آدم بنية لا شكر له عليها، ولا حمد له ؛ وأنها غير منة ولا رحمة ، وأنه ذكر لهم فى كتابه نعمة أنعم بها عليهم، غير صادق فيها ، وأنها ليست بمنة ولا رحمة .

---

(١) فى الأصل : تسما .

(٢) فى الأصل : تسما

(٣) سورة النحل : الآية ٧٨

زعمت ، وهي قوله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1]، فعاب عليهم قلة الشكر ، وذلك يوجب أن الذى منة من أعظم المنن .

وقال ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾[2]، أفلا تسمع إلى قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ يريد : فما الذى منعه من اقتحام العقبة بعد المنة ، والنعمة والعينين واللسان والشفتين والهداية إلى النجدين ، والنجدان فهما الطريقان إلى الخير والشر، فالهدايةُ هى التعريف
٨٧ ظ / بالطريقين والدعاء إلى الخير ، والنهى عن الشر / فأى نعمة أورحمة أو منة أعظم أو أجسم أو أجل أو أكبر فى هذه الدنيا من السمع والبصر واليدين والرجلين ، وجميع الجوارح التى امتن الله ، عز وجل، بها على خلقه ، وأوجب عليهم شكره فيها ، ثم – زعمت – أنت أنها ليست برحمة ولا مِنةٍ ، وكفى [3] بهذا جهلاً وعمى [4] !!

وزعمت أنها قوة ، وليس هى رحمة ولا منة، فنقول لك : أخبرنا عمن وهب الله القوة، هل الله، عز وجل، عليه شكر وحمد فيما تفضل عليه به من تلك القوة، وجعل فيه ؟!.

فإن قلت : لا . كفرت وأكذبكَ القرآن، وجميع الأمة .

وإن قلتَ: نعم ، يجبُ أن يحمدَ ويشكر عليها . قلنا لك: فأخبرنا عن تلك القوة، هل هى رحمة من الله ، عز وجل ، ومنة على خلقهِ أم سخطة ونقمةٌ ؟

فإن قلتَ : هى سخطة ونقمةٌ . قلنا لك : كيف تكون هبة ، الله ، عز وجل ، للقوة سخطةٌ ونقمةٌ ، وقد قررت أنه يجب أن يشكرَ ويحمد عليها ؟!

وهل تسمى [5] القوة التى جعل الله فى خلقه ، عز وجل ، قوة ، ولا يجوز أن

---

(١) الهامش السابق .
(٢) سورة البلد : الآيات ٨ – ١١ .
(٣) فى الأصل : وكفا .
(٤) فى الأصل : وعما.
(٥) فى الأصل : « تسماه » . وكذا التى بعدها .

تسمى رحمة ، وكل بنية ابن آدم ، يجب عليه فيها الشكرُ للذى ابتدعه وفطره، وأخرجه من العدم إلى الوجود وكل شئ من جسده ، فهو قوة جائز أن تُسمى رحمة ومنة وقوة ونعمة وإحساناً ، لا يجوز غير ذلك .

أمر الله بصون الجوارح :

وقد أمرَ بصون تلك الجوارح كلها عن معاصى الله ، عز وجل ، فافترض على العين الغض عن المحارم ، فقال ، سبحانه ،: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾[1]، وافترض على اللسان أن لا يقول إلا الحق ، فقال ، سبحانه،: ﴿ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾[2]، وافترض على اليدين الجهاد فى سبيل الله ، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾[3]، وافترض على الرجلين الجهاد أيضاً[4] والحج والصلاة، فقال : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾[5] ، وافترض على الرجلين المشى إلى جميع الطاعات من المساجد ، والجُمَع ، فقال ، سبحانه،: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[6]، وافترض على الفرج الحصانة والصيانة، فقال : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾[7]، ثم خيرهم تخييراً ووعدهم الجنة وأوعدهم النار ، وليس لأجل خلقه للجوارح وقع بهم العذاب؛ لأنه قال: غُضوا ، ولم يقل، لمَ خلقت أعيانكم!

وقال: قولوا ، ولم يقل: لم خلقت السنتكم ، وقال : جاهدوا ، ولم يسألهم عن أيديهم لمَ خلقها ، وقال: اسعوا بأرجلكم فى طاعتى ، ولم يقلْ : لم خلقت لكم ٨٨و/ أرجلاً ، وقال: ولا تقربوا الزنا، ولم يقل لهم لم خلقت/ فروجكم ، وقال : ولا تسمعوا الباطل ولا الجور ولا الخنا ولم يقل : لم خلقت آذانكم وإنما سألهم عن

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٠

(٤) فى الأصل : أيضىً.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٣٨

(٦) سورة الجمعة : الآية ٩

(٧) سورة الإسراء : الآية ٣٢

فعلهم هو ، وذلك قوله : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، وفى أقل مما ذكرنا كفاية وشفاء ، لمن أراد الحق، ولم يصغَ[2] إلى الباطل ، ولم يلزم الله، عز وجل، ظلم الظالمين ، ولا كفر الكافرين ، فانظر أى القولين هو القول العظيم، الذى يؤفك عنه من أفك ، عز عن ذلك رب العالمين .

***

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) فى الأصل : يصغى .

المسألة الثالثة عشرة

الـــرزق

ثم قـال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم قال سلهم هل عاش أحد بغير رزق الله ، عز وجل؟ . . فإن قالوا : نعم. فقد أعطـوك أن العباد يكسبون بغير رزق الله، وأن مـع الله، عز وجل، رازقاً ، وهذا ما لا تقبله [1] عقول أهل الألباب من الناس ، وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً ! . .

وإن قطعوا بهذا ، وقالوا : ليس مع الله رازق ، ولا يعيش أحد إلا برزق الله، فسلهم عند ذلك عـمن لم يُغَذَّ إلا بالحـرام ، ولم ينشأ إلا فيـه [2] ، أليس إنما عـاش برزق الله؟! . .

يـرزق الله الحرام !

فإن قالوا : نعم، عاش برزق الله . .

فقل : أفليس قد يرزق الله الحرام ، ثم يعذب العباد على ذلك الحرام ؟! .

فإن قالوا: نعم. . فقد أعطوك بأن الله يرزق الحرام والحلال، فإن سألوك عن شئ من هذا ،أو ردوا عليك المسألة، فسألوك: أليس قـد يرزق الله الحرام ؟ فقل : إنما موضع الرزق عندنا العيش ، فكل ما [3] هو عيش ، فهو رزق ، وهو بلغة ، فما كان يعاش به فهو رزق، اسمه عيش، ورزق، وبلغة [4] .

فـمنه ما جعله الله ، جل ثناؤه ، حـلالاً لى حراماً عليـك ، وذلك مثـل مالـى وأهلـى [5] ، وهو حرام عليك ، ومنه ما هوحلال لى ولك ، وذلك كسبةُ الحلال نكسبُ الرزق والعيش من حِلّه ، أنا وأنت ، فهو لنا حلال .

ومنه ما هو حرام علىَّ وعليك، وذلك مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ، إلا أن نضطر

---

(١) فى الأصل : تقبل .

(٢) بالهامش : هذا ما صار عليه وهو عظيم الـزام .

(٣) فى الأصل : كما .

(٤) بالهامش : بلغة .

(٥) فى الأصل : مال ، وأهل

إليها ، فالارزاق كلها على هذا الوجه، كلها رزق الله، وكلها بلغة، وعيش يعاش به ، فمن أصابه وأخذه على وجهه ، فهو ماجور ، ومن اخذه من غير وجهه فهو مأزور ، فالرزق عندنا، على هذا الذى ذكرنا، فإنهم ليس يستطيعوا حينئذ أن يدخلوا عليك شيئاً .

رد أحمد : هذا افتراء :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، لا إله إلا الله ، أيها المفترى على الله ، ما أجهلك وما أجهل قوماً قبلوا عنك هذا العمى [1] ، والخروج من محكم القرآن ، والخروج من المعقول .

٨٨ط/ ثم قلت لهم – آخر قولك: فإنهم لن يستطيعوا [2] أن يدخلوا عليك شيئا!

تعنى أهل العدل ، فغششتهم وأهلكتهم فى أديانهم ، وزعمت أن الرزق حراماً وحلالاً ، وأن الله ، عز وجل عما قلت ، هو الذى رزقهم ذلك كله .

ثم قلت : فمن أخذه من وجهه، فهو ماجور ، ومن أخذه من غير وجهه، فهو مازور!

وأنا أظن أنك لما قدمت من بغداد ، وطال عليك السفر أصابتك خفة فى دماغك ، فأنت تستعمل الهذيان فى كتابك هذا ، وفى عقلك وفى دينك ، فلا أدرى لعجب منك أم من الذين كانوا حولك ؟!!.

الرزق هو الحلال الطيب [3]:

فاسمع ما يرد عليك من حجة الحق والعدل ، بحول الله وقوته ، فأول ما نسألك عنه أنا نقول لك : أخبرنا هل قرأت القرآن قط ؟!.. فإن قلت : لا . قلنا لك : لذلك لم تعقل عن الله ، عز وجل ، عدله فى كتابه .

---

(١) فى الأصل : العما .

(٢) فى الأصل : يستطيعون .

(٣) انظر الهادى إلى الحق: كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية جـ٢ / ١٦٠ حتى ١٦٥ .

وإن قلت : بلى ، قد قرأت القرآن . قلنا لك : فأين ما قد قرأت من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١) .

فإن قلت : فإنك قد قرأتها في المصحف، ورأيتها بعينك فيه .. قلنا لك : فلمَ أنزلها الله إلينا ، أراد أن يسمرنا بها، أم أن ذكرها لغير علة، أم نظر فينا بأنه ليس لها معنى (٢) علة من أجله نزلت ؟! فإن قلت : إنه أراد أن يسمّرنا ، ويخبر بأن ليس لها معنى . . . كفرت ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : إن الله أنزلها موعظة وتذكرة وتحذيراً من النار، وتاديباً وإيجاباً عليهم ، أنهم هم الذين جعلوا من الأرزاق حراماً وحلالاً بظلمهم واختيارهم . فذلك هو الحق وهو قولنا .

ثم نقول لك : أخبرنا أليس في نص هذه الآية من الشفاء والكفاية عن التطويل ، ما يوجبُ عليك أن العباد هم الذين جعلوا ما أنزل الله لهم من الرزق حراماً وحلالاً؟! .. وأن الله ، عز وجل ، لم يجعل ذلك الذى جعلوا ، بل جعل هو ، عز وجل ، الأرزاق فيما أخرج من المعادن والبحار ، وما أنبت الأرض ، ومن غنم الفئ، يجعله حلالاً بقسمته التى قسمها للمؤمنين ، وحكمه الذى حكم به للمطيعين ، فمن كان في يده شئ من هذه الأشياء التى ذكرنا فهو رزق من الله ، عز وجل ، وقسمة لافساد في حلالها ، ولا إثم في كسبها ، فمن وجدنا معه شيئاً من هذه الوجوه ، إما ٨٩و/ من معدن أخذه من حلّة . / أومن أرض ورثها ، أو أحياها من حلها ، أو من بحر سافر فيه، أو من غُنم في حرب في سبيل الله مع المحقين ، أو ميراث ورثه من ذوى أرحامه ، أو دية وجبت له ، أو جراح لزم له عقلها .

قلنا له : هذا هو المال الحلال الطيب بارك الله لك فيه ، فأخرج زكاته إلى من أوجب الله طاعته ، فأنت صاحب المال الحلال الطيب المقسوم من الله ، عز وجل ، وهو الرزق من الله الذى لا شبهة فيه .

---

(١) سورة يونس : الآية ٥٩ .

(٢) في الأصل : معنا .

ومن وجدنا معه شيئاً مما رزق الله عباده فسماه رزقاً ، واخرجه لهم من الأرضين وأنزله من سماواته إلى ارضه ، وما اخرج من المعادن والبحار .

قلنا له : من اين لك هذا المال ، وكيف وقع فى يدك ، وعلى اى حال كسبته ؟!

فإن قال : إنه لقى قوماً مسلمين فى طريق قطع عليهم ، واخذ اموالهم وغنم رحالهم ، او نقب دار قوم، فاخذ ما فيها من حرزه ، او غصب احداً من عباد الله ، او غنى [1] فى مجالس اهل الخمور فاعطوه جائزة ، او لعب فاخذ اجرة لعبة او قامر فاخذ قماره ، او خاطر على ما قال ، فاخذ خطره او رابى [2] فى ديونه، فجمع ذلك الربا ، او عمل الخمر وباعه ، او أكرى القدور من الخمارين واخذ اجرتها ، او اخذ الأرزاق من السلاطين الجائرين والخوارج على الإسلام ، او بخس فى الموازين والمكاييل، او غشّ فى الصناعات ، او خان الامانات .

ثم قال إن الله ، جل ثناؤه، : هو الذى رزقه ذلك المال واعطاه اياه . قلنا له : هلم إلينا البينة على دعواك ، فإن لم يات ببينة ولا برهان ، من كتاب الله ، عز وجل ، ولا من سنة رسول ، وجب عليه انه عند الله ، جل ثناؤه ، وعند المسلمين من المفترين للباطل والمدعين للزور والبهتان العظيم ، وان الله ، عز وجل ، لم يرزقه هذا الرزق، الذى ادعى [3] ، بل حرمه عليه فى كتابه ، غاية التحريم ، ونهى [4] عنه اشد النهى ، وهلك فى قوله واستوجب العذاب الأليم ؛ لان الله ، عز وجل ، لم يرزقه الحرام ، وقد نهاه عنه وحذره منه، حيث قال فى كتابه : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون (١٨٨) ﴾ [5] .

فاى بيان أوضح من هذا البيان ، واى شاهد لنا علكيم اعدل من كتاب الله ، عز وجل ، وإما تعدى هذا المعتدى ، فاخذ ما ليس له برزق ، ولو كان الله ، عز وجل، ٨٩ط/ الذى رزقه إياه لم يامر به - فى كرمه وعدله - ان تقطعَ يده ، وفى موضع /

(١) فى الأصل : غنا

(٢) فى الأصل : رابا

(٣) فى الأصل : ادعا .

(٤) فى الأصل : نها .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٨

آخر إذا قطع الطريق، واخذ الأموال ان تقطع يده ورجله ، افهذه صفة الكريم العادل، الذى يرزق رزقاً ، ثم ينغص ذلك الرزق ولا يهنيه صاحبه ، ثم يقطع يد الذى رزقه ذلك الرزق ؟!!.

ولا يكون كرمه إلا دون كرم المخلوقين ؛ لانه لا يجوز فى العقول ، ولا فى همم العرب ذوى الاخطار ، ان يجودوا ، ويكرموا على احد ، ثم يامروا بقطع يده ورجله ، جزاء بما وهبوا له وقسموا وأعطوا!!

فالله، عز وجل، احقُ بالجود الهنىُّ ، والعطاء السنى ، الذى لايتبعه تنغيض ولا تكدير ؛ لانه اكرم الاكرمين ، وانه ، عز وجل، الذى يقول إيجاباً على نفسه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1]، فهذا اكبر شاهد على انه ، عز وجل، لا يرزق رزقاً ثم يقطع يد من رزقه إياه ، هو اكرم من ذلك واعدل.

وهذه شواهد القرآن قاهرة لحجتك ، وشاهدة لنا عليك ، واما قولك يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ان قولنا فى الأرزاق ما لا تقبله عقول اهل الألباب !

وقلت : وكفاك ان توقف رجلاً ان مع الله رازقاً غيره !

فليس يقول ذلك أهل العدل والتوحيد ، هم اجل خطراً واعرف بعظمة الله ، عز وجل ، ووحدانيته من ان يقولوا : إن مع الله ، جل ثناؤه ، رازقاً غيره ، غير انك تشنع وتفترى الزور .

الله لا يرزق الحرام :

وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، لا يرزق الحرام ، وان اخذ الحرام تعدى من آخذه ، وقد نهى[2] الله ، عز وجل ، منه. الا ترى ، ويحك ، كيف قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾[3]، فاوجب ، عز جل، ان ذلك الذى أدلوا به إلى الحكام ، واكلوه من اموال الناس، انه ليس من رزقه ، ولا من عطيته .

---

(١) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٢) فى الأصل : نها .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

اولا ترى كيف قسم الله ، عز وجل ، الارزاق فى الموريث، وجعلها للاقرب فالاقرب من صلبة الرجل ، وحامته وأوليائه وقرابته فى النسب، وفرض ذلك فى الكتاب، ولم يجعله لغيرهم، فإذا غصبهم غاصب، واخذه منهم آخذ، أوظلمهم فيه ظالم، اليس قد تعلم انه قد اخذ ما فرضه الله ، عز وجل، لهم لا له ، وحرمه عليه ، وانه رزق من الله ، جل ثناؤه ، لغير ذلك الغاصب الظالم .

٩٠و/ فإن انكرت هذا / هنا ، فقد خرجتَ من حدِّ من يكلم ، وفارقت اهل الإسلام ، وخرجت من المعقول ، ومن حكم الكتاب وفرائضه ، وفى هذه وحدها الكفاية ، فإن انت لم ترد علينا جواباً ، ورأيت انك قد أصبت فى حجتك هذه فى الرزق، وجب عليك أنك تطالب يوم القيامة ، بجرمين عظيمين موجبين للنار جميعاً.

١- أحدهما : إجازتك للغاصب أخذهُ لأموال اليتامى [1] والمساكين والمؤمنين ، وزعمك أنه إنما غصب ذلك، وهو له رزق من الله ، عز وجل، كما قلت / .

٢- والخطأ الآخر : ما تقلدت من الكذب العظيم على الله ، ووضعته لإخوانك ، سُنَّةً فيهم، يقتدون بها إلى يوم القيامة ، من أن الله ، عز وجل عما قلتم، هو الذى رزق الغاصب اموال المسلمين ، وهو ، عز وجل ، يقول فى كتابه : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[2]، وقوله، عز وجل، : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾[3].

ونقول لك؛ ما تقول فيمن غصب هؤلاء [4] الثمانية، المسميات [5] فى الكتاب ،

---

(١) فى الاصل : اليتاما .

(٢) سورة النساء : الآية ١١

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٠

(٤) فى الاصل هاولا

(٥) فى الاصل المسمانى

أسهمهم[1] المفروضة من الله ، عز وجل، (فاخذها لنفسه وولده وشرب بها الخمر ، واكلها دونهم ، الست تشهد ان الله ، سبحانه)[2] قد فرضها لهم، وتفضل عليهم بها ، ورزقهم إياها ، وأوجبها لهم ، دون غيرهم؟!..

فإن قلت : لا . كفرت بالقرآن ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : نعم. هى لهم فريضة من الله ، عز وجل، مفروضة دون غيرهم .

قلنا لك: فما تقول فيمن اخذها منهم، واكلها دونهم ظلماً وعدواناً ، اذلك له رزق من الله، عز وجل؟!

فإن قلت نعم . هو له رزق . قلنا لك : فما فعل الرزق الاول الذى فرضه الله ، عز وجل، واقررت به ، زعمت ، لأهل السهام ا لثمانية، أندم عليه ام خبرهم بامر خدعهم فيه، ثم رزقه غيرهم، بعدما أعلمهم أنه قد رزقهم إياه، وفرضه لهم فى كتابه، وعلى لسان نبيه، صلى الله عليه؟!!

فصار ما ذكر لهم محالاً من القول لا حقيقة له ، على زعمك ؛ لانه ، زعمت ، حوّله عنهم، ورزقه غيرهم!!.

فإن دمت على ذلك فى صفة الله ، عز وجل ، كفرت ، وخرجت من الإسلام.

وإن قلت : إن الغاصب اخذ ما ليس له برزق . رجعت عن قولك، وتركت أصلك، وقهرناك وبان كذبك على الله، عز وجل ، فى الارزاق ، وقولك علينا انا نقول ان مع ٩٠ط/ الله ، عز وجل ، رازقاً غيره . تشنع بذلك[3] / على أهل العدل ، وإنما قولنا ، والذى إليه قصدنا ، ان الله ، عز وجل ، قد قسَمَ الأرزاق فى كتابه فمن قسمها له ، ثم ظلمهم فيها الظالمون ، واخذها من أيديهم الغاصبون فاكلوها دونهم بلا حق ، وهى رزق غيرهم ، فاكلوا ما لم يرزقهم الله ، عز وجل .

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل، : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا

---

(١) فى الأصل : سهماتهم .

(٢) تكملة من الهامش .

(٣) كررت فى بداية الصفحة (٩٠ط)

وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ [1]، افلا ترى [2] كيف نسب، عز وجل، إليهم أنهم هم الذين جعلوا فيه الحرام والحلال، على ما أرادوا واضاف ذلك إليهم، وانه لم يأذن لهم به، ولم يرزقهم إياه، وانهم قد افتروا عليه الكذب!

فسبحان الله العدل، الذى لا يجور، ولا يرزق الحرام، ولا يعين على الآثام، ولا الخروج من الإسلام.

وزعمت أنت، وإخوانك المجبرة، أن هذه الأرزاق التى رزقها هؤلاء [3] المسلمين فى كتابه، أنه قد بدا له فيها، عز عن البدوات، وندم عليها فجعلها رزقاً لقطّاع الطريق، ونُقاب الدور والحوانيت، وَشُرّاب الخمور، ومن يبيع الخمر، وكذلك هى أرزاق للفواجر، لأنها كراء فروجهن، وتركت قوله: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾! فأى باطل ابطل مما ذكرنا.

شرع من كان قبلنا وذكر فى القرآن هو شرع لنا:

وكذلك يلزمك أنه جعل هذه الأموال، للجورة العاصين من السلاطين، ثم نقول لك: ألم تعلم ويصح عندك، ان الله، عز وجل، استخلف فى أرضه الأنبياء، وبعدهم ائمة الهدى، عليهم السلام، ليحكموا بين الناس بالعدل والحق، وقال لداود، صلى الله عليه، وكل ما قال لداود، صلى الله عليه، فهو لازم لجميع من ولى الحكم بين المسلمين فى الأرض إلى يوم القيامة، وكذلك كان الحكم من لدن آدم، صلى الله عليه، فقال: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [4].

فنقول لك: أليس قد افترض الله، عز وجل، على الأنبياء والائمة الراشدين، ان تحكموا بين الناس بالحق، وأن من وجدوا معه مالاً، قد ظلم فيه أحداً من عباد الله، أو استفاده من غير حلّه، ولم يقسمه الله، عز وجل، له فى الكتاب، ان ياخذ الحكامُ

(١) سورة يونس: الآية ٥٩

(٢) فى الأصل: ترا.

(٣) فى الأصل: هاولا.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦

ذلك المال منه، ويقهروه على رده بالسيف وغير السيف ، حتى يردَّهَ إلى أهله الذين قسمه الله لهم ؟!..

فنقول لك يا عبد الله بن يزيد البغدادى، ولإخوانك المجبرة : أخبرونها الآن هل يجوز ٩١ و / فى هذا الموضع للأنبياء، والأئمة والحكام بين المسلمين، أن يأخذوا / من الناس ما رزقهم الله على قولك من الحرام ، ويردوه إلى قوم آخرين قد رزقهم الله ، عز وجل، إياه أيضاً فى الكتاب، وحكم لهم به .

واعلم أن الأنبياء والأئمة ، عليهم السلام ، والقضاة من بعدهم ، لو علموا أن ردَّ تلك الأموال ، وأخذها ممن هى فى يده ، ودفعها إلى قوم آخرين إرضاء لله ، وصح عندهم ورأوا أن ذلك رزق من الله ، عز وجل ، وعطية أعطاها الخونة والظلمة، والجورة وقطاع الطريق، والنباشين للقبور، وجميع المعتدين ، لما استحلُّوا فى دين الله ، جل ثناؤه، ردَّها [1] ولاقهر من هى فى يده عليها، حتى يردها إلى قوم ليست لهم بأرزاق ، سبحان الله العلى العظيم ، ما أجهلكم وأبعدكم من الدين ، وأعظم فريتكم على الله، عز وجل ، وعلى رسله وكتبه !!.

ثم يأمر الله ، عز وجل، زعمتم وعلى قولكم ، بعد ذلك أن تقطعَ أيديهم مرة ، وأيديهم وأرجلهم مرة أخرى ، وأنهم من وجدوا ذلك معه، بلغوا به غاية النكال والهوان، ولاموه أشد اللوم، وعابوا عليه أشد العيب، وسموه سارقاً وخارباً وقاطعاً ومشلحاً ولصاً ، وغير ذلك من الألقاب القبيحة التى أزالوا بها شهادته ، وأسقطوا بها دينه .

ولو كان ما قلتم من الحرام رزقاً من الله ، عز وجل ، للسُّراق وقطاع الطرق، والعاصين لهناهم رزقه ، ولم يكدِّره، ولم ينغِّصه بأعظم خصلتين، وأحسر حسرتين .

١- أما واحدة : فنزعة (لذلك)[2] المال، ممن قد أعطاه اياه، وجعله له رزقاً ، زعمتم.

٢- وأما الآخر: فتقطع يده، وأيضاً رجله، إن كان ممن قطع الطرق وأخذ المال، سبحان الله العظيم !..

---

(١) فى الأصل : دودها .

(٢) تكملة من الهامش .

أهذه صفة الواحد العادل الرحيم ، الحسن الفعل ، الذى ليس كمثله شئ ، عز وجل عما قلتم علواً كبيراً .

ولولا خوف التطويل، لأغرقنا فى الاحتجاج فى هذا الموضع ، بأمر يطول شرحه ، وفيما قلنا كفاية، لمن عقل وأنصف ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولك : إن الرزق عندك العيش ، فقد جاءك من الحجج ، ما يأتى على جميع قولك ، والله أعلى وأجل.

***

المسألة الرابعة عشرة
فى أطفال المسلمين والمشركين

مذهب المجبرة :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : فإن سالوك عن اطفال المسلمين ، ماهم عندك؟

فقل: هم عندنا فى الحكم بمنزلة آبائهم ؛ لأن المسلمين كانوا يصلون عليهم ، ويرجون إلحاقاً بآبائهم ، فإن قالوا: اخبرونا عن اطفال المشركين ، فقل : نقف عنهم ، ونسير فيهم سيرة رسول الله ، صلى الله عليه ، نسبى أولاد المشركين ، وتغنم ٩١ط/ اموالهم، إذا لم يدخلوا فى الإسلام ، ونكف عن اطفالهم فلا نتبرأ منهم. / ولا نتولاهم فإنهم لم يبلغوا الحلم ، فيكفروا، فنتبرأ منهم ، ولم يعملوا بإيمان ، فنتولاهم عليه (فذلك ما نقول فى اطفالهم.

وأما أطفال المحدثين ، من أهل القبلة الذين عملوا بما أسخط الله)[1]، فإنا نقف عن اطفالهم ولا نتبرأ ولانتولاهم؛ لانهم لم يبلغوا العمل فيعملوا بطاعة ولامعصية ، ولا شئ عليهم، ولا نغنم اموالهم ، ولا اموال ابائهم ، وإنما يقاتل المحدث من أهل القبلة، حتى يفئ إلى الله ، فلا شئ عليه ، ولا غنيمة لإقراره بالله وبرسله، وبجملة القرآن .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى فى هذا الباب ايضاً : ثم سلهم أنت عن اطفال المسلمين ايضاً ، فقل : ما منزلتهم عندكم ؟ فإن قالوا ، كما قلت ، دخلوا فى قولك، وإن قالوا : إنهم أولياء لله مؤمنين عندنا ، فقل هل احلَّ الله سبى المؤمنين والمؤمنات والاحرار ؟!.. فإن قالوا: نعم. أعطوك ما تريد منهم، وما لا تريد أن توقفهم على ما هو أعظم منه .

وإن قالوا : لم يُحل الله سبيهم .

فقل : اخبرونى عن أطفال المشركين، الذين لم يبلغوا الحلم ، اليسوا مؤمنين ، زعمتم ، فلمَ تستحلون سبيهم؟.. فإن قالوا: هو خير لهم ، نُعلمهم الإسلام .

---

(١) تكملة من الهامش .

فقل : إنا ندلكم على ما هو خير لهم من ذلك، إذا أنتم سبيتموهم فعلموهم الإسلام والكتاب، كما تعلمون أبناءكم ، وقولوا لهم : أنتم أحرارٌ مثلنا ، ولا تفرضوا عليهم الغلة وتقيدوهم وتعلقوا في أعناقهم الزنارات؛ وتنكحوا الجارية منهم بغير مهرٍ، ولا إذن وليٍ ، وتزعمون أنها مما ملكت أيمانكم ، وأنتم تعطون في صدر كلامكم أنهم مؤمنون ، فمن أين أحلَّ الله هذا من المؤمنين .

الجواب ، قال أحمد بن يحيى، رضى الله عنه : وسألت عن الأطفال وشأنهم جميعاً أطفال المشركين، وأطفال (المسلمين)[1] ، وطوَّلت في ذلك وشرحت ، فاسمع الجواب وانصف عقلك .

فأول ما أخطأت فيه أن قولك ، زعمت ، في أولاد المسلمين، أنهم عندك في منزلة آبائهم ؛ فجهلت الحكم والعدل ، ولم تميز بين ثواب العاملين، ومن لم يعمل ؛ فجرت عن القصد، وخالفت القول بالرشد ، إذْ جعلت حكم من لم يطع الله، عز وجل؛ ساعة واحدة، ولم يجاهد في سبيله، ولم تُصبْه الباساء والضراء، والحصر والأزْك، (والجوع)[2] والخوف والبلاء [3] ، وجميع المكاره، مثل من نزل ذلك كُله به، فُسفك دمه، وسفك دماء المشركين ، وناله (من ذلك) [4] بإنكاء [5] العقوبات ، فجعلته في المنزلة ، زعمت ، كمنزلة أبنائهم ؟! .. فوجب عليك، في قولك ٩٢و / أن / منزلة أطفال النبي، صلى الله عليه وعليهم، في منزلته، ودرجته عند الله، عز وجل ، وكذلك جميع أطفال المسلمين ، لهم من المنزلة والثواب، مثل ما لآبائهم .

ونسيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾[6] ، وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[7]، وهذا خطأ من قولك ، وقلة علم بحكم ربك ؛ لأنك لا تعرف العدل ، ولا تميز معانيه ، ولا قول الله ، عز وجل ، ﴿ هُم

---

(١) تكملة من الهامش .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) في الأصل : البلا .

(٤) كلمة غير مقروءة بالأصل .

(٥) في الأصل : بانكا .

(٦) سورة الكهف : الآية ٣٠

(٧) سورة يونس : الآية ٢٦

درجـــاتٌ عِندَ اللَّهِ ﴾[١] وقـــال : ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيـــلاً (٢١) ﴾[٢] .

ونحن نقول : إن أطفال المسلمين كلهم في الجنة برحمة ربهم، لا بعمل عملوه، ولا أجر استحقوه ، وذلك أنهم كما لم يكسبوا الذنوب ، ولم يجرموا الجرائم ، ولم يأتوا بالقباح، ولم ينكروا الواحد ، لم تجب عليهم حجة تلزمهم بها عقوبة . وكان من حكم الله ، سبحانه ، أنه لا يظلم ولا يُعذب على غير ذنب، كان من جوده وكرمه وسعة ماعنده من الفضل والكرم ، أن تفضل على الأطفال جميعاً ، من ولد آدم، بدخول الجنة ، رحمة منه وتفضلاً ، إذ لا ذنب عليهم ، فلم يجز فى الحكمة والكرم إلا الامتنان بالرحمة؛ إذ لا ذنب تقع عليه عقوبة .

وتوقف المجبرة فى أطفال المشركين :

وأما قولك فى أطفال المشركين، أنك تقف عنهم ، زعمت ، وتسير فيهم ، زعمت، بسيرة رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، فتسبى أولادهم ، زعمت، وتغنم أموالهم، فقد أخطأت فى الشرح، وهلكت فى الاعتقاد ، وغلطت فى القول، وخالفت الحق ، إذ لست ممن جعل الله ، عز وجل ، إليه أحكام الإسلام ، ولا اختصه بالإمامة ، ولا اصطفاه بالولاية ، ولا بوراثة مقام الرسول ، صلى الله عليه ، ولست ممن يجب له الحل والعقد فى الأحكام ، ولايجوز له سبى المشركين، ولاغنيمة أموالهم .

وإنما ذلك إلى الذين اصطفاهم الله ، جل ثناؤه ، واختارهم على الأمة ، وأورثهم حكم الكتاب والسنة ، وافترض إمامتهم على الخليقة ، حيث يقول ، عز وجل .، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٣]، فلست من أولى الأمر ، ولا لك حجة، يجب بها لك سبى المشركين ، ولا غنيمة أموالهم ، دون من جعل الله إليه الأحكام ، وقلده أمورالإسلام .

فأما أنت يامسكين، فإنما أنت رعية مرعيٌّ ، محكومٌ عليك ، ولست براع ولا حاكم، بل الحكم عليك لمن هو أولى[١] منك، فاعرف ما تقول واعقل ما تأتى وتذر.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٩

تناقض المجبر:

۹۲ و / ثم هلكت أيضاً؛ لإنك[۲] بينما أنت تناظرنا / كيف مصيرهم فى الاخرة، وكيف حكمهم، أفى الجنة أم النار ؟ إذ وضعت تقنينا فى السبى ، وغنيمة الأموال !

وأصل سؤالك، إنما كان عن الجنة والنار ، وكيف حكم الأطفال فى المنزلتين ، وتسأل : ما حكمهم فى الآخرة ؟ . . وزعمت أنك تقف عن أطفال المشركين، ولا تنزلهم منزلاً من أحد الدارين .

فنقول لك : نراك الآن قد ناقضتَ بين قولك، وخلطت فى مسائلك .

أو ليس من قولك : إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين ؟!! . .

ثم جئت الآن بقوم آخرين ، وزعمت أن لهم حكماً آخر ، فصيرت الخلق على ثلاث فرق بعد ما قلت إنهم فرقتان ، وزعمت أنك تقف عن واحدة لم يخلق الله ، تعالى ، فعلها ، على قود قولك ، ولم يقض عليها قضاء ، ولم يرد منها إرادة ، ولم يحكم فيها بحكم ، ولم يُنزلْ فيها كتاباً يعمل به المسلمون، ولا سنة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تُوتر عنه !!

ونحن نسألك فنقول لك : أخبرنا عن هذه الفرقة الثالثة، التى لم يرد الله ، عز وجل، منها إيماناً ولاكفراً ، على قولك ، ولم ينزل فيها كتاباً ولا ذكراً ولا سنة ولا أمراً، على قود قولك ، أهُمْ من خلقه فنسيهم ، أم من خلق غيره ، فَلِمْ يجب أن يحكم فى خلق غيره؟!!

فإن قلت : هم من خلقه فنسيهم. كفرت، وخرجت من الإسلام ؛ لأن الله[۳] ، عز وجل ، لا ينسى[٤] ولايغفل عن أحدٍ .

وإن قلت : هم من خلق غيره . . أشركت، ووجب سفك دمك .

---

(۱) فى الأصل : اولا .

(۲) فى الأصل : بين ما .

(۳) ليست فى الأصل .

(٤) فى الأصل : لاينسا

وإن قلت: بل هم خلقه. قلنا لك: فهل ذكرهم فى احكامه وكتبه، ام غفل عنهم؟

فإن قلت: غفل عنهم.. كفرت وشهد عليك القرآن بالتكذيب لك، ولأهل مقالتك عن المجبرة، حيث يقول، عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾[١]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[٢]، وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾[٧] يعنى: الأطفال.، وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[٨]، فهذا كله يدل على انه، عز وجل، غير غافل عن الاطفال ولا غيرهم، وانه قد ذكرهم لنبيه، صلى الله عليه، وجعل لهم حكماً فى كتابه.

وإن قلت: انه، عز وجل، لم يغفل عنهم، ولم يدع ذكرهم، ولا الحكم فيهم، فى حكمته وعدله وكتابه[٩] وسنة نبيه، صلوات الله عليه.. لزمك انك قد كذبت ٩٣ و / على الله، عز وجل وخالفت حكمه، وعطلت كتابه فى وقوفك / عن اطفال المشركين، ورجعت إلى قولنا بالعدل، وأن الله، عز وجل، لم يدع شيئاً من الأشياء، حتى ذكره فى كتابه وسنة رسوله، صلى الله عليه، من أسباب الدين، وما تحتاج إليه الامة فى أداء فرضها الذى كلفها، إذ قال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[١٠]، والذى كذبت فيه، وعطلت من الكتاب، وتركت حكم الله، عز وجل فى امر الأطفال، خاصة قولك انك تقف عمن لم يقف الله عن ذكره، ولا عن بيان امره والحكم فيه، وانه، عز وجل، أرسل رسوله محمد بن عبد الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، يقاتل المشركين، فإذا ظفر بهم لم يقتل أولادهم، وذلك الدليل على انه لو قتل أولاد المشركين، لجاز عذابهم فى الآخرة، فلما لم يقتلهم، عليه السلام، لم يجز عذابهم فى الآخرة، لان الله، عز وجل، لا يعذب فى الدنيا ولا فى الآخرة على غير جرم.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٧.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.
(٣) سورة الانعام: الآية ٣٧.
(٤) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٥) سورة فاطر: الآية ١١.
(٦)، (٧) سورة غافر: الآية ٦٧.
(٨) سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩.
(٩) فى الاصل: كتبه.
(١٠) سورة النحل: الآية ٨٩.

رحمة الله بأولاد الزنا :

وكذلك أولاد الزنا من أهل القبلة بان لنا من رحمة الله ، عز وجل ، وعدله فيهم، أن المرأة الحامل، تستوجب أن يقام عليها الحد، إذا فجرت ، فلا يقام عليها ذلك الحدُّ الواجب، حتى تضع ما فى بطنها ، ثم لا يقام عليها الحدّ حتى تفطمه ، ودليل ذلك واضحٌ على رحمة الله ، عز وجل ، له . وأنه إنما أخَّر عنها الحد؛ لحسن نظره للطفل ، لا لها .

وكذلك المشركة، إذا كانت تحت أحكام الإسلام ، فلزمها قتلٌ أو حدٌّ من حدود الله، عز وجل، التى يجب بها القتل ، لم تقتل حتى تضعَ ما فى بطنها ، رحمة من الله ، عز وجل ، وعدلاً منه ، على من لم يُذنبْ ولم يعصَ الله ، جل ثناؤه ، طرفةَ عين.

ثم إذا وضعَتْ لم يُقَمْ عليها الحد أيضاً ، حتى ترضع حولين كاملين وتفطم، فهذا فضل الله، عز وجل، وعدله وحكمه، فى الأطفال كلهم من ولد آدم كلهم فى الدنيا .

ثم زعمت أنه يجوز، عندك وفى دينك أنه ، عز وجل ، لا تدرى ما هو صانع بهم فى الآخرة، بزعمك، حتى الزمك ذلك الشك، وصيرك إلى الوقوف عنهم ، زعمت ، بجهلك لعدل الله ، جل ثناؤه !

وكيف تعرف عدله ، عز وجل ، وأنت مجتهد فى إطفاء نوره ، وعذر من عانده ، وكذبت كتابه فى حكمته ، وإلزامه ذنوب المشركين ، والكفار وجميع العاصين ، سبحان الله العظيم ، ما اشنع ما قلتم ؟!!.

وكيف تقف ، ويحك ، عن أطفال المشركين واليهود والنصارى، أو أحد من ولد آدم، عليه السلام، والله ، عز وجل، لقول : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2]، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[3]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٦٤

(٣) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١

٩٣ظ / / رسولاً ⦗١٥⦘ ﴾(١)، وقـوله: ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى / يبعث في أمها رسـولاً يتلو عليهم آياتنا ﴾(٢)، فتراه لم يرد أن يهلك البالغين، حتى يعذر إليهم ، فكيف يهلك الأطفال البريئين بغير جرم!.. وقوله ، عز وجل: ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾(٣)، وقـوله: ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ⦗٨١⦘ ﴾(٤)، وقـوله : ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ⦗١٦١⦘ ﴾(٥)، وقـوله: ﴿ وإذا الموءودة سئلت ⦗٨⦘ بأي ذنب قتلت ⦗٩⦘ ﴾(٦)، والموءودة: هى الأطفـال بإجماع الخلق .

فالله ، عز وجل ، يقول فى دار الدنيا ، ويذم من قتل الموءودة، بأى ذنب قتلت ، ثم يعذبها ، زعمت ، بالنار يوم القيامة ، عزّ عن ذلك العدل الذى لايجور !

ووقفت أنت عن هذا الحكم من شدة ورعك !!.. وزعمت، وانت تفترى على الله، عز وجل، وتجوّره فى كتابه، وأحكامه كلها !!..

ثم لا تتورع عن ذلك ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ⦗٢٢٧⦘ ﴾(٧) فكيف جاز عندك ان تضع كتاباً ، تقول فيه لمن خدعتهُ من الجهال، انك تقف عن أطفال المشركين ؟!!..

فليت شعرى، لأى علةٍ وقفتَ من عند نفسك عنهم ، اشككتَ ان الله ، عز وجل ، لا يدخل أطفال المشركين الجنة ؟!.. فيلزمك فيما تشككت فيه انه يدخلهم النار ، إذ لا منزلة فى الآخرة توجدُ ثالثة، غير الجنة والنار ، فيبين ظلمهُ وجوره ، عز ذلك العدل الذى لا يجور .. او يكونون عندك لا فى جنة ولا فى نار ؟!.. فليزمُكَ انَّ فى الآخرة دار ثالثة ، لم يخبرنا الله ، عز وجل ، بها، فجعلتها انت لأن يجوز كذبك ، وتخالفُ الكتاب ، حتى تقبل منك المجبرة وقوفك عن أفعال المشركين .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٥ .
(٢) سورة القصص : الآية ٥٩ .
(٣) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٨١ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٦١ .
(٦) سورة التكوير : الآيتان ٨ - ٩ .
(٧) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

فإن قلت بدار ثالثة ، كفرت ، وخالفت جميع الفرق ، وخرجت من قول أهل القبلة، واليهود والنصارى لا يقولون بدار ثالثة فى الآخرة .

فاختر أىُّ هذه المضايق الخانقة لك شئت ، فلابدَّ لك من القول بواحدة منها ، أو التوبة عن الجبر، والرجوع إلى العدل ، الذى سميت ضده عدلاً ! . . لجهلك بعدل الله، عز وجل ، فالتوبة خير لك من التمادى فى الباطل والعمى [1] ، ففوق كل ذى علم عليم .

وهذه حجة باهرة لكم ، لا يقدر أهل الجبر لها على نقض ، فاتق الله ، وإياك أن تكون من الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾[2] .

٩٤ و / فاسمع إلى تبريهم منهم ، ولعنهم إياهم بعد / المودة فى الدنيا على الحمية والخطأ الذى أورثهم النار (فبعداً للقوم الظالمين) ! .

وأما قولك أنا نقول : إن أطفال المشركين مؤمنون . فليس ذلك قولنا ، لا نقول إنهم مؤمنون ولاكافرون ، وإنما هم عباد الله ، سبحانه ، لم يأتهم رسول فكذَّبوه ، ولم ينزل عليهم كتاب فجحدوه ، ولم تلزمهم حجة ، فاعرضوا عنها ، ولم يركبوا لله ، جل ثناؤه ، معصية ، ولم يعملوا له طاعة ، فأوجب الله ، عز وجل ، الجنة برحمته لهم، وتفضله عليهم ، إذ هو أهل الفضل والإحسان ، وإذ لا جرم لهم ولا ذنب عليهم، ولا حجة لزمتهم ، فهذا هو العدل ، وهو الحق وهو الأولى [3] ، بالواحد الكريم.

ورحمته ، عز وجل ، قد بانت، وصحت لهم فى الدنيا، قبل أن تجئ الآخرة ، إذ لم نقتلهم بما وجب على آبائهم وأمهاتهم من الحدود والأحكام ، ولم نقتل أمهاتهم بعد لزوم الحدود لهن، لحسن نظره لهم ورحمته إياهم، حتى فطمتهم واستغنوا عنهن ، فهذا أكبر دليل ، وأوضح قيل ، ولو لم يكن لهم ذكر فى القرآن، غير هذا لكفاهم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : العما .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٦٧ - ٦٨ .

(٣) فى الأصل : الأولا

فأما ما سألت عنه من مواريث أطفال اليهود والنصارى، وأولاد المشركين ، فإنا لا نقول إنهم غير مخرجين من مواريث أهل ملة آبائهم ؛ لأن ذا أمرٌ قد جرت فيه السنن من رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، إذ قال : «أهل ملتين لا يتوارثون» [1]، فليس لأحد كلام بعد قول الرسول ، ﷺ ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[2] ، وليس لأحد أن يخالف السنة والكتاب ، وقال ، وعز وجل ، : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[3] ، وليس قولنا أن أولاد المشركين ولا اليهود ولا النصارى مؤمنين ولاكفاراً ، ولا يجوز ذلك إذ لا عمل لهم .

وكذلك أيضاً نحن نقول : إن أولاد المؤمنين لا مؤمنون ولاكفارٌ ، وإنما الأطفال كلهم حكمهم واحدٌ هم عبيد لله ، عز وجل ، لا حجة عليهم ، إنما يدخلهم الجنة جميعاً برحمته وبفضله ، على ما قد بينَّا وشرحنا ، والحمد لله رب العالمين .

وعلى أنه قد جاء في تفسير القرآن، حيث يقول : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) ﴾[4] .

[فقال أهل التأويل : إن أصحاب اليمين : هم الأطفال ، ثم قال :][5] ، ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾[6] .

٩٤ظ / فذكروا أن المقربين : هم المؤمنون ، وأن أصحاب اليمين : هم الأطفال ،

---

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٥٢٦ (١٥٨٨) وفي مواضع أخرى منه ، ومسلم ١١ / ٥١ ، وفي مواضع أخرى ، وأبو داود ٣ / ١٢٥ (٢٩٠٩) ، والترمذي ٤ / ٣٦٩ (٢١٠٧) ، وابن ماجة ٢ / ٩١١ (٢٧٢٩) ، والدارمي ٢ / ٤٦٥ (٢٩٩٢)، كما رواه مالك في موطنه ، ص٣٢١ (١٠ - ١٢) ، وابن سعد في طبقاته جـ١ / ص٧٩ ، وفي مسند زيد (٨٩٨) ، وأحمد في مسنده في مواضع كثيرة منها ٢ / ١٧٨ ، ١٩٥ .، والطيالسي ح (٥٦٨ - ٦٣١) والواقدي ؛ ص ٣٣٣٩ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة الواقعة : الآيات ٨٨ - ٩١ .

(٥) زيادة في الأصل .

(٦) سورة الواقعة : الآيات ٩٢ - ٩٦ .

وان المكذبين الضالين : هم الكفار ، والعاصون من أهل النار ، وجملة الخبر أن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾(١) وهذه الآية توجبُ الجنة لجميعِ الأطفال كلهم جميعاً ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولنا نحن ، والذى نفسره ، فإنَّ أصحاب اليمين : هم الذين عملوا الأعمال التى ترضى الله ، عز وجل ، وتجنبوا معاصيه ، والدليل على انهم أصحاب الأعمال خاصة، قول الله ، عز وجل ، فى كتابه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً (٩) ﴾(٢) .

***

---

(١) سورة الإسراء · الآية ١٥

(٢) سورة الانشقاق الآيات ٧ - ٩

المسألة الخامسة عشرة

خلق الله الكفر والإيمان عند المجبرة

ثم قـــال عبـدالله بن يزيد البـغدادى : ثم سلهم عن بدعتهم فى قولهم ان الله ، عز وجل، لـم يخلق الكفـر والإيمان ، وان العبـاد خلقـوه ، وليس من خلق الله الإيمان والكفر، فسلهم عمن جعل الإيمانُ غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ؟

فـى الجعـل :

فإن قالوا : إن الله جعل ذلك . فقل : أليس الله جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر، وجَعْلُ الله صُنْعُهُ ؟!.. فإن قالوا : نعم ، صنعهُ خلقه ، وقل : فاخبرونى عما كان الله صانعه وجاعله أليس الله هو خالقه ؟...

فإنهم لن يجدوا بداً من ان يقولون : نعم ؛ لان صُنْعَ الله خلْقهُ جعلهُ .

فإن أعطوك هذا دخلوا فى قولك ، وإن أعطوك أن الله جعلَ الكفرَ وصنعَه وخلقه ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إن العبادَ جعلوا الكفر غيرالإيمان ، والإيمان غير الكفر ، ولم يجعل الله ذلك ، ولم يجعل الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان . فإذاً لم يجعل هو ذلك ، فكيف يثيبُ على الإيمان ، وهو لم يجعله غير الكفر ؟!.. وكيف يُعذب على الكفر، وهو لم يجعله غير الإيمان ؟!..

إن الله لم يجعل فى ، زعمكم ، التوحيدَ حسناً ، ولا الشرك بالله قبحاً ، فكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ، ولم يجعله كفراً ولاإيماناً ؟!

والله إنما ذكرنا فى كتابه، ان الثوابَ على الإيمان ، والعقوبة على الكفر ، فهو لم يجعل إيماناً ولا كفراً !.. فكيف يثيب على ما لم يجعله هو إيماناً ولا كفراً ... ولو شاء العباد لصنعوا الكفر إيمانـاً والإيمـان كفـراً ؛ لانهم إنما صنعوهما وجعلوهما ٩٥و/ وحسنوهما ،/ وقبحوهما ، والله ، لم يضعْ ذلك ولم يجعله ولم يقبح الكفر ، ولم يحسِّنْ الإيمان ، افليس لو شاء العباد لجعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، وهم

الذين يقبحون ويحسنون ، فلو حسنوا الكفر ، وقبحوا الإيمان ، لكان كما صنعوا ؛ لأنه ليس لله فيه صنع؟! .

فإذا كانوا يجعلونه ، فما بالهم لايغيرون إن شاءوا ما قبحوا ، فيجعلوه حسناً ، ويحسنوا ما قبحوا ؟!.. فإن أعطوك أنهم إن شاءوا فعلوا ذلك . فقد مكنوك من حاجتك ، وأعطوك أن العباد لو شاءوا أثاب الله على الكفر الجنة ، وعذّب على الإيمان!!

ولو شاء العباد جعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، ولم يجعلوا لله فى ذلك صنعاً ؛ وجعلوا الجنة لمن شاءوا هم ، والنار لمن شاءوا ، ولن يعطوك ، ولابد لهم ، إن أحسنت أن تسألهم ، فانظر مواقع هذه المسائل ، فإنك إن أحسنت مساءلتهم على هذا الوجه، وقادوا لك هذا الكلام ، دخلوا فى الزندقة .

فى الاسم والمسمى عند المجبرة :

وإن قالوا : إن الله إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان، ولم يجعل الكفر . فقل لهم ذلك : أخبرونى عن اسم الإيمان أهو الإيمان ، وعن اسم الكفر أهو الكفر ؟..

فإن قالوا : اسم الإيمان هو الإيمان ، واسم الكفر هو الكفر ، فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر، وصنعهما وخلقهما ؛ لأن اسم الكفر هو الكفر ، واسم الإيمان هو الإيمان .

فإذا جعل الأسماء - والأسماء هى الأشياء بعينها - فقد جعل أسماءها ، وأسماؤها هى هى .

وليس الاسم غير الكفر ، وليس الاسم غير الإيمان ، فقد لزمهم لنا أن الله قد جعل الكفر والإيمان وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى [1] الذى وقع عليه الاسم ليس بكفر ولا إيمان ، فارجع إلى صدر مسألتك ، فقل لهم :

---

(١) فى الأصل : المعنا

أفليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبحاً ، والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟..

ثم ارفع إلى ما رفعتهم في صدر المسألة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً .

رد أحمد بن يحيى:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله احمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : إنَّ[1] هذه المسألة التي طولت فيها ، إنما كررت فيها المعاني بالفاظ مختلفة ، وكلها تقضي معنى واحداً ، ونحن نقول : إن الله ، عز وجل ، ذكر الجعل في كتابه ٩٥ظ/ ووصفه/ عز وجل، على وجهين اثنين ، واضحٌ ذلك في القرآن غير خفي عن أحد ؛ لأنه حجة لله ، عز وجل ، على خلقه ، التي لم تتدبرها **المجبرة** ، ولم يركنوا فيها إلى العلماء ، ولم يأخذوا الحق من معدنه ، وقلدوا **عبد الله بن يزيد البغدادي** ، وغيره ، أمر دينهم قبل البحث وإنعام النظر ، وطي الحجج والبراهين الشاهد للحق ، فهلكوا عند الله ، عز وجل .

واعلم أن أحد الوجهين اللذين ذكرت لك ، أن الجعل على وجهين .

معاني الجعل في القرآن[2]:

١- أحدهما : جعل حكم وتسمية ، أي سماهم بفعلهم ، وحكم عليهم بفعلهم ؛ لا انه خلق ذلك ولا قدَّرة ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [3]، اى سميناهم بفعلهم، وحكمنا عليهم بفعلهم .

مثل ما تقول العرب في لغاتها ، التي قد جعلها الله ، عز وجل ، حجة على قوم محمد ، صلى الله عليه وعلى آله ، حين يقول : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[4]، فلو جاءهم بغير اللغة العربية ما عرفوه عنه ، ولا لزمتهم طاعة . فتقول العرب :-

---

(١) في الأصل : إنها .

(٢) انظر الهادي إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ /٢٠٨ حتى ٢١٦ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

أضلني فلان ، أي سماني ضالاً ، قال الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله [1] .

فطائفةٌ قدْ اكفروني بحبكُم وطائفةٌ قالوا : مُسيءٌ ومذنبُ

يعني أنهم سموه كافراً ، ولم يجعلوا فيه الكفر جعلاً ، وكذلك أيضاً الجعل مثل قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [2] ، فذلك جعل حكم وتسمية ، مثل ذلك : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [3] ، أي سميناهم وحكمنا عليهم بفعلهم ، ولوكان ، عز وجل ، هو الذي جعل الأكنة على قلوبهم ، على ما يعقل من الحجب والأستار ، ثم أرسل إليهم بقرآن افترض عليهم استماعه والعمل بما فيه ، وقد حال بالأكنة بينهم وبين استماعه ، لزالت الحجة، ولسقط عنهم الفرض .

والشاهد على ذلك قوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) ﴾[4]، غير مجبور ولامخلوق فعله ، وكفى بهذه الآية شاهداً لنا أن من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ، غير مخلوق فعله .

والشاهد لنا على ما ذكرت في الأكنة ، إقراركم لنا يا معشر المجبرة ، أن الأصمَّ ٩٦و/ الذى لا يقدرُ على السمع، قد زال عنه فرض استماع القرآن والعمل بما فيه، / وأنه إن عقلَ الصلاةَ بتعليم الإيمان ، جازت له ،وقبلت بلا قراءة الحمد وسورة معها ، وقد جاءت السنة أن كل صلاة بغير قراءة «الحمد» فهي خداج [5] . فهذه حجة قاطعة لا حيلة لكم فيها .

٢- وأما جعل الآخر فهو قوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[6] ، ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾[7]،﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) ﴾[8]، فكل جعل في القرآن على وجهين، لايوجد فيه وجه غير ماقلنا.

---

(١) سبقت ترجمته وتخريج البيت .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٢٥

(٤) سورة النمل : الآية ٩٢

(٥) رواه الترمذي : ١ /١١٧ (٣١١) ، وابنماجة ١ /٢٧٣ (٨٣٨)، وخداج : أي غير تامة .

(٦) سورة الانبياء : الآية ٣٢ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٢

(٨) سورة السجدة : الآية ٩

فأحدهما جعل حكم وتسمية ، والآخر جعل حتم وجبر وقسر لا مخرج منه ، فأما قولك من جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر ؟..

فإن كنت تريد بذلك من خلق الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان . فالكفار هم الذين خلقوا الكفر ؛ أى : فعلوه وعملوه وصنعوه ، والشاهد على ذلك ، أصدق شاهد وأعدله ، قول الله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾(١) ، إلا أن تردّ على الله ، عز وجل ، وتكذب قوله ، أو تقول ليس هذه الآية فى القرآن !!

فما نعلم لك مخرجاً ولا محيصاً تلجأ إليه إلا الجحدان . وقد قال الله ، عز وجل ، فى سورة براءة : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾(٢) .

فلا يقدر أحد من جميع الخلق كلهم، أن يدعى أن الله ، عز وجل ، برئ من خلقهم، ولا من رزقهم ، ولا من حياتهم ، ولا من موتهم، ولا أنه برئ من المشركين فى وجه من جميع الوجوه كلها ، بالصحة والحجة القاطعة، إلا من فعلهم ، وإذا برئ من فعلهم، صحَّ أن ليس له فى فعلهم فعل بوجه من جميع الوجوه كلها ، ولا بسبب من جميع الأسباب كلها ، وإلا فهاتوا حجة تدلنا على معنى آخر، برأ الله منه غير أفعالهم كلها .

وكذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله : «اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد ابن الوليد» (٣) فإن كان فعل خالد بن الوليد هو فعل الله ، عز وجل ، أو لله فيه فعل بمقياس شعرة ، لزم النبى ، صلى الله عليه ، أنه برئ من فعل الله !.. ومن برأ من فعل من أفعال الله، ولو صغر ذلك الفعل، لزمته البراءة من الله !

ومن برئ من الله فقد كفر ، ومن كفر فقد صار إلى النار ، فقولوا فى رسول الله ،

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى : سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، أسلم قبل فتح مكة سنة ٨٧هـ ، قاتل المرتدين ، وسار فى جيوش الفتح وتولى قيادتها ، توفى سنة ٢١هـ؛ انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٠ ، وكذا صفة الصفوة لابن الجوزى ١ /٣٦٨، والحديث أخرجه البخارى ٧/ ٦٥٣ (٤٣٣٩) ، والنسائى ، وابن سعد فى طبقاته ج ٢/ ١٠٦ / ق ١ ، وأحمد ٢ / ١٥٠ ، وابن هشام فى سيرته ص ٨٣٣ ، والواقدى ، ص ٣٥٣ .

صلى الله عليه ، ما شئتم ، فلعمرى، لقد افتريتم على الله ، عز وجل ، فهو أجدر أن تفتروا عليه .

وزعمت يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وأصحابك المجبرة ، أن الله خلق فعل المشركين، وخلقه ، زعمت ، صنعه ، فكيف يخلق خلقاً ثم يتبرأ منه ؟!.. أيجوز هذا فى حكم عادل حكيم ، لا بل هل يجوز هذا على عابث جاهل ؟!!.. معاذ الله .

٩٦ظ/ أما إذا صدق نفسه، وأنصف عقله ، علم ذلك الجاهل، أنه إذا فعل / فعلاً لم يصلح عند نفسه أن يتبرأ منه ، وإذا لم يجز فى حكمة الحكيم، الذى لا يظلم أن يقول فى كتابه : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [١] ، وكان الصواب والعدل والحق أن يقول : ظهر الفساد فى البر والبحر ، بما صنعتُ وخلقتُ وأردتُ وقدرتُ من أفعالى بالناس ، ولا يعنفهم فى أمر هو خلقه وأراده !!

فإن فى الناس من يميز عليه هذا الحكم ، وقد حكى مثل ذلك من عيبه لهم ، حيث قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤) ﴾ [٢] ، فهذا دليل على العدل، وعلى أن الاستطاعة قبل الفعل .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٣]، وقوله : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾[٤]، مع آيات كثيرة فى كل سورة تشهد لعدل الله ، عز وجل ، وتنفى عنه الجور والظلم ، وخلق أفعال العباد ، وإرادة السوء والظلم والفساد، اختصرنا فيها خوف التطويل .

ومن الجعل الآخر أيضا الذى هو جبر وحتم ، قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٥] ، فهذا جعل حتم وخلق ، على قود قولكم ؛ لأنكم أيها الخوارج تدّعون القول بشئ من معرفة التوحيد ، فمن حجتكم فى التوحيد ، زعمتم ، أنكم تقولون

---

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٢ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية ١٤ ، وفى مواضع اخرى سبق ذكرها .

(٥) سورة الزخرف الآية ٣

أن القرآن مجعولٌ ، وكل مجعول مخلوقٌ ، فهذا يلزمكم لنا أحببتم أوكرهتم ؛ لأنه أصل قولكم في التوحيد .

فإن قلتم : وكذلك يلزمنا نحن أيضاً ، أن كل مجعول مخلوق من غير القرآن ، من الجور والظلم والفسق والكفر ، الذي زعمتم أن الله خلقه وصنعه .

فإنا نقول لكم رادين عليكم ، فإن قصيدة لبيد بن ربيعة الكلابي [1] التي هي سمطه، التي يقول فيها .

عفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنىً تَأَبَّـدَ غَوْلُهـا فَرِجَامُها [2]

مجعولة ، جعلها لبيدُ بن ربيعة الكلابي، وصنعها .

والله ، عز وجل ، زعمتم الذي خلقها ، كما خلق القرآن ، وصنعها كما صنع القرآن ، على قود قولكم ، فلابد لكم من أن تقروا بذلك ، وترجعوا عن دعواكم، لاخذنا بخطامكم في هذا الموضوع ، فتقولوا : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق قصيدة لبيد ولم يصنعها ، فإن قلتم : إن الله ، عز وجل، خلق قصيدة لبيد ، على دعواكم : إن الله خالق كل شئ . قلنا لكم : وكذلك خلق الله القرآن ، فما الفرق بين الشعر والقرآن في الفطرة والصنعة ؟!.. وما فضل أحدهما على الآخر؟!..

فلا تجدون فرقاً تدفعوننا به ؛ لأن الشعر ، في زعمكم ، الله خلقه ، والقرآن الله خلقه ، زعمتم ، فجائز لمن صلى بقصيدة لبيد ، وغيرها من الأشعار ، وجائز لمن صلَّى ، بالقرآن ؛ لأنه كله ، على زعمكم ، خلْقُ الله وصنعه ، وصنْعُهُ خلْقُه ، وخلْقُهُ صنْعُهُ ، على ما قلتَ يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، في أوَّل مسائلك هذه خاصة!!..

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض الصلاة بالقرآن ، ولم يفترض الصلاة بالشعر،

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري ؛ أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، أسلم ووفد على النبي مع المؤلفة قلوبهم ، هجر الشعر بعد إسلامه وكان جودا كريما ينحر للأضياف ، ونذر أن ينحر ويطعم عندما تهب الصبا. توفي سنة ٤١هـ . - انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٥ / ٢٤٠ ، وكذلك خزانة الأدب للبغدادي ١ / ٣٣٧ - ٣٣٩ .

(٢) هذا البيت هو صدر معلقته الشهيرة ، وهي من بحر الكامل ، انظر المعلقات للزوزني ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي ، ص١٢٩ .

قلنا لك : صدقت ، ولكن هات لنا حجةً نفَرق بها بين خلقه للقرآن ، وبين خلقه للشعر . .

فإن قلت : إن الفرقَ من قِبَلِ ان القرآن خلقه وحده ، لم يشرك فيه احدٌ ، والشعر خلقه هو وغيره من الشعراء ، على قود قولكم ، فعل من فاعلين ، وأنه لله خلقٌ ، وللعباد كسب . قلنا لك : فقد لزمك ان لله ، عز وجل ، شريكاً فى خلقه .

ولابد لك أن تقول : إن الله ، جل ثناؤه ، ولبيد بن ربيعة الكلابى ، صنعا القصيدة وخلقاها ، وخلقها المعروفة بـ :

عفتِ الديّارُ مَحلُها فمقامُها بمنىً تأبَّدَ غولُها فرجامُها .

فتقول : إنهما خلقاها جميعاً وصنعاها ، فلله نصفها ، وللبيد نصفها ، على قود قولك ! . . فيجب عليك أنك قد رجعت عن قولك : إن الله خلق افعال العباد ، وصرت بانه يخلقُ نصفَ افعالِ العباد ، وانتقض قولك الأول الذى تطاولت به ، وانتفخت علينا بسجعه !! .

وإن قلت : إنك لا تقولُ : إن الله خلق نصف قصيدة لبيدُ ، ولبيد خلقَ نصفهَا الآخر .

قلنا لك : فكيف نقول فى القصيدة ، مَنْ خلقها هى وسائر الأشعار ؟! . . إذ قد رجعت وكرهتَ ان تقول إن الله خلق نصفها ، ولبيد بن ربيعة نصفها ، فهل تقول : إن الله خلقها وحده منفرداً بها لا شريك له فى خلق القصيدة ، وخلقُه صنعه ، زعمت !! .

فإن قلت : نعم ، الله الذى تفرد بخلق القصيدة ، وصنعها وحدهُ ، لزمك صاغراً داخراً عاثراً أن الله ، عز وجل ، صنع هذا القول ، جل الله عن قولكم .

وهو قول لبيد بن ربيعة :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نوَارَ ، وقَدْ نأت وتَقَطَّعَتَ أسبْابُها ورِمَامُها [1] .

---

(١) نورا اسم الحبيبة ، والرمام هو القطعة من الحبل البالى

فيلزمك ، ويلك ، أن الله ، عز وجل ، يصنع الغزل ويخلقه ، على قود قولك ، واحتجاجك أن الله خلق كل شئ من جميع الأشياء ، من أفعال العباد هو ، من كفر أو إيمان ، أو طاعة أو عصيان ، أو شعر أو غيره ، وقولهم الخطأ والخنا .

وأن خلقه صنعه ، زعمت ، وأن ما خَلَقَهُ فقد صنعهُ ، فاسمع ما يلزمك من الفضيحة الهائلة ، فى هذه القصيدة ، وما الزمت الله ، عز وجل ، من خلقه لها وأن ذلك يُلزمك الشرك ، ويخرجُك من الإسلام ، لما قلت : إن الله يصنعُ الأشياء كلها ويخلقها ، فاسمع ما يلزمك فى ذكر النساء ، ووصف أسبابهن ، ونعت الخمر ، ٩٧ظ / وصنفه الإبل والخيل والقفار والحل والارتحال / وتقطع الوصال ، فيلزمك أن معبودك . هو الذى خلق هذا الشعر كله ، وكل شعر على وجه الأرض فيه الخنا والقبيح . من ذلك قول لبيد فى البيت الثانى :

مُرَيةٌ حلَّتْ بفيدَ وجاورتْ أهل الحجازِ ، فأينَ منكَ مَرامُها[١] .

فيلزمك أيها الجاهل بالله ، عز وجل ، أنه يشكو الحزن عليها ، والغم بفراقها، وبعد نأيها ، وأن مزارها لا يرومه ، ولا يقدر عليه لبعد دارها !! .

البيت الثالث :

فاقطَعْ لُبانةَ مَنْ تعَرَّضَ وصلُهُ ولَشرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرّامُها[٢] .

فيلزمك أن معبودك، عز وجل وتعالى عما قلتم ، يُعزّى نفسه عن طلب الوصال ، ويشكو جفاء المواصل ! .

البيت الرابع : قوله يصفُ الناقةَ

بِطليحِ أسْفارٍ تركْنَ بقيّةً منها ، فأحنقَ[٣] صُلبها وسنَامُها[٤] .

فيلزمك أنه يصف الإبل والمسافر عليها ، وأنه قد أهزلها بطول الأسفارِ ، التى لا يقطع المهامه إلا على مثل تلك الحال .

---

(١) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فيد : موضع فى طريق مكة .

(٢) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير .

(٣) فى المعلقة : وأحنق .

(٤) الطليح : الناقة المعيية . احنق : ضمر . صلبها : ظهرها .

البيت الخامس :

أفلمْ[1] تكُنْ تَدْرى نَوارُ بأننى وَصَّالُ عَقْدِ حبائلٍ جَذَّامُها ؟ .

فيلزمك أنه ، عز وجل ، يصف مواصل النساء تارة ، ويصف صرم حبالهن ترة أخرى ، ولا يفعل هذا إلا أهل الغزل والطرب والسفه .

البيت السادس :

تَرَّاكُ أمكنَةٍ إذا لم أرْضَها أو يرتَبِط بعضَ النفوسِ حِمامُهَا .

فتلزمك البلية العظمى [2] ، انه يقول مثل هذا القول ، الذى يقول فيه «أو يرتبطُ بعض النفوس حمامها» ، والحمام فى لغة العرب، هو الموت لا شك فيه .

البيت السابع :

بل أنتِ لاتدرينَ كَمْ من لَيْلةٍ طَلْقٍ لذيذٍ ليلها ومدامُها[3]

فيلزمك أنه ، عز وجل عن ذلك ، يصف السهر واللذة فيه، باللهو والمدام ، والمدام هو الخمر عند العرب .

البيت الثامن من قوله :

قَدْ بِتُّ سَامِرَها وغايةَ تاجرٍ وافَيتُ ، إذ رُفِعَتْ ، وعزَّ مُدامُها

فيلزمك أنه يصف الخمر ، وموافاتها إذا غلت عند الخمار ، وأنه يصف السهر بالليل مع الشَّراب ؛ لأنك زعمت أن خلقه صنعه ، فيلزمك أن ما ذكرنا من هذه العظائم صنع الله ، عز وجل .

البيت التاسع قوله :

أغلى السباءَ بكلِّ أدكنَ عاتقٍ أو جونةٍ قُدحَتْ وَفُضَّ ختامُها .

فيلزمك أنه يصنع ويغلى شراء الخمر، ويبذل الثمن فى أزقاق الخمور ، والأدكن

---

(١) فى الملعقة : اولمْ .

(٢) فى الأصل : العظما .

(٣) فى المعلقة : لهوها وندامها ، (وقد كتبت على البيت ابصا)

عند العرب هو الزق ، والجونة هى الجرة التى تقدح ، وبفضٌ خاتم يكون عليها ، كما تصف العرب .

البيت العاشر قوله :

٩٨و/ بَاكرتُ حاجتَهَا / الدجاج بِسُحْرةٍ لأعَلَّ منها حين هبَّ نيامُهـا .

فيلزمك انه، عز وجل عما قلت، خلق هذا القول وصنعه ، وخلْقه صنعُه عندك ، وانه يباكر قبل صياح الديك الخمر، ليعلَّ منها اى يشربها ، فى قول لبيد يصف نفسَهُ حين استيقظَ ندماؤه النيام، فزعمت ان الله ، تعالى ، صانع هذا القول ، ولا نعلمُ شركاً فى الأرض هو أعظم من هذا الذى وضعت علينا فيه الكتب ، فانظر ماذا نزل بكْ !

البيت الحادى عشر : قول لبيد :

وغَداةِ ريحٍ خَسَفْتُ وَقِرةٍ قَدْ أصبحَتْ بيدِ الشّمالِ زِمَامُها [١] .

فيلزمك كل بلية وشناعة فى صفة خالقك، البرئ من كذبك والفرية عليه .

البيت الثانى عشر :

بصَبُوحِ صَافيةٍ ، وجِذرِ كَرينةٍ بُموَتَّرٍ تَأتى له أبْهامُها [٢] .

فيلزمك، أيها الهالك فى دينه، الصَّاد عن صراط ربه ، انه يصفُ الصبوحَ من الصافية ، وهى الخمر ، ويصف الضاربة بالعود ، وهى الكارينة فى لغة العرب ، الذى ذكر لبيد ، والموتر هو العود الذى اتخذه السفهاء لهواً وطاعة للشيطان .

البيت الثالث عشر من قول لبيد :

ولَقدْ حميتُ الخيل يحملُ شِكتى فُرطٌ وِشاحى ، إذْ غدَوْتُ ، لجامُهَا [٣] .

فيلزمك انه ، عز وجل ، من ذلك يحمى الخيل ، وتحمل شكته الدواب وتحمله ، تبارك وتعالى ، وأن وشاحه لجامها ، اراد بذلك لبيد بن ربيعة الكلابى ، ان العرب إذا

---

(١) فى الاصل والمعلقة : وزعت ..إذْ .

(٢) جاء البيت فى المعلقة :

بصَبُوحِ صافيةٍ وجَذبِ كَرِينَةٍ بمُوَتّرٍ تأتالُهُ إبهامُهَا .

(٣) وفيه « ولقد حميت الحى.. »

نزلوا عن خيولهم لحوائجهم ومخاطباتهم، ربطوها وخلعوا لجمها فيتوشح الرجل منهم بلجام فرسه مع سيفه يتقلده ، كما يتقلد بحمائل سيفه ، وهذه صفة المخلوقين ، عز وجل وتعالى عما قالت المجبرة علواً كبيراً .

وإنما احتججنا عليك بهذا القول عمداً ، ليعلمَ من له أدنى [1] عقل أنك ياعبد الله ابن يزيد البغدادى ومن دان الله ، عز وجل ، بمثل قولك من أهل الجبر القائلين : إن الله خلقَ أفعالَ العباد كلها ، قد بانت فضيحتكم، وسقطت دعواكم ، وصح كفركم وباطلكم بما ذكرنا ، وأجبنا عليكم، من الحجة القاطعة، فيما ألزمناكم من شعر لبيد ، ثم نقول لكم أخبرونا متى (٢) خلق الله ، عز وجل ، قصيدة لبيد، قبل اكتساب لبيد لها أم بعده ؟!!

فإن قلت : إن الله خلق القصيدة قبل اكتساب لبيد لها ، وخلقه صنعه ، زعمتم . ٩٨ظ/ لزمكم أن الله ، عز وجل، قد صنع كل ما فى قصيدة لبيد / من العظائم ، وكذلك كل شعر هو صنعه وفعله !!

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خلق قصيدة لبيد بعد ما اكتسبها لبيد، لزمكم أن قول لبيد لها كان قبل صنع الله ، وأن صنع الله إنما هو تابع لصنع لبيد .

فاختاروا أى هذين القولين شئتم ، فايهما ما قلتم به ، ألزمكم الكفر، والخروج من دين الإسلام ، ثم نقول لكم : لابدَّ لكم أن تقولوا إن الله ، عز وجل ، خلق هذه القصيدة وحدهُ منفرداً بخلقها وصنعها لا صانع لها معه غيره .

فإن قلتم ذلك وأجزتموه ... قلنا لكم : فقد لزمكم فى صفة ربكم ما وصف لبيد، وأن لبيداً لا فعل له فيها، وكفرتم .

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خلق بعضها ولبيد بعضها ، لزمكم أن معبودكم خلف نصف ما قال لبيد وصنعه ، ونصف ما قالت الشعراء، وصنعت من وصف الخمر والمغنيات، وجميع البلايا .

وهذا ما لم يسبقكم إليه الزنادقة، ولا المجوس، ولا أحد من الملحدين .

---

(١) فى الأصل : ادنا .

(٢) فى الأصل : متا .

ولم تظنْ ، يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ولا غير من المجبرة، انكم تجابون بمثل هذا الجواب الهاتك لإستاركم والمبين لعواركم ابداً ، ولابد لك من ان تقول ببعض هذا .

وإن قلت : لا اقول إن الله خلق أشعار العرب ولا صنعها ، لزمك انك قد رجعت عن قولك بالجبر ، وصرت إلى قولنا بالعدل ، وأن الله لم يضع اشعار العرب ، ولزمك أنك قد كنت كاذباً علينا فى دعواك، أنا مفترون على الله ، عز وجل .

ثم نقولُ لك : أليس قد ذم الله ، عز وجل ، الشعراء حيث يقول : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ (١) .

فهل يجوز ان الله ، عز وجل ، خلق وصنع من شعرهم ما عاب عليهم، وهو خلقه وصنعه، وهل هذه صفة حكيم عادل ، وهو يقول فى كتابه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾(٢) .

وكيف يؤدبنا على شئ ثم يفعله ، عز وجل ، عن ذلك وجل !!

ثم نقول لعبد الله بن يزيد البغدادى ولمن قال بقوله: اخبرونا عن القصيدة التى هجابها عمرو بن العاص (٣) رسول الله ، صلوات الله عليه ، فلما بلغ النبى ، صلى الله عليه وآله ، خبره ، فقال : «اللهم إنك تعلم أنى لا أقول الشعر فالعنه بكل بيت لعنة» ، فنقول لكم : أليس من قولكم ان الله ، عز وجل ، خلق تلك القصيدة ؟!

٩٩و/ فإن قلتم : نعم . لزمكم ان الله / جل ثناؤه ، هو الذى هجى رسوله ، صلى الله عليه ، .. وهذا كفرمن قائله .

---

(١) سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، أبو عبد الله : فاتح مصر ، واحد عظماء العرب ودهاتهم واولى الراى والحزم والمكيدة فيهم . اسلم فى هدنة الحديبية ، وولاه النبى ، ﷺ ، إمرة «ذات السلاسل» ، وفتح قنسرين ومصر ، وعزله عثمان عن إمرة مصر ، وكان مع معاوية فى الفتنة الكبرى ، وكافاه معاوية بإطلاق يده فى اموال مصر ست سنوات ، توفى سنة ٤٣هـ ، وللشيعة موقف منه .

* انظر ترجمةً فى الاعلام للزركلى ٥ / ٧٩ ، وكذلك وتاريخ الإسلام للذهبى ٢ / ٢٣٥ - ٢٤٠ .

وإن قلتم : لم يخلق قصيدة عمرو بن العاص . رجعتم عن قولكم ، وبان كذبكم ، ويصحُّ أن الحق معنا دونكم .

ثم نقول لكم أخبرونا : أليس من خلق شيئاً وصنعه لزمه أنه ربٌّ لذلك الشيء؟! . .

فإذا قالوا : بلى . قلنا لهم : أجائز عندكم أن يقول القائل إذا دعا ربه : يارب الأشعار والقصائد اغفر لى ذنوبى ؟ . . أو هل يجوز أن يدعو فيقول : يارب الزنا ، ويارب الخمر ، ويارب اللواط ، ويارب المعازف ، ويارب الفواحش ، ويارب القتل والظلم والكذب والربا والكفر والشرك اغفر لى ذنوبى ؟! . .

فإن قلتم : نعم ذلك جائز أن يدعى [1] به . قلنا لكم : فهل هذه الأسماء حسنة أم قبيحة ؟! . . فإن قلتم : أسماء حسنة . بان كذبكم عند جميع الأمة ، إذ سميتم القبيح فى العقول حسناً ، وخرجتم من المعقول . . وإن قلتم : لا ، بل هى قبيحة . قلنا لكم : فلمَ أجزتم أنه جائز أن يدعو الدَّاعى بها إلى الله ، عز وجل، والله ، عز وجل، يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾[2]، فيجب عليكم الرجوع إلى ما توجبه عليكم من الحجج القاطعة ، التى لا مخرج لكم منها ، والحمد لله رب العالمين .

***

لم يخلق الله باطلاً أبداً :

ومن الحجج لنا على عبد الله بن يزيد البغدادى ، وعلى من قال بقوله، من جميع أهل الجبر ، الإلحاد فى صفة الله ، جل ثناؤه ، أنا نقول لهم خبرونا : عن قول الله ، تبارك وتعالى ،: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾[3] ، أليس هذا فى القرآن؟! . .

فإن قالوا : بلى [4] . قلنا لهم : فأخبرونا عن الكفر والشرك ، وجميع المعاصى

---

(١) فى الأصل : يدعا .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٣) سورة ص : الآية ٢٧ .

(٤) فى الأصل بلا

والفواحش كلها الذى ادُعى[1] عبد الله ، بن يزيد ان الله ، عز وجل ، خلقها وصنعها وأرادها وقدَّرها ، وكذب المفترون على الله ، اليس هى بين السموات والأرض؟..

فلابد لهم من ان يقولوا : نعم . فنقول لهم : فخلق الله للشرك والكفر وجميع المعاصى التى ذكرت ، أحقٌ هو ام باطلٌ ، ام خلق ذلك كله لا حق ولا باطل ؟

فإن قالوا : خلقه الله حقاً . قلنا لهم : فهو حق كما خلقه الله حقاً .

فإن قالوا : لا . لزمهم لنا ووجب عليهم ان الله ، عز وجل ، لم يخلق الأشياء على أمر من الأمور توقف عليه ، فنحن على خلاف الامر الذى خلقنا الله عليه !

فهم لايدرن لعل الله خلق الناس حميراً ، والحمير ناساً ، وهذا غاية التجاهل والعمى .

وإن قالوا : لا نقول ذلك ، ولكنا نقول : خلق الله جميع ذلك حقاً . قلنا لهم : فالكفر والشرك وقول أهل الدهر ، وجميع المعاصى ، حقٌ كما خلقها الله حقاً !

فإن أقروا بذلك واجازوه ، لزمهم لنا ان القول بان الله ثالثُ ثلاثة ، وان له ولداً /

٩٩ظ / وان يده مغلولة ، وان له الشركاء ، والأنداد والاضداد والاولاد حقٌ!.. وهذا هو التعطيل، والخروج من ملة الإسلام ، والبراءة من الله ورسوله[2] ، العدل الذى لا يخلق الباطل ولا يصنعه ، ولا يقضيه على فاعله ، ولا يريده ولا يرضاه، كما قال ، عز وجل ، : ﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3].

وإن قالوا : إن الكفرَ باطلٌ ، وأن الله هو الذى خلقه باطلاً . قلنا لهم : فإنه يجبُ عليكم من الكفر أعظم من الذى هربتم منه ؛ لان قولكم : إن الله الذى خلق الباطل : تكذيبٌ منكم لقوله ؛ ورد لكتابه ، إذ يقول ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4]، والكفر والشرك

---

(١) فى الأصل : ادعا .

(٢) بالهامش : «رسله» .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٧ . ورد خطأ بالآية : وما خلقنا السموات ...

وجميع المعاصى بين السموات والأرض ، تبارك الله وتعالى عما يقول المجبورون علواً كبيراً .

وقوله ، تبارك وتعالى ،: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [١] ، فلمَ يسمى خلقه وصنعه باطلاً ، أفهكذا [٢] يقول الحكيم الحسن الفعل، الذى يخبر عن نفسه أنه لايجور ولا يظلم!! .. ويقول : ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾[٣] .

ثم قال : ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾[٤].

فليت شعرى أيهما الباطل ، وأيهما الحق! .. وكلاهما ، زعمتم، خلق الله وصنعه!

فوالله لا يزيد المجانين على هذا الخبط والتخليط، الذى لايعقل ، أن المجبرة زعمت أن الواحد الحكيم العدل الرحيم ، الذى لايجور ولا يظلم ، ينزل على رسوله فرائضاً افترضها على عباده ، وحتمها عليهم ، ثم يحول بينهم وبين الوصول إليها ، ثم يقول لمن افترض عليه الفرائض، لم لَمْ تؤد ما أمرتك به ! ..

وقد خلق بين السماء والأرض أفعال العباد كلها ، كما زعمتم ووصفتم .

وقال إنه لم يخلق ذلك باطلاً ، وقال : ﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) ﴾[٥] .

رجع [٦] علينا زعمتم ، فإذا فى كتابه ان بعض ذلك الخلق، قد صار حقاً ، وبعضه قد صار باطلاً بعد ما قال : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) ﴾ [٧]، ثم قال : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) ﴾[٨] فمثل هذا الذى أسندتم إليه هذه القبائح ،

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٢) فى الأصل : افهكذى .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٥٦ .

(٥) سورة ص : آية ٢٧ .

(٦) بالهامش ايضا بجوار هذه العبارة : (وجدت هذا فى الحاشية لا ادرى من الكاتب ام من غيره؟) وواضح ان هذا الكلام ليس من المؤلف ، وربما من احد المالكين للنسخة . وإنما يقول باطلاً اى همجاً لا لمعنى ،لا انه عنى السموات والارض وما بينهما امره باطل فى ذات أنفسهم، ، كتبت هذه الفائدة لا للمعارضة .

(٧) سورة ص : الآية نفسها .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ١٨

مثل رجل زجَّاج ، عمل آنية كثيرة من الزجاج ، فلما فرغ منها اخذ لها عموداً ، ثم اعترضها من جانب بالخبط والكسر ، فلما انكسرت قال لها : لم تكسَّرت، والله لأعاقبنك العقوبة الموجعة !!..

ثم يجب له من بعد هذا اسم الحكمة والعدل ، والنصفة والرحمة ، ونفي الجور والظلم ، الا لعنة الله على الظالمين : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم ١٠٠و/ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1]، ولا اكفر بالآخرة ممنْ ./ زعم ان رب الآخرة هذه صفته ، واتبع هواه ، وترك القرآن ، والتدبر لبراهينه وعجيب مجاريه .

وإياه نحمدُ على ما أوضح لنا فى كتبه ، وارشدنا إلى سبيله ، إنه منان كريم .

ثم نقول لعبد الله بن يزيد البغدادى ، ولمن قال بقوله من أهل الجبر والفرية على الله ، عز وجل : خبرونا عن هذه المسألة، فإن فيها قطع ما قلتم ، والله من الأمر ذهبتم .

خبرونا عن الكافر اعاجزٌ هو عن خلق الكفر ؟

فإن قلتم: نعم .. قلنا لكم : افقادرٌ هو على اكتساب الكفر ؟

فإن قلتم : نعم ، قلنا لكم ، فالشئ الذى عجز عنه هو الشئ الذى قدر عليه!!

فإن قلتم : نعم . لزمكم لنا انه عاجز عما هو قادرٌ عليه ، وقادر على ما هو عاجزٌ ، وهذا من أعظم التخليط وأبين الاستحالة والمناقضة .

وإن قلتم : الذى عجز عنه ، هو غير الذى يقدر عليه ، والذى يقدر عليه ، هو الاكتساب ، والذى يعجز عنه هو الخلق ، والخلق غير الاكتساب [2] .

فقد لزمكم لنا فى زعمكم أن اكتساب العباد غير ما خلق الله ، عز وجل ، وهذا ترك لقولكم ورجوع من مذهبكم .

الاسم والمسمى عند العدلية :

ثم نقول لعبد الله بن يزيد : اليس من قولك ، فى أول هذه المسألة التى سألتنا عنها ، أن الكفر هو الكفر ، وأن اسم الإيمان هو الإيمان ، وأن ليس اسماؤهما شيئاً غيرهما ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٥ .

(٢) بالهامش كلام للإمام المرتضى بيَّن فيه ان الزيدية والأشعرية متفقان فى الأصل ، وان الخلاف بينهما شكلى .

فيلزمك لنا أن اكتساب الكفر هو الكفر ، وأن اكتساب الإيمان هو الإيمان، لا غير ذلك على ما قلت ، وهذا كتابك الذى وضعت علينا ، وقد بان قهرنا لك ، وقطعنا لحجتك بأوضح البيان، وايقن الإيقان ، لما ناقضت القول، وخالفت الدَّعوى، فزعمت مرة أن الله خلق افعال العباد، وأن العباد اكتسبوا ذلك الخلق، ومرة زعمت أن ليس أن الاسماء ، هى شئ غير الأفعال .

لأنك زعمت أن ليس اسم الشئ غير الشئ . فيلزمك فيما تدعى من التوحيد ، أن اسم الله هو الأحرف المعروفة ، وهى «الف لام لام هاء» ، فزعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، ففسد عليك ما ادعيت من التوحيد ، إذ زعمت أن معبودك ليس اسمه غيره .

فيلزمك أن «الف لام لام هاء» ، التى تكتب مرة ، وتمحى مرة ، تبصرها الأعيان وتدركها الحواس هى معبوك ، لما زعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، وكفى [1] بهذه فضيحة عليك ، إذ حرجت من العدل والتوحيد جميعاً !!

ومن الحجة عليك قول الله ، عز وجل ، يضيف أفعال العباد إليهم ، وأنه لم يخلقها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [2]، فارتفعوا فى اللغة العربية ، وعند أهل النحو ؛ لأنهم فاعلون ، ولوكان هو ، عز وجل ، خلق أفعالهم ، لم يجز فى القرآن ١٠٠ظ/ العربى ، إلا أن يقول هو الذى خلقكم كافراً ومؤمناً . / فيجب أنه الذى خلق أفعالهم ، وهذه من القرآن ولا يجوز فى النحو غيرها .

ومن الحجة عليك أن نقول لك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، هل هذه الإرادة تامة نافذة محكمة، انه لا يريد شيئاً من جميع الأشياء كلها ، صغر ولاكبر ، عز ولا هان ، إلاكان ذلك الشئ .. أم بعض ذلك يمكنه كونه ، ويمتنع عليه كون بعضه ؟!..

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، إذا أراد أمراً من جميع الأمور ، فلابد من نفاذ ذلك الأمر ، كائناً ما كان ، لا يمتنع عليه شئ مما أراد وشاء وأحب وقضى وخلق وأمضى .

---

(١) فى الأصل : المسما ، وكفا .

(٢) سورة التغابن : الآية ٢ .

(٣) سورة البروج : آية ١٦ .

قلنا لك : كذلك الله ، عز وجل ، ولكن اعرف ما يلزمك فى قولك عليه بالجبر ، وافهم ما يأتيك فى آخر المسألة ، فإن فيه فضيحتك وانقطاعك .

ثم نقول لك : قد اقررت ولزمك انه لا يمتنع على الله ، عز وجل ، شيء ، ولا يغلبه إذا اراده وامر به .

فإذا قلت : نعم . قد اقررتُ ولزمنى ما قلتم . لأنك لو قلت غير هذا كفرت .

قلنا لك : فما معنى[1] قوله ، عز وجل ،: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]، هذا قول جبر جبرهم عليه أم تخيير منه لهم ، إن شاءوا فعلوا ، وان لم يشاءوا لم يفعلوا ؟..

فإن قلت : بل هم مخيرون تخييراً ، إن شاءوا فعلوا ، وصاروا قردة ، وإن لم يشاءوا لم يصيروا قردة . لزمك ان الخلق مخيرون تخييراً ، من أراد اطاع ، ومن أراد عصى .

على ان ليس قولنا ان القوم الذين قال لهم كونوا قردةً خاسئين ، مخيرين فى ذلك تخييراً . ولكن قولنا : إنهم مجبورين جبراً وقسراً .

وإن قلت: لا اقول إنهم مجبرون تخييراً ، ولكنى أقول : انهم مجبرون جبراً وقسراً لا بدَّ لهم من ذلك؛ لان إرادة الله وامره لابدَّ من نفاذه ، ولذلك صاروا قردة خاسئين ، لابدَّ لهم من ذلك .

قلنا : صدقت هذا هو الحقُ ، فما تقول فى قول الله ، عز وجل ، حيث يقول للناس: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾[3]، هل اراد ذلك منهم جبراً جبرهم عليه ، و(قسراً)[4] قسرهم على فعله ؟...

فإن قلت : لا ، لم يجبرهم ، ولم يقسرهم . وجب لنا عليك ، ولزمك ان العباد مخيرون تخييراً فى الطاعة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين ، ورجعت عن قولك ، ودخلت مع أهل الحق .

---

(١) فى الأصل : معنا .

(٢) سورة البقرة : آية ٦٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٤) زيادة من الهامش .

وإن قُلت : لست أقول إلا أن الله جبر العباد وقسرهم ، على أن يكونوا قوامين بالقسط ، لا حيلة لهم فى ذلك ، ولامخرج لهم منه ؛ لأن إرادة الله ، جل وعز ، نافذة، وأمره الأمرُ الذى لا يرد ولا يغلبُ ، على ما بينت عليه أصل مسالتك، وقدَّت عليه اعتقادك .

لزمك لنا ووجب عليك أن إرادة الله، عز وجل، لم تنفذ فى المشركين ولا الكافرين، ١٠١ و / ولا فى جميع العاصين . / من جميع من لم يقم بالقسط ، كما أمره الله ، عز وجل ، وافترض عليه ، ونطق به القرآن ، وجاءت به الرسل عن الله ، جل ثناؤه ، وأنه لزمه العجز عن هؤلاء القوم ، فلم ينفذ أمره فيهم ، ولا قوله لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ فعصوه ولم يطيعوه ، ولم ينفذوا أمره ، كما أنفذ الذين قال لهم ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

فيلزمك أنه أقوى على الذين جعلهم قردة ، وقَدرَ عليهم ولم يقدرْ ، ولم يقو على الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾، وإنما هو أمر واحد بكلمة واحدة ، لافرق عندهم بين الأمرين ولا بين القولين .

فلابد لك من تعجيز اللهَ ، عز وجل ، الذى لايعجز ولايغلب ، وأن الأمر الذى أقررت لنا به من إرادة الله نافذة غير مردودة ولا مغلوبة ، لم تتم على ما قلت ، وأنها قد انتقضت .. لابد لك من ذلك ، ولا حجة لك تدفعنا بها أبداً ، فى هذه المسألة ولا غيرها ، حتى ترجع إلى الحق ، وتدخل فى دين الإسلام من ذى قبل ، **فتقرر وتعتقد أن الله ، تبارك وتعالى ، أراد من القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ إرادة حتم وقهر وجبر ، لا حيلة لهم فيها ، ولا مخرج لهم منها ، ولا محيص لهم عنها .**

ولا سبيل لهم إلى تركها لما عَصوا ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، واستحقوا النكال والمسخ باختيارهم ، لا بما أراد ولا بما قضى [1] ، ولا بما خلق من فعلهم ، وأن القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ إنما أراد منهم القيام بالقسط تخييراً لهم لاجبراً ولا قسراً ، إذ هو الذى لا يمتنع عليه أمر يريده ، عز وتعالى ، وإلا فما العجز عن نفاذ الأمر ؟! .

---

(١) فى الأصل . قضا .

فـهـذا هو ديـن الله ، عـز وجـل ، الذى تعـبـد بـه الأولين والآخـريـن ، وجـاء بـه عنـه المرسلون ، ونطق به الكتاب المبين ، والحمد لله رب العالمين .

وقـد قال لنبيه ، صلى الله عليه ، يعزّيه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[1]، اى قسراً وجبراً ، وإنما خيرهم ، ليستحقوا لما خيرهم ، إما الثواب وإما العقاب، قوله : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] !

فإن قال قائل : فأى إكراه أكبر من السيف ؟!.. قلنا : لم يعنَ الله ، عز وجل ، الإكراه بالسيف فى هذه الموضوع ، إنما عنى[3] إكراه القلوب وجبرهم على الإيمان ، فـذلك مـا لا يطيقه النبى ، صلى الله عليه ، ولو كـان عنى إكـراه الحرب ، لم يكن للآية معنى ؛ لانـه قـد اكـرههم بالسيف بعد البيان ، والامتناع والحمية ، وبعدَ الإبلاغ والإنذار ، فامرهُ بقتالهم ، وهذا الإكراه ليس هو إكراه القلوب وقسرها على الإيمان .

ولو كان الامر على ما قالت المجبرة لم يجز فى الحكمة ، ولا فى العقول ، ان يقول ١٠١ ظ / لمن قـد اكـره / الناس ، وفـرغ[4] من اكـراههـم : (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)، فافهم هذا الجواب ، وانظر فيما ذكرنا ، ورسمنا لك من الحق ، فلن تجد المجبرة سبيلاً إلى نقضه على أهل العدل ابداً ، والحمد لله رب العالمين .

***

---

(١) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٢) سورة يونس : الآية نفسها.

(٣) فى الأصل : عنا .

(٤) فى الأصل : وفروع

المسألة السادسة عشرة

هل جعل الله الكفر والإيمان ؟

ثم قـال عبـد الله بن يزيـد البغدادى : ثم سلهـم من جعل الكفـر كفـراً ، والإيمان إيماناً؟.. فإنهم يقول : إن الله لم يجعل التوحيـد حسناً ، ولا الشرك قبيحاً .. وكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ؟!

رد أحمـد بن يحيى :

الجـواب ، قـال أحمـد بن يحيى ، صلـوات الله عليهـما : إنا نقـول إن الله ، جل ثنـاؤه، الذى جعل الكفركفـراً بالتسمية والحكم ، لا بالخلق له ، وجعل الإيمان إيماناً بالتسمية ، لا بالخلق له .

وليس لله ، عـز وجل ، فى الإيمان فـعل ، قل ولا كـثـر ، إلا الأمر بـه والافتـراض له ، وكذلك ليس لله ، عـز وجـل ، فى الكفر فعل، قـل ولا كثر، بوجه مـن الوجـوه كلها، إلا النهى عنه، والافتراض لتركه ، والخروج منه ،

وأما قولك : إن فى زعمنا أن الله لم يجعل التوحيـد حسناً ، ولا الشرك بالله قبيحاً ، وكيف يقع الثواب على ما لـم يحسِّنْ الله ، ولـم يقبِّح ، ولـم يجعله كفـراً ولا إيماناً ، والله – زعمت – إنما ذكر فى كتابه أن الثواب والعقاب (على الإيمان) [1] والكفر ..

وهذا كذب منك علينا ، وإسناد إلينا ما لم نقل ، وليس من قولنا ما قلت ، جل الله تعالى عن ذلك .

وقد حرفت وخلطت ، وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، جعل التوحيد حسناً بالدعاء إليه، والترغيب فيه ، والدلالة عليه، فحسنه فى قلوب الخلائق بالنعت والصفة لثوابه، إذ هو دينه الذى بعث به المرسلين، من الأولين والآخرين، الذى لايقبل غيره، ولايرضى سواه ، ولا يقبل عملاً من سائر الفرائض ، إلا به، ولا جنة لمن خالفه، وقصر منه.

وكذلك قبَّح الله ، عز وجل ، الكفر بالنهى عنه ، والتحذير منه ، والإعذار والإنذار فى تركه والخروج منه ، وليس الجعل لذلك إلاجعل حكم وتسمية ، فأما جعل حتم

---

(١) هذه العبارة ليست فى الأصل .

وجبر وخلق ، خلقهما ، أعنى الإيمان والكفر ، وقسر عليهما العباد ، وخلق فعليْهما جميعاً من الإيمان والكفر ، فليس ذلك قولنا فى صفة خالقنا ، عز عن ذلك وتعالى ، ولا ذلك قول الملائكة المقربين ، ولا الأنبياء المرسلين ، ولا الأئمة الراشدين ، ولا عباد الله المؤمنين ، ولا يوجد ذلك فى كتاب مبين، فيما أنزل الله على العالمين .

وإنما ذلك قول الملحدين والزنادقة الأرذلين ، والمشركين والظالمين ، وقول عبد الله بن يزيد، وأصحابه المجبرة الأخسرين .

شواهد القرآن على براءة الله من فعل عباده :

والشاهد لنا على أن الله ، عز وجل ، برئ مما قالوا ، قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ **وَلَكِنَّ**
١٠٢و / **اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ / وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** (٧) ﴾[1] ، يعنى ، عز وجل ، أنه حبب الإيمان، إلى من أراد الدخول فيه ، بما وصف من جنات النعيم ، وشوَّقَ إليه ، من الملك العظيم والثواب الكريم ، وكذلك كره الفسوق والعصيان، إلى من أحب ترك ذلك من العالمين ، بما أوعد من فعله ، وعصى[2] فيه ، من العذاب المقيم والنكال الأليم ، والمقام فى خلود الجحيم .

لا أنه جبر أحداً من خلقه، على واحد من الأمرين، من الأولين والآخرين ، ولوجبرهم على الطاعة والمعصية جبراً ، كما قلتم ، لم يجب للمجبورين ثواب ، ولا عليهم عقاب .

وأما قولك : كيف يثيبُ الله على ما لم يجعله هو ، عز وجل ، إيماناً ولا كفراً ؟! . .

فنقول لك، أيها المغرور، الغلط فى دينه، والتارك لكتاب ربه : هل رأيت رجلاً قط خاط ثياب نفسه ، ثم لما فرغ منها، أعطى[3] خياطاً آخر أجرة ثيابه، التى خاطها هو لنفسه؟! . .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٢) فى الأصل : عصا .

(٣) فى الأصل : اعطا

أو هل يجوز ذلك فى التعارف أوفى اللغة أو فى العقول ؟ أو هل رأيت رجلا قط بنى داره بيده، حتى إذا فرغ من عمارتها ، أعطى البنائين أجرة ما بنى هو بيده لنفسه؟!..أو هل رأيت جمالاً حمل نفسه ، وأولاده على جماله إلى مكة ، ثم اعطى [1] الجمالين كراء جماله التى يملكها ، ولم يخرجوا معه إلى مكة ، ولم يسافروا، وأعطاهم الكراء على غير عمل ؟!..

فهل هذه الصفة تجوز فى حكمة حكيم ، أو فى صفة متقن عظيم ؟!..

أو هل سمعت ، أيها المخدوع المعجب بجهله ، آية واحدة من كتاب الله ، عز وجل، تشهدُ بما قلت، أنه يثيبُ أحداً على خلقه الذى هو تولى [2] خلقه ، أو يثيب أحداً على أمر تولى هو ، عز وجل ، صنعه دون غيره ؟

أليس آياتُ القرآن تشهدُ ، وتدل على أن الثواب للمطيعين العاملين ، وعلى أن العقاب على العاصين التاركين ، الذين آثروا الهوى ، واختاروا لأنفسهم الدنيا على الآخرة التى تبقى [3] ؟!..

فقتلوا الأنبياء وأئمة الهدى ، وأشركوا وكفروا ، وفعلوا كلَّ قبيح باختيارهم وإرادتهم ، لا بإرادته ، عز وجل ، ولا خلقه الذى ألزمته أنه خلق فعلهم ، بل هو البرئ عن ذلك ، تبارك وتعالى .

وقال فى غير موضع من القرآن ، ما لا نحصيه ، أن العقاب وقع عليهم ، بما قدّمت لهم أنفسهم ، وإنما عملت أيديهم ، وبما كانوا يكذبون ، وبما كانوا يكفرون .

قال الله ، عز وجل ،: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
١٠٢ ظ / سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا / مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] ، وهذه الآية من الشواهد أن هذا الشئ خاص دون عام ، يعنى به بما انطق ، إذ كان كل شئ لاينطق إلاّ أهل النطق لا غيرهم .

---

(١) كرر هذه الكلمة الناسخ مرتين .

(٢) فى الأصل : تولا .

(٣) فى الأصل : تبقا .

(٤) سورة فصلت : الآيتان ٢١ – ٢٢.

وإنما احتججنا بهذه الآية ؛ لأنها توجب لنا حجة، فيما نحن فى ذكره ، وحجة لنا عليك ، فى دعواك أن الله خالق كل شئ ، يريدون بذلك افعال العباد ، وجب فى هذه الآية أن الله خالق كل شئ .

وإنما هو خاص لا عام ، مع شواهد كثيرة، سوف نذكرها فى مواضعها، إن شاء الله.

وكذلك قوله ، عز وجل ، لأهل الجنة ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[5]، وقال : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾[6]، فهذا القرآن ، الذى لا حيلة لك فى رده ، يوجب أن الجزاء لا يكون إلا على المجازى ، وإلا لم يجب أن يجزى المجازى على عمل نفسه ، ولا يسمى ذلك جزاء ، ولا يعرف ذلك فى لغةٍ عربية ، ولا غير عربيةٍ ، ولا يقبله عقل لبيب.

إلا أن يقال لرجل : أعطنى جزائى، على زيارتك لقبر رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأعطنى أجرى، على حجتك إلى البيت الحرام !! .

أو يجوز فى اللغة أن فلاناً احتفر بئراً بيده ، فلما فرغ منها ، وخرج ماؤها ، قدم إليه رجل من أهل البصرة ، فقال له : أعطنى أجرى، على بئرك الذى حفرتها لنفسك بيدك! . وهذا نفس المحال من المقال.

---

(١) سورة الواقعة : الآية ٢٤ ، وفى آيات اخرى اشرنا لها من قبل .
(٢) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .
(٣) سورة الذاريات : الآيات من ١٧ - ١٩ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .
(٥) سورة النحل : الآية ٩٧ .
(٦) سورة النور : الآيتان ٣٦ - ٣٧

هل يجازى الله العباد على فعله هو ؟!

فكيف قول عبد الله بن يزيد البغدادى فى هذا الموضوع ، وما حجته على الله ، عز وجل ، أن يكون – يجزى على فعله هو ، ويعاقب على فعله ، وهو خلقه – زعمت – صنعه ! .. فيجزى على صنعه الذى صنعه دون غيره، بالجنة وبالنار، التى إليهما مصيرُ الخلائق ، وملك الأبد أو عذاب الأبد .

فهل يخرج هذا القول فى فعل حكيم أو عادل كريم : ﴿ **هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾، فلا حجة لك فى هذا ، ولا خلاص إلا التوبة والرجوع ، فتضيف إلى كل عامل عمله لقول الله ، عز وجل : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [١] .

١٠٣و/ كان هذا القرآن عنى به غير المجبرة ، وكأنهم لم يسمعوا قوله ، عز وجل : ﴿ **وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)** ﴾ [٢]، وكأنهم لم يقل لهم : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢)** ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١)** ﴾[٤]، فلعمرى، إنهم عند تذكرة الحق، وحجج القرآن ، لكالحمير النافرة من الأسد !

فى نقد أصحاب الحديث :

والدليل على ذلك ، أنك إذا ناظرتهم ببراهين القرآن ، هربوا من النظر ، ورووا فى الحديث أن أسلافهم وكبراءهم قالوا لهم ، لا تسمعوا القرآن من صاحب بدعة[٥] !!

---

(١) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ – ٨ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٤) سورة المدثر : الآيات ٤٩ – ٥١ .

(٥) إشارة لمقالة أصحاب الحديث فى **أصحاب العدل والتوحيد** ، حيث يقدمون الحديث على ثوابت القرآن ومحكمه ، ويدافعون عن المتشابهات فى إصرار عجيب، وانظر الدارمى ، ١ / ٣٥ « المقدمة » ، باب ٣٥ .

وأهل العدل والتوحيد عندهم أصحاب بدعة !.. فكيف يعرف القرآن ويهتدى إلى عجائبه والنير الشافى من حججه من اعتقد هذا الجهل ، ودان به من رواة الأحاديث ، وجعله ديناً ، عليه يعمل ، وبه يحتج ، وترك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[2]؟!!..

وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، وقوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[6].

فنعوذ بالله من الحيرة فى دينه ، والهجران لكتابه ، والعنود من حقه ، إنه قوى عزيز.

وليت شعرى، ما الفرق بين من روى هذا الحديث ، وبين المشركين الذين كذبوا رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وقالوا : ﴿ .. لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[7]!

***

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(٣) سورة العنكبوت . الآية ٥١ .

(٤) سورة القمر : الآية ٥ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٢٦

المسألة السابعة عشرة
فى التحسين والتقبيح

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : أو ليس لو شاء العباد، لصنعوا الكفر إيماناً، والإيمان كفراً ؟!.. لأنه إنما هو صنعهم وجعلهم ، وتحسينهم وتقبيحهم ، والله لم يصنع ذلك ؟!.. يضيف إلينا، أن هذا قولنا - زعم - وقد كرر كلامه فى هذا الموضع من كتابه ، بأمرٍ بعضهُ يكفى ° لأنا نعلمُ ما يريد فى أول كلمة يقولها ، ولابد لنا إذا كرّر، أن نكرر عليه، حتى يتبين الجواب .

رد أحمد بن يحيى :

قدرة العباد على الفعل اختياراً :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : إنا نقول إن العباد يقدرون على أن يحوّلوا الكفر إيماناً ، فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان، الذى دعاهم الله إليه ، عز وجل ، وكذلك [1] هم قادرون على أن يحولوا الإيمان كفراً ، فيرتدوا عن الإيمان الذى أمرهم الله ، عز وجل ، بالدخول فيه، فيرجعوا عنه ، ويصيروا إلى الكفر، الذى نهاهم الله عنه ، إلا أن تقول يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوانك المجبرة أن أحداً من الناس ، لم ١٠٣ظ/ يرتد قط عن الإسلام ، وإن أحداً لم يخرج من الكفر ، وعبادة الأصنام ، ويرجع إلى الإيمان!..

وكفى بشهادة القرآن لنا ، على من آمن ، وعلى من ارتد ، فأى حجة لك فى هذا ، وأى قول قد كررت فيه ووكدته ، حتى [2] كأنك قد جئت بشئٍ تُبْهرَ به أهل العدل ، الحماة عن دين الله ، جل ثناؤه ، وأهل الذب عن الإسلام !.

فهذا يوجبُ عليك أن العباد يقدرون على أن يجعلوا الإيمان كفراً ، والكفر إيماناً، وجعلهم هو أفعالهم التى لم يخلقها الله ، عز وجل عن ذلك ، وجبرهم فيها ، وقال

---

(١) جاءت مكررة فى الأصل خطأ من الناسخ .

(٢) فى الأصل : وكفا ... حتا .

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] ، بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والإعذار والإنذار؛ ثم قال : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[2] .

تعريف الحسن والقبيح :

وأما قولك في التحسين والتقبيح ، فالحسن عند الله ، عز وجل ، فهو الحسن الذى لا ينكر ولا يخرج من التعارف ، ولا مما دعت إليه الرسل، ولا مما جاءت بها الكتب ، والقبيح : فهو القبيحُ الذى لا يجهل ، مما نهت عنه الرسل ، وحرَّمته الكتب ، فالقبيحُ مثل فريتك على الله ، أنت وأصحابك المجبرة من قولكم ، إن الله ، عز وجل ، قلتم ، خلق زنا الزانين ، وإلحاد الملحدين ، وشرك المشركين ، وقتل الأنبياء ، وأئمة الهدى ، وإتيان الأمهات والأخوات والبنات ، وأنه أراده ، زعمتم ، وخلقه وقدَّره ، ثم غضب منه أشد الغضب، وأعد العذاب الأليم لفاعله، وذمَه في كتبه ، وعلى السنة رُسله ، وتبرأ منه ، ونسبهُ إلى قوم بُرآء مما خلق ، فقال لهم في كتابه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3]، وقال لهم : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[4]، وقال لهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[5] ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[6]، وقوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) ﴾[7] ، ثم قال : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾[8] ، فكيف ينتهون عن أمر أراده منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقه من فعله ؟!!.

ثم قال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[9]، فمما يتوبون، أيها الجاهل المغرور، ومما يستغفرون ، أمن فعله أم من فعلهم؟!..

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية نفسها .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٦) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٧) سورة النجم : الآية نفسها .

(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣

(٩) سورة المائدة : الآية ٧٤

وهو القائل ، عز وجل ، : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[1]، فأى حجة أقوى ، ويحك ، من أن يقولوا له يوم القيامة، ويحتجوا عليه، على قود قولك ، لو ١٠٤و/ تركتنا ياربنا من خلق الكفر فينا .

وإرادتك له منّا ، وتقديريك له علينا ، لَتسلمنا من نارك وعذابك المقيم ، الذى لا فكاك منه أبداً ؛ وقد أخبرتنا فى كتابك، أنك العدل الرحيم ، الذى لا يجورُ ولا يظلم، وأنك حسن الفعل.

فأخبرنا يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لمَ يعذبهم ، وقد صدقوا فى حجتهم، فى زعمك ، وعلى قولك أن هذه الصفات كلها صفتهُ ، وأن ما حل بهم ، إنما هو من إرادته وفعله وخلقه ، وأنه لولا إرادته ، ما هلكوا ولاخرجوا من طاعة ؟!!..

فحسبك بهذا العمى عمى[2] ، وحسبك بهذا الجهل جهلاً ، وحسبك بهذا الكفر كفراً ، فلا فى القرآن نظرتم ، ولا العقول استعملتم ، ولا عن أهل العدل قبلتم ، ولا بقول الشعراء تأديتم ، فأنتم والبهائم فى منزلة .

قال الشاعر :

ألا أيها الملحد المجبرُ ... أراك لذنبكَ تستغفرُ
أتستغفرُ اللهَ من فعله ... وأنت لله تارةً منكرُ
تقول : وجدتُ جميعَ الذنوب ... ربى على فعلها يجبرُ
ومنه إذا ما زنيت الزنا ... ، بزعمك ، والخمر والميسر
أما لك عقلٌ ، إذا لم تكن ... ذنوبك منك ، فلا تغفر
أضفت القبيح إلى ربنا ، ... وما هو من خلقه منكر
وقهر اليتامى ، وسفك الدماء ... فلمَ عبتَ كفرَ الذى يكفرُ؟!
إذا كان فاعله غيرهُ ... فما ذنبه عند من يكفر؟!
وقتل الأئمة والمرسلين ، ... ولم عبت شكر الذى يشكرُ؟!

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) فى الأصل : العما عما .

نسبتَ إلى الله كفرَ العباد، وكلُّ المعاصي التي تذكرُ
ولو قال ذا قائلٌ في أبيك، ماكنت عن قتله تُقْصِرُ
ولو كان فيك، لكذبته، وفي الله أنت به تجهرُ!
ألم تسمعوا قول أهل الجحيم في دَرْكِ النار، إذا أُحضروا
وقد سألوا ربهم رجعةً لكي يعملوا صالحاً يؤجروا ؟
فقال: ألم أكُ عمرتكم وجاء النذيرُ، فلم تشكروا؟!
ألم يأتكم منذرٌ منكمُ؟ فقالوا: «بلى، جاءنا منذرٌ».
ولكن غوينا بتكذيبهم وقلنا : من الرسل قد يسحرُ
فنودوا، إذ اعترفوا بالذنوب بعداً وسحقاً لكم، فاصبروا
وقد أنكروا أن يكون القرآن عدلاً، ولو أنهم فكروا
لدلَّهم أنه عادلٌ ولكنهم فيه، لم ينظروا

وأما الفعل الحسن الذى سألت عنه، فهو الإجابة إلى كتاب الله، عز وجل، وما دعا [1] إليه رسول الله، صلى الله عليه، من الطاعة التى قال الله، جل تناؤه،: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾[2].

فهذا هو الحسن الذى سألتنا عن تفسير الحسن والقبيح، فتدبر ما قلنا، وما جاءك من حججنا هذه القاطعة لدعواك، والحمد لله رب العالمين.

***

فى الاسم والمسمى:

١٠٤ظ/ ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم، فإن قالوا : إن الله [3] إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان، ولم يجعل الإيمان، ولم يجعل الكفر. فقل لهم

(١) فى الأصل : دعى.
(٢) سورة فصلت - الآية ٣٣
(٣) جاءت مكررة فى الأصل.

عـنـد ذلك : اخـبـرونى عن اسـم الإيمـان اهـو الإيمـان، وعن اسـم الكـفـر هـو الكفـر؟!..

فـإن قالوا : إن الإيمان هو الإيمان ، وإن اسم الكفـر هو الكفـر .. فقـد أعطوك ان الله جعل الإيمان والكفر ، وصنعهـما وخلقهـما ، فقد امكنوك من انفسـهم ، ورجعوا عن قولهم ؛ لان الاسم غير المسمى ، فإذا جعل الله الاسماء لزمهم [1] ان الاسـمـاء هى الاشياء بعينها ، لا غيرها .

فقـد جعل الله اسماءها ، واسماؤها هى هى ، وليس الاسم شيئاً غيـر الكفر ، وكذلك الإيمان ليس اسمُه غيره ، فقد جعل الله الكفر والإيمان، وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى الذى وقع عليه الاسم ، والاسم ليس بكفر ولا إيمان .

فارجع إلى اصل مسالتك، فقل : اليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟!

ثم ارفعهم إلى ما رفعتم إليه فى صدر المسالة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾ ﴾[2] .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قـال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين : قد قلت ما قلت، فاعمل ذهنك فيما يرد عليك من جوابنا ، إن شاء الله .

فإنا نقول لك : إنك قد اقررت، ولزمك ان اسم الكفر هو الكفر، وان اسم الإيمان هو الإيمان، لا غير ذلك ، زعمت ، وان الله ، جل ثناؤه ، فى قولك، الذى خلق الكفر والإيمان ، فقد اكذبك الله ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[3] .

وقـولـه : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ

---

(١) فى الاصل : لن .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٨ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [١]، افلا ترى انه تبرأ من جعل هذه الأسماء التى سموها للأنعام ، وهو ، عز وجل، الذى خلق أجسامها ، لم يتبرأ من خلقها، وإنما تبرأ مما جعلوه هم ، وكفى بهذه حجة، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[٢].

فإن زعمت ان الله خلق ذلك من فعلهم ، لزمك انه الشاتم لنفسه ، والمدعى لها الصواحب والأولاد ، عز الله وتعالى وتقدس عما تقولون .

ومع ذلك انك من أهل التوحيد ، زعمت ، ونفى التشبيه ، ومعاذ الله، ما يقول ١٠٥ و/ بالتوحيد ولا يحسنه ، ولايسلم من التشبيه العظيم، والكفر الجسيم ./ من يقول بالجبر؛ لأنه لزمك، فى قولك، الذى ادعيت من التوحيد ، ما أنا ذاكره ، فافهم ما يحل بك .

ارايت إن سئل سائل فقال لك : اخبرنا عن الاسم ، اسم الله ، عز وجل ، المعبود الذى تعبده، هل الاسم عندك فيه غير المسمى، أم هو الاسم لا غير ؟!..

فإن قلت : إن الاسم هو المسمى .. لزمك ان « الف لام لام هاء » الاحرف المخطوطة الموجودة ، هى معبودك الذى توحدُ ، والذى له تصلى وتحفد ، وله تصوم وتسجد !... فتكفر بهذا القول ، عند جميع أهل التوحيد ويلزمك ان معبودك يمحى، فيمتحى ، ويحرق فيحترق ، ويقع عليه الأبوال والأنجاس ، ويقع عليها فلا ينتصر ، ويجئ مرة ويذهب مرة ، وتراه الأعين ، وتدركه الحواس ، ويخط بالأيدى فى الكتب !.. وكفى بهذا بليةً عظمى، وكفر اعمى [٣] .

وإن زعمت ان الاسم غيرَ المسمى، لزمك من اصل اذنك ، وأنت راغم الأنف ، مفلوج الحجة ان الذى ادعيت، وقلت به ، واكثرت فيه الخطاب ، من ان الاسم هو المسمى ، انك قد أبطلت فيه، واخطات وافتضحت ، ووجب على أصحابك، بلا شك ولا مرية ، التوبة عن تقليدك أمر دينهم ، ولزمهم ان يلعنوك حياً وميتاً ، وأن

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٤ -٥ .

(٣) فى الاصل : كفا . اعما .

يفارقوك فى حياتك إن عشت ، يتبرأوا إلى الله ، عز وجل ، مما وضعت لهم ، من الكفر والجهل ، وإلا فالنار .

ويلزمك ان الكفر، هو غير الاسم الذى سمى به كفراً ، وان الإيمان غير الاسم الذى سمى به إيماناً ؛ لأن الاسم غير المسمّى في جميع الاشياء كلها ، باوضح دليل وابين برهان ، فقد ثبت عليك الفلج ، والحمد لله رب العالمين .

وقد بان لنا ، ولاصحابك ، جهلُكَ فى التوحيد ، وصح تشبيهك ، إذ زعمت ان اسم الإيمان ، ليس هو شئ غير الإيمان ، وان اسم الكفر، ليس هو شئ غير الكفر ، فاستفد انت واصحابك ، هذه الفائدة فى التوحيد ، الذى جهلتموه ، كما جهلتم العدل ، واعلموا علماً يقيناً أن التوحيد لا يتم لمعتقده ، ولا القائل به ، إلا بمعرفة القول بالعدل ، وإلا فلا يصلح توحيد إلا بعدل ، الا ترى كيف اخطات الخطأ العظيم، فى التوحيد ، ولزمك التشبيه، لما احتججت فى إبطال العدل، بان الاسمَ هو المسمى ، لا غيره؟!

فلزمك الكفر فى التوحيد ، ففسد عليك اعتقادك ، وما ادعيت من معرفة التوحيد، فشبهت والحدث ، وبان جهلك وسقطت رئاستك ، وهذه التى جئت بها ، والخطا اعظم من جبل أحد ، فقد افتضحت وفضحتك ؛ إلا ان ترجع أنت واصحابك، إلى تعلم العدل والقول به ، وتتوبوا عن الجبر والجهل .

* ومن الحجة لنا عليك أيضاً فى أن الاسم غير المسمى ، ان قائلاً لو سمى دنانير ودراهم، وإبلاً وخيلاً ، وقال : هى عندى ، وهو فقير لا دنانير له ، ولا إبل ولا خيل ، ١٠٥ و / لم يحصل معه من تسميته الدنانير والدراهم . / والإبل والخيل، قليل ولا كثير، وكذلك لو قال ، وذكر خبزاً ولحماً وتمراً ، وهو جائع ، لم ينفعه ذلك، ولم يشبعه ؛ لأن الاسم غير المسمى [1] .

وكذلك لو قال : ماء الفرات ، وهو عطشان ، لم يروه اسم الماء ، دون وجود الماء ، فمن ها هنا وجب عليك ان الاسم غير المسمى ، وبطل ما قلت ؛ لأن اسم الله ، عز وجل ، غير الله ، سبحانه ، وهذا اسمه مكتوبٌ فى المصاحف يراه الناس وتحيط به

---

(١) تاتى كثيراً فى الاصل هكذا : المسما .

الاقطار، إذ الاسم احرف أربعة ، والمسمّى لا نظير له ولا عديل ، ولا يتجزأ أجزاء ، تبارك وتعالى الواحد الفرد ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، أسماؤه تعبيرٌ وأفعاله تفهيم ، وهو اللطيف الخبير .

ثم نقول لك : اخبرنا عن قول أبى جهل بن هشام ، لعنة الله عليه ، بالتعنيف منه لمحمدٍ ، صلى الله عليه وعلى آله : جاءنا محمد ، زعمتم ، بالإيمان ليدخلنا فيه ، هل قول أبى جهل، وتسميته للإيمان ، توجبُ له إيماناً ام لا ؟

فإن قلت : نعم ، إن ذلك القول الذى ذكرته اسم الإيمان، يوجب لابى جهل إيماناً ، لزمك أنك قد شهدت له بالإيمان ، ووجب عليك أن النبى صلى الله عليه ، قتله ببدرٍ وهو مؤمن !.. إذا اسم الإيمان هو الإيمان عندك .

وإن قلت : إنك لا توجب لأبى جهل تسميته للإيمان إيماناً . رجعت عن قولك وافتضحت عند أصحابك ، ولزمتك التوبة من فريتك على الله ، عز وجل ، وبطلت حجتك .

وكذلك إن قال رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الكفر دين الشيطان. وسمى كفراً ، لزمه ، على قود قولك ، فعل الكفر !.. وهل تقول ذلك ام لا ؟

فإن قلت : إن الكفر يلزم النبى ، عليه السلام ، حين سمى الكفر كفراً . كفرت بالله ، واشركت ، وخرجت من الإسلام ، بقولك فى النبى ، صلى الله عليه ، مثل هذا القول.

وإن قلت : لايلزم النبى ، صلى الله عليه ، بتسمية الكفر كفراً ، انه يكفر . بطلت حجتك ، وانتقض كتابك الذى وضعت لأصحابك ، على أهل العدل ، وكفى بهذه فضيحة، وحجة باهرة، والعجيب من اصحابك كيف يقيمون على قولك ، ويعتقدونه ديناً ، تذهب فيه أعمارهم ، بعد هذا البيان!..

إلا أنهم اتخذوا دين الله ، جل ثناؤه ، عصبية وحمية، واستكباراً عن الرجوع إلى الحق ، مع قولهم انهم لا يقدرون على تغيير خلق الله وإرادته ، لما هم عليه ، زعموا ، من المذهب ، وابطلوا قوله لمحمد ، صلى الله عليه ،: ﴿ وما

أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾[1] ، فزعموا أن من علم الله منه الكفر والمعصية، أن ١٠٦ و / الله لا يريد منه الإيمان ؛ لأنه إن أراد منه الإيمان ، بطل علمه في زعمهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، / ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ ، وقوله : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾[2]، وقوله : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾[3] .

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادي ، ومن قال بقوله من المجبرة أن الله ، عز وجل عن قولهم ، لم يصدق في هذه الآية ، وأنه أراد من قوم الإيمان ، ومن قوم الكفر ... ورد كتاب الله صراحاً بلا حجة ، إلابدعوى فاسدة ، إذا ما قالها الرجال من أهل العدل والتوحيد ، وأبطلوها عليهم، وعرفوهم بجهلهم فيها ، مثل ما قد تسمع ، والله يعلم إنا لندع كثيراً من الحجج لكثرتها، وترادفها علينا، وتسابقها إلى جوابنا ، والحمد لله المعز لدينه، والناصر للحق، والموضح لكتابه ، والمذل لمن عانده، وكفر به .

***

اللطف والعون :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم مع هذا ، فقل : أرأيتم إذا كانوا هم يجعلون الإيمان والكفر ، أليس الإيمان طاعة، والكفر معصية؟!.. فإذا قالوا : بلى . فقلى : أفليس هم الذين يضعون ذلك، وليس لله ، عز وجل ، فيه صنع؟..

فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس أنتم لا تحتاجون إلى الله فيها ، وأنتم أغنياء عن الله في الطاعة[4] ، ولا إلى عون الله عليها .. ولم يعن الله عليها خلقاً قط ، ولم يحتج خلق قط إلى الله ، والناس مستغنون عن الله فيها ؟!..

فإن أعطوك هذا ، فما أراك أن تزيد ترفعهم إلى أعظم من هذا .

فإن قال قوم : إنا مستغنون عن الله ، عز وجل ، لا نحتاج إلى الله، عز وجل ، في

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) كرر بعدها العبارة السابقة وهو خطأ من الناسخ .

طاعة ، ولا أن يكفنا عن حرمه ، ولم يكف عنها خلقاً ، ولم يلطف ليوسف، حين قال : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1] ، وأشباه هذا .

فإن أبو إلا أن يتمادوا ، فوقفهم على أنهم لا يحتاجون إلى الله ، عز وجل ، وأنهم مستغنون عن الله ، وسينقطع عليهم هذا الكلام ، حتى لا يجيبوك .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : اعلم أنك قد أكثرت التكرار فى هذا الباب ، وذلك لما عندك من العمى والجهل بالدين ، وكلمة من هذا الذى هزأت به تجزئ ، وقد أجبت نفسك عنا ، ببعض قولنا ، ولم تكن احسنت تحتج فيه فتكسره ، من أن العون عونان لا غيرهما ، عون الدعوة إلى الحق ، والدلالة لنا عليه ، وعون الله ، عز وجل ، لنا بالأسماع والأبصار والاستطاعة المركبة قبل الفعل والألسنة ، وجميع الجوارح ، والصحة والعافية والأبدان . فهذا[2] هو عون الله ، عز وجل، الذى أعاننا به ، وتفضل به علينا ، ولا غناء بنا عنه، فى شئ من ذلك، ولا قوام ١٠٦ ظ/ لنا طرفة عين إلا به ، ولا سبيل / لك إلى وجود عون غيره ، إلاما ادعيت من الجبر ، الذى خالفت به القرآن ، وافتريت به على الرحمن .

وليس عون الله ، عز وجل ، للعباد ، سبباً غير ما ذكرنا ، إلا أن تدعى ، كما ادعيت، أن الله ، عز وجل ، عما تسندون إليه ، أعانهم على فرائضهم ، فقام ببعضها عنهم ، فصلى[3] عنهم بعض الصلوات ، عند اشتغالهم ، وصام عنهم بعض شهر رمضان ، إذا عطشوا أوجاعوا ، وحج عنهم إذا كسلوا عن الحج وتوانوا ، وقاتل المشركين دونهم ، إذا لزموا بيوتهم ، وتخلفوا عن رسول الله ، صلى الله عليه ، أو عن إمام هدى ، فيكون ذلك كما قال المضلون الظالمون من قبلكم : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] .

فإن كان ما قلت حقاً من العون ، فهذا لعمرك، عونٌ ثالث ، لا نعرف عوناً بعد ماذكرنا غيره؟ . .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : فهذه .

(٣) فى الأصل : فصلا .

(٤) سورة المائدة الآية ٢٤ اخطا الناسخ فكتبها هكذا · اذهب

فإن قلت : نعم هذا هو العون الذى عنه سألت ، وهو الذى أريد .

قلنا لك : فقد لزمك الكفر ، والخروج من الإسلام ، بقولك : إن الله، عز وجل ، يصلى بعض صلاة الناس ، ويصوم بعض صومهم ، ويحج بعض حجهم ، ويجاهد الأعداء دونهم ، ويتزكى [1] من أموالهم دونهم [2] ، إذا لم يدفعوا الزكاة إلى الأنبياء وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، وكفاك بهذا جهلاً وعمىً وكفراً .

وإن قلت : إنك لا تقول هذا لبيان فساده .. قلنا لك : فأوجدنا عون الله ، عز وجل ، للعباد ، على فرضهم الذى افترض عليهم ، أين هو ، وما هو وكيف هو؟! ..

العون الإلهى تفضل الله على عباده :

فلا تجد عونه للعباد غير ما ذكرنا ، من تفضله عليهم ، والدعاء إلى الإسلام، وما وهب لهم من الأسماع والأبصار ، والألسنة والقوة والأيدى والأرجل ، وجميع الجوارح والصحة والعافية ، والقدرة على أداء الفرض ، بالاستطاعة المركبة فيهم ، فلا سبيل لك إلى وجود عون من الله ، عز وجل ، للعباد على أداء الفرائض ، إلا طرحها عنهم ، أو قيامه ببعضها دونهم ، أو الرجوع إلى القول بالعدل .

كما قلنا ، لابدَّ لك من ذلك ، ولا خلاص لك منه ، وسقط قولك : أنا سنتقطعُ فى مسألتك هذه ، زعمت ، وفرَّحْتَ نفسك وأصحابك بذلك . فدونك الآن، فخلص نفسك مما وقعت فيه، ولاخلاص من هذا الذى قلنا لك أبداً ، بوجه من جميع الوجوه ، إلا التوبة والرجوع إلى القول بالعدل .

وأما قولك : إن فينا من يقول : إن الإيمان لا يستطاع إلا بعون حادث ، ١٠٧و/ ولسنا نقول ذلك أيضاً . ذلك قولك ، وقول أصحابك : إن / الاستطاعة، زعمتم ، مع الفعل ، تحدث بحدوثه ، ولانقول نحن بأمر حادث ، بل فينا الاستطاعة موجودة قبل فعلنا ، ولذلك لزمنا لله ، عز وجل ، الحجة ، وقد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا ، من الرد عليك فى الاستطاعة ، ما فيه أكفى الكفاية ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مكتوب بجوارها : من أموالهم .

(٢) فى الأصل : يتزكا .

الحجة على أن الله لم يرد الكفر من الكافرين :

* ومن الحجة لنا عليك ، في إبطال قولك الذي زعمت فيه أن الله ، عز وجل ، أراد الكفر من الكافرين ، ما يأتيك من كتاب الله ، عز وجل ، ما يوجب تكذيبكم وبراءته، عز وجل ، من فريتكم عليه ، وهو قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] .

فاسمع إلى قوله ، عز وجل ، حيث يقول القائل : ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾، فاسمع إلى جوابه ، عز وجل ، حيث قال : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2] .

فلو لم يكن نزل في العدل ، وبراءة الله ، عز وجل ، من كفر الكافرين، ووضوح شهادة القرآن به ، إنهم اختاروا الكفر ، ولم يُردْهُ الله منهم ، لكان في هذا أكفى الكفاية ، وأوضح البرهان .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[3]، وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[4] ، أهذا ويحك من أراد الكفر من عباده ، جل عن ذلك رب العالمين ؟!! . .

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ

---

(١) سورة الزمر : الآيات ٥٣ – ٥٨ .

(٢) سورة الزمر: الآيات ٥٩ – ٦١ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة يس : الآية ٥٤ .

اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

١٠٧ظ / ويحك أيها الجاهل المغرور ، ألا تسمع إلى هذا القرآن المبين ، وإلى / قوله : ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ، أهذا قول من أراد الكفر منهم ، ثم عنفهم وعاقبهم على فعله ، وعلى ما أراد منهم ؟!..

أهذه صفة الرحيم الحكيم، الذى أخبر الله ، عز وجل ، عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم ، وقال فى كتابه : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [2]، وقوله ، عز وجل، : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]، فهذه الآية مكذبةٌ لقولك ، ولمن مضى من قبلك ، ولمن بقى من إخوانك ، إذ صرتم فى الفرية على الله ، جل ثناؤه ، إلى كل باب عظيم، لا تقوم له الجبال ، بمفارقتكم للقرآن صراحاً ، ومجادلتكم بغير القرآن إلا ما تعلقتم به من المتشابه، الذى جهلتم فيه التأويل والمعرفة باللغة العربية ، التى خاطب الله ، جل ثناؤه ، أهلها وفارقتم الحق ، وأبغضتم أهله ، وقد قال الله تبارك وتعالى . ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[4]، وكفى بهذه الآية كلاءة [5] وبياناً ، وقطع عذرٍ ، لمن تخلف عن الحق وأهله ، لو قامت نصفه، أو إعراض عن حمية ، أو قيّمٌ لله ، جل ثناؤه ، بواجبِ حق ، فبعداً للقوم الظالمين !

فى تفسير التيسير فى قوله : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾[6]، فنقول لك : ما هذا القول عندك فى قول الله ، عز وجل ، ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ ﴾، أيجوز من فعل عادل، أن يقتل رجلاً فى غير جرم ، وهو الذى أراد قتله ؟!..

---

(١) سورة يس : الآيات ٦٠ - ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨ .
(٣) سورة الأعراف : آية ٢٨ .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٣ .
(٥) هكذا فى الأصل .
(٦) سورة عبس : الآيات ١٧ - ٢٠ .

ثم يقول الله : فلاناً ما أشره وما أظلمه ، هل يجوز هذا في لغة العرب ، أو في واضح العقول ؟!..

ثم نقول لك على إثر هذا : أحين قالَ ، عز وجل ، : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾، ما معناه في تيسيره للسبيل ؛ «أهو إرادته»[1] لكفره ، أم إرادته لإيمانه؟!..

فإن قلت : هو إرادته لإيمانه .. صدقت ، وقلت الحق ، وهو قولنا ؛ لأن الله ، عز وجل، قد يسر للكفار كلهم السبيل ، ودعاهم إلى الطاعة ، وعرفهم بسبيل التقوى ، ودلهم على النجاة ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، ولزمك أن قد رجعت عن قولك : إن الله أراد الكفر من الكافرين .

١٠٨ و/ وإن قلت : إن هذا التيسير / من الله ، جل ثناؤه ، للكافرين، إنما هو إلى سبيل الكفر، لا إلى سبيل الرشد .. أكذبك الله ، عز وجل ، بواضح البرهان ، وأبين البيان ، وأقوى السلطان ، بقوله ، تبارك وتعالى ، الذى لم تهتد إليه ، ولم تدبره قط فى ساعة من الساعات : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[2]، فاخبر ، عز وجل ، أنه قد هدى الكافرين والمؤمنين ابتداءً منه ، ومنّةً ونعمة بغير استحقاق استوجَبوهُ ، وذلك هدى تعريف ودلالة إلى السبيل، بالكتب والرسل ، لا هداية جبر ولا قسر لواحد من الفريقين ، وأخبرنا فى هذه الآية أنه قد بدأ الكفار بالدعاء والهداية إلى الإيمان ، وهم على كفرهم ، وهذه سنة الله ، عز وجل ، فى الأولين والآخرين ، أنه يدعوهم إلى دينه ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

فاسمع إلى هذا البيان ، وإلى واضح هذا البرهان ، كيف ذهبت عنه ، وكيف خرجت منه ، وتركته صفحاً ، فلا يبعد الله إلا من ظلم ؟!..

ثم يكذبك بعد هذا جميع أهل القبلة باسرهم أن الله ، عز وجل ، ما عنى بتيسيره

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) سورة الإنسان ، الآية ٣ .

(٣) سورة الليل : الآيات ١٢ - ٢١

الكفار إلى السبيل، أنه لم يعن بذلك إلا سبيل الهدى والطاعة والرشد ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ومن رده كفر، وقوله ، سبحانه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[1]، اهذا عندك قول من أراد منهم الكفر ، ثم سيسألهم فيقول : «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً» ، وهو الذى أراد كفرهم ؟!..

سبحان الله العظيم ما أقبح ما قلتم ، وأوضح فساده .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقول المؤمن فى سورة ياسين: ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] ، وقوله يخبر عن الكفار : ﴿ .. أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾[5] ، فكل هذه الآيات تشهد على تكذيبك ، وتشهد لله، جل ثناؤه ، بالبراءة مما قلت إنه أراد كفر الكافرين .

***

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .

(٢) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة يس : الآية ٢٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٦٣ .

المسألة الثامنة عشرة

خلق الأفعال بين الله والناس

خلق الأفعال : أصولها وما يتولد منها :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى :

ان سالوك : أخلق الله الكفر والإيمان ؟ فقل : نعم خلقهما الله عملاً من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد ، العباد يزنون ويسرقون ، ولم يفعل الله ذلك ١٠٨ظ/ على ما فعله العباد ، ولكن الله ، عز وجل ، خلق عملهم، فخلق الطاعة والمعصية ، عملاً من العباد / وكذلك كل شئ صنعه العباد ، وعملوه ، فالله خالق عملهم ، عملاً منهم .

واعلم أنه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور ، اقرب إلى الزندقة من قولهم : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، فهو إذاً لم يُضحك ، ولم يُبك ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا خلق السرابيل ؛ لأن خلق الألسنة لم يختلف ، وإنما اختلفت اللغات ، وإنما كتبت هذه المسألة، لتعرف ما يدخل عليهم فى هذا الكلام ، فأحسن اللفظ ولا تعجل .

واعلم أنهم إن قادوا كلامهم على هذا ، زعموا ، أن الله لم يخلق ثوباً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ، ولم يسق الله عطشاناً ولم يطعم الله جائعاً ، ولم يجعل الله أكناناً من الجبال ،التى عملها العباد، ولا قصراً من السهل ، واشباه هذا الذى عمله العباد ، ولم يخلق الله كفراً ولا إيماناً ، ولم يجعل الله الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان ، ولم يحسّن الله إيماناً ولم يقبّح كفراً ، هوان ذلك كله عمله العباد وصنعوه وحسنوه وقبحوه ، ولم يحمل الله فى ذلك، ولم يجعله واشباه هذا ، فهو أكثر من أن نصفه لك .

بين فعل المستقبل وفعل المشارك :

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : قد صح لنا أنك من القوم

الذين قال الله ، جل ثناؤه ، فيهم : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]، وقد فهمنا ما ذكرت ،من فريتك على الله ، عز وجل عما قلت، ومن أن الله خلق أفعال العباد ، فخلق الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، عملاً من العباد ، ولم يفعل ذلك ، زعمت ، على وجه ما فعله العباد ، فقد أجبناك على أشباه هذه المسالة ، في غير موضع.

ومن جوابنا لك، أن المسالة القاطعة، التي سألناك فيها عن أيهما أفضل : أفعل الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ، أم فعل الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟!..

وتلك حجة لأقوام للمجبر بعدها أبداً ، ولا مخرج له منها ، وهي قبل كلامنا هذا ، فاستغنينا بها عن إعادتها .

وأما قولك : إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور ، أقرب إلى الزندقة ، من قولنا هذا : إن الله لم يخلق أفعال العباد .

ونحن نقول أنْ ليس قول أوسط في التعطيل والشرك ، والخروج من الإسلام جملة ، من قولكم : إن الله خلق أفعال العباد ، ثم غضب مما خلق ، وعذّب على خلقه ، فإذا نظرت في المسالة التي فوق هذا الكلام ، من هذا الكتاب الذي شرحناها ، كان مثلك عندما نظرت إليها ، مثل الرجل الذى ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين ، فلما رأى ١٠٩و/ كثرته / واتساعه وعظم شانه ، قال امرأته طالق، ما على وجه الأرض نخل هو أكثر من هذا النخل ، ثم سار أياماً حتى أشرف على نخل البصرة، فلما نظر اليها ، وبان له كثرتها وعظيم شانها ، وهول ما عاين منها ، وأنها أكثر وأجل من النخل الذى حلف عليه ، فلما خاف الحنث - زعم - في يمينه التي حلفها ، قال عند ذلك ، إن شاء الله !!

فهذا مثلك إذا نظرت في جوابنا في خلق الأفعال .

وأما قولك : إنه يلزمنا أن الله ، عز وجل ، لم يُضحكْ ، ولم يُبكِ ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا عمل السرابيل !

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ ، كتبها الناسخ خطأ هكذا : ﴿ أولئك الذين ..

حريـة الفعـل الإنسانـي :

فنحن نقول : إن الله ، جـل ثنـاؤه ، خلـق فينا الاستطاعـة قبل الفعـل ، وفوضنا في الحركات ، بعد الأمر والنهـي ، وحكم الكتاب ، فإن شئنا قمنا ، وإن شئنا ضحكنا ، وإن شئنا بكينا ، وإن شئنا مسكنا ، وإن شئنا فجرنا ، وإن شئنا أمسكنا عن الفجور ، وإن شئنا آمنا ، وإن شئنا كفرنا ، وإن شئنا صلينا ، وإن شئنا لم نصل ، وإن شئنا صمنا ، وإن شئنا لم نصم ، ولذلك لزمتنا الحجة ، ووجب علينا الحكم من الثواب والعقاب، والجنـة والنار ، شاهـد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَلا تُجْـزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

وأما قوله : ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[2]، فإنما يعنـي ذلك ، ما فـي الدنيا من العبـر ، التي تضحك وتبكـي ، الا تـرى انه ، عـز وجل ، قال : ﴿ ثُـمَّ أَمَاتَـهُ فَأَقْبَـرَهُ ﴿٢١﴾ ﴾[3]، وليس هو ، جل ثناؤه ، الذى يحضر الموتى ولا يدفنهم ، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك، موجودة في بني آدم من قبل الفعل .

وقوله ، عـز وجل ، : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّـمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَـمْ ﴿٥﴾ ﴾[4]، والله ، عز وجل ، لم يبر[5] الأقلام ، ولم يستمد بها من الدوى ، ولم يخط بها فى الألواح ، ولا فى الصحف ، وإنما هداهم للتعليم .

وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها ، ولم يصنعها هو دروعاً ، عز عن ذلك رب العالمين .

هل خلق اختـلاف الألسنة ؟!..

أما اختـلاف الألسنة ، فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها ، لأنه خلق ذلك الكلام الذى قال أهل اللغات ، وجاء فى الخبر أن لغة بنى آدم افترقت ثمانين لساناً ،

---

(١) سورة يس : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤٣ .

(٣) سورة عبس : آية ٢١ .

(٤) سورة العلق : الآيات ٣ – ٥ .

(٥) في الأصل : يبرى .

فلو خلق كلام المتكلمين ، لكان الخالق لقول الكفار . أنه ثالث ثلاثة ، ولو كان ذلك منه، لم يجز فى الحكمة، ولا فى العدل أن يخلق قولهم أنه ، عز وجل ، ثالث ثلاثة ، ثم يقول: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]، ويلزمكم أنهم لو انتهوا عن قولهم: إن الله ثالث ثلاثة، كان القول الآخر، الذى صاروا إليه
١٠٩ظ/ وانتهوا فيه عن/ الأول، هو خلق الله أيضاً، فإذاً هو ينهاهم عن خلقه، ويحولهم إلى خلقه ، وهذا هو المحال!! .. والله، عز وجل، لايأمر بالمحال ثم يغضب، زعمتم، من خلقه، وتغضب السماوات والأرض والجبال، فيكدن أن يتشققن وينفطرن ويتهددن من خلقه ، زعمتم ، ثم يخلد العباد فى النار، على خلقه وإرادته وتقديره !!

فعل الله كله حكمة :

وهذه صفة أهل العبث، واللعب والتخليط والمجانين ، وليس هذه صفة الحكيم الرحيم العادل ، الذى لا ضلال فى حكمته ، ولا عبث فى تقديره ، ولا حجة لأحد فى صنعه وخلقه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى .

ثم نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، لكفر خلقه ، زعمت ، هل هو أهلٌ لما أراد من ذلك ؟

فإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك. فإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك.

لزمك أن الله ، عز وجل ، أهل أن يكفر به ! .. وبان كفرك ، وحسبك بهذا جهلاً .

وإن قلت : إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر .

لزمك أنه ليس بأهل لما أراد ! .. وفى هذه فضيحتك وانقطاعك، فاختر أى القولين شئت ، ففى هذه المسألة وحدها ، قطع كل مجبر على وجه الأرض .

هل خلق السرابيل؟

وأما السرابيل التى سألت عنها ، فهى أيضاً دلالة الله ، عز وجل ، دل عليها

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣

المؤمنين، وتعريف عرفهم به ؛ ليتحصنوا بها عن الظالمين ، دل الله ، جل ثناؤه وعز ، نبيه داود ، صلى الله عليه ، فعملها بيده وقدَّر سردها باستطاعته ، ولم يخلق الله ، عز وجل ، الدروع خلقاً ومساميراً ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، عين الحديد، ومن ذلك الحديد عمل الناس الدروع ، وكذلك جميع الصناعات ، ولم يخلق الدروع فيكون زرَّاداً ، ولا السفن فيكون نجاراً ، وقد قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾[1]، فهل نقول إن كُلَّ كتاب كتبه أحدٌ ، من كفر وإلحاد وتشبيه ، وجبر وشعر وغناء، وسفه وفساد، أن الله ، عز وجل ، هو الذى كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله ، زعمت ، وفعله صنعه ، وأنه فعل خلق أفعالهم ؟!!..

فيلزمك أنه إذا تكاتب سفيهان بالسفه ، أحدهما إلى الآخر ، كان الله عندك هو الذى كتب ذلك الكتاب وخلقه !!.. وكفاك بهذا فريةً على الله ، عز وجل.

وقد سمعت كيف أخبر ، عز وجل ، عن أمره لداود لصنعه الدروع ، ولنبيه نوح ، صلى الله عليهما ، بعمل السفينة ، وأنه لبث سنيناً كثيرة يعملها ، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه ، ولو كان الله ، عز وجل ، الذى عملها ، لوجب عليك أنها ١١٠و / لم تنجح لله ، عز وجل ، إلا بعد سنين / كثيرة ، ولم يصح قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ④⓪ ﴾[2]، من غير نجار ولا زرَّاد ، ولا حداد ولا صانع !!..

فجعلت أنت أفعال العباد كلها، فعلاً لله، تعالى ؛ لجهلك بعدله وحسن تقديره ، وأنه لا يعذب على صنعه، وعلى أمر اضطر العباد إليه .

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل . على وجهين : جعل حكم وتسميه ، وجعل حتم ولا مخرج منه ؛ وقوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ①② ﴾[3]، فذلك فى الفلك خاصةً ، دلالة وتسمية، لا أنه نجرها ولا دسرها، ولا أنهم يركبون الفلك ، لابدَّ لهم من ركوبها حتماً ، إنما الأمر إليهم، إن شاءوا

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٠ ، أخطأ الناسخ فكتبها هكذا : ﴿إنما أمره

(٣) سورة الزخرف : آية ١٢

ركبوها، وإن شاءوا تركوها ، تخييراً لا جبراً ، وإنما اخبرهم بالنعمة، فيما سخر لهم من العيدان ، والدلالة على عمل النجارة، والمسافرة على وجه الماء ، فهذه نعم، يجب أن نشكر ونعترف لمن تفضل بها .

وكذلك ما اعتللت به من العطشان، والجائع والعارى، فالله ، عز وجل ، الذى خلق الطعام والشراب، وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ، ولم يطعمهم من طريق الضيافة، والتلقيم لهم، ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ، ولا النسيج لثياب العارين ، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض ، وحض عليه ، وقال: ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [1] ، فهذا إطعامه وكسوته ونعمته ، وقال : ﴿ ..وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾[2]، وهذا هو وجه القول ، وإصابة المعنى ، لا ما ذهبت إليه من أن الله ، عز وجل ، هو الذى يفعل جميع أفعال العباد ، وأنه ، زعمت ، الذى خلق السفن والدروع ، وغير ذلك من أعمالهم التى عملوها بأيديهم ، واتخاذهم للأصنام/ !!..

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

فإن قلت : إنه قد قال فى كتابه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾[3] . قلنا لك : إنه خلق الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والخشب والحجارة، التى عملوا منها الأصنام، فصوروها وقدروها ونحتوها ، وليس ذلك الذى عملوا بأيديهم، فعلاً لله ، عز وجل ، وإنما فعله خلق الأشياء التى منها عملوا ، ولو كان فعل فعلهم ، لوجب لهم عليه، أن لا يندبهم إلى طاعة، ولا يسالهم تقصيراً ، ولا يعذبهم على غير جرم ، وهو الذى فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لايجور عليهم ، ولا يظلمهم ، وأنه يريد بهم اليسر، ولايريد بهم العسر . فأى عسر أعسر مما قلتم ، وأى ظلم أكبر مما ذكرتم؟!.. عز عن ذلك اللطيف الخبير .

***

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٣) سورة الصافات : آية ٩٦

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عند ذلك، كيف جعل الله السرابيل ١١٠ظ/التى تقى / الحر، وتقى البرد ، وكيف جعل الله من الجبال أكناناً ؟ مما لم يكن فيه ذكر ، إلا بعمل الناس، أفعل الله ذلك الخلق ووصله ، وغزل القطن ، والكتان وحاكها ؟!.. فإن قالوا : لا .. فقل كيف جعل الله السرابيل ؟!.. فإنهم لن يجدوا من أن يقولوا : خلْقُ الله عمل الله ، وجعْل عملهم .

فقل : أفليس الله جاعل عملهم، وخالقه وصانعه ؟!..

فإنقالوا : نعم . فقد أعطوك ، بأن الله خالق أعمال العباد وصنعهم ، وهذا قولنا، وهو العدل .

فإن أبوا أن يطعوك هذا ، فأعد عليهم المسألة ، فقل : كيف جعل الله إذاً السرابيل، التى تقى الحر، والتى تقى البأس ، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله ، وهو الذى غزل وحاك وخاط الثياب ؟!..

فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا بداً من أن يجعلوا صنع الله فيها، خلق الله لأعمالهم ، وجعل الله لأعمالهم هو صنعه .

ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ.. ﴾[1] .. كيف جعل الله الفلك ؟..

فإن قالوا : خلق الشجر. فقل لهم عند ذلك : أليس إذا رأينا خشبة أو شجرة ، قلنا: هذه فلكٌ؟!..

فإن قالوا : نعم.. فهذا ما لا يقبله أحدٌ ، ويعلم من سمعه أنه كذبٌ ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : جعل الله لعمل العباد ، وصنع الله لعملهم ، فهو قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ ﴾ .

فقل لهم حينئذ : هذا قولنا ، إنا نقول : إن جعل الله للفلك ، جعله لعملها ، وكلها

---

(١) سورة الزخرف : الآية ١٢ .

جعل الله ، وجعله فهو خلقه ؛ لأن الله جاعل ما خلق ، وخالق ما جعل ، وخلقه وجعله وصنعه للأشياء واحد ، لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ، ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله .

وإن ذهبوا يلوون ألسنتهم بشئ ، فسلهم : كيف جعل الله الفلك ؟.. أهو شق الخشب وحورها ونحتها ؟!.. فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا جواباً، إلا أن يقولوا : إن جعل الله لها، خلق الله لعمل العباد لها .

رد أحمد بن يحيى:

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، قد فهمنا ما سألت عنه ، من إضافتك إلى الله ، جل ثناؤه ، خلق السرابيل، التى تقى الحر والبأس ، وعمل الأكنان والسفن، وغير ذلك من أفعال العباد، التى أضفت إلى الله ، جل ثناؤه ، وتريد بذلك أن تلزمنا ، أنه عمل الزرارة والنجارة ، والخياطة والخرازة ؛ لتثبت أنه الذى فعل الزنا والشرك، والكفر وجميع المعاصى ، جل الله وتعالى عما قلت، قدوس قدوس رب العالمين .

١١١و/ وأما قولك : إنه يلزمنا ، إذا أنكرنا عليك أن الله برئ مما أضفت إليه ، أنه لم يجعل أكناناً / من الجبال التى عملها العباد ، وكذلك السفن والزروع وغيرها ، فلذلك نقول : إن العباد هم الذين حفروا بعض الكنان التى فى الجبال ، وعملوها بمعاولهم وأيديهم ، وقوتهم المركبة فيهم .

وأن الله ، عز وجل ، لم يعملها ، ولم يحفرها بالمعاول ، وإنما جعل الأكنان والكهوف التى هى فى الجبال ، مخلوقة بلا معاول ولا كلفة ، قال لها : كونى . فكانت من آخر ساعتها .

فكذلك فعله ، عز وجل ، المخلوق فى الجبال . والعباد ما عملوا أكنانهم التى (١) حفروها بعد الدهور الطويلة ، والتعب والنصب . وكذلك القصور ، ولم يقولوا لها : كونى . فكانت .

---

(١) فى الأصل : لدى

وليس لله ، جل ثناؤه ، فى فعلهم لها فعل ، غير ما أعطاهم من القوة، التى اختاروا بها ما أرادوا .

فهذا قولنا ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[2].

أفلاه تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم ، عاب عليهم اتخاذها ، لعلهم يخلدون، ولم يقل كما قلت ؛ أنه خلف ماعملوا فيها . فهذا شاهد من كتاب الله ، جل ثناؤه .

وزعمت أنك لا تستطيع ان تكتب علينا كل ما يدخل فى مسائلك ؛ لأنها ، زعمت ، تكثر ، وأنت أيها المسكين المغرور ، لم تظن ان يحلُّ بك منا ما حل ، ولا ينزل بك ما نزل ، وليس صبىٌّ من صبيان أهل العدل، يهوله مسائل الجبر ؛ لان الحق انما جعله الله ، عز وجل ، حقاً فى نفسه بالجد ، والباطل جعله باطلاً فى نفسه بالحكم والتسمية ، لا بالخلق والجبر .

فمحال ان يزهق حق ، ويثبت باطل ، وإنما الذى يزهق الباطل ، ويثبت الحق .

وكذلك قال رب العالمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[3]، وإلا فاوجدْنا ، إن كنت صادقَ قوىَّ الحجة ، اين موضع خلق الله لافعال العباد ، حتى نعرف كيف ذلك الخلق ، وكيف صورته ؟!.. وأين موضعه ، وإين يكون ، حتى تفرق لنا بينه وبين فعل العباد ، ولو بمقياس شعرة؟!!..

فلن تجد ذلك أبداً بنور الله ، وبراءته من قولكم .. وأما قولك أنك[4] تسأل عن قول الله، جل وعز ، جعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم باسكم .

فقلت : كيف جعل الله السرابيل ؟ ، وكيف خلقها لهم ، وهم الذين عملوها ، كما عملوا الكفر والإيمان ؟..

---

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٤) فى الأصل : ان .

١١١ظ/ فإن قلنا لك: / زعمت : إن الله خَلَقَ الشجر ، الذى يكون منه الثياب ، وخلق الحديد ، الذى يكون منه السرابيل . فتسالنا ، زعمت : هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول : هذا سرابيل ، وإذا رأينا شجر قطنٍ أو قطناً أو كتاناً ، قلنا : هذه سرابيل تقينا الحر ، ولم تغزل ، ولم تنسج ، ولم تُحك ، ولم تُعمل ، وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كِنٌّ ، قلنا : هذا كن ؟!!..

فإذا قلنا : نعم ، زعمت .. قلت: فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يمترى فيه أحد انه كذب .

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، فجوابنا لك أنه يلزمك فى هذه الدعوى ، مثل ما يلزمنا لك ، وقد علمت، وعلم أهل العقول ، أنا لا نقول أن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن ، يجوز فى اللغة ان يسمى [1] سرابيل تقينا الحر وسرابيل تقينا الباس.. ولا يجوز ان يقال لجبل ليس فيه كِنٌّ : إنه كِنٌّ . هذا باطل فاسد ، محال من المقال لايقوله احد ، ولا يذهب اليه متكلم .

ويلزمك ان الله ، عز وجل ، خلقها منفرداً بخلقها ، ثم أوجدها ، فعمل العباد منها السرابيل ، هم منفردون بعمل ذلك؛ لأن الله ، عز وجل ، الذى فعلها ، لم يعمل الدروع حلقاً مدوره ولاسمَّرها بمساميرها دُسُراً ، ولا جعل لها الجيوب ولا الأكمام ، ولا حفر الكهوف فى الجبال بالمعاول ، وإنما خلق اللهُ ، عز وجل ، الحديدَ الذى منه عُملت الدروعُ ، وخلق الشجر ، وخلق فيه القطن ، الذى منه عمل الناس الثياب، وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله ، والحديد والشجر .

وجميع ما خلق الله من الأشياء ، التى منها اشتق العباد ما عملوا ، كل ذلك ، موجود غير معدوم ولا مفقود ، تبصرهُ الأعيان وتحسهُ الأيدى ، وتدركه جميع الحواس ، وتوقن به العقول ، ويوجد جسماً مجسماً مرايا [2] مدركاً حاضراً معروفاً ، لا شك فيه ولا مرية .

وعند ذلك تلزمك ، أيها المفترى على الله ، عز وجل ، الفريةُ العظيمة فى قولك :

---

(١) فى الأصل : يسما .

(٢) فى الأصل : مريا

إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصى ، كما خلق الحديد وشجر القطن ، والكهوف الموجودة فى الجبال من خَلْقِ الله ، عز وجل ، وتقديره ، وأنك تُلْزِمُه ، عز وجل ، أنه خلق الدروع وحالَ الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة .

فنقول لك ، أيها السائل المفترى على الله : أوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا ، وقول الكفار : إن الله ثالث ، ثلاثة وان له ، عز وجل ، صاحبةً وأولاداً ، وكذلك ١٢٢ و / توجدنا قتل الأنبياء وائمة الهدى ، كما أوجدتنا الحديد الذى منه عُملتْ/ الدروعُ والشجر ، الذى منه عمل القطن، والخشب الذى منه عملت السفن، وجميع ما ذكرت، حتى نبصْره بالاعيان وتلمسه الايدى، وتدركه جميع الحواس ، ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميزه ، من قبل فعل الآدميين له ، كما تميز الحديد، وشجر القطن وغيره ، من قبل عمل الآدميين له، فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ، ومنظوراً إليه ، اومسموعاً صوته ، اومشمومةً رائحتهُ ، او مدركاً ذوقُه ، او ملموساً بحاسة، اومحوياً بقطر من الاقطار ، كما اوجدتنا الحديد والقطن والخشب، وغير ذلك مما خلق الله ، عز وجل .

لابد لك من ذلك وإلا لزمك ، انك تناظرنا على امر محال ، وخلق لايدرك ولايعرف ، ولا يوجد منجسماً ولا مرايأ ولا ملموساً ، فتكون دعواك باطلة بلا بينة ، ولا امر تشهد عليه العقول والالباب، ولا تدركه الحواس، ولايوجد فى لغة العرب ، ولا يوجد فى كتاب ولاَ سنة !!

وإنما هذه من نزغات الشيطان ، القاها فى قلوبكم وعلى السنتكم ، لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الانبياء، وجميع العاصين ، وان تكون الحجة لهم على الله لازمةً ، وعليه قائمة ، بما خلق لهم ، زعمت ، وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط، وجميع المعاصى ، فاخذوا كل هذه الفواحش والكبائر ، من فواحش قد وجدوا ربهم ، زعمت ، قد سبق إلى فعلها ، وخلقها قبل خلقهم لها ، فمنها عملوا وفيها اخذوا ، ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ، ولا شركاً يشركونه ، ولا زناً يزنونه ، ولا لواطاً يلوطونه ، ولا قتلاً يقتلونه ، ولا عصياناً يفعلونه !..

كما أنه ، عز وجل ، لم يخلق لهم الحديد ، وشجر القطن ، والتراب والماء والحجارة، والادم والصوف والشعر والجبال، ولم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع،

ولا شجر قطن، يحوكون منه الثياب، ولاصوفاً يعملون منها الأكسية، وغيرذلك من الاثاث، ولا تراباً، ولا ما يعملون منه القصور، ولا خشباً يعملون منه الأبواب والسقوف.

* **ومن الحجة لنا عليك في أن الاستطاعة قبل الفعل ، وأن أفعال العباد في قولنا نحن ، غير خلق الله ، عز وجل ، وأنه برئ من خلقها ، وأنها فعلهم، هم تفرَّدوا بها ، لا فعل ربُ العالمين ، عز عن ذلك وتعالى .**

فنقول لك أيها المجبر ، ولإخوانك المجبرة : خبرونا متى خلق اللهُ ، عز وجل ، الإسلامَ أقبلَ الرسل ، أم بعد إرسال الرسل ؟!

١- فإن قلتم : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق الإسلام ، قبل إرسال الرسل. لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأوَّلهم ، وهو آدم ، عليه السلام ، ١١٢ظ/ أن الصيام/ والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض، قد كانت معروفة موجودة محدودةً مخلوقة ، قبل أن يرسلَ الله، عز وجل، بها آدم، عليه السلام !...

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم : خبرونا عن هذه الفرائض التى[1] ، زعمتم ، أنها مخلوقة قبل بعثة آدم ، عليه السلام ، كيف هى ، وما هى ، أفى أرض أم فى سماءٍ، وكيف صُوَرُها ؟.. وهل تدركُ ببصرٍ ، أو تحس بسمعٍ ، أو تنال بلمسٍ ، أو تُذاق (بلسان) أو تشم باستنشاء؟

٢- فإن قلتم : إنها موجودةٌ فى الأوهام ، من غير أن تدرك بالحواس .. قلنا لكم : فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً ، موجوداً فى الأوهام آخر مع الله ، عز وجل ، ولايدرك بالحواس ، ولايقاس بالناس ، فيه الصفة التى وصفتم بها الواحد الذى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2]، وهذا كفرٌ بالله العظيم ، وخروج من الاسلام ، وإبطال الوحدانية ، ودعوى[3] إلهين اثنين ، صفتهما واحدة، لا فرق بينهما ؛ لأنكم

---

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) فى الأصل : ودعوا .

ادَّعيتم شيئاً ليس له حدٌّ ، ولا غايةٌ تعرف ، ولا نهاية يوقف عليها ، ولا تدركها الحواس ، ولا تُعلمُ هذه الصفة إلا للواحد القديم الأزلى ، الذى ليس كمثله شئ، تبارك وتعالى .. فهذه حجةٌ لازمة لك ، ودامغةٌ لدعواكم ، ولا مخرج لكم منها .

٣- وإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام ، بعدما أرسل الرسل . لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وأن الله ، جل ثناؤه ، أرسلَ رسله يوم أرسلهم ، ليس معهم إسلامٌ يدعون الناس إليه ولا هدى [١] يوجبُ لهم الطاعة ، ولا تقومُ لله به على بريته حجة ، لأنه ، زعمتم ، إنما خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل!!

فوجبَ عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين ، إذ لا إسلام معهم ، وإنما خلقه ، زعمتم ، بعد إرسالهم !..

وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله ، وفيه خروجكم من دين الإسلام .

٤- وإن قلتم : خلق الله ، عز وجل ، الإسلام ، مع إرساله للرسل ، لا قبل ذلك ولا بَعْدَهُ، رجع عليكم القول الأول ، والمطالبة لكم من خصومكم ، بأنه لابُدَّ لكم أن توجدونا الإسلام الذى ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل . بحدوده وشخصه ، ولمسه وذوقه ، وسمعه [٢] وصوته ، وحسه والنظر إلى صورته ، وإدراكه وإحاطة الأقطار به ، حتى يعرفَ ويوجد ، ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله، عز وجل !

٥- وإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة لا غيرها . لزمكم أنه واحد ليس كمثله شئ ؛ لأنه قد انتظمته صفة الله ، عز وجل ، الذى ليس كمثله شئ ، فى زعمكم ، لأن كل شئ خلقه الله ، عز وجل ، من الخردلةِ فما فوقها فى السموات والأرض ، لابدَّ له من ستهِ حدودٍ ، تحوى كل مخلوقٍ خلقهُ الله ، عز وجل ، وهى القدام ١١٣ و/ والخلف./ واليمنة واليسرة والفوق والتحت ، فهذه الحدود لابُدَّ لها أن تحيط بكل مخلوق ، لأن الخالقَ ، عز وجل ، لا حدَّ له ولا قدام ولا خلف ولا يمنة ولا يسرة ولا فوق ولا تحت .

---

(١) فى الأصل : هدا .

(٢) فى الأصل : سمع .

فهذا الفرق بين الخالق ، عز وجل ، وبين المخلوق ، وما ليس له حَدٌّ يُدرك بالحواسِ، فليس هو خلقاً لله ، عز وجل .

وهذا اكبر دليلٍ على أن افعال العباد غير مخلوقة ، لو كانت مخلوقة ، لكانت بائنةً ، بمعنى تحيط به الحدود والأقطار، دون فاعليها .. وإنما افعال بني آدم حركاتهم، وفعلهم هم لا فعل الله ، عز وجل ، ولا خلقه .

٦- وكذلك الكفر ، يلزمكم في خلقه من الحجة ، مثل ما لزمكم في خلق الإسلام ، سوى[1] أن ادعيتم أنه خلق قبل الكفار ، طالبناكم بتشخصه وحدِّه ولمسه ، ودركِ الحواس جميعا له .

فإن لم تأتوا على ذلك ببرهان ، لزمكم توحيده ، لما جعلتموه بصفة الواحد ، ولابُدَّ لكم من احد هذه الثلاثة الوجوه ، التي ذكرنا لكم، ليس لها رابعٌ ، وليس لكم من واحد منه مخرجٌ .

فاعرف ما قلت ، يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، لإخوانك من قولك لهم : أن ليسَ قولٌ اقرب الى قول الزنادقة ، زعمت ، من قولِ اهل العدل، أن ليسَ افعال العباد مخلوقة .

فأي القولين الآن اقرب الى الزندقة ، بل أيهما هو الزندقة ، بل أيها هو الشرك الأعظم ، الذي جعلتم الله ، عز وجل ، عن قولكم فيه ، شريكاً لكل مشرك ، أو فاعل فاحشة ، أو مرتكب لعظيم كفر ، فجاز على [2] حد قولكم ، قول أهل الأصنام ، وفات من جميع الأنام ، واخرجكم من ربقة الإسلام ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

قال الله ، عز وجل. : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) ﴾[3] ، وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) ﴾[4]، اهذا عندك قول من أراد أن يكفر به ، أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذَّبَ عليه!! . .

---

(١) في الأصل : سوا .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآيتان ٦٦ - ٦٧ .

ثم سمى نفسه عادلاً لا يظلم ! ثم قال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] ..

* وأما اعتلالك بقوله ، عز وجل ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] ، فقد أعملناك أن هذا خصوصٌ لا عموم، والدليل على ذلك ما يلزمك إلا قرار به، أحببت أو كرهت ، وهو قوله ، عز وجل ، ﴿ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[3].

١- فنقول لك : أخبرنا عن الدهرية المعطلة ، الذين زعموا أن ليس لهم خالق ، أليس هم شيئ أم لا ؟! ..

فإن قلت أنْ ليسَ هم بشيئ .. أكذبكَ جميعُ الخلق ، وخرجت من حدِّ الكلام ، ودخلت في العبث .

١١٣ظ/ وإن قلت : هم شيئ .. قلنا : فهل / هم يسبحون الله ؟ ..

فإن قلت : نعم . بَانت فضحتُكَ ، واكذبك جميع الخلق ، لأنهم معطلة ، يحجدون الخالق ، وهم الذين ذكر هم الله ، عز وجل ، في كتابه حين قال : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾[4].

وإن أقررتَ أنهم ليس يسبحون الله ، جل ثناؤه .

قلنا لك : قد صدقتَ ، وفي صدقك هذا ، يلزمك أن ليس كل شيئ يسبحُ الله ، عز وجل، وإنما عنى [5] بعضاً دون بعضٍ .

٢- وكذلك قوله : ﴿ خالق كل شيئ ﴾ [6]، إنما عنى ما خلقه ، جل وعز ، لا ما خلق العباد ، وفي هذا كفاية لمن عقل .

وإنما خلق الله ، جل وعز ، الأجسام والأعراض، لا غيرهما مما يعرف ، وليس له ، عز وجل ، خلق ثالث يعرف، إلا الأجسام والأعراض ، إلا ما قاله ، عز وجل :

---

(١) سورة التوبة : آية ٣ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

(٥) في الأصل : عنا .

(٦) سبق تخريجها قريباً .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]، ولا يقوم عرض إلا فى جسم ، ولا جسم إلا فى عرض .

فإن قلت : إن الأعراضَ لاتُدركُ بالحواسِ ، ويلزمكم لنا فيها ، مثل ما لزمنا لكم فى خلق أفعال العباد .

قلنا لكم : فإن جوابنا لكم فى ذلك، ان الأعراض لاتُرى ولاتسمع ولاتدرك ، وليس أفعال العباد ترى ، أيضاً ، ولا تسمع ولاتدرك بصورة ينظر إليها، ولا جسم متجسم ، إلا ان يقول قائل : إن القتل يرى بمعنى غير حركة الآدمى ، أو ان الصلاة ترى بمعنى غير حركة الآدمى ، أوان الزنا يدرك بمعنى غير حركة الآدمىّ **(أو شئ من جميع أفعال بنى آدم ، يقال فيه أنه يدرك أو يرى بمعنى اخر غير حركة الآدمى)** [2] .

فلا يوجدُ السبيلُ إلى ذلك ابداً ، إلا انْ توجدونا شمسين فى وسط السماء .

٣- **والدليل لنا فى الأعراض** ، وكذلك الزنا ، ليس هو شئ يدرك ولا يحس، غير التقاء الفرجين ، وحركة الفاعلين يكون مع ذلك ، ولا يوجد خلق، كما افتريت، إلا اجسامهما ، فأجسامهما خلق الله ، عز وجل ، وكذلك الزكاة، ليس هى بشئٍ يُحسُ ولا يدرك ، غير دفع الدنانير والدراهم والحبوب ، من يد رجل إلى رجل ، فاين خلق الزكاة؟!.. أوجدناه إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته !! ولن تجد ذلك ابداً ، وكذلك الجهاد ليس هو شئ يُحسُ ولايدرك ، إلا الرجل يضع السيف، ويرفعه ، ويرسل السهم ، ويمد الرمح ويصرفه .

فاين خلق الله ، عز وجل ، لقتل الأنبياء، وسفكه الدماء ، وفعله لجميع القبائح من الأشياء التى قلت فيه؛ هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بنى آدم ، التى يرى الله، عز
١١٤ و/ وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3] ، وتلك الحركة فهى فرع الاستطاعة التى ركبها الله ، عز وجل ، فى خلقه ، وهى القوةُ التى وهبَ لهم [4] ، وفوضهم فيها ،

---

(١) سورة النحل : آية ٨ ..

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) فى الهامش شرح عبارة عما يلى : (...... لا يستعملوا تلك القوة التى وهب)

وجعلهم فيها مخيرين غيرمجبورين ، فى إمساكها ولا إرسالها، إلا فى جميع ما يرضيه ، والا يعملوا بها شيئاً مما يسخطه ، واعد الجنة لمن اطاعه، واعد النار لمن عصاه ، وارسل بذلك الرسل، وانزل به الكتب ، واعذر وانذر، وحذّر وكرر : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ، فمن ادعى [2] بعد هذا شيئاً ، يريد به إسقاط الحجة عن الكفار والعصاه ، ويلزمُ الله ، عز وجل ، الظلم والجور ، فقد كفر بآيات القرآن ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[3] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[6] ، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[7] .

لم يرد الله الكفر من الكفار:

وقلت انت أيها المجبر : إنه أراد الكفر من الكفار. وقد كررنا هذه الآيات ، لانها حجة الله ، عز وجل ، ولا حجة أقوى منها ، وقد وجدنا الله ، تبارك وتعالى ، وقد كرر القول فى غير موضع من كتابه، لتاكيد الحجة، والإبلاغ فى الموعظة ، وفى اقل مما قلنا كفاية، وانقطاع لكل مجبر على وجه الارض ، والحمد لله رب العالمين .

٤- ومن الحجة عليكم فى قولكم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام قبل إرسال الرسل . أنه يزمكم أنه قد كانت صلاة موجودة من غير مصلٍّ ، وزكاة موجودة من غير متزكٍ، وصيام موجود من غير صائم ، وحج موجود من غير حاج ، وعمرة موجودة من غير معتمر ، وجهاد من غير مجاهد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر من غير

---

(١) سورة الانفال : الآية ٤٢ .

(٢) فى الاصل : ادعا .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ ، وكتبها الناسخ خطا هكذا (وما اختلفوا إلا من بعد .....) .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٠.

(٦) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٥

قائم بذلك ، وهذا هو الخروج من المعقول، وهو يبطل قولكم انه فعل من فاعلين ، باوكد حجة واوضح برهان . .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل . . لزمكم ان الاستطاعة موجودة قبل الفعل لابد من ذلك ، لانه يلزمكم ان الرسل قد دعتكم إلى امر قبل فعلكم له ، إذ ليس من شانها ، عليها السلام ، ولا في عدل من خلقها ، تبارك وتعالى ، الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل . . لزمكم ان توجدونا صورة الإسلام وحسه ودركه ، قبل ان يفعل . . .

فإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة . . لزمكم أنه إلهٌ موجود فيه ، مثل صفة الله ، ١١٤و/ تبارك وتعالى ، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة / الوجوه ، وفيها انقطاع قولكم ، وبيان جهلكم ، وفريتكم على خالقكم ، ومفارقتكم لكتابه صراحاً، وظلمكم لاهل العدل ، وكذبكم عليهم .

إلا ان ترجعوا وتتوبوا ، ويكون قولكم : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق افعال العباد، لا الصالح ولا الطالح ، وانه بريءٌ من ذلك كله ، إلا ما امر به ونهى [1] عنه ، وهو متعال عن خلق افعال العباد ، متنزه عن خلق الفواحش، وجميع الشرك والظلم والكفر ، وقتل الرسل وائمة الهدى ، وإن لا ، فالنا لا شك فيه ، لقوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[4] ، وقوله : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا . . .﴾[5].

افلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم ، انهم الذين فرطوا ، وانهم قد دعوا بالحسرة

---

(١) في الاصل : ونها .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣١ .

على ذلك التفريط ، ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] ، ولم يقولوا كما قلت : يا حسرتنا على ما خلقَ اللهُ فينا من افعالنا ، وعلى ما اراد منا !! .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] ، فنقول لك : اخبرنا عمّن قَدّم لهم ذلك اهو المريد لكفرهم ؟!!

فإن قلت : لا . . رجعت عن قولك بالجبر .

وإن قلتَ: نعم، المقدم لعذابهم هو المريد لكفرهم . . لزمك ان خالقَكَ يدعو على نفسه بعذاب الناس، وهذا اعظم[3] كفر قال به قائل! . . فالحمد لله المعز لدينه، والموضح لبراهينه، والناصر لأهل طاعته، والذابين عن كتابه، وهو القوى العزيز.

واعلم علماً يقيناً أنه لاحد لفعل بني آدم يدرك ، إلا حدّ فاعله ، وليس هو بشئ بائن عن فاعله ، إنما هي الحركات الموجودة فيهم ، وهي فرع لاستطاعتهم ، والاستطاعة فعل الله ، عز وجل ، والتي عليها البنية والحركات ، فعلوها بإرادتهم واختيارهم، بعد الأمر والنهي من الخالقِ الحكيم.

ولو كانت افعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد ، بائنة عن الأجسام، ثم وصفتها المجبرة، بصفة غير ما قلنا ، للزمها أن تُثبتْ لها الحدودَ والأقطار ، وإنْ لم تَجْدها، ونفت عنها الحدودَ على الانفراد ، لزمها انها قد وجدتْها ، كما وجدتْ الصانع القديم ، وهذا أبطل باطل يكون ، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض، إذ لا حجة تفسدُ ما قلنا ، ولا تقطعُ ما به احتججنا .

٥- والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [4] ، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ، ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم ، منفرداً عن حركاتهم ؛ لوجب ١١٥و/ أنهم يخترعون عيون الأشياء، ويخرجونها من العدم الى الوجود، كفعل/ الواحد الحميد، فلايقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال ، الذي لايعجزه شئ وهوالولي الحميد .

---

(١) سورة الانعام : الآية ٣١ .
(٢) سورة ص : الآية ٦١ .
(٣) في الأصل : من اعظم .
(٤) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

٦- ويلزمكم ايضاً في قولكم، ان قلتم : إنه ، عز وجل ، خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل.. ان يقالَ لكم : إن الرسل متفاوتون في البعثة ، وكلُ رسول منهم بينه وبين صاحبه، المدة الطويلة والسنون الكثيرة ، فلا يجوز لكم أن تقولوا : إنه خلق الإسلام إلامع إرسال الأول منهم ، ويبقى [1] من بقى بلا إسلام ، حتى خلق له إسلام جديد يكون معه !!..

فإن قلتم : إن خلْقَ الإسلام الاول يجزئ من بقى .. قلنا : فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعةً ، تخالفُ الأخرى ، واحكاماً تخالفُ الاحكام التي قبلها ، وهذا ينقضُ عليكم ما ادعيتم من خلق الإسلام الأول ؛ لأن مع كل نبى امر غيرِ امر صاحبه ، وشريعة غير شريعة صاحبه . فأين الخلق الذى ادعيتم من ان الإسلام مخلوق ؟!..

(فلا يجوز ما قلتم ، إنما الإسلام امر ونهى، وشريعة واحكام ، تحدثُ بحدوث النوازل) [2]. فى كل عصرٍ وزمان، فالإسلام دين الله ، عز وجل ، وهو امرٌ امرٍ به لا خلقاً خلقَهُ ، والشرائع مختلفة لحكمةِ المتعبِّدِ لعبادهِ ، وتصريفهم من الأمر على ما أرادَهُ .

ولو كان الإسلام مخلوقاً ، لكانت شرائعهُ شيئاً واحداً ، لا تختلفُ ولا تنتقض عن الخلقةِ الأولى ، التى فُطرتْ عليها ، والحمد لله رب العالمين .

***

عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد :

وإن أبيت إلا ان الله الذى خلق أفعالِ العباد ، قلنا لك : فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً ، وزناً وقولاً إنَ الله ثالثُ ثلاثة ، وانَّ له ولداً وصاحبةً ! .. عز عن ذلك، وكذلك [3] توجدنا قطع الطرق، وأخذ الأموال ، ونقب الحوانيت ، وغل الزكوات ، وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

---

(١) فى الأصل : يبقا .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) كررها الناسخ مرتان .

فتوجدنا ذلك كله مَنْ خلق الله له ، كيف خلقه ، فاين وجده العباد حتى اكتسبوه، كما قلت، .. وأين هو ، وهل تراه الاعيان ، او هل تسمعه الآذان ، او تدركه العقول منفرداً ، وهل تدركهُ الارجل، وهل يدرك بالذوق او الشم ، وهل تحويه الفكر ، وهل تقع عليه الخواطر ، وهل تحويه الاقطار منفرداً ، كما تحوى سائر الاشياء المحوية الموجودة ، حتى يصحُّ لك، وتتبين حجتك فيهِ ونعلم ، نحن واصحابك ، انك صادق فى دعواك ، ان الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصى ، فيصح ذلك ، لنا ولك ولجميع الناس ، كما صَحَّ الحديد ، الذى قلت ، الذى فيه عُملتْ الدروعْ ، والشجر الذى حدثَ فيه القطن ، فعملت فيه الثياب ، والخشب الذى عملت منه السفن ، كما قلت ؟.. صح لك ، لعمرى . وهذا حق ان الحديد ١١٠ظ/ الذى عملت منه/ الدروع، وشجر القطن، وخشب السفن، والاكنان فى الجبال ، كل ذلك موجودٌ ، وعَمل منه الناس جميعَ الصناعات التى (عملها) [1] بنو آدم ، وإنما عملوها من أشياء وجدوا الله ، عز وجل ، قد سبق إلى خلقها وإحداثها ، وافتطارها من قبلهم ، فاخرجها من العدم إلى الوجود ، لم يشاركه فى خلقها أحد ، ولم يسبقه إليها صانع ، فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات، التى لا تقوم الدنيا ولا تعمر إلا بها وبعملهم لها ، وذلك من الدلائل العظام على التوحيد ، ان احداً لا يحدث جسماً ، ولا يخترع صنع شئ من جميع الأشياء المجسمة ، ولا يقدرُ على إحداث ذلك كله ، إلا الله القوى العزيز .

فمن صُنعه وَخلقه وفطرته واختراعه عملوا ، ولولا ما وجدوا من ذلك ، ما قدروا على شئ يعملون منه مصالحهم ، لان هذه الأشياء، مشاهدة مرئية موجودة ، تدرك لا شك فيها ، من درك الحس، من الشَم والذوق والسمع والبصر .

وأما الشرك الذى ذكرت ، أنت وإخوانك المجبرة ، وجميع المعاصى الذى ادعيتم أن الله ، عز وجل ، خلقها أخرجها من العدم الى الوجود ، فيلزمكم لنا أن تأتوا عليها بدليل وبرهان ، اضوى وأوضح من نور الشمس الطالعة ، حتى يتبينَ للناسِ صدقكم ، ولن تجدوا ذلك أبداً ، ولن تقدروا عليه .

---

(١) بياض فى الأصل .

لأن المعنى الذى ذهبتم إليه ، فسميتموه خلقاً لله ، عز وجل عما قلتم ، إنه حركات العباد، التى يتحركون بها بالقوة التى فيهم ، والله ، عز وجل ، وإنما خلق الاستطاعة، وهى القوة المركبة فى بنى آدم ، وهم فيها مخيرون، إن شاءوا تحركوا بها، وإن شاءوا لم يتحركوا ، فالاستطاعة من الله ، عز وجل ، موهوبة مِنَّة ونعمَة، والحركات ليست من الله ، عز وجل ، وإنما هى فعلهم هم ، لا فعل الله ، عز وجل، وشاهد ذلك القوى الواضح من كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، فلو كان الله ، عز وجل، وهو خالق لنظرهم الى المحارم ، والخالق لحركاتهم فى الفروج، التى يتحرك بها الآدميون ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ، أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم !..

وإنما نهاهم ، عز وجل ، عن أمرٍ هو إليهم ما يكون له ، إن شاءوا فعلوه ، وإن شاءوا لم يفعلوا.

وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2]، ولو كان الله ، عز
١١٦ و/ وجل، خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه ، وإنما نهاهم.

عز وجل، عما يعلم أنهم يقدرون على تركه ، والله ، عز وجل ، فلم يخلق حركات العباد، وهى الزنا الذى تحركوا له ، والقتل الذى تحركوا له. والشرك الذى تحركوا له، وحركوا فيه ألسنتهم وأيديهم ، وقالوه بأفواههم وأهوائهم ، كذلك جميع الظلم والفواحش التى حركوا فيها جوارحهم وحواسهم ، وقد حظر الله ، عز وجل ، عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا فى الطاعات ، والكف عن المحرمات .

فعصى [3] من عصى ، فوجبت له النار ، وأطاع من أطاع ، فوجبت له الجنة ، ليس جبراً ولا إكراهاً ولا خلق فعل .

والله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع افعالهم ، ولو خلقها ، لكان شريكاً

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحجرات :الآية ٢

(٣) فى الأصل : عصا

لهم، إذا كان لهم فى شئ من افعالهم ، قل أو كثر ، شريكاً ، لم يكن إلهاً ، ولزمه من الجور والظلم ، والخروج من الحكمة والعدل ، فى عذاب من خلق فعله ، ما يلزم الجائرين .

ودليل ذلك أن نقول لك : هل يعذب الله ، عز وجل ، داود عليه السلام ، فى عمل الدروع ، التى قلت ، أو يعتب ذلك عليه ، وهل سمعته قال : لمَ فعلت، ولمَ عملت الدروع ؟!!.. وإنما اخبره انه علّمهُ صنعةَ الدروع ، ولم يخبرنا أنه هو الذى خلق الدروع .

وكذلك آدم ، ﷺ ، لم يعذبه الله ، عز وجل ، فى حَوْكِ الثياب ، ولا الحرث ، ولا فيما عمل من الصناعات ، ولا قال لنوح ، ﷺ ، قول تعنيف فى عمل السفينة ، ولا عذبه على عملها ولا سمعته فى شئ من كتابه ، قال لمؤمنٍ ولا لكافر: لم عملتم الدروع ، ولم عملتم الأكنان فى الجبال ، ولم عملتم الآلات ، إلا أن يعملوها لباطل ، أو معصية لله ، وجل ثناؤه ، فهناك يقع التعنيف ، ويجب العذاب .

وإنما قال لهم ، عز وجل ، لم كذبتم رسلى ، واعرضتم عن كتبى ، والحدتم فى صفتى ، وشبهتمونى بالجائرين ، وقتلتم انبيائى ، والأئمة من خلفائى ، والمؤمنين من اصفيائى ، ولم كفرتم بى، وعبدتم غيرى، وخالفتم أمرى ونهى ؟!!!..

فهذا يوجبُ أن ليس لأجل خلقه لما خلق، يُعذبُ عباده ، إنما يُعذّبهم لما خلقوه هم، وأتوه عامدين ، بأهوائهم وإرادتهم وحركاتهم .

فهذا جوابنا لك على دعواك فى خلق الكفر . الذى زعمت أن الله ، عز وجل ، خلقه وأراده ، وهذا ما لا مخرج لك فيه ، لأنا سألناك أنْ توجدنا شركاً وكفراً
١١٦ظ/ وظلماً وفواحش مخلوقةً منها . أخذ العباد (منها) [1] ما عملوا ، ومنها اكتسبوا ما به كفروا ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب، والأشياء المخلوقة الموجودة، التى احتججت بها علينا فى مسألتك هذه ، ولن تجد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش ، أخذ منها العباد ما عملوا ، ولا منها ما اكتسبوا ما به أحدثوا!

---

(١) ليست فى الأصل .

فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، حتى تناول النجوم من اعنان السماء بكفكَ! .. ولن يكون ذلك أبداً ، وفى هذا بطلان قولك ، ولزوم حجتنا لنا ، ووجوب النار عليك، إلا ان ترجع ، وتتوب عما قلت أنت ، ومن تبعك ، والحمد لله رب العالمين.

***

نقض المجبرة فى أن خلق الله ، غير خلق عباده فى الكفر والإيمان :

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، الذى خلق الكفر والإيمان ، على وجه غير ما خلقه العباد، (فإن)[1] العباد، زعمت، يزنون ويسرقون، وهذا، زعمت، لايجوز على الله..

ولا نعلم احداً أجترأ على ما اجترات عليه ، من هذا القول الفاحش ، الذى استخرجته من عقلك ، فنقول لك : أيها المغرور ، الأعمى فى دينه ، والجاهل بربّه ، فقل أيضاً : **إنه قد يجوزُ أن يرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة ، غير نظر الأعيان** ، ويسمع ، على غير وجه من حقيقة السمع ، غير سمع الأذان ، وانه شاهد الخليقة بالحواس من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس ، الذى يعقل من غيرحسٍ ، ولا مشاهدة!.. وكل هذا لا يجوز ، كما استحال ما قلت .

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا ، الذى ضاهيت فيه قول النسطورية [2]، من النصارى ، وبين قولهم ، إذ زعمت النسطورية أن عيسى ، ﷺ ، ابن لله على معنى زعموا غير معنى الولادة!!

فنقول لك : هل يلزم النسطورية بهذا القول، كفرٌ أم لا ؟..

فإن قلت : إنه يلزمهم الكفر بهذا القول .

لزمك مثله ؛ لانك زعمت ان لله، عز وجل ، فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد .. وانه قلت : إنه لايلزم النسطورية، بهذا القول، كفرٌ .. خرجت من قول أهل الصلاة، وفارقت أهل الإسلام .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) النسطورية : فرقة من النصارى

وإن قلت : إنه يلزمهم بهذا القول الكفر[1] .. لزمك مثله ، سواء ؛ لأنهم جاءوا بكلام محال، وجئ بكلام محال مثله ، لا فرق بينهما فى وجه من الوجوه ، وقد (قال) على بن الحسين [2]، رحمة الله عليه : «ليست فى محال القول حجة، ولا فى المسألة عنه جواب» .

فقد أعظمت الفرية، بقولك هذا على خالقك، فلا يبعد الله إلا من ظلم.
١١٧ و/ وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقة وجميع المعاصى / عيب ما خلق، وكيف لايفسد قوله؟!.. فتبارك الله أحسن الخالقين .

فإن قلت : إنه لا يلزمه عيب ما خلق .. قلنا : وكذلك يلزمك أنه [3] يلحقه حمد ما خلق.

فإن قلت ذلك ، خرجت من الإسلام ، ومن قوله : ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴿١٥٢﴾﴾[4]، وكيف ما قلت ، لزمك فيه الكلام ، حتى ترجع إلى الحق، فتقول : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع ما افتريته عليه ، فنفلجك.

فى حقيقة العقول :

ثم نسالك فنقول لك : **هل العقول المركبة فينا ، تدلنا على غير الحق إنه حق ، وعلى غير الباطل أنه باطل ؟!!.**

فإن قلت : نعم ، إن الأشياء تخالف العقول ، وإن العقول لا تميز الحسن من القبيح، ولا الحق من الباطل .. خرجت من حد من يكلم ، واكذبك جميع الخلق ؛ لانه يلزمك. إن قلت بهذا. أن العقول لاتميز الليل من النهار ، ولا القحط من الإمطار. ولا الظلمة من الانوار ، ولا السوام [5] من الأشجار. ولا غير ذلك مما تحوى الأقطار .

---

(١) كرر العبارة لتكرار اللزوم .

(٢) على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ابو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، واحد الائمة الإثنى عشر عند الإمامية ، واحد من كان يضرب بهم المثل فى الحلم والورع والجود والسخا، ولد سنة ٣٨ هـ وتوفى سنة ٩٤هـ فى خلافة عبد الملك بن مروان .

(٣) ليست فى الأصل.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٥) اى الرعى منها .

وإن قلت : لايجوزُ ذلك، ان تستحيلَ الاشياء فى العقول، وتقلب على غير وجوهها[1] حتى لا تميزها العقول ، لزمك ان الذى قلت باطل وكفر ، من انه يخلق الزنا ، على معنى غير الزنا ، والسرقة، على معنى غير السرقة، وفى هذا كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

الفرق بين الأسماء الحسنى والقبيحة خلقاً :

ثم نقول لك : أليس تقر لنا ان لله[2] ، عز وجل ، الاسماءَ الحسنى ؟..

فإن قلت : نعم .. قلنا لك : أفليس افترض الله ، عز وجل ، ان تدعوه بأسمائه الحسنى حيث قال : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾[3]؟!..

فإذا قلت : نعم.. قلنا لك : فهل يجوز لنا ولك، ان ندعوا الله، عز وجل، فنقول له : ياخالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء، وجميع المعاصى، اغفر لنا؟!!..

فإن قلت : نعم، ذلك جائز ان يُدعا به .. قلنا : فما الفرق بين الأسماء الحسنى ، والاسماء القبيحة ، حتى نعرف بعضها من بعض ؟!..

فإن قلت : إن هذه الاسماَء التى ذكرنا حَسَنةٌ جميلة ، لا عيب فى الدعاء بها .. لزمك ان الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصى ، كل ذلك ، حسنٌ جميل لا عيب فيه ، ولا عيب على من دعا[4] الله ، عز وجل ، به ، وسماه خالقاً له .

وإن قلت : إن هذا الدعاء لا يليقُ بالله، جل ثناؤه عما قلتم ، وانه لا يجوز ان يُدعا به ، لقبحه وشناعته ، وكذب من دعا به.

لزمك ان حجتك علينا فيه كاذبةٌ باطلة فاضحة ، وانك مبطلٌ فى قولك : إن الكفر والمعاصى كلها خلق الله ، عز وجل عما قلت ، وافتريت انت ، ومن تبعك على مقالتك. وكفى[6] بهذا كفراً ، وصدوداً عن القرآن ، ان يضافَ الى الله ، جل ثناؤه ،

---

(١) فى الاصل : ايضا وجهها .

(٢) فى الاصل : الله .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٨٠ .

(٤) فى الاصل : دعى .

(٥) فى الاصل : وكفا .

ما برئ منه ، وعنف فيه إبليس وجنوده ، واوجب لهم على إتيانه، النار التى لا تطفئ . ١٧٧ظ / فبعداً للقوم الظالمين!! / .

واما قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق الأسماء كلها .. فالرد عليك انا نقول لك : اخبرنا عن اسم «محمد» ، صلى الله عليه ، هل هو المعنى [1] فى خلق الله ، عز وجل ، له ، ولما قالت قريش من تسميها ، النبى ﷺ ، انه مُذَمّ ؟!!.

فالله، عز وجل ، قد سمّاه محمداً واحمداً وسمّته قريش مُذَمّماً. فقال ، صلى الله عليه ، : «ألا ترون نصر الله لى على قريش، حين سَمُّونى . مذمماً ، وأنا محمد» [2] .

فنقول لك : إذا كان الله ، عز وجل ، وهو الذى خلق اسم محمد ، وخلق اسم مذمم، أىُّ عيب على قريش فى قولها لمحمد ، عليه السلام ، انه مذمم ، كلاهما خلق الله ، عز وجل ؟!!.

زعمتم – وجدَ المسلمون الله ، زعمتم ، قد سماه محمداً ، فسمُّوه بذلك ، ووجد المشركون الله ، عز وجل ، قد سماه مذمماً فسموه بذلك ، فماذا عليهم ، والله الخالق للاسمين، والفاعل للقولين ، والمريد للمعنيين ؟!!.

فإنكم تنقطعون ها هنا ، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها ، إلا ان تجسروا ، فتزعموا أن الله ، عز وجل ، هو الذى سمى [3] رسوله ، ﷺ ، مذمّما!..

فيبين جهلكم وكفركم، لجميع من صلى القبلة ، وكفى بهذا [4] جهلاً وخروجاً من الحق .

* ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى ، ثم سلهم عن الأصنام من خلقها ، وجعلها اصناماً؟..

---

(١) فى الأصل : المعنا .

(٢) الحديث : عن ابى هريرة ، ﷺ ، فى : البخارى، ٤ / ١٨٥ – ١٨٦ (كتاب المناقب ، باب ما جاء فى اسماء رسول الله ، ﷺ)، واوله : «الا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ... الحديث وهو فى : النسائى (بشرح السيوطى) ٦ / ١٢٩ ، ١٣٠ (كتاب الطلاق ، باب الإبانة والإفصاح..) ؛ والمسند، ١٣ / ٥٠ ط. دار المعارف.

(٣) فى الأصل: سما

(٤) فى الأصل : وكفا بهذى .

رد احمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه - نحن نقول لك هل : خلقها أصناماً وأوثاناً وانصاباً ، فسماها بذلك الاسم ، وكان ذلك الاسم يُدعى «بُددُ» وتعرفُ به قبل أن يعبدها من نحتها ، وجعلها صوراً من المشركين ، في الزمان الأول ، وفي زمان مندان بن إسماعيل [1] ؟!!.

فإن قلت : إن ذلك كان اسمُ الحجارة ، تعرفُ في العرب ، قبل ابتداع من ابتدعها ، وعبادة من عبدها ، اكذبك جميع الخلق ، وشهدوا على بطلان قولك .

لأنها لم (تزل) [2] تشاء تُعرفُ بأن اسمها حجارة ، وصخر وصفوان وصفا [3] ، وغير ذلك من الأسماء ، فلما نحتها الكفار بأيديهم ، وصوّروها بحركاتهم ، وسموها أصناماً وأوثاناً ، وسموها بالأسماء المحدثة منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وإساف ونائلة ، ويغوث ويعوق ونسراً ، وغير ذلك ، وهي التي ذكرها اللهُ ، عز وجل ، في كتابه ، وعنّفهم على اتخاذها وتسميتها ، مما دلَّ على براءته من خلق ماخلقوا فيها ، من التقدير والتصوير والخرط والنحت ، فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ ١٨٨و / الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا / قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4].

كأنك ، يا لك الويل ، لم تسمعْ هذا القول في كتاب الله قط ، ولم يخطر لك على بال ، حين زعمت أن الله ، عز وجل ، خلق الأصنام ، وذهبت بجهلك إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [5]، وإنما عنى بهذه الآية، أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء، التي عملت منها الأصنام ، إذ لا خالق للأصل غيره ، وإنما وقع العيب والتعنيف عليهم، في نحتها وتقديرها وتصويرها، وعبادتها لا غير ذلك .

---

(١) يقال إن أول من ادخل عبادة الاصنام على العرب هو عمرو بن لحى بن غالوثة بن عمرو بن عامر .

(٢) زايدة في الهامش .

(٣) الحجارة الملساء .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٩٦ .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[1]. فلمَ عُدوا لهم من دون الله أنصاراً ؟!.. أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله ، عز وجل : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[2] ، ولم يقل إنهم أدخلوا النار بخلقه لفعلهم !..

فسبحان الله العظيم ، ما أجهلك وأجهل من أصغى[3] إلى قولك ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾[4]، ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) ﴾[5]، فاسمع الى تفسير الفرية ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الفرية ، كما زعمت ، للزمه انه قد خاب ، عز وتعالى عن ذلك ، لقوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) ﴾؛ لأن من خلق الفرى فهو خائب ، ومن خلق الكذب فهو كاذب.

وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾[6] ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى دساها ، للزمه أنه شتم نفسه بنفسه ، وخيبها ، حيث قال : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾، ولا تدسية أعظم من الكفر!..

وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلقهُ ، وخلْقُه ، زعمت ، فعله وصنعُهُ ، فيلزمك فى هذه الآية أنه دساهم بالكفر ، وانه يلزمه انه قد خاب من دساها ، وبالله لو لم يكن لنا فى القرآن غير هذه الآية ، لكانت كافية قاطعة لكل مجبر على وجه الأرض ، الا لعنة الله على الظالمين .

***

فى القدرة والمشيئة وتعلقها بالعلم :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن وجه ما وضعوا ، مما أخطؤا فيه تأويل قدرة الله، عز وجل .

---

(١) سورة نوح الآيات ٢٣ – ٢٥ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) فى الأصل : اصغا .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(٥) سورة طه : آية ٦١ .

(٦) سورة الشمس : الآيات ٧ – ١٠ .

فإنهم عابوا علينا انْ قلنا : إن كل شئ اخبرنا الله به انه، لا يكون او يكون، فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، ان يقول إنه إنْ شاء كان على وجه إن شاء ، فإن ما يجهل وما لا يعلمه ، لإنا متى قلنا ذلك ، قلنا : لا ندرى لعل الله إن شاء قال ١١٨ظ/ الباطل.. تعالى الله ربنا وتبارك ، لقد حملنا اهل البدع على ان تكلمنا بكل قبيح ما / ما يدخل عليهم في كلامهم ، مع ان الله، تبارك وتعالى ، قد وصفه بعض الكفار ، فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1] .

فوصف كذبكم ، ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لانَّ متى قلنا : إن القيامة إن شاء الله لم يقمها . قلنا : إن الله كذب ، وإن قلنا : إن الله إن شاء لم يفعل ، قلنا : إن شاء الله أخلف الميعاد ، ولا يجوز على الله هذا ، إلا ان يشاء ان يكون غير ما عُلم انه يكون!.. ولا يشاء ان يخلف وعده ، ولا يشاء انْ يتخذ الولد، ولا يشاء ان يتخذ معه إلهاً ، تبارك وتعالى ، ولايجوز على الله هذا الكلام فى قول العدل ، إنما يشاء انْ يكون ماعلم انه يكون، ولا يشاء انْ ينقص ملكه ، ولا يشاء ان يغيرَ صفته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

***

رد أحمد :

الجواب قال أحمد (بن)[2] يحيى ، صلوات الله عليه : زعمت أنَّا وضعنا خطأ ، !خطأنا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل، منه انه لايكون او يكون .

فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، ان نقول : إنه إن شاء كان ، على وجه انه إن شاء كان ما يجهلُ وما يعلم ! .

١- وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره ، فأجزانا ذلك عن إعادة قولك ، لأنك إنما مَدارُكَ على الفرية على الله ، عز وجل ، وعلى إبطال كتابه ، وعلى إبطال أمره لخلقه بالإيمان، والرجوع عن الخطا، والتوبة عن الكفر والظلم ، واجتهادك فى دعاء

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

(٢) فى الأصل : احمد يحيى

الكفار إلى أنه لا يعلم الله، عز وجل ، منهم الكفر ، وأن يَدعوا الكفر والشرك ، ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة ، وأنك إنما تريدُ في قولك : إنَّ من علم الله منه الكفر ، أنه ليس له حيلة في الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه ، زعمت ، لأنَّ ذلك العلم الذي علمه الله ، عز وجل ، عندك ، هو الحائل بينهم وبين الإيمان!.. زعمت .

حقيقة فهم المجبرة للعلم الإلهي :

* وهذا كفرٌ غلطت فيه ، وخالفت القرآن ، وجهلت كيف العمل به ، ولم يبلغه عقلك ، وذلك أنَّ المجبرة أنزلو العلم بمنزلة الشئ المانع الدافع لهم ، الحائل بينهم وبين طاعة الله ، عز وجل ، فالتوبة عن خطايهم [1] ، وتركهم قوله ، جل ثناؤه ، بعد ما علم أن القاسطين يكونون لجنهم حطباً .

فاخبر ، تبارك وتعالى، أن علمه ليس هو المانع ، ولا حائل دون الاستقامة على طريق الهدى ، وأنهم إنما هلكوا وصاروا حطباً لجهنم ، باختيارهم ، واتباع اهوائهم ، لا يعلمه ، عز وجل ، الذي قلت : إنه حال بينهم وبين الطاعة ، فقال ، ١٩٩ و/ جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ / فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، وقد أعلمناك ، أن تاويل الفتنة في القرآن يُخرجُ على عشرة وجوه في كتاب الله ، والله ، عز وجل ، لا يفتن المستقيمين ولا يضل المطيعين ، لانه ، عز وجل ، إنما اخبرنا أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لاحسن إليهم واسكنهم جنَّته، ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء . الا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لم يعلم منهم الكفر ، الذي صيَّرهم به حطباً لجهنم ، وأنهم لو أرادوا الهدى [2] لم يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفر، والشاهد على ذلك لنا أن الله ، عز وجل ، إنما افترض

---

(١) سورة الجن : الآيات ١٥ – ١٨

(٢) في الأصل : الهدا

على الخلقِ الخروج من الكفر ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ ولو كان الأمر (كما) ذهبتْ إليه عقولكم الصداة [1] ، لم يجز للحكم العادل ، الذى لا يظلمُ، أن يقول : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]، ويقول: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[4].

وليس فى القرآن من أوله الى أخره، آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله ، عز وجل ، هو الذى منع الناس عن الإيمان ، وحال بينهم وبين الطاعة، ولا حملهم على الكفر ، فإنْ وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك ، فالقول قولكم.

أو وجدتم آية توجبُ أنَّ الله ، عز وجل ، قال لأحد من خلقه الأولين أو الآخرين : ادخلو النار بما علمت منكم ، وادخلوا الجنة بما علمت منكم !.. لأنه ، جل وعز، إنما يعاقب ويُثيبُ على الأعمال، لا على علمه بالأعمال .

وقد أجبناك في العلم ، في أول كتابنا هذا ، بما فيه الكفاية ، إلا أنك تكرر مسائلك [5] فلا نجد بُداً من أن نكررَ ما قد انقضى [6] فيه الجواب ، لئلا تعتلق علينا بحجة ، أو تقول قد تركوا بعض مسائلى .

هل يشاء الله أن يفعل ما لايجوز؟!

٢- وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله ، من أن لا تكون القيامة [7]، وأن يتخذ الولد ، وأن يخلف الوعد ، وأن يبدل القول !!..

فهذا كله قولكم أنتم ، وهو لازم لكم ، وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا

---

(١) فى الأصل : الصداه .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٥) فى الأصل : مسالك .

(٦) فى الأصل : نقضا .

(٧) فى الأصل : القيمة.

القول، هم أعرف بتوحيد الله ، سبحانه ، وأقومُ بعدله من أن يقال لهم هذا القول، وينسبَ إليهم، بل هذه صفتكم أنتم ، وصفة إخوانكم الأشقياء الجهرة الجهلاء .

٣- **وأما قولك : إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريدُ** ، ونحن نقول ، على أهل البدع لعنة الله (و) لعنة اللاعنين ، وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن، وعرف تأويله وتنزيله، ومحكمه ومتشابهه ، وأخذ الحق من معادنه، ١٩٩ظ / الذين قال الله ، عز وجل ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[2]؟!!!..

ثم نقول : أنت أعرف بعدل الله أم موسى ، صلى الله عليه ؟!!.

فإن قلت : إنك أعرف من موسى. كفرت .

وإن قلت : إن موسى ، صلى الله عليه ، أقوم بعدل الله منك ، وأعرف بدينه.

فما تقول في موسى ، صلى الله عليه ، لما قتل القبطي : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾[3]، ولم يقل : هذا من قضاء الله ، عز وجل ، وإرادته .

يجبُ في هذا القول أنك أعلم من موسى ، ﷺ، وأقوم بعدل الله ، عز وجل ، وكذلك قال الله ، عز وجل ، لمحمد ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾[4]، وقال يعقوب ، صلى الله عليه ، ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ ﴾[5]، أولا ترى أن الله ، عز وجل ، قد نفى عن الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ما ألزمته وأن ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالقه ، كما أضفتَ .

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ١٥

(٤) سورة سبأ : الآية ٥٠ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٨ .

٤- وأما قولك أنا أخطأنا فى صفة قدرة الله .. وليس القول كما قلتَ ، ولكنا نقول : إن الله عز وجل ، قد صدق فى قوله : ﴿ وَلَوْ شاء ربُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[٢] ، وما أشبه هذه الآيات فى القرآن .

فان كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته ، وانه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر، حتى[٣] لايقدرون علي فعله بالجبر منه لهم والقهر ، ولو شاء الله لهدى الناسَ جميعاً ، اى جبراً وقسراً ولا يرسل إليهم الرسل ، ولاينزل عليهم الكتب ، ولكن لم يكن ذلك من حكمته ، وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك ، وانه لا يفعله ، حتى يروا انهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصى ، عن غير غلبة له ، عز وجل ، ولا ضعفٍ كان منه عنهم .

فأما قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾[٤] فإن المجبرة يتعقلون بهذه الآية ولايقراون ما بعدها ، وهو قوله ، عز وجل ،: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾[٥].

فصح أنه بما كسبوا لا يفعل الله ، عز وجل ، ولا بإرادته لمعصيتهم ، مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة ، وليست من أحكام الدنيا ؛ ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، وعنى أن المخاطبة فى الآخرة لا فى الدنيا : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾، يعنى ممن عصى[٦] فى الدنيا وخالف أمره . ثم قال بعد هذا ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾.

١٢٠ و/ فصح انه فى الآخرة / تكون هذه المخاطبة، والعدل فى الآية قائم بنفسه، لاجبر فيه ولا قسر، ولا مخرج لملحد مجبر ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣

(٣) فى الاصل : حتا .

(٤) فى الاصل : يقرون .

(٥) سورة السجدة : الآية ١٤ .

(٦) فى الاصل : عصا

٥- وأما قولك : إنه يلزمنا انا نقول: إن الله ، عز وجل ، لو شاء لم يكن ربًّا ، وانه لو شاء لظهر للناس ، وما قد ذهبتَ به فى هذا الموضع من الخطأ والتخليط .

فأهل العدل أعلم بالله ، عز وجل ، وبتوحيده الذى انت به جاهل ، فلن يقولوا مثل ما قلت . وإنما يجبُ عليك ، لو استعملت الأدب والحكمة ، ان تخاطبنا بما قلنا

فاما ما ليس هو من قولنا، فلم تكرِّره وتذكر فيه الكلام ، ولكنْ وجدتَ جهالاً لا يميزون عليك قولك ، وقلدوك امر دينهم ، فاهلكتهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وهيهات شرفُ الحق وعظم قدره ، وقدر اهله ، من ان تَخطَّفه ايدى الباطل ، او تفتأتوا على اهله بحجة .

فاربعْ على ظلعك ، وقس بشرك بفترك [1] ، واخرج مما قلنا ، وافهم ما به اجبنا ، وارع من استطعت من أهل الجبر ، فإنكم لا تقومون بحجةٍ واحدة من هذا الكتاب، ولا تقدرون لها على دفع ولا نقض ، بحول الله وقوته.

وهذا قول مُدلٌّ بفلجه ، لان دين الله ، عز وجل ، لا تقوم له الجبال ، وما كان من الله ، عز وجل ، فلن يغلبَ ابداً ، وغيره دين الشيطان ، ودينُ الشيطان إلى البوارِ والدمار والدبار والخسران ، فلايقوم الباطل للحق ابداً .

وسالتِ عن أم موسى ، صلى الله عليه ، وعن فرعون ، لعنة الله ، وقد اعْدتَ هذه المساله ، وقد مضى جوابنا لك فى هذا الكتاب بما فيه الكفاية.

وذكرت الاستطاعة فى قتل موسى ، صلى الله عليه ، وقد اجبناك ايضاً فى باب الاستطاعة بما فيه الكفاية ؛ واوضح البرهان ، وما لايقدر له احد من المجبرة ، ولا غيرهم ، على نقض ابداً .

ادلة اخرى فى الاستطاعة :

ونحن نقول لك فى الاستطاعة ايضاً : اخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، على

---

(١) مثل جارٍ ، معناه توبيخ الخصم والحط من شأنه .

الناس عندما بعث إليهم محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن يقرّوا أن محمداً رسول الله ؟! . .

فاذا قلت : نعم . قلنا لك . فاخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، عليهم من ذلك، ما يقدرون عليه ويمكنهم ، أم ما لا يقدرون عليه ولا يمكنهم؟

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً لا يقدرون عليه ولايمكنهم[1].

لزمك أنه افترض عليهم ، ما لم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا المقدرة ، وأنه قد أبطل في قوله في كتابه ، ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾[2] ، أى عرّفناه طريق الخير والشر والحق والباطل، ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا . . ﴾[3] . . فأى دلالة إلى سبيل أعظم من هذه الدلالة .

١٢٠ ظ/ ويكفيك أيضاً قوله ، عز وجل : / ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[4] ، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[5]، وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افتراض عليهم أمراً يقدرون على اتباعه وفعله ويمكنهم ، بطلت دعواك في الاستطاعة أنها مع الفعل ، ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولولا ذلك لما افتراض الله عليهم أمراً لايقدرون عليه ، من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم ، فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة .

وهذا ما لا يجوز في عدل ، ولاحقٌ ولا حكم ولا عقل ، وهذه وحدها تكفي من عقل .

***

---

(١) تكررت العبارة في الأصل وأظنه سهواً من الناسخ .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١٠ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٥

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦

(٥) سورة الطلاق : الآية ٧

الاستطاعة مع الفعل عند المجبرة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم : عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ [الْبَيْتِ] مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾(١).

فقل اخبرونى : ما الحج عندكم ، أليس هو الطواف بالبيت ، والموقف فى عرفات والمشعر، وقضاء تلك المناسك بمكة وبمنى (٢) ؟!..

فإن قالوا: بلى (٣) . فقل أخبرونى عمن له مائة (٤) الف (٥) دينار، والف جمل ، وأشباه ذلك، وهو صحيح ، يستطيع الحج، وهو بالبصرة أو بخراسان ، أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد ؟

فان قالوا : نعم . فقل أفليس يستطيع الطواف بالبيت ، ووقوفاً فى تلك المواقف ، وهو مقيم فى بلده ، لايأتى مكة ، ولا يقربها ؟!.. أفليس قد يستطيع الطواف بالبيت ، وهو مقيم ببلده(٦) ، ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ؟!؟..

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، زعمت انه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع انْ يطوف بالبيت ، ولايأتى جميع المناسك، وهو فى بلده، وكذلك لا يجوز فى غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر، وغيره من البلدان .

تريد بذلك - أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، وذلك خطأ منك ، وجهل بالاستطاعة كيف هى .. وقلت : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة (أو غيرهم) ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم ؟!..

---

(١) فى الأصل : ولا غيرهم .
(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .
(٢) فى الأصل : وبمنا .
(٣) فى الأصل : بلا .
(٤) فى الأصل : معه .
(٥) فى الأصل : الف .
(٦) العبارة مكررة فى الأصل بداية من : لا يأتى مكة ..

ونحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، لم يفرض الحجَ على من بالبصرة ولا على من بالكوفه ولا من غيرهم ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم !.

ولكنا نسألك : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان ، أن يقوم الرجل منهم فيرمى ، بالحجارة إلى رأس نخلة ، (أو إلى) رأس جداره ، ويطوف ببيته أشواطاً ، ويحلق رأسه ويشرب (من) بئره التى فى داره ، ويفعل ما أراد من مجئ أو ذهاب ، أو تكبير أو تهليل ، أو قول أو عمل أو ذبيحة ؟!..

فإن قلت : لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التى سميت ، أكذبك جميع الناس، وخرجت من حد من تكلم . وبان جهلك .

وإن قلت : نعم ، هم يقدرون على ما ذكرتم ، هم وغيرهم من أهل البلدان .

١٢١و/ قلنا لك : فتلك الاستطاعة التى هى مركبة فى الآدمى بها يعمل ./ جميع المناسك إذا صار إلى مكة .. فإن قلت : إن الاستطاعةَ منه لا تكون إلا مع فعله . لزمك لنا أنك قد أقررت أن الاستطاعة ، قد كانت موجودة فيه فى بلده ، وإنما عليه المسير والمسافرة ، حتى يؤدى المناسك وفروض الحج بالاستطاعة ، التى أقررت أنها موجودة فيه ، قبل أن يخرج من بلده ، وقد قطعناك فى الاستطاعة، بما قد شرحاه فى صدر كتابنا هذا ، بما كان فيه الكفاية ، غير أنا لا نجد بداً كلما أعدت مسألة[1] أن نعيد الجواب فيها .

هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان فى وقت واحد؟

٢- وأما قولك لنا : هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً؟.. فجوابنا : إن هذا قول محال؛ لأنه لا يجوز أنْ يكون القائم قاعداً ، والقاعد قائماً فى حالة واحدة .

ولكنا نقول : إن العبادَ يستطيعونَ أن يؤمنوا ويستطيعون أنْ لا يكفروا ، وإن دخلوا فى الإيمان وقبلوه ، ودانوا به ، استطاعوا بعد ذلك الخروج منه ، إن أرادوا ، لأنك تعلم كيف حُكْمُ الإسلامِ فى المرتد ، وهذا أكبر دليل ، على أن المؤمن يقدرُ أن يرتدَّ .

---

(١) فى الأصل : مسئله

وكذلك إذا دخل العبادُ في الشرك واعتقدوه ، استطاعوا تركه والخروج منه إلى الإيمان ، وهذا مشاهدٌ معروف لا ينكره أحدٌ ، أن المؤمنَ إن شاء كفر ، وأن الكافر إذا شاء آمن ، وليس قولك : إن من علم الله [1] ، عز وجل ، منه الإيمان ، لا يستطيع الكفر ، ومن علم منه الكفر ، لا يستطيعُ الإيمان .. هذا القول الذى قلت لايجوز ، لانه نفسُ الجبر ، الذى هو دينك ودين إخوانك، وليس هو دين الله ، عز وجل ، والشاهدُ على بطلان دعواك ، قولُ الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وقوله فى المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

افتراك ، ويحك ، ما تدبَّرت هذه الآيات قط ، ولاافكرتَ فيها ، وإلى برهان عدل الله، جل ثناؤه ، وبراءته من ذنوب الظالمين !.. وكأنك مارايت ولاسمعت بكافر أسلم ، ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام ، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره فى القرآن !!.

ولا قوله ، عز وجال ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[4] ، فذكر ، عز وجل ، انهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم ، لا جبراً ولا قسراً .

٣- **ومن الحجة فى قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق بعضَ الناس كافراً ، وبعضهم مؤمناً ..** وهذا أعظم الفرية على الله ، جل ثناؤه ، واوضحه رداً لكتابه .

فنقول لك عند ذلك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ، زِيَادَةٌ فِي

---

(١) مكررة فى الأصل .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

﴿الْكُفْرِ﴾[1] ، ما يريد بهذا القول ، وما هذه الزيادة التى ذكرانها مزيودة [2] في الكفر ، هل تلك الزيادة منه زادها فى ا لكفر ، أم هى من الكفار زادوها هم فى الكفر؟!..

١٢١ ظ/ فإن قلت : إن الله / عز وجل ، زادها فى الكفرَ .. قلنا لك : فاخبرنا عن خلقه لهذا الزيادة ، التى زادها فى الكفر ، زعمت ، بعد ما خلق الله الكفر ، عزَّ الله عما قلت ، كيف هى ، وما صورتها ، وابن المقدار الذى بان لك منها ، فى الزيادة فى نفس الكفر ، وهل هى موجودة او لا ؟!!..

فان قلت : إنها موجودة محدودة ، من قبل زيادتها فى الكفر ، لزمك ان تعرفنا بها، حتى نعرفها ، كما عرفتها بعينها وحدودها !..

- وإن قلت : إنها ما زاد الكفار فى الشهود وما احدثوا ، لزمك انها فعل الكفار، لا فعل الله ، عز وجل ، إذ لم تات على تلك الزيادة ببينةٍ ولا حجة ، ولا جسمٍ يحسٌ، وانهم هم زادوها فى كفرهم ، اى احدثوا إلى الكفر كفراً ، وذلك هو الحق.

- وإن قلت : إنها فعل الله ، عز وجل ، وخلقه ، لزمك ان ليس لله ، جل ثناؤه ، بين السموات والارض إلا فعل يُدركُ ويُحس ، ويعرف بعينه وحدوده ، ويبين بنفسه عن فعل بنى آدم ؟!!.

- وإن قلت : انه لا يدرك ولايُحس ولايُعرف . لزمك انه بصفة الواحد الذى ليس كمثله شئ ، ولا يقع عليه الحواس!...

لأن الله ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، عما أحدثت بنو كنانة [3] من مدركة فى الشهور ، جتى كانوا يرون الحج عاماً فى ذى الحجة ، وعاماً فى المحرم.

فقال الله ، عز وجل ، يخبر نبيه ، صلى الله عليه ، إن ذلك فعلهم لا فعلهُ ؛ فقال :

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب مزيدة .

(٣) كنانه : قبيله عربية

﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾(١)، فلو كان هذا فعله ما عنفهم عليه، ولا عجَّبَ نبيه ، صلى الله عليه ، عنهم ، ولا أضاف ذلك الفعل إليهم !!.

فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب ؛ لقوله ، عز وجل ،: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾(٢).

فصح وثبت أن الشئ الزائدَ في الكفر ، هوفعلهم الذى زادوه فى الكفر ، لأن الكافرَ يمكنه الزيادة فى ظلمه وفجوره وكفره ، كما يمكن المؤمن الزيادة فى إيمانه ، لما يكسب من الخيرات والمسارعة فى طلب الدرجات ، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله، عز وجل، وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذى زادت من النسئ، وتشرفت به ، وفخرت بفعله ، على غيرها من العرب فى الجاهلية ، وانتم أيها المجبرة تعذرونهم ، وتلزمونا لله ، عز وجل ، فعلهم ، وهم يفتخرون بذلك، ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم .

قال شاعرهم :

ألـيـس النـسـئُ سنتنا عليكم ... بدعنـاه، ونحـن المبدعـونا

جعلنـا الحـج فـى وقتـين ... لما ملكنا النـاس طـراً خاضعينا

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسئ إليهم، أنهم هم ابدعوه وسنُّوه للناس ، وأن الله ، عز وجل ، لم يسنَّه ، ولم يبدعه ، وأنه ، جل ثناؤه ، برئ منه .

وقال الكميت بن زيد الأسدى (٣) ، رحمه الله ، فى الإسلام ، يذكر النسئ ماكان من فعل عمر بن يحيى الكنانى .

١٢٢و/ ونحـن الناسـئون على معـدٍ ... شهورهم الحرام إلى الحليل (٤)

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) ذكر البيت أبو على القالى فى أماليه ولم ينسبه لأحد ١ / ٤ وهو من بحر الوافر .

افلا تراه يذكر انهم هم الذين فعلوا النسئ ، وأن الله ، عز وجل ، لم يفعله وأنه ، تبارك وتعالى ، قد أوضح فى كتابه أنه برئ من النسئ ، وأنهم هم الذين أبدعوه ، ولذلك حرّمه وابطله وعاب على فاعله وذمّه ، وأمر نبيه ، صلى الله عليه ، بالحج المستقيم ، والحق الذى هو خلاف النسئ وأنت تزعم أن الله ، عز وجل ، أراد كفر الكفار ، وخلقه وقضاه !!.. عز الله وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً .

ألا تسمع إليه كيف يقول – عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[1]، افلا تسمعه ، عز وجل ، يخبر بمضادتهم له ، مخالفتهم إرادته .

أهذا قول من فعل فعلهم ، أو قول من قدّره عليهم ؟!..

سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم، وأبين جهلكم وفريتكم عليه ، عز الله ، عز وجل، عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ثم قال ، جل ثناؤه : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[2]، اهذا قول من جعلهم كفاراً ، ثم قال عز وجل : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[3] ، فهل رايت حكيماً قط فعل فعلاً ، وهو لا يريد ذلك الفعل ؟!..

كانك لم تسمعه ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾[4]، افلا ترى أيها الهالك فى دينه المفترى على ربه ، أنّ الفريقين جميعاً هما اللذان[5] اتبعا ما أرادا وما اختارا لانفسهما ، وحكى الله عنهما ، ولم يقل فى نفسه ، جل ثناؤه ، أنه جعلهما على تلك المنزلتين ، ولا قدّر عليهما تلك الحالتين ، إلا الأمر والنهى ؟!.. قدوس قدوس رب الملائكة والروح .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٧

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٨

(٤) سورة محمد : الآية ٣

(٥) فى الأصل : الذان

ونحن نسالك فنقول : أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة [1] دينار ، فلما صار بها في بعض الطريق ، سقط منها خمسون ديناراً ، فلما أصبحَ ظفر به وأخذه ، فقال الرجل له : أين الدنانير ؟..

مثل للإيضاح :

قال : ضاعت منى ، ولم يبق معى إلا هذه الخمسون الباقية ، فجاء به الرجل الى قاضيكم ، فاستعدى عليه ، وطالبه بالمائة دينار كلها . فقال الرجل السارق : الله ، عز وجل ، هو الذى قضى [2] علىَّ بسرقة هذه الدنانير ، وهو الذى أذهب نصفها، وهو الذى ترك معى نصفها وليس على لوم!.

فنقول لك : ما قولك فيما يقول قاضيكم فى هذا الحكم ، هل يلزم الرجل السارق المائة كلها ، أو يقبل منه الخمسين ، ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟!.. .

فإن قلت : يقبل منه . لزمك أن قاضيكم أعدل، عندكم، حكماً من الله ، عز
١٢٢ظ/ وجل، الذى ألزم السارق المائة دينار كلها ، ولزمكم أن قاضيكم قد حكم . بخلاف حكم النبى ، صلى الله عليه ، وبخلاف أحكام قضاة الإسلام ، مع ما يلزمك فى قطع يده ، وفريتك على ربك ، وإلزامك ، له سرقة السارق ، وأنه خلق فعله، وقضاه وقدره وأراده ، ثم أمر بقطع يده !.

وهكذا أخبرنا ، عز وجل ، عن عمل الشيطان بالانسان ، حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، فوصفتم الله ، عز وجل، فى الجور والظلم لعباده، بصفة الشيطان وما يفعل بحزبه الكافرين !!.. سبحانه الله العظيم العلى عن قولكم .

وإن قلت : إن القاضى لا يسمع دعواه ، ولا ينظر فى حجته ، فإنه يغرِّمه الخمسين التى ضاعت منه، ولم يقبل [4] قوله : إن الله ، عز وجل، هو الذى قضى عليه سرقة المائة الدينار.

---

(١) فى الأصل : مئة .

(٢) فى الأصل : قضا .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦ ، اخطأ المؤلف فى ذكرها .

(٤) فى الأصل : ولم يقبل .

قلنا لك : فكيف يجوز أنه يغرّمه وحده المائة الدينار ، وقد صح أنه معه آخذاً آخر أعانه على أخذ الدنانير ، وقدَّره على سرقته ، ولم يخل فعله الذى شايعه وقدره عليه ، وأراد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله ، والخالق لتلك السرقة والمريد لها؟!.

فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها ، وقد صح له أنه معه غيره ؟.. والواجب عليه فى العدل أن يغرّمه نصفها ، ويغرم الذى صح عنده أنه غير برئ من فعل هذا السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل . فاختر أى ذلك شئت !.

فأيهما ما قلتَ به سقطتْ دعواك ، وبطلت حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

***

الاحتجاج بآية البغاء على عدل الله :

وقد قال الله ، عز وجل ، ما يشهد للعدل، وظهور حجتنا على حجتكم ، قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] .

فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى أراد منهن الفجور ، وقضاه عليهن، وخلقه من فعلهن ، ما نهاهم عن إكراههن على الفجور .. وكيف ينهاهم عن إكراههن على شئ أراده وقدَّره وخلقه ؟!..

سبحانه الله العلى العظيم ، ما أشنع هذا القول، وأفسد حجة من ادعاه .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ ، فقد جاء فى التأويل ، إن ذلك يخرج على وجهين :

١- أما أحداهما : فإنه ، عز وجل ، يقول : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾، لمن كف عن إكراههن وتاب، فإنه يغفر له ما قد مضى من إكراههن ، إذا صحت توبته .

٢- والوجه الآخر : فقوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾، يعنى بهن

---

(١) سورة النور : الآية ٣٣

إذا حملوهن من الإكراه على الفجور على ما لايُردنَ، والاول احبُ الوجهين إلينا ، والحمد لله رب العالمين.

مقالة العباد بين الحقيقة والافتراء :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم هل كلفكم الله، تعالى، ان تعلموا انكم ١٢٣و/ مخلوقون، وتعلموا ان الله خلقكم ونهاكم ان تروا انكم خالقون ، أو ترون ان الله مخلوق ؟.. /

فان قالوا : نعم. فقل : هل تقدرون على ان تروا ان الله مخلوق، وانكم خالقون؟.. فإن قالوا: نعم[1]..

فقل : افليس تقدرون، وتستطيعون ان تروا انكم خلقتم السموات والأرضين، وما فيهن ، وتقدرون وتستطيعون ان تروا ربكم دابة من الدواب وانه مخلوق ؟!..

فان قالوا : نعم . فقد اعطوك انهم يقدرون على ذلك، فما تريد منهم بعد هذا؟!..

واى فرية اعظم من هذه الفرية ، من ان يقول عبدٌ : إنى اقدر واستطيع وارى انى خلقت كل شئ!.. حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم ، وارى ان خالقى دابة أو شجرة، وانى خلقته وصنعته !!

رد أحمد بن يحيى : هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها :

الجواب قال احمد بن يحيى : صلوات الله عليهما ، جل الله وعزّ وجل وتقدس عما قلت ، وإليه من الفرية اضفت ، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ، ولسنا نقول ما قلت من القول الشنيع . فاسمع جواب مسالتك هذه ، واصغَ إليها ، فإنك قد اهلكت اتباعك وافسدت عليهم دينهم ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم .

ونحن نقول فيها : إن الخلق كلهم يقدرون ويستطيعون، ان يقولوا فى الله ، عز وجل ، من القول القبيح، والصفة الفاحشة الشنيعة ما ذكرت ؛ لان ذلك يمكنهم

---

(١) من عندنا وليست فى الاصل .

ويستطيعونه ، كما استطعتموه من إلزامكم له شرك المشركين ، وكفر الكافرين ، وخلق زنا الزناة ، وسرقة السُّرَّاقُ ، وغير ذلك من جميع المعاصي ، فالخلق يقدرون على أن يقولوه قولاً بألسنتهم وأهوائهم ، إن أحبوا ذلك ، لم يَحُلْ بينه وبينهم حائل ، لما كان الأمر من الله ، سبحانه ، تخييراً لا جبراً ، فافهم هذا القول .

وأما أن يقدروا ويستطيعوا أن يروا في أنفسهم ، بالحقيقة ، أنهم خلقوا السموات والأرضين ،وأنهم خلقوا الأشياء التي ذكرت ، وأن صانعهم دابة وشجرة ، زعمت ، هذا مالا يجوز ولا تقبله العقول ، لأن عقولهم المركبة فيهم، لا تدلهم أبداً على أن يدَّعوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ، لأنه صحيح في عقولهم ، وعند أنفسهم بالحقيقة ، أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه ، فافهم هذا الباب .

ولكنهم يقدرون أن يقولوا أنهم خلقوا السموات والأرض قولا بألسنتهم ، وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم ، أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقررة في أنفسهم ، أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت . فليس أحد يرى في نفسه إذا صدَّقها ، أنه فعل أمراً لم يفعله .

فأما القول باللسان ، فهو يمكنهم ، كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل ، الفرية والكذب .. واحتججتَ على أهل العدل بخلاف ما في كتابه ، أما خلق الأفك فذلك جائز أن يفعله أهل الإفك ويخلقوه ، وخلقهم له هو فعلهم ، وذلك جائز في اللغة العربية أن يسموا صنعهم خلقاً ، وكلُ صانع لشئ فهو خالقٌ له ، ولذلك لم يجُزْ على الله . عز وجل،
١٢٣ظ/ خلق غيره ولا صنع غيره ، قال الكميت بن زيد :

أرادو أن تبدل خالقات ... أديمهم بعس ويعتدينا [١] .

والخالقات عند العرب النساءُ الدابغات للأدم ، وهن الفاريات للأدم أيضاً .

وقال زهير بن أبي سلمى [٢] يمدحُ هرم بن سنان بن أبي حارثة الغطفاني

---

(١) البيت : لم أجده في ديوان الكميت : وهو من بحر الوافر .

(٢) زهير بن أبي سلمى : زهير بن أبي سلمى بن ربيعة المزني ، من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية ، له أخت شاعرة ، وولداه كعب وبجير شاعرين ، عرف عنه تنقيح الشعر حتى صارت له قصائد تسمى الحوليات ، وأشهر شعره «أمن أم أو في دمنة لم تكلم» .. طبع ديونه عدة مرات ، وتوفي سنة ١٣ ق.هـ. انظر ترجمته في الزركلي : الأعلام ٢ / ٥٢ ، وكذلك الأغاني ١٠ /٢٨٨ - ٣٢٤ .

وأراكَ تفــــرى مـــا خلقــــتَ   وبعضُ القوم يخلقُ ثُمَّ لايَفْرى [1]

فهذا الشاهد من لغة العرب ، والذى قلت فامر لايجوز ان يرى العباد انهم خلقوا ما لم يخلقوا ، لأن هذا أمر مستحيل ، وإذا استحالت الاشياء فى عقول الخلق ، كما وصفت ، سقطت عنهم الحجة ، لما دخلَ فى العقول من الفساد .

فاما ان يقولوا قولاً بالمكابرة والظلم واتباع الهوى ، وهم يعلمون عند انفسهم غيره، فذلك الصحيح فى عقولهم ، فهذا ما لا يجوز غيره . فافهم ما قلنا ، فإن الحق لا يشوبه الباطل .

هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة :

ومن الحجة لنا عليك فى أن العباد يستطيعون ، ويقدرون أن لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفرولا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم .

قوله لنبيه ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2] ، فنقول لك : اخبرنا عن هذه الآية اهى على الحقيقة من قول الله ، عز وجل ، انه ارسل رسوله إلى الناس جميعاً ، ام هى آية يجوز تاويلها عندكم ، انها إلى بعض الناس دون بعض ؟ .

فإن قلت : نعم ، إنه يجوز أن يكون تاويلها إلى بعض الناس ، دون بعض .. اكذبك جميع أهل القبلة من الفرق كلها ، واكذبك الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾[3] ، والكافة فى لغة العرب هى العامَّة للكل ، لا خصوص فيها .

ثم نقول لك : اخبرنا هل أراد رسول الله ، صلى الله عليه ، من الخلق كلهم أن يجيبوا دعوته ، ويدخلوا فى الإسلام ، حتى لا يتخلف منهم احد ، ام لم يُرد ذلك ؟ وهل أمره الله ، عز وجل ، بدعاء الجميع ، ام لم يامره إلا بدعاء البعض ؟! .

---

(١) والبيت فى ديوانه ، ص٩٤ ، وجمهرة اشعار العرب القرشى ٢ / ٢٤٠ . وفى اللسان ١١ / ٣٧٥، وجاء على هذا النحو:
وَلأنت تفرى ما خلقتَ   وبعضُ القوم يخلُق ثم لا يَفرى.

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبا : الآية ٢٨ .

فان قلت : إن الله ، عز وجل ، أمره بدعاء البعض دون البعض ، كان هذا هو الكفر، والرد للقرآن صراحاً .

وإن قلت : إن الله ، جل ثناؤه، قد أمرَ بدعاء الناسِ جميعاً إلى الاسلام على ما نجده منصوصاً فى القرآن ، وأراد ذلك منهم رسول الله ، صلى الله عليه ، لزمكَ ان الله ، عز وجل، أرادَ ذلك منهم (و) رسول الله صلى الله عليه .. (و) لزمك أن الله ، عز وجل ، أراد إسلامهم كلهم ، وبطل قولك وسقطت حجتك ، ان ، زعمت ، أرادَ منهم الكفر، لعلمهِ انهم لا يومنون!..

ولو كان ما قلت حقاً ، لم يقل لهم رسول الله ، صلى الله عليه ، عن الله ، جل ثناؤه: ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١)، ولم يُقم الرسول ، صلى الله عليه ، على كلهم الحجة، وقد علم أن منهم من لايؤمن ، وان الله ، عز وجل ، قد علم ان منهم من لايؤمن ، فقد صح أن العلم ليس هو الذى منعهم، ولا حال بينهم وبين الطاعة ، وفى أقل من هذا كفاية لقوم يعقلون ، والحمد لله رب العالمين .

١٢٤و/ ومن الحجة عليكم أيها المجبرة فى قولكم / إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق الكفرَ والشركَ والزنا واللواط ، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى ، وقطع الطرق وجميع الفواحش والكذب .

ان نقول لكم : أخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى ، إذا سألوكم فقالوا لكم : نحن نجد فى كتابكم ، وتحتجون علينا ، ان ربكم قال لنبيكم : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾(٢)؟.. يخبر أنه لا خالق معه ، يخلق ما خلق ، وأنه هو الذى خلق ، وأنه لا خالق معه يخترع الأشياء ، ويقدر على الأشياء ، أليس هذا هو خالق عندكم وفى كتابكم ؟! . فلابد لكم من نعم .

فإذا قلتم ذلك ؛ قالوا لكم : فاخبرونا الآنُ عن قوله ، يضيف إلى عباده : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾(٣)، نجد هذا فى كتابكم .. افليس هذا القول قد دَلَّ على أن ثم خالقاً آخرَ غيره ، يخلق الإفك؟!

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

هذا نجده فى قرآنكم ، الذى تدعون أنه من عند حكيم عادل ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، هذا ، زعمتم ، فى قرآنكم، فلابُدَّ لكم أن تجيبوهم بنعم ! /

فيقول لكم السائل عند ذلك : فأىُّ اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف ، وأى مناقضة ؟!! . . .

ثم قال يعنف قوماً ، فقال لهم : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، فلابد لكم، إنكم قد لزمتكم المناقضة والاختلاف ؛ لأن هذا بيِّنٌ واضحٌ فى القرآن ، لاحيلةَ لكم فى دفعه ولا ردِّه.
فإن قلتم لهم : كلُّهُ خلق الله ، عز وجل ، وفعله هو خلق الإفك ، وغيره مما خلق الله ، مثل السموات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، لزمكم أنَّ قوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾، ينقض قولَه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ! .. ويفلجكم خصماؤكم من اليهود ومن النصارى والزنادقة وجميع ، من خالفكم ، لابدَّ لكم أن تخلصوا منهم بحجة ، فإن جسرتم على أن تقولوا : إن الله خلق الإفك ، وغيره من جميع الظلم ، لزمكم فى ذلك خصلتان فاضحتان .

١- أما واحدة : فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقضُ .
٢- والخصلة الأخرى: فيلزمكم أنكم جعلتم خالقكم فى عداد الكذابين ، الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ، ممن لم يفعله .

فلا يزال الكلام يُكررُ عليكم أبداً ، ويدخل عليكم فى التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل ، الفساد والوهن ، والخلل الذى لابعده من العبث أبداً ، حتى ترجعوا عن قولكم ، وإلا بان كفركُم ، فتقرروا أن الذين خلقوا الإفك هم العباد ، الذين لاطاقة لهم بخلق شئ من جميع الأشياء ، (إلا) الإفك والمعاصى ، وما أتوه من العدوان، الذى اختاروه ، وأنهم لايقدرون على خلق شئ ، غير المعاصى التى من فعلهم ، ولما أرادوا خلق خردلة ما قدروا عليها ؟! .. لأن ذلك ليس فى قوتهم ، وخلق الإفك وجميع المعاصى فى قوتهم ، وهم فى ذلك مخبرون تخبيراً .

فإما أنْ يقدروا على خلق شئ غير ذلك ، فيخرجوه من بعده إلى (العجز)[2]

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض فى الأصل .

١٢٤ظ/ فلا سبيل لهم إليه ، والدليل على / ذلك قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾[١].

وإن الله ، جل ثناؤه ، هو الخالق القوى القادر ، الذى يخترع الأشياء فيحدثها ، ويخرجها من العدم إلى الوجود ، فذلك الاختراع والابتداع، لما لم يكن شيئاً موجوداً ، هو الخلق الذى خلقه الله ، عز وجل ، لا خالق له معه ، ولا مشارك له فيه ، ولا صانع له معه .

وأما اكتساب بنى آدم ، فذلك خلقهم الذى هو حركاتهم المتولدة من قواهم ، وقواهم هى الاستطاعة المركبة فيهم التى يسألون عنها ، ولا يعاقبون عليها ولا عيب فيها ؛ لأن ذلك فعله ، جل ثناؤه ، الذى قال فيه : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾[٢]، وإنما عاب عليهم ، وعاقبهم ولزمتهم له الحجة فى الحركات التى اكتسبوا بها المعاصى ، واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى ، والأثرة لعلها جُلُّ الدنيا .

***

(١) سورة الحج : الآيتان ٧٣ - ٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣

المسألة التاسعة عشرة
فى تفسر قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

وليس نجد ، نحن ولا أنتم ، ها هنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به ، خلقَهُ العبادُ إلا حركاتهم ، وليست تلك الحركات خلقاً لله ، جل ثناؤه ، ولا فعلاً ، ولو كانت الحركات خلقه وفعله ، لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه ، والمدعى لنفسه الأولاد والصواحب والأنداد ، والشركاء والأضداد !.

ولو كان كما قلتم ، لكان القاتل لرسله والسافك لدمائهم ، والواضع للسيوف لهم فى رؤسهم ، والقاتل للائمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين ، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر ، وجور فى الأرض ، مما كرهه ونهى عنه ، وعابه وعنّف عليه وأعدّ عليه ، النيران والعذاب الأليم، الذى لا انقطاع له ، وجعله [1] فيه من الأحكام فى الدنيا من القتل والصلب ، وقطع الأيدى والأرجل ، وسائر الحدود ما عظم فيه النكال، وجل عن كل مقال ، فتبارك الله أحسن الخالقين ؛ العدل الرؤف الرحيم البرئ مما قلتم، والمتعالى عما إليه اسندتم .

أفيكون بهذا ، ويحك، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، من النكال فى الدنيا والآخرة، صفة من فعل شيئاً بقوم وأراده منهم ، وخلقه من فعلهم ، وسمّى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً، وانه لايظلم ولايجور !.. فهذه صفةُ خالقكَ عندك وهذا تقديره وحكمته !.. جل الله وتعالى ، وتقدس عما قلتم علواً كبيراً.

فان قلتم : إنه قال ، عز وجل ، فى كتاب الله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] ، فلذلك الزمناه خلق كل شئ .

قلنا لك : أيها المغرور فى دينه ، الذى لم يلقَ العلماء ، ولم يغترف من عين الماء ، ١٢٥و/ إن القرآن عزيز مبين ، عظيم القدر ، واضح المنازل ، زاهى السراج ، وليس / هو بعجمى ولاغبى ، ولاخافى المعانى ، عن أهل العلم ، وأهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

---

(١) فى الأصل : وجعله .

(٢) سورة الانعام: الآية ١٠٢ .

من المجاز اللغوى :

الا ترى أن العرب تقول : دخلنا السوق فوجدنا فيه من كل شئ ، وهم لم يجدوا فيه رسول الله ، ﷺ ، وهو من أعظم الأشياء!..

وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من أبائهم وإخوانهم ، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ، ولا نجوم السماء ، وهذه أشياء لم يجدوها !.. فجاز ذلك فى اللغة .

وتقول العرب : دعانا فلانٌ إلى منزله فأطعمنا من كل شئ ، وهو لم يطعمهم لحم خنزير ، ولا لحم الأسود ، ولا لحم الإنسان ، ولا لحم الحيات ، فجاز ذلك فى اللغة أنه أطعمهم من كل شئ ، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها !..

تعميم الخاص فى اللغة :

تقول العرب : من الخصوص فى الكلام مانجعله عاماً ، وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة ، وشاهد ذلك قول الله ، عز وجل، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] ، والدليل على صدق قولنا كتاب الله ، عز وجل ، حيث قال فى ملكة سبأ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾[2] ، فنقول لكم : هل أوتيت شمساً وقمراً ونجوماً وسماء وأرضا وجنة وناراً ؟!.. أو هل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ، أو لحية كلحية الرجل ،وهل أوتيت ولداً من غير فحلٍ ؟!... فكل هذه أشياء لم تؤتها ، بإجماع الخلق كلهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، فيها : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ . وهذه أشياء كثيرة لم تؤتها ، وكفى بهذا بياناً وحجةً قاطعة لدعواكم.

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] ، إنما عنى به مما خلق خاصة ، ولم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا إلا فك ولا سائر المعاصى ، التى خلقها العباد وهو البرئ من ذلك ، عز وجل .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

مثال مفهوم النفس بين الله والإنسان :

والدليل لنا على ذلك ايضاً قوله ، عز وجل ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .. فاخبر ان له نفساً ، عز وتعالى ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[2] ، فاجمل ها هنا ان كل نفس ذائقة الموت ، ولم يستثن نفساً بعينها ، فلو وجب ما قلتم في خلق الأشياء ، لوجب في النفس ها هنا ، مثل ما ادعيتم ! .. جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وقوله ، عز وجل : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[3]، ثم قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[4]، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الأشياء، لا كلها ، بعدما قال : « تدمر كل شئ » ، يعنى ، عز وجل ، وما أرسلت عليه خاصة لا عامة ، الا ترى أنها تدمر مساكنهم ، وأنها لم تدمر السماء ولا الارض، ولا الجبال ولا النبى هوداً ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا من كان ١٢٥ظ/ معه من المؤمنين، وان الآية خاصة دون عامة ، وان الآية توجب عليكم فى / قول الله ، عز وجل : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ انه يعنى ، عز وجل ، مما خلق هو وصنع وابتدع ، لا ظلم الظالمين، ولاجور الجائرين ، فجعل ذلك خصوصاً فى خلقه المنفرد به لاعموماً خلق غيره ، وعذب عليه فاعله . فهذا اكبر دليل ، واوضح حجة ، واقطع لكل مفتر .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ .. ﴾ :

وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5]، فقالوا : انطقنا الله الذى انطق كل شئ، وهو خلقكم اول مرة ، وأراد الله ، عز وجل ، بهذا خاصاً دون عام ، لانه لم ينطق الجبال ولا الاشجار ، ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق، وإنما هذا خصوص من دون عموم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الاحقاف : الآية ٢٥ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية نفسها .

(٥) سورة فصلت : الآية ٢١ .

مثل قوله ، عز وجل : ﴿ واللهُ خالِقُ كُلِّ شيْءٍ ﴾، فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك ، من حركات بني آدم واعتقاد قلوبهم ، لا شئ غير ذلك ، ولا تجده ابداً ، لا أنت ولا اخوانك المجبرة ؛ لأنك سميت كفراً مخلوقاً ، لا حجة لك عليه ولا برهان ، إذ لا يدركُ ببصر ولا يلمس ولا يُحاط به بقطر ، حتى يُعرف ويميز خلق الله ، عز وجل ، من خلق بني ادم .

فقد جاءك في هذا من البيان والحجة من كتاب الله ، عز وجل ، ما في اقل منه أكفى [1] الكفاية ، وجاءك من لغة العرب ما فيه البيان .

قال الشاعر ، يمدح رجلاً :

فلو كانَ للشكرِ حدٌ يُحَدُّ إذا مـا تأملـهُ الناظـر
لصـورتُـه لك حتى تَـراهُ فتعلم أنـي امـرؤ شـاكرُ [2]

فقدعلمت العرب ان ليس للشكر حدٌّ يُدرك ، ولا صورة تنال ، حتى يعرف الشكر بتلك الصورة ، فلا حد له يوقف عليه ، غير حركات بني آدم ، من شكر اللسان والمكافاة بالفعل الذى هو حركة ايضاً ، ولا يُعرف للشكر معنى آخر ، غير ذلك إلا اعتقاد القلب .

وكذلك الكفر مثله سواء ، وجميع الأفعال ، ولو كان الشكر الذى عنى [3] الشاعر، انه يريد ان يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله، عز وجل ، هو مخلوق ، لكان الله ، عز وجل ، هو الشاكر للملوك المشركين ، والكافرين المعاندين له بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[4]، والعدو لا يشكر عدوَّه ، في سبب من جميع الاسباب ، ولا يشكره على لسان غيره ، ولا يصح هذا في العقول أبداً ، وكفى [5] بهذا حجة .

إلا ان تقول ، انت يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانك المجبرة : إن جميع

---

(١) فى الأصل : اكفا .
(٢) البيتان من بحر المتقارب .
(٣) فى الأصل : عنا .
(٤) سورة البقرة :الآية ٩٨ .
(٥) فى الأصل : وكفا .

ما سمينا من الشرك والكفر والفواحش ، والقتل والزنا والخنا واللواط والكذب، والإفك وجميع الجور والظلم ، هو شئ مخلوق موجود ، إلا انه لا تراه العيون، ولاتدركه الحواس ، ولا تناله الجوارح ، ولا تلمسه الايدى ولا تحيط به الاقطار.

فنقول لك عند ذلك : فإنه يلزمك فى هذا القول فسادان عظيمان ، وكفران اثنان، فى كليهما بطلان دعواك ، وبيان كذبك ونقض فريتك وفضيحتك.

١٢٦ و/ (١) أما أحدهما : فيلزمك انك قد اثبت شيئاً لا تدركه الابصار ، ولا تلمسه الايدى ، ولا / تقع عليه الخواطر ، ولا الاماكن ، ولايُدرى ما كنهه ، فيبطل عليك قولك بالتوحيد ؛ لانك قد ادعيت موحداً !..

(٢) ثانياً : فيه صفة معبودك الذى وجدته ، فزعمت ان هذا الآخر نظير له ، ونِدٌّ لا تدركه الحواس ، ولا تناله الخواطر ، ولا تحويه الاماكن ، فيفسد عليك دعواك فى التوحيد ، وتكفر بهذا القول الذى وصفت به افعال العباد .

يلزمك انك قد وجدت شيئاً آخر ، غير الذى ليس كمثله شئ ، وكفى بهذا جهلاً وعمى [١] وفضيحة ، على من زعم انه يقول بالتوحيد .

لا توحيد بغير عدل :

وقد أعلمناك ان لا قوام لقائل بتوحيد الله ، عز وجل ، ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل ، لانه من زعم ان الله ، عز وجل ، فعل شيئاً مما كره ، او خلق شيئاً مما عنه نهى [٢] ، او دخل فيما عاب ، او عاقب على فعل نفسه ، او غضب من إرادته ، او عنّف احداً على خلقه ، كان هذا غاية التشبيه .

وانه لم يفرق بينه وبين خلقه ، وقد شبهه بالجائرين والجاهلين والعبّاثين ، والجورة المتعنتين والمفسدين ، وكم ينفعه ما ادعى من التوحيد ، ولم يستحق اسم موحّد لما قد قرنه به ، عز وجل ، من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين ، والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم فى العداوة للخلق، وإرادة المعاصى منهم، وحملهم على ما يهلكهم ،

---

(١) فى الاصل : وكفا .. وعما .

(٢) فى الاصل : نها .

ويورثهم الخلود فى النار أبداً الأبيد ، سبحانه الله العظيم رب العرش الكريم، الحكيم العادل الرحيم عما قلتم ، وبه دنتم ، وفيه ناظرتم ، وبه إلينا كتبتم ، وعنه سألتم ، وفيه لعنتم .

فهذا جوابنا لكم ، فى نقض جميع ما قصدتم ، من الفرية على رب العالمين ، فصرتم له خصماء ، ولحزبه أعداء ، وعن طاعته عُنداء ، ولمن خالفه أولياء ، فالحمد لله ، الذى حجب الحق ، بشواهد العدل ، وأوضح القرآن ، وشافى البيان ، عن كيد الكائدين ومعاندة المعاندين ، وإلحاد الملحدين.

***

براءة يوسف من جهالات المجبرة:

وأما ما ذكرت من يوسف النبى ، صلى الله عليه ، فإن يوسف لم يعص الله ، عز وجل ، ولم يهم له بمعصية ، على ما ذهبتم إليه ، ولو كان هَمَّ له بمعصية . لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ، ما لا يزال يُقرأ أبداً ، حتى تزول الدنيا ، وتَزْلَفُ الآخرة من قوله ، عز وجل، : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾[١] .

الصرافة :

وليس يكون المخلص ، من هَمَّ بفعل فاحشة ، والصرف من الله ، تبارك وتعالى ، وانه برّأه (من) الظلم ، وحمده على ما اختار ، ولم يجبره على اعتزال المرأة جبراً ، فلا يجب له حمد ولا أجر .

وليس لله ، جل ثناؤه ، يفعلُ فعل العباد من الطاعة ، ولا من المعصية ، ولا يجوز ذلك ، ولا يكون أبداً ولا كان فيما مضى[٢]؛ لما فى ذلك من فساد الحكمة ، ووجوب القهر والختم .

وقد احتججنا عليك فى ذلك ، بما جُزءٌ منه فيه يكفى، من عقل وانصف، وخاف

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : معنا

عـذاب الآخـرة : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
١٢٦ط / لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) / وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾[١]، فسعد من سعد باكتسابه ، وشقى من شقى باكتسابه، لا حتماً ولا جبراً .

قاعـــدة :

وقد قالت الحكماء [٢]: **استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة الخبر ، جهل وبائن عن الصواب ، وكـذلك استعمال الخبر فيما لايدرك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة النظر ، جهل وبائن عن الصواب .**

فليتـق الله من نظـــر فى كتابنا هذا ، وليُعمل الفكر فيه ، فإنَّ الإقـــدام على النـــار ، الخطر العظيم ، وما بعد الحق لا الضلال ، والله ولى المتقين .

***

التكليـف قــدر الطاقــة :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عمن ذكر الله ، عز وجل ، فى الكتاب أنهم لايعلمون ولايعقلون ولايبصرون ، أحق ذلك من الله؟

فان قالوا : نعم . فقل : كيف وأنتم تزعمون أنهم يعلمون ما يعلم الأنبياء ، والله يصفهم بغير ذلك؟ . .

وأنهم إن قالوا : إنهم لا يدركونه إلا بالفعل حتى يفكروا . . فقل : أفليس توسعون لهم حتى يكفروا ؟ . . وإلى أى وقت يفكرون ؟ . . كم هو ؟! أساعة أم ساعتان ؟ . .

فإنهم لن يفيدوا لك أيضاً هذا ؛ لأنهم إن وسعوا له ساعة ، وسعوا له ساعتين أو يوماً وسعوا له يومين ، وليس لهذا وقت عندهم . . وسيفرّون من هذا الكلام ، واعلم

---

(١) سورة هود : الآيات ١٠٣ - ١٠٨ .

(٢) يعنى الفلاسفة المسلمين . . أهل النظر من المتكلمين .

أنك لن تسألهم عن شئ، أشد عليهم من هذا وأشباهه ، ولأنهم يقولون : لا يكلفُ اللهُ الناسَ إلا ما يستطيعون .

رد أحمد بن يحيى:

١- الجواب قال قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما وعلى آبائه الطاهرين : إن الله ، تبارك وتعالى ، أعطى [1] خلقه الاستطاعة التى ركبها فيهم ، من الحواس الخمس ، والعقول التى بها يعرفون الخير من الشر ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، ثم أرسل إليهم الرسل ، وانزل عليهم الكتب ، وافترض عليهم الطاعة ، وندبهم إلى الجنة وحذّرهم النارَ ، وأحبَّ لهم النجاة ، تخييراً لا قسراً ، ولا جبراً ، وكذلك حكمته فى الأولين والآخرين ، أنه أمر تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فلم يطع كرهاً، ولم يعص مغلوباً ، ولم تقسر القلوب على طاعته قسراً ، ولم يحملها على طاعة جبراً .

بل الواجب عليهم أن ينصتوا للرسل ، ولما جاءت به ، فينظروا بعقولهم فى قولهم، فياخذوا الحسن، ويتركوا القبيح ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾[2] .

فلم يخرج فى حكمة الحكيم ، أن يحمد أحداً من الخلق ، على فعله وخلقه هو ، وإنما حمدهم واثنى عليهم بفعلهم ، ووجبت لهم الهداية منه ، أن سماهم مهتدين ، أى حكم لهم بالهدى ، واسماهم بـه لا أنهم جبروا عليه جبراً ، فاى أجر لمجبورٍ ، أو حمده لمكر ؟!!..

كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا .... ﴾[3]، ثم قال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾[4]، كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهرٍ وجبرٍ .

ولو كان كذلك ، لم يكن للائمة الذين يهدون بامره ثواب ولاحمد ؛ لانه أكرههم

---

(١) فى الأصل : أعطا .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ١٧ - ١٨

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤١

، ولا يكون على الائمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولاذم ؛ لانه اكرههم ايضاً وجعلهم دعاه الى النار ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(١) .

٢- واما قولك في التفكر : فلعمرى لقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾(٢) .

والهداية من الله ، عز وجل ، لا تجب ولا تكون لكافر ، معرض عنه ، بعيد غيره ، وياكل رزقه، ويجعل له الصواحب ، والاولاد والشركاء والاضداد ، فيجبره على الطاعة، ويميل قلبه الى الهدى، من قبل ان يكون هو الراغب في الهدى ، والمقبل إلى الطاعة .

لأن مثل ذلك مثل رجل وقع في بئر ، فاشرف عليه الناس ، فقالوا له : اخرجُ . فقال: لست اخرج حتى تدلوا إليَّ حبلاً اخرج به ، وإلا فلستُ اخرج ابداً ، وكذلك الكافرُ ، عندكم في قولكم ، لا يخرج من الكفر ابداً ، حتى يجبره الله على الهدى ، أو يمدَّه بالقسر والإكراه لقلبه ، وهو في غاية الكفر ، وغاية الضلال ، والإعراض عن خالقه، وهو غير مستوجب من الله ، عز وجل ، للرشد ولا مستحق للهدى ، ولا المعونة ولا الرحمة .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)، ولم يقل إنها قريب من المشركين ، وقال : ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(٤)، ولم يقل فساكتبها للذين يشركون ، قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾(٥) .

فان قلتم ايها المجبرة : إن الكافر لايقدرُ ان يخرجَ من الكفر، حتى يكن الله ، جل ثناؤه، هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ، ويجعل في قلبه الهدى، جبراً وإكراهاً . لزم في المعقول انه لا حمد لمكره ، ولا لوم على عاص مدحورا . .

---

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الاية ١٥٦ .

(٥) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ - ٤١ .

ولم يكن لإرسال الرسل معنى ، ولا لإنزال الكتب بأمر ونهى ، وتحذير وتخويف ، وترغيب وحض وزجرٍ . فلا معنى لذلك .

مقالة الأمم على رسلهم فى ضوء المفهوم الجبرى :

ولكان من حجج الأمم على رسلها ، أن تقول لها - حجة قاطعة تفلج بها الرسل :-

"أيها الرسل إنّ أمرنا ليس فى أيدينا منه قليل ولا كثير ، لا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية ، ولا نملك لأنفسنا هدىً ولا غياً ، فاذهبوا إلى ربكم ، فاسألوه أن يخلي سبيلنا ويجعل لنا طريقاً ، حتى نُسلم ونتبعكم .

١٢٧ظ/ فإنه ليس لقوله : ﴿ **فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** (٢٠) ﴾[١]، معنى ، وقد علم / أنه قد حال بيننا وبين الإيمان ، وكذلك فلا معنى لقوله : ﴿ **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ﴾[٢]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾[٣]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** (١٣١) ﴾[٤] ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** (٤٣) **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** (٤٤) ﴾[٥]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾[٦] . فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل.

ثم قالوا لهم : فلا نجدُ لإرسالكم معنى ، وقد حال ربكم بيننا وبين الطريق ، ولم يوجدنا فسحة إلى سبيل ، ولم يرد منا أن نؤمن ، لأنا إنْ آمنا ، كما قال غيرنا، **وكما قال كبيرنا عبد الله بن يزيد البغدادى - كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه** ، وقد ذكر أنه قد أرسلك إلينا ، يا محمد كافة كلنا ، بعد ما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً ، على ما قال شيخنا **عبدالله بن يزيد البغدادى**، وإخوانه المجبرة!! . .

---

(١) سورة الإنشقاق : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٣

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣١

(٥) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سورة يس : الآية ١٤

فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان ، وتسفكون دماءنا ، وتغصبون أموالنا ، وذرارينا ، وليس نقدر على الإيمان بحيلة ، لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ، ولوآمنا لبطل علمه؟!.

ثم نحن من بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم ، وهو الذى قضى علينا قتلكم ، وخلق فعلنا بكم ، وقدَّره علينا وأراده منا ، ثم أنزل فى كتابه يعيِّرنا ويعنفنا ويعيبُ علينا قتلنا لرسله !!.

ويقول فى كتابه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[1]، وبعد ما قال : ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) ﴾[2].

فلمَ عابَ علينا قضاءَهُ الحق ، وكل شئ فى الأرض ، زعمت المجبرة ، بقضائه وقدره، وفعل مخلوق لفاعله ، لاحيلة فى تركه ولا نقدر على الخروج منه؟!.. فكيف تطلبون منا ، يا معشر الرسل، ما لا نقدر على تركه، ولا نقدر على الخروج منه ؟..

ونحن ، يا معشر العرب ، فيقول الشاعر منا الشعر ، فلا يقبلُ منه (معناً) [3] و(لفظاً) [4] لا معنى فاسداً ولا كاملاً مستحيلاً ، حتى يستقضى فيه، ويبعد منه التناقض ، ويسقطُ شعرُهُ إذا أخطأ ، ويقدم عليه غيره من الشعراء .

فكيف نقبلُ منكم ، يا معشر الرسل ، كتاباً سماوياً - زعمتم - نجده نحن متناقضاً ، يفسد بعضه بعضاً ، فانصفوا ، ففى النصفة تجب الحجة ، ويغلب الحق ، ويصح لنا صدقكم ، وتلزمنا طاعتكم ، وقد ذكر ربكم ، أيها الرسل ، فى كتابه أن قضاءه حقو وأنه يقضى الحق ؟!!..

ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[5]، فما هذا التخليط يا معشر الرسل ؟!.. اصحّوا لنا رسالتكم القويمة ، وحكمة ربكم العادل الحكيم ، الذى - زعمتم - فإذا صح عدل ربكم وحكمته ، عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

بيننا وبينكم ، وقام الحق ، وسقطت الدعوى الباطلة، من قولنا وقولكم ، يا معشر الرسل .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

١٢٨و / فما ترى قول عبد الله بن يزيد البغدادى، وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج ؟ وما ردهم عليه ، وما ظنهم برد الرسل على الأمم . ما حجتهم عليهم فيما قالوا .. أتراه يقول : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ؟!!.

فإن قال : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ، واحتجت بالصواب ، كفر بالله العظيم ، وصح كُفره ، وخروجه من فيه الإسلام .

وإن قال : إن الأمم قد كذبت ، ولم تحتج على الرسل بحق ، وأنها مبطلة فى دعواها على الرسل، رجع عن قوله ، وصح كذبه ، وبان للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجته ، وبانت فضيحته ، وأنه يلزم المجبرة أن الذى ادعت باطل ، بصحة القرآن ، وأنه لايتناقض ، وبطل دعواهم ، وأنه قد أكذب أهل مقالته ، وشهد عليهم بالتكذيب .

لم أخطأ المجبرة :

وإنما جاء غلط عبدالله بن يزيد البغداى ، وإخوانه من المجبرة ، وأعجابهم برأيهم ، من قلة علمهم بمعانى القرآن ، وجهلهم بالتأويل ، وتعلقهم بالمتشابه بصحة التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق ، وتصريف اللغة العربية وأنه لم يعرف الحقائق فى الكلام من المجازات ، ولم يأخذ الحق من معدنه ، وإنما دان بالتقليد ، وكذلك إن من تحته (كفروا) بتقليدهم له ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

أهمية المنهج اللغوى فى فهم القرآن :

ونحن نسأله الان : ما مخرج قول الله ، عز وجل حيث يقول : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[1]، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٩

خَادِعُهُمْ ﴾(١) هذا على حقيقته أم على مجاز كلام عربى يحتمل التأويل؟!.

الحقيقة والمجاز:

فإن قالوا : إنه على حقيقة لا مجاز فيها ، ولا يحتمل التأويل ، لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزى السفهاء ، ويسخر كما يسخر السخفاء ، ويخدع كما يخدع الضعفاء !.

وإن قالوا : إن هذا القول على مجاز الكلام .. قلنا له : هذا هوالحق ، وله تأويل جهلته ، وقد رجعت عن قولك ، وكذلك جهلت قوله الذى احتججت علينا به ، فى قولك : ﴿ لايعلمون ، ولا تعقلون ، ولايبصرون ﴾ . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾(٢) ، له تأويل كما لهذا تأويل غلطت فيه ، لأنهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولايبصرون ، لسقطت عنهم الحجة ، كما سقطت عن الأطفال والمجانين ، إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب ، لا نذير للكتاب ، ولا تتفكر فى الصواب .

تأويل آيات الصفات الخبرية:

ثم نسألك أيضاً عن اعتقادك فى التوحيد ؛ لأنك تقول : زعمت – أنك موحدٌ، ومحالٌ ما أنتم كذلك!.

فنقول لك : ما قولك فى قول الله ، عز وجل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾(٣)، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾(٤)، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾(٥)، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(٦)، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾(٧)، وقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾(٨)، وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .
(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .
(٤) سورة طه : الآية ٥ .
(٥) سورة غافر : الآية ١٥ .
(٦) سورة القمر : الآية ١٤ .
(٧) سورة طه : الآية ٣٩ .
(٨) سورة القلم : الآية ٤٢ .

١٢٨ظ/ مَنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، وقوله / : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، هل هذا القول كله الذى نراه يلزم التشبيه على الحقيقة (و) لا تأويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام ، قول عربى يجب تأويله وإلا لزم التشبيه ؟!!.

فان قلت : إنه على الحقيقة لا تأويل له . لزمك التشبيه لخالقك ، وخرجت مما ادعيت من التوحيد، الذى قلت به ، وفلجك المشبهة .

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام ، له تأويل فى اللغة العربية ، إذ لا يسعك غير ذلك ، وإن لا ، شبهت وكفرت .

قلنا لك : فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات ، اللاتى تعلقت بهن المشبهة ، تأويلاً فى العدل ، على الحقيقة والخروج من الجبر ، وأنها مجاز كلام لم تعقله انت ، ولا إخوانك المجبرة ، ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله ، جل ثناؤه ، بالعدل ، فإن انكرت التاويل حميَّة وتعززاً ، انكرت عليك المشبهة تأويلك فى التوحيد ، ولزمك مثل ما تدعى ، ولا مخرج لك من هذا الباب ، بحيلة محتالٍ .

فكيف ما قلت فخدك الأسفل ، وحجتك الفاسدة ، والحمد لله رب العالمين .

***

فى التكليف وشرائطه :

وأما قولك فى تكليف العباد ، فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ، ممن صحَّ عقله وبدنه ، وقد قسَّمَ الله ، عز وجل ، عليهم ، بفضله ، النعم التى تفضل بها عليهم ، فعلى قدر صحة العقول والجوارح والحواس ، يلزم التكليف .

ومن زال عنه شئ من ذلك ،كان التكليف على قدره، وإن زالَ الأمر كله ، سقط التكليف كله .

والعجب لك ، لم سميته تكليفاً ؟!.. وإنما أصل قولك انهم جبروا جبراً ، وخلقت

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

أفعالهم ، والمجبور والمخلوق فعله ،ليس هو مثل المكلف ، الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وقد أعددت التفضيل لبعضهم على بعض ، وأكثرت إعادة الكلام ، الذى لا وجه له ، ويجزؤنا فيه المعنى الواحد ، عن تكريره للمعانى ، التى تقتضى وجهاً واحداً .

وإنما مثلك فى كتابك الذى وضعته على أهل العدل ، وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ، ومنّيتهم الأباطيل ، وأعلمتهم ان أهل العدل لا يقدرون لهم على دفع ، ولا كسر حجة ، وفى كل مسالة [1] تقول إن أهل العدل يفرونَ عن كلامك هذا ، وانتم تقطعونهم من هذالموضع ، ، وهذا من اشد ما تسالون عنه ! . . فكان مثلك فى ذلك مثل زق منفوخ لا شئ منه ، إلا الرياح ، ثم عمد إليه رجل بإبرة فمخرقُه بها ، فانفشَّ جميع ما فيه ، والحق فاجل واشرف من ان يخفى [2] على العقلاء ، وأهل التمييز والنظر ، وقد رددنا عليك من الحق ، ما فيه الشفاء لكل مسلم .

١٢٩و/ ثم نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ / الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾[3] !! . .

فنقول لك ياعبد الله بن يزيد البغدادى : إن هذه الكلمة خلق الله ، عز وجل ، وصنعه ، وإرادته أم لا ؟! .

فإن قلت : إنها خلق لله ، عز وجل ، صنع وإرادة . . لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته .

وهذا خروج من الحكمة ، ويجب انه عذّب على ذلك ، بعدما قال : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١ ﴾[4] .

---

(١) فى الأصل : مسلة .

(٢) فى الأصل : يخفا .

(٣) سورة الكهف : آيات ١ - ٥ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

ثم نقول لك : واخبرنا لم قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾، مستعظماً لها ومستقبحاً ومستشنعاً ، وهو الذى خلقها وارادها وصنعها ، اهكذا[1] يكون الحكيم الذى لا يظلم ؟!!.

وإن قلت : لا أقول ذلك ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا ..

ثم نقول لك : ما الفرق بين قوله فى عيسى ، عليه السلام ، أنه كلمته القاها إلى مريم ؛ وذكر فى كتابه أنه كلمةُ له ، خلقهَ وصنعه واراده ؟

الكلمة (عيسى) بين مراد منها الله ومقالة الكفار :

والدليل على ان عيسى كلمته ، قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾[2]، وقال أيضاً : ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[3]، فنقول لك : ما الفرق بين هذه الكلمة المعنى بها عيسى ، عليه السلام ، وبين الكلمة الكبيرة عندالله ، عز وجل ، التى خرجت من أفواه الكفار ، الذين قالوا : اتخذ الله ولداً؟!.

فإن أدعيت فرقاً بينهما ، غير أن الله ، فى زعمك ، هو الذى خلقهما وصنعهما وقدرهما وأرادهما ، لم تقدر على ذلك بحيلة محتال ، ولا بوجه من الوجوه ، لما زعمت إن الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الكلمتين وأراد المعنين .

فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين ، أن القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، إنما غضب الله عليهم ، وعاب فعلهم ، وحكى [4] لنبيه ، صلى الله عليه ، عظيم كفرهم ، وأوجب عليهم فيه عظيم العذاب الأليم المقيم ، وأنه لم يكن فى خلقه لعيسى وجعله إياه كلمةً ، غضب منها على احد ولا عيب ، ولا استعظام ولا عذاب مقيم .

فكلاهما ، زعمت ، كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله ، عز وجل ، ووضعهما -

---

(١) فى الأصل : اهكذى :

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١

(٤) فى الأصل : حكا

على زعمك - فعذب عباده على واحدة وغضب منها ، ولم يغضب من الاخرى ، ولم يعذب عليها ، وهما سواء فى الخلقة والصنعة والإرادة ! .. **فأين العدل والحكمة ، والإرادة فى هذا الباب ؟!..**

بينه لنا وميِّزه ، إن كنت من الصادقين ، أوارنا الفرق بينهما ، إن كنت من المهتدين! .. ولا تجد فرقاً بين ذلك أبداً .

وهذه قاطعة لحجتك ومدحضة لقولك ، إلا ان ترجع فتزعم ، إن الكلمةَ التى غضبَ الله منها ، وعذب عليها ، إنها هى إرادة الكفار ، وقولهم باختيارهم، لا صنع الله ، جل ثناؤه ، وان عيسى كلمته وخلقه ، لا تباعة على احد فى ذلك ، وهذا هو
١٢٩ظ/ الحق ، وهو دين الله الذى / لا مخرج لمسلم منه ، ومن قال بغيره كفر ، ووجب عليه العذاب ، والحمد لله رب العالمين .

ثم نقول لك ايضاً : اخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، للكفار : ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ** (٤٢) ﴾[١] .. فنقول لك : ارايت إن ردُّوا عليه فقالوا : ذلك بما خلقتَ من افعالنا واردته من كفرنا وقدرته وقضيته .. هل يكذبون فى هذا الجواب ام يصدقون ؟

فإن قلت : إنهم يكذبون . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : إنهم قد صدقوا فى هذه الدعوى ، فى قولهم إن الله ، عز وجل ، خلق افعالهم وقدرها وقضاها وارادها .

قلنا لك : فقد اكذبك الله ، جل ثناؤه ، ووجدنا القرآن يشهدُ بخلاف ما قلت ، من إقرارهم على انفسهم ، وإبرائهم لخالقهم واضافتهم الظلم والمعاصى إليهم ، لا إليه، عز وجل ، حيث قالها : ﴿ **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** (٤٣) **وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** (٤٤) **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ** (٤٥) **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** (٤٦) **حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ** (٤٧) **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** (٤٨) ﴾[٢] ثم قال : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ** (٤٩) ﴾[٣]، فعجَّب نبيه، صلى الله عليه ، كما تسمع ما لهم عن التذكرة معرضين ! ... لعلمه انه لاحائلَ بينهم، وبين التذكرة .

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٤٣ - ٤٨ .

(٣) سورة المدثر: الآية ٤٩ .

فما تقول لو ردوا عليه فى هذا الموضع، حين قال لهم: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾. فقالوا : انت بنا ، لولاك لعرفنا رشدنا .. هل يصدقون فى الحجة ام يكذبون ؟!..

فان قلت: صدقوا.. لزمك ان حجتهم وحجتك ، اقوى من حجة الله، عز وجل!!..

وإن قلت : كذبوا . رجعت عن قولك !.

مثال لرجل لاقدرة له يعنى لااستطاعة له :

ثم نقول لك اخبرنا : ماتقول فى رجل من المسلمين خرج غازياً للروم فى بلدها ، فحاربهم وقتاً ، ثم إنه وقع فى ايديهم ، فاخذوه اسيراً فوضعوه فى الحبس والحديد ، فلما دخل شهر رمضان ، عرضوا عليه الدخول فى النصرانية ، والقول بان المسيح ابن الله، فكره ذلك وامتنع عليهم منه.

فلما امتنع اخذوه ، فربطوه فى الحبال ، وغلّوا يده إلى عنقه ، ثم اخذوا المغرى الذى يعُفّية الصبيان ، وهو المسعط [1] فى لغة العرب ، واوجروه [2] الخمر كرها ، وهو مضجع [3] ، لا حيلة له فى نفسه ، ولا دافع عنه ، ثم جعلوا يسقونه إياه ، وكذلك وَدَك [4] الخنزير ، فلم يزل على ذلك سنةً على تلك الحال ، حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد اطلقوه .

فنقول لك ، ولمن قال بقولك : اليس قد علم الله ، عز وجل ، انه قد فعلوا به ذلك الفعل ، فاكرهوه على شرب الخمر ، وودك الخنزير، حين اوجروه إياه كرها ، وهو لا حيلة له فى نفسه ؟!..

فإذا قلت: نعم ، قد علم الله ذلك منه ومنهم.. قلنا لك: فهل على هذا الرجل لله، عز وجل، فى ذلك الذى اكره عليه، حجة او تباعة.. او هل يجب عليه عذاب ام لا؟!.

---

(١) فى القاموس وعاء السعوط .

(٢) صبوا الخمر فى حلقه طبّاً .

(٣) ملقى .

(٤) سمن الخنزير

فإن قلت : نعم عليه حجة وذنب ، وعذاب وتباعة ، كَذَّبَكَ جميعُ المسلمين ، وخرجتَ من الحق والمعقول .

١٣٠و/ وإن قلت : لا / حجة عليه ولا ذنب . قلنا لك : صدقت ؛ لأن الحجة عليه ، فيما علم يقدر عليه .

مثال له عند القدرة يعني عند الاستطاعة :

ثم نقول لك أيضاً : أرايت هذا الرجل بعينه شرب الخمر ساعة واحدة، أو جرعة واحدة بطيب من نفسه ، واتباع هواه ، أليس قد علم الله ، عز وجل ، ذلك من فعله؟

فإن قلت : لم يعلمه .. كفرت .

وإن قلت : إنه قد علمه .

قلنا لك : فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت : انه لا يعاقبه .. أبطلت وعد الله ، عز وجل ، وخالفت المسلمين ، وخرجت من الكتاب .

وإن قلت : انه يعاقبه بشربه للخمر ، واتباع شهوته في تلك الجرعة .

قلنا لك : فكيف يعاقبه في شرب سنته كلها على ما شرب ، وصار في بطنه من ودك الخنزير ، ويعاقبه على شرب جرعة في ساعة من نهار عمداً؟! .

فإن قلت : إن الرومَ اكرهوه على ذلك ، فلم تلزمه عقوبته ؛ وهو اختار الشرب لنفسه في هذه الساعة الواحده، فلذلك لزمته العقوبة .

قلنا : فقد لزمك الآن ان ليس علم الله ، عز وجل ، يثيبُ العباد ولا يعاقبهم ، وإنما يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بأنفسهم ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾[1] .

وبطل قولك ، انت واصحابك ، في اعتلالكم علينا بعلم الله ، جل ثناؤه ، ان من

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧

قبل علمه ، كان الفساد عليهم فى أديانهم ، وأن بالعلم ضلوا ، زعمتم ، وهلكوا ، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

والواجب على من سمع كتابنا هذا ، أن ينعم النظر فيه ، وليذكر وقوفه بين يدى الله ، عز وجل ، فأى القولين كان الحجة فيه أغلب وأوكد ، وأقوى فى كتاب الله عز وجل ، فليتبع الحق من ذلك ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، والحمد لله رب العالمين .

***

احتج المجبر بقوله : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾[١]، ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾[٢] ، وأشباه هذا فى كتاب الله ، عز وجل ، وليس لهم فى وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة .

فالزم كل مسألة [٣] على وجهها ومعناها وحدها ، فإنهم لن يفيدوا لك حينئذ وجهاً ، خالفوا فيه العدل ، وسنردهم إلى قولك ، أو تنكسر عليهم وجوههم التى وضعوها ؛ لأنها جاءت من غير الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾ :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله (عليه) [٤]، وعلى آبائه الطاهرين .

١ - وسألت عن قولك الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾، وظننت لجهلك باللغة ، وعجزك عن العلم بتصريفها فى اللسان العربى عند العرب، الذين خاطبهم رسول الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وسلم ، وذلك قول الله، جل

١٣٠ط/ ثناؤه ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ / قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٥]، وقال :

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٠ .

(٣) فى الأصل : مسله .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٤

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾[1]، وقال الله ، عز وجل ، يحكى عنهم يوم القيامة : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[2]، يعنى ، تبارك وتعالى، وبذلك كانوا لا يبصرون الحق ، ولا يميلون إليه بقلوبهم ، ولا يريدونه بشئ من حواسهم ، ولا يصغون إليه باذانهم ، ولا يريدون ان يسمعوه باختيارهم، وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه ، وهم فى ذلك يقدرون ان يسمعوا وينصتوا إليه ، لو ارادوا ؛ لان الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، لم يحل بينهم وبين الاستماع ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[3]، وفى موضع آخر : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ.... ﴾[4] ، يعنى ما اسمعهم وما ابصرهم مثل ما تقول العرب ، اكرم بفلان . اى : ما اكرمه ، وقوله ، عز وجل ، يعنِّفُ الكفار ويعجِّبُ نبيه ، عليه السلام ، من كذبهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[5]، فلو كان فى آذانهم وقر ، لم يسمعوا دعاء النبى ، صلى الله عليه ، لهم إلى الاسلام، ولم يجز ان يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول ، وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم ، فهذا اوضح شاهد عليك .

وقال الله ، عز وجل ، فى اهل النار : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[6]، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية ، اهل النار لا يسمعون ، عندكم ايها المجبرة ، فهو خير لهم ان لايسمعوا ما فيها من البلايا والاهوال ، والاصوات المنكرة والمكروهة ، واصوات السلاسل والاغلال ، وفيها من الانكال .

فإن قلت : إنهم فيها لايسمعون . وحقَّقت ذلك ، لانْ يجوز كذلك ... اكذبك الله ، جل ثناؤه ، فى القرآن المبين ، حيث يقول ، يوجبُ انَّ اهل النار يسمعُ بعضهم بعضاً ، فقال : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٩٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٣٨ .

(٥) سورة فصلت :الآية ٥ .

(٦) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾[١]، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم عن بعض، ولو كان لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير .

وقوله : ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾[٢] ، وإنما يعنى بذلك انهم لا يريدون استماع الحق ولا الرغبة فيه ، ولم يستعملوا استطاعتهم فى طلبه ، كما قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾[٣]، والله جل ثناؤه ، لايُذكر بالأعين ، وإنما يذكر بالألسن ، وهذا دليل على أن القوم المجبرة ، إنما هلكوا فى الدين من جهلهم ،بمعانى اللغة العربية ، وأعراضهم عن الأئمة الذين ١٣١و/ استخلفهم / الله ، عز وجل ، على عباده وبلاده ، وجعلهم ورثه لنبيه ، صلى الله عليه وعليهم .

٢- ومن الحجة على ما قلنا فى معرفة اللغة العربية ، قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياةَ لمن تنادى [٤]

يعنى بذلك الاحياء الذين لا يريدون استماعه ، ولا القبول عنه ، فقال : ولكن لا حياة لمن تنادى ، وفيهم الحياة موجودة ، فافهم معنى اللغة العربية ، كيف تتصرف .

ثم قال فى صفة سمع الميت الجائز عند العرب فى لغتها ، وما يروى عن قيس بن عاصم التميمى، ثم المنقرى [٥] ، وهو الذى وفدَ على رسول الله ، صلى الله عليه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه ، هذا سيدُ أهل الوبر ، فلما حضرته الوفاة دعا

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١

(٢) سورةالكهف : الآية ١٠١

(٣) الآية نفسها .

(٤) البيت : لم اجده فى المصادر .

(٥) قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى ، ابو على : احد امراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً ، اشتهر وساد فى الجاهلية . وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، ووفد على النبى ، ﷺ ، فى وفد تميم (سنة ٩هـ) فاسلم، وقال النبى ، ﷺ ، لما راه : هذا سيد اهل الوبر! .. واستعمله على صدقات قومه . ثم نزل البصرة فى اواخر ايامه ، وروى احاديث ، وتوفى بها نحو (سنة ٢٠هـ) .. انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٥/٢٠٦، وكذلك الإصابة لابن حجر ت ٧١٩٤ ، واخباره فى خزانة الأدب للبغدادى ٣/٤٢٨ . وغيرها من كتب التراجم والأدب

بناته وخاصته ، فقال لهم : لا اسمعن من يندبني ويبكي عليْ بعد موتي ، فجاز هذا في لغة العرب ، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره .

لا أســـمعنك بعــد المــوت تندبني   وفــي حـيــاتي مــا زوّدتني زادا

وقال عمارة بن عقيل التميمي [1] يحض قومه على المواصلة ، وترك القطيعة .

فدُونكمـــا يا بنــي نـــزار تلاقيــا   كما لفــقَ الـبردُ اليمانيْ بالبردي

ولا تسمعاني الزورَ في الهام هامتي   ترا ميْكما بالنبل ويحكما بعدي .

فقال : ولا تسمعاني ترامیکما بالنبل ویحکما بْعدی ، وهو قد علم ، وعلمت العرب ، أنه لا يسمع بعد الموت ، ولكن جاز ذلك في لغة العرب ، التي لا يقوم بمعرفتها إلا أهل العلم .

وإنما غلط هؤلاء المجبرة في دينهم ، فكذبوا على ربهم ، وألزموه ذنوبهم ، وخلق افعالهم لجهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ، ومعاني القرآن الذي خاطب به رسول الله ، صلوات الله عليـــه ، قومه الفصحاء البلغاء ، فافترت المجبرة على الله ، عز وجل ، وتأولوا كتابه على مبلغ عقولهم ، وتعلقوا بالمتشابه الذي لا علم لهم بتأويله ، وزعموا أنهم أتوا في ذنوبهم ، ودخل عليهم البلاء من قبل ربهم !... وكذبوا عليه ، سبحانه ، وزعموا انا نحن المفترون عليه ، عز وتعالى .

السمع في الأخرة بين الحقيقة والمجاز:

٣- ومن الحجة عليك في اعتلالك علينا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ ﴾[2] فنقول لك : ما تقول في قول الله ، عز وجل ، بخير عن أهل النار إذ قــال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠ ﴾[3]، انقول إن هذا القول على حقيقته لا ١٣١ظ/ مجاز له ولاتأويل فيه، وتقول إنهم صم لا يسمعون/قليلاً ولا كثيراً؟!..

---

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي ، شاعر مقدم ، فصيح . من أهل اليمامة . كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته ، وبقي إلى أيام الواثق . وعمي قبل موته ، وهو من احفاد جرير الشاعر ، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفي سنة ٢٣٩هـ . انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٥ / ٣٧.

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

أكذبك ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾[١]، وليس بدٌّ للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً ، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك .

٤- ومن الحجة عليك أن نقول لك . أخبرنا عن قول الله ، جل ثناؤه ، لنبيه محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حين قال له يعاتبه على إذنه للقوم الذين أذن لهم فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٢].

فنقول لك : هل كان رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ؟!..

فإن قلت : نعم .. لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وبطل قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وصرت إلى الحق وهو قولنا .

وإن قلت : إن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم ، إلا مع الفعل ... لزمك أن الله ، عز وجل ، قد عاب عليه ، وعنّفه في أمر ، لم يكن له عليه استطاعة ولا يقدرهُ ، وهذا أعظم الجور، وارِدُّه للقرآن ، إذ يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٣]، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[٤].

ثم نقول لك أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، لنبيه داود ، صلى الله عليه : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٥]. أليس قد قال ، عز وجل ، هذا القول لداود ، صلى الله عليه ؟

---

(١) سورة غافر : الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٥) سورة ص : الآية ٢٦

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل أمرهُ الله من الحكم بالحق ، وترك الهوى، بما يقدر عليه وهو يملكه [١] ، وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت : نعم .. تركت قولك ، وصرت إلى قولنا .

وإن قلت : لا لم يكن داود يستطيع الحكم بالحق ، ولا ترك اتباع الهوى ، إلا مع الفعل لذلك .

لزمك ان الله ، عز وجل ، قد كلف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه ، وليس موجوداً في بنيته ، وان قوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ باطل لا يصحُّ ، وليس له حقيقة ! .. وهذا اعظم الكفر ، والخروج من الإسلام جملة .

ثم كذلك يلزمك جميع ما أمرت الأنبياء من هذا النحو ، على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأمم ، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت انهم لا يستطيعون سمعاً ، على ما توهمت، وذهبت إليه من الجبر والفرية على خالقك ، جل ثناؤه، لما لزمتهم لله ، عز ١٣٢و/ وجل ، حجة ، ولاكانت عليهم له مطالبة ، إلا ان تقول : إن الأصم ./ تلزمه الفرائض التي من طريق السمع !..

فإن قلت : كذلك .. اكذبك جميع أهل القبلة ، لان الاصم لا حجة عليه في الفرائض ، التي هي من قبل الأمر المسموع من القرآن ، وغيره مما لا يدرك في الدين إلا من جهة السمع ، وكفى عليك بهذا القضاء ، فضيحة في دينك ، فقد بان خطاؤك وغلطك ، فيما سألت عنه ، وذهبت فيه إلى الجبر ، وفارقت أهل العدل .

ولو كانوا لا يستطيعون سمعاً على ما ذهبت إليه ، لبطل قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾[٢]، ولا يجوز بعثة الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد ، وفيه الكفاية الكافية ، والحمد لله رب العالمين .

***

---

(١) في الهامش ما يدل على ان هذه النسخة مقابلة على اخرى اقدم منها .. وهذا يدل على انها مقابلة اكثر من مرة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

العقد بعد انتهاء العدة :

٥ - ومن الحجة عليك فى أن الاستطاعة قبل الفعل، قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾(١)، الا ترى انهم لو ارادوا النكاح ، قبل بلوغ الكتاب اجله ، لأمكنهم ذلك ، ولإمكانة لهم ومقدرتهم عليه ، ووجوده فيهم قبل فعله .

افترض الله ، عز وجل ، عليهم ان لايعزموا على النكاح ولا يفعلوه ، حتى يبلغ الكتاب اجله ، وهو وفاء العدّة ، وبلوغ الأجل ، وهذا اقطع ما يكون لكم فى قولكم ان الاستطاعة مع الفعل .

قصة ابني آدم :

٦- ومن الحجة لنا عليك في الاستطاعة قبل الفعل قول الله ، عز وجل : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢)، افلا ترى أيها المغرور في دينه ، كيف أخبر الله ، عز وجل ، ان نفسَه التى طوّعت له قتل اخيه ، وان الله لم يرد ذلك ، ولم يخلقه ، ولم يقدّره ، وان الاستطاعة مع كليهما ، موجودة قبل فعلهما ، مقرين بذلك مصدقين بها .

فنزل هذا القرآن ، غير مكذب بقول هذا لصاحبه «لأقتلنك». لعلمه انه قادرٌ على قتله قبل فعله ، وقول الآخر: «ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك». لعلمه انه قادر على قتله قبل فعله ، فلذلك كَفَّ وتورّعَ ، ولوكان يعلم انه لا يقدر على ذلك ، لم يجز على الله ، جل ثناؤه ، ان يخبر عنه ويصوبه فى فعل ما لا يقدر عليه ، والله ، عز وجل، برئٌ من فعل الذى قتلَهُ ، لذلك صار القاتل ظالماً متعدياً، إذ (٣) لم يكف استطاعته عن الظلم ، واستعملها فى الفساد ، وامسك الآخر /

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٢٧ - ٣٠

(٣) فى الأصل : إذا

١٣٢ظ / ولم يعجل إلى القتل الذى له فيه استطاعة ، وهو له ممكن من قبل فعله، وهذا خبر الله ، عز وجل ، وهذا كتابه ، ينطق بخلاف قولك ان الاستطاعة مع الفعل ، وفى هذه الآية من الحجة عليك فى إثبات العدل وبراءة [١] الله ، عز وجل، من قتل مظلوماً.

قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾، ولم يقل : فقضيت عليه قتل اخيه ولا إرادته منه ، ولا خلقت فعله ، وكان من ندامته انه يحمله ، فيما يقال على عاتقه مائة عام ، لا يدرى كيف يصنع ، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢]، ثم قال الله ، عز وجل ، على اثر هذا مثبتاً للعدل ، ومبرءاً لنفسه من الظلم : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا.... ﴾[٣]، افلا ترى كيف ندم ابن ادم ، ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه ، وقد كان يمكنه قبل فعله ، ومستطيع لذلك ، ولذلك قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي؟! ﴾ ، لعلمه انه قد كان قادراً مستطيعاً ان يدفن اخاه، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ ﴾ ، ولا يجوز ان يخبر الله ، عز وجل ، بما لا يكون .

وكيف يتلهف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ، وكيف يحكى الله، عز وجل، خبراً لا يصح ولا يجوز فى العقول، ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له؟!..

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ، ففيها كفاية لمن عقل ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : مراءاة.

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٢

أمر الله بالحجاب:

٧- ومن الحجة فى أن الاستطاعة قبل الفعل ، قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..... ﴾[١]، ففى هذه الآية دليلان اثنان على ان الاستطاعة قبل الفعل ، الا ترى انه امر النساء ان لا يضربن بأرجلهن ، لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الضرب بالأرجل ، من قبل أن يفعلن ، فافترض عليهن أن لايضربن بأرجلهن ، ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن ، لم يفترض عليهن أمراً لايقدرون عليه ، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم العادل ، منفىٌ .

وكذلك قوله أيضاً : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فلم يكن ليامرهم ، عز وجل ، ويفترض عليهم التوبه من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها ، ويمكنهم منها .

١٣٣و/ واكبر الشاهد لنا على / ذلك قوله ، عز قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[٢]، ويلومهم كما تسمع ، على ترك التوبة ، التى هى ممكنة لهم ، إن ارادوها . فهذا أكبر دليل ، وأقوى حجة : ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[٣].

أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان ؟!.. سبحان الله العظيم.

الصبر عند اللقاء وعدم الإدبار:

٨- ومن الحجة فى ان الاستطاعة قبل الفعل ، قوله عز وجل ، : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾[٤]، فهذا يوجب انهم كانوا يستطيعون ان لا يولوا الادبار من قبل الفعل ، ولولا ذلك ما قال ، عز وجل ،

---

(١) سورة النور : الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٠١

(٤) سورة الأنفال : الآية ١٥

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾[١]، فلم يكن الله ليغضب عليهم ، فى أمر لا يستطيعون إليه حيلة.

٩- ومن الحجة لنا فى إثبات العدل ، وأن الله، عز وجل ، لم يعذب أحداً ، إلا بظلمه وجرمه ، وإثمه وغشمه ، وسوء اختياره ، قوله ، عز وجل ،: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[٢]، ولم يقل : بما قضيت عليهم ، وقدرت وأردت .

وقد روى عن كعب الأحبار[٣]، رحمه الله ، أنه قال : قرأت فى الكتب السالفة الاولى ، ومن يظلم يخرب بيته ، فكنت ذلك فينة من دهرى ، حتى بعث النبى محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، فلما سمعت به سرت إليه ، وأسلمت وأقمت عنده ، وتصفحت ما نزل عليه من القرآن ، وطلبت نظيراً لتلك الآية التى وجدتها فى التوراة ، فلم أجد ، فبينا أنا على ذلك ، إذ نزل عليه ، صلوات الله عليه ، هذه الآية ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[٤].

فالله ، عز وجل ، لا يؤاخذ أحداً من جميع خلقه ، إلا بعد ظلم وذنب بدأ به هو، واكتسبه واختاره بعد النهى عنه والدعاء الى غيره من الطاعة ، ولم يرد منهم ، عز وجل ، أن يكفروا ولا أن يدبروا أمره ، الا تسمع الى قوله نوح ، صلى الله عليه ،: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) ﴾[٥] ثم قال ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴾[٦]، ثم كان من ردهم عليه ، أن قالوا : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ

---

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(٣) كعب الأحبار هو : كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أبو إسحاق : تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى دولة عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص ، وتوفى فيها سنة ٣٢هـ ، عن مائة وأربع سنين . انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٥/ ٢٢٨ ، وكذا حلية الأولياء لأبى نعيم ٥/ ٣٦٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٣/ ٤٠٥ .

(٥) سورة نوح : الآيات ٧ - ١٣

الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، افلا تسمع إلى هذه القول العجيب ، والحكمة البالغة ، وأين هذا من دعواك يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وأخوانك المجبرة ، الذى أسندت فيه إلى خالقك ، جل وتعالى ، أنه أراد الكفر من الكفار ، جراءة على الله ، جل ثناوه ، ١٣٣ظ/ وتعامياً عن كتابه ، ومكابرة للعقول ، وميلاً إلى / تقليد الرجال ، بلا حجة ولا بصيرة ، ولا شاهد من كتاب الله ، عز وجل ، إلا ما تعلقت به من متشابه القرآن الذى جهلت تأويله ، فقد علمت ما ورد عليك فى كتابنا هذا ، من الكسر لحجتك، واستشهاد القرآن عليك ، والحجة الواضحة التى لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً .

الراسخون فى العلم والتأويل :

وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2] .

فقال قوم : إن الراسخين فى العلم لا يعلمون تاويل الكتاب .. جهلاً منهم ، وبلى[3]، لعمر الله ، إن الراسخين ليعلموا تاويل الكتاب ، (وما) تحتاج إليه الأمة من امر دينها ، الذى تعبدها الله ، عز وجل ، به ، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ فى العلم ؛ لان من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ فى العلم ، وإن لا ، ففيما رسخ إذا لم يعلم تأويل القرآن ؟! .. فاولئك هم ائمة الهدى من اهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، والراسخون فى العلم ، هم اهل التنزيلُ والتاويل .

العلم فى آل بيت رسول الله :

ولو لم يكن عندهم علم الكتاب ، لما جاز ان يقول الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]، والذكر فهو محمد ، صلى الله عليه

---

(١) سورة نوح : الأيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) فى الاصل . وبلا .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٣

وعلى آله وسلم ، دليل ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ..... ﴾[1]، فصار الذكر هو الرسل ، وهذا ما لا يُدفع ، فصار أهل البيت ، عليهم السلام ، هم المامور الخلق بسؤالهم ، ولم يكلفوا ان يسالوا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ولا عبد الرحمن بن خليل ، ولا عبد الكريم بن نعيم ، ولا مسلمة بن كريمة، ولا عبد الصمد ، ولا المعلَّم، ولا لمجدة بن عامر ، ولا أبا مروج السدوسى ، ولا فلاناً ، إلا ان يدعى عبد الله بن يزيد البغدادى ، ان[2] هؤلاء النفر الذين سمينا ان جبريل ، صلوات الله عليه ، كان يهبط على جدهم ، وفى بيوتهم قد ربوا بين التنزيل والتاويل ، وغذاهم الرسول ، وناغاهم جبريل ، وتنزيل فيهم من الله ، عز وجل ، : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ... ﴾[3]، فإن صح ذلك فَهُمْ اولى واحق ؛ وإن لم يصح ، فغيرهم أولى بالمقام ، واحق بالذبِّ[4] عن الإسلام ، والقيام بالاحكام منهم .

فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادى على مسائله ، والحمد لله .

***

وصية الإمام بنشر الكتاب :

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى – صلوات الله عليه وعلى آبائه ١٣٤و/ الطاهرين/ ومن وصل إليه من هذا الكتاب ، فلم يوضحه للناس ، ويبينه للمسلمين ؛ فهو فى أعظم الحرج حتى يكون الله ، جل ثناؤه ، هو المطالب له يوم القيامة ، بما كتم من الحق ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠ ﴾[5]، والله ، عز وجل ، حسيب من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧ ﴾[6]، وصلى الله على سيد المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وعلم المهتدين،

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ – ١١.

(٢) فى الأصل : « و » .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٤) الدفاع والتصدى لاعدائه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) هذا آخر رد المؤلف على عبد الله بن يزيد البغدادى المجبر ، ويليه رسالته فى الرد على المجبرة فى اعتقادهم عن إبليس ووساوسه . وقد نشرناها مع مؤلفنا «إبليس بين الحقيقة والوهم» بعد تحقيقها والتعليق عليها .

وخيرة رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الأمين الصادق على الله ، جل ثناؤه ، والمستضيئ بكتابه ، والتابع لأمره ، حتى مضى صابراً محتسباً ناصحاً، فصلوات الله عليه ، وبركاته، ورحمته عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

***

انتهى كتاب النجاة

المحقق

إمام عبد الله

فهـرس الموضوعـات التفصيلـى

صفحة	الموضـوعـــات

***

الموضوعات	صفحة
٢- المسألة الثانية: هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً ؟	٢٩
١ – جواب الناصر : لقد خلق خلقه كلهم للعبادة	٢٩
٢ – لقد جعل عباده مخيرين بما جعل فيهم من الاستطاعة	٣٠
٣ – الله عالم لا يخفى عليه شئ	٣١
٤ – هل علم الله يمنع من معصيته أو طاعته	٣١
٥ – الكذب ليس من عند الله	٣٢
٦ – لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان	٣٣
٧ – الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم	٣٥
٨ – الرد على مقالة المجبرة أن الله خلق الإيمان والكفر :	٣٦
٩ – هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم	٣٨
١٠– الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم	٣٨
١١– أمثلة من افتراءات المجبرة على الله	٤٢
١٢– الله يعلم كل شئ	٤٥
١٣– هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه؟	٤٥
١٤– جواب الناصر	٤٦
١٥– يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم	٤٧
١٦– اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل	٤٨
١٧– استثناء أهل الأعذار	٤٨
١٨– سماها ولم يجبرها	٤٩
١٩– لم يحل الله بين أحد والهداية	٥٠
٢٠– لم يقسرهم ولم يجبرهم على حبه أوكرهه	٥١
٢١– التوحيد لا يختلف ولا يتناقض	٥٢
٢٢– معرفة العدل والتوحيد فريضة	٥٢

الموضوعات	صفحة

الموضوعات	صفحة

الموضـوعـــــات	صفحة

الموضوعات	صفحة

الموضوعـــات	صفحة

***

الموضوعات	صفحة

الموضوعــــات	صفحة

الموضوعات	صفحة

الموضوعات	صفحة

الموضوعـــات	صفحة

***

الموضوعات	صفحة

***

التعريف بالمؤلف

الاســـم: إمام حنفى سيد عبد الله

مواليـد : القاهرة ٢ / ٩ / ١٩٦٢

خريـج : - كليـــة دار العلـوم جامعـــة القاهـــرة ١٩٨٤ .

- حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية ١٩٩٧ .
- كما حصل على دبلوم الخطوط العربية ١٩٩٠ .
- بالإضافـة إلـى دبلوم عـام فـى التربيـة ١٩٩٦ .
- وكــذلك دبلــوم خــاص فــى التربيــة ١٩٩٧ .
- هذا بالإضافة إلى دورات عديدة فى تحقيق التراث ، والقراءات ، وتعليم وتوجيه اللغة العربية والتربية الإسلامية .

العـــمل : - عمل المؤلف فى حقل التربية والتعليم مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية منذ وقت مبكر وحصل على العديد من شهادات التفوق والتقدير فى هذا المجال من مصر والكويت والسعودية .

- كما عمل المؤلف فى حقل تحقيق التراث والمراجعة العلمية ، وشارك فى إصدار العديد من الموسوعات الفقهية واللغوية ، من ذلك على سبيل المثال المغنى لابن قدامة طبعة « هجر » والطبقات الكبرى فى رجال الشافعية للسبكى .
- للمؤلف إنتاج علمى وادبى يعتز به ، حاز به إعجاب وتقدير العديد من الأساتذة المتخصصين

***

المؤلفـــات

أولا الدراســـات :

١ - الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى «رسالة ماجستير غير منشورة» . .

٢ - عقيدة التنزيه عند المسلمين .

٣ - نقد المسلمين للثنوية والمجوس .

٤ - الإمامة عندا لمسلمين .

٥ - دراسة فى التحسين والتقبيح .

٦ - دراسة فى موقف الزيدية من الصحابة .

٧ - مقدمة فى الجهاد .

٨ - الخوارج طليعه التكفير فى الإسلام .

٩ - إبليس فى التصور الإسلامى بين الحقيقة والوهم .

ثانيـا الأعمال المحققـة :

* أعمال يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩

١٠ - الرائق فى تنزيه الخالق .

١١- الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب .

١٢- الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه .

١٣- الدعوة العامة .

١٤- عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى .

١٥- الكوكب الوقاد فى احكام الاجتهاد .

١٦- الوصايا .

١٧- خواتم الحكم «لعلى دده» .

***

* أعمال القاسم بن إبراهيم الرسى ت ٢٤٦ هـ

١٨- الدليل الكبير فى الرد على الزنادقة والملحدين .

١٩- الرد على الملحد ومناظرته .

٢٠- الرد على النصارى .

٢١- الرد على الرد على الرافضة .

٢٢- المسترشد .

٢٣- الرد على ابن المقفع .

***

*** أعمال أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ**

٢٤- النجـاة .

٢٥- مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين .

٢٦- الرد على الإباضية .

***

٢٧- الخلاصة النافعة . **لأحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٦ هـ**

*** أعمال غير مطبوعة وتصدر قريباً** :

٢٨- مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم » » » »

***

٢٩- الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة الكاسفة

لعبد الله بن على الهادى إلى الحق

٣٠- التعليم عن بعد - مفهومه وآثاره فى التربية الرسمية

بحث حصل على امتياز فى مناهج التربية - غير منشور

بمعهد الدراسات التربية ١٩٩٧

٣١- المعجز **«للقاسم العيانى ت ٤٠٤ هـ»** .

* دواوين شعرية .

٣٢- أحلم بالقدس .

٣٣- بغداد صبراً .

٣٤- الأميرة التى سكنت بقلبى .

٣٥- ووقعت ببئر الأحزان .